بسم الله الرحمن الرحيم

راشد الزياني

ذكريات وتاريخ

رقم الايداع في المكتبة العامة ١٥٩١ د.ع / ١٩٩٤
المنامة - دولة البحرين

الإهداء

الى جيل الحاضر والمستقبل... أهدي هذا الكتاب لنستنير معاً بومضة من المعاناة والاصرار والصبر والوطنية والأعمال الخيرية التى تحلى بها جيلي.

راشد عبدالرحمن عبدالوهاب الزياني

تقدير وامتنان

أعـــرب عن شكري وتقديري وامتناني لزوجتي (أم خالد) لمساهمتهـا في تـذكيري ببعض حـوادث هـذه الـذكـريـات، ولابنتي أفنان حفظهـا الله لمساهمتها في تبـويب بعض فصولها ومتابعة طباعتها.

المقدمة

أيها القارىء الكريم

أود أن أنـوه هنـا ان مـا سيـأتي في هـذا الكتـاب ليـس مـذكرات بـل ذكريـات وتـاريخاً. فـالمذكرات تكتـب بوقتهـا وبتواريخ حـدوثها وقد جمعـت واستحضرت هذه الذكـريات من ذاكرتي وذاكـرة بعض الاخوة وبعض المراجع الكتـابية من رسائل ومقالات وكتب.

ان سرد أحـداث هـذه الـذكـريـات قـد لا تكـون دقيقـة بالنسبة لـوقائعها او تواريخها وذلك لمرور الـزمن الطويل على حـدوثهـا، غير اني آمل ان يكـون لسردهـا فـائدة لمن احب الاطـلاع على مـا كـان يحدث في السنـوات الماضيـة، وربما يستفاد من بعضهـا كخبرة وعظة او كونها مجالاً للمقـارنة بين الحاضر والماضى. . فـرجائي من القـارىء الكـريم ان يغض الطرف عن هفوات غير مقصودة، سـواء بالنسبة لتواريخها او طريقة سرد احداثها والله الموفق.

راشد عبدالرحمن الشيخ عبدالوهاب الزياني

الباب الأول

أيام الطفولة



المؤلف راشد الزياني أثناء طفولته بجانب والده
المرحوم الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزياني

أيام الطفولة

ان بعض ما اتذكره من عهد طفولتي هو ان والدي احضر لي ولأخي احمد ولبعض اولاد عمي شخصا اصله من لنجه بايران يدعى ملا عبدالله الآفه ليحفظنا القرآن. وفهمت ان والدي لم تعجبه كلمة «الآفه» فأبدلها بالأوفى فاصبح يطلق عليه ملا عبدالله الاوفى. كان يحفظنا القرآن في مجلسنا بالمحرق، حيث كان يسكن فيه ايضا. واذكر اني عندما ختمت القرآن ألبست ثوبا جديدا ووضع على رأسي قطعة قماش حريرية مطرزة بخيوط ذهبية مدلاة من جانبي الرأس بحيث يكاد يلامس طرفاها قدمي. كما كلفت بحمل سيف مذهب في يدي، وبعد ذلك بدأت مع بقية الاطفال، وبقيادة ملا عبدالله المذكور نسير في شوارع المحرق ونمر ببيوتها واحدا واحدا مختارين بيوت الموسرين منها بالذات، وعند كل بيت من هذه البيوت المختارة يقرأ احد الاطفال التحميدة المشهورة الآتي ذكرها ادناه بينما يردد الآخرون كلمة «آمين»:

الحمد لله الذي هدانا آمين   بالدين والاسلام فاجتبانا آمين
سبحانه من خالق سبحانه آمين   بفضله علمني القرآن آمين
علمني معلم ما قصرا آمين   علمني في درسه وكررا آمين
جزاكم الله يا والدي الجنانا آمين   وشيد الله بكم البنيانا آمين
انتي يا عمة نعم العمة آمين   آتاك ربي نعمة وتم آمين
انتي يا خالة نعم الخالة آمين   عطاك ربي من جزيل ماله آمين
الجد والجدة لا تنهرهما آمين   اذ لهما عند ربي جزاهما آمين

وهنا يجمع الملا عبدالله المتبرع به من النقود من اصحاب البيوت ويحتفظ بها لنفسه. كانت هذه العادة متبعة من قديم الزمان في البحرين. واظنها كانت في جميع انحاء الخليج.



ملا عبدالله الأوقي

المطوّع (الكتاتيب):

يجدر بي هنا ايضا ان اذكر شيئا عن الكتاتيب المخصصة لتحفيظ القرآن الكريم وكيفية جريان الامور فيها.

الكتاب (المدرسة) عبارة عن صف واحد بسيط ليس به مقاعد او ادراج او ما شاكل ذلك مما يوضع في صفوف مدارس اليوم.

يجلس الاطفال على الارض بعد ان يحضر كل منهم من بيته قطعة حصير صغيرة او في الغالب خيشه (كيس «زكيبة» من الخيش المستعمل) اما المدرس فلا يتجاوز معرفته وتعلمه في الغالب اكثر من قراءة القرآن وربما بعض القراءة والكتابة ويطلق عليه «مطوّع». يتمتع هذا المطوع باحترام وتقدير من قبل كافة الناس وبالاخص اولياء امور الاطفال فلا يعاقب او يلام او حتى يعاتب اذا ما طبق عقابا ما على اولادهم بل يعتبرون تطبيقه ذلك خير تأديب وردع ويقابلون عمله بالشكر والترحيب ولذلك كان الاطفال يحترمونه ويهابونه اكثر مما يهابون اولياء امورهم.

وقد أدى فتح المدارس النظامية الى تقلص عدد هذه الكتاتيب تدريجيا حتى اختفت. اما ملا عبدالله الآفه والذى ابدل اسمه الى الاوفى كما اسلفت فقد التحق بمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق ثم هاجر مع عائلته الى دبى عندما ادرك فيها وظيفة تناسب معرفته البدائية البسيطة، وبقى فيها حتى اختاره الله الى جواره.

والمطوع وكل المتعهدين بتحفيظ القرآن لا يستلمون راتبا او اجراً مقررا من آباء تلاميذهم، لأن القرآن شيء مقدس لا يباع ولا يشترى ولا تدفع اجرة عن تحفيظه هكذا كان يقال في ذلك الزمان واظنه لازال كذلك الى هذا اليوم. كما انه يستنكر على أي شخص ان يقول اني اشتريت قرآنا، بل يجب ان يقول استفديت قرآنا.. المهم كيف يعيش المعلم او المحفظ للقرآن، انه يعيش من التبرعات التى يجمعها من الميسورين يوم يختم احد تلاميذه القرآن اثناء تجواله مع خاتم القرآن وبقية التلاميذ وكذلك من اتاوة بسيطة هى «الخميسية». والخميسية نسبة الى يوم الخميس، آخر يوم في الاسبوع، ففى هذا اليوم

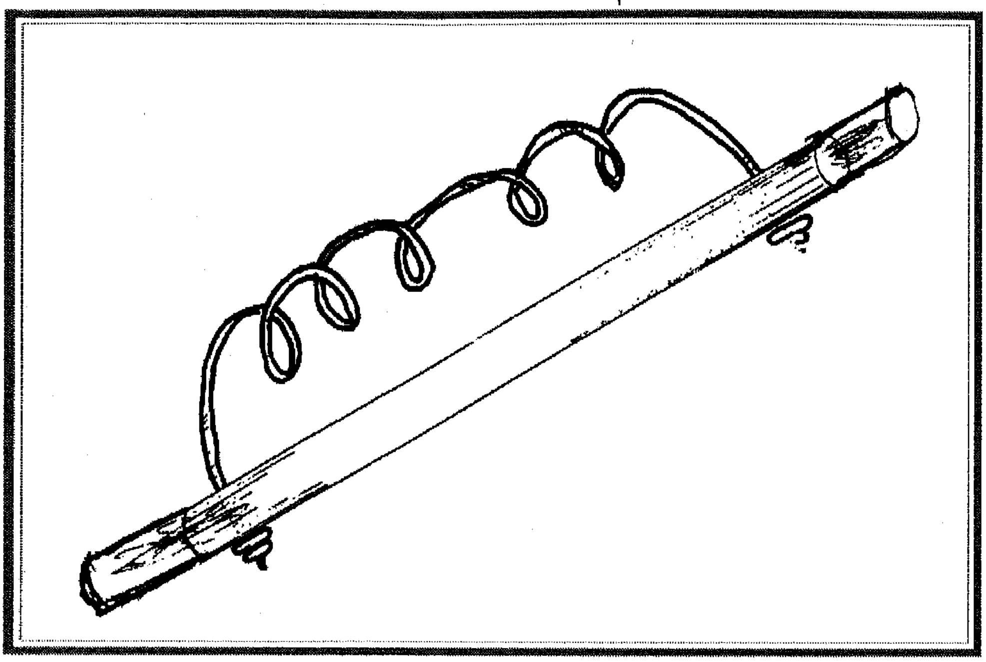


تحفيظ القرآن الكريم المصدر: ادارة التراث - دولة البحرين



الختمة ويرى الخاتم بلباسه الخاص المصدر: ادارة التراث - دولة البحرين

يتوجب على كل تلميذ ان يدفع الى المعلم مبلغا بسيطا لا يتجاوز اربع آنات (٢٥ فلسا) ويصر المعلم على استلام الخميسية، ولو ان بعضهم تأخذه الشفقة، فيعفي الفقير من دفعها. ولكن يا ويل التلميذ المقتدر الذي يحضر يوم الخميس ولا يكون قد احضر معه الخميسية فبعض الآباء الموسرين كانوا بخلاء يتهربون من دفع هذه الاتاوة البسيطة، نعم اذا حضر ابنهم وليس معه الخميسية يكون مصيره «الجحيشة» فما هي الجحيشة؟ الجحيشة عبارة عن عمود خشبي قطره حوالي بوصتين، وطوله حوالي خمسة اقدام، ربط في طرفيه حبل مرخي رفيع، بحيث يكون الحبل نصف حلقة. . هذه هي الجحيشة ولا اعرف لماذا سميت بهذا الاسم.



الجحيشة

اما طريقة عقاب المذنب بها فهى ادخال رجليه داخل الحلقة ثم برم العمود بواسطة شخصين يمسك كل منهما طرفا من العمود فيحبس الحبل قدمي المعاقب حول حجليه بحيث لا يستطيع ان يحرك رجليه او ساقيه ثم يقوم

الشخصان برفع العمود من طرفيه بينما يكون المعاقب قد استلقى على ظهره فوق الارض او على الخيشه التى عادة يجلس عليها كل طالب اثناء الدرس. فتبرز هنا قدما المعاقب خارجة من حلقة العمود بارز باطنها جاهزة لضربها ولشطها بخيزرانة خاصة تؤلم ألماً شديدا ولكنها لا تؤذي، ولعل القارىء يود ان يتساءل ويسألنى هل جربت الجحيشة عليك؟

فجوابى نعم جربت مرة واحدة والقصة هى اني كنت في القضيبية في ايام الصيف، حيث كنت ضيفا صغيرا على زوجة المرحوم علي بن ابراهيم الزياني التى كانت قريبة لوالدي. ولا اذكر لماذا كنت ذلك الضيف ولكن كل ما اذكره انهم كانوا قد وظفوا شخصا ليعلم اولادهم الكتابة والقراءة ولعلي ارسلت الى هناك بترتيب من والدي وزوجة المرحوم علي بن ابراهيم الزياني لأتعلم الكتابة والقراءة. والظاهر ان شيئا حدث مني اوجب عقابي بالجحيشة، واظنه تأخري عن الدوام في احد الايام وكانت هذه هى التجربة الوحيدة التى مررت بها وقد كان الضرب مؤلما وشديدا بالنسبة لي حتى ان صراخي وصل الى مسمع زوجة المرحوم فما كان منها الا ان ارسلت احدى خادماتها حيث اصطحبتني الى داخل البيت وهي تكفكف دمعى. ولم اعد الى الصف ذلك اليوم، بل بقيت ألعب داخل البيت في رعاية زوجة المرحوم. وعندما خفت حدة الشمس استقلت الزوجة وبعض اتباعها عربة تجرها الخيل واتجهت إلى عين ام شعوم الشهيرة آنذاك واصطحبتنى معها واذكر اني عندما كنت جالسا بينهم شددت نظري الى الارض التى كانت تمر من تحت العربة بسرعة غير مألوفة عندي، وام شعوم في ذلك الوقت كانت محطة استراحة واسترخاء يرتادها الناس لاطفاء حرارة اجسامهم في فصل الصيف الحار والتمتع بمائها الندى البارد وكانت تنقسم الى ثلاثة اقسام بركتان كبيرتان بينهما جسر مدفون. الجنوبية يتفرع منها فرع صغير مفصول ومحاط بجدران من كل جوانبه خصص للنساء والاطفال، وكنت في ذلك اليوم من احد رواده، اما القسم الكبير فهو للرجال، واما البركة الشمالية فمع ان حجمها لا يقل عن حجم الجنوبية الا انها كانت لا تستعمل الا لغسل الحيوانات، وبالاخص

الحمير التى كانت هى المركوب الوحيد والمفضل للقادمين للعين في ذلك الزمان.

وما دام قد جاء هنا ذكر استعمال الحمير، يجدر بي ان اتبسط في هذا الموضوع للعلم والاطلاع. فقبل عهد السيارات كانت الحمير (واحيانا الخيل) هى الوسيلة الوحيدة للتنقلات والاتصالات البعيدة والقريبة بين الافراد والجماعات، فضلا عن كونها الوسيلة الفريدة لنقل الاحمال المختلفة غذائية كانت او تجارية او بنائية، بما فيها حجارة البناء (١). ويستعمل صغار الحجم منها الفلاحون واصحاب المزارع لنقل محصولات مزارعهم من الخضار والفواكه على ظهورها الى الاسواق والبيوت. وهذا النوع من الحمير يكون عادة صغير الحجم رمادي اللون بطيء الحركة لا يصلح الا للاحمال البسيطة كالخضار وما شاكلها. اما النوع الآخر الذي يستعمل للركوب وحمل الاحمال الثقيلة فيختلف اختلافا كليا عن حمير الفلاحين الآنفة الذكر. فحجمه كبير يضاهي حجم الحصان، ولون شعره ابيض ناصع البياض علاوة على قوة احتماله وسرعة جريه. وكانت البحرين مشهورة ومميزة بانواعها الجميلة الشكل والمنظر ويقال ان زوجا منها ارسل الى احدى حدائق الحيوان بانجلترا.

وكون هذا الحيوان هو الوسيلة الوحيدة للتنقل والاتصال بين عامة الناس، لقي من اصحابه كامل العناية والاهتمام كما حظى بالرعاية الخاصة والتفاخر بين المستعملين شأنهم في ذلك شأن من يتفاخر بسيارته اليوم. وقد تحاشوا ان يطلقوا على دابتهم كلمة «حمارة» بل كلمة «زمالة» فلا يقول الشخص ركبت حمارتي بل يقول امتطيت «زمالتي» او «دابتي» ويقول لخادمه مثلا اربط «الزمالة». والانثى منها هو الذي يستعمل عادة للركوب، اما الذكر فيستعمل لحمل الاحمال الثقيلة او لركوب اصحابه من الحمّارة (كما كان يطلق عليهم). ويتفنن الحمّارة بتزيين حميرهم وتجميلها، بأن يضعوا حول عنقها

---

(١) لم يستحدث الطابوق في ذلك الزمان ولم يعرف البناء بطريقته الحالية (الحديد والاسمنت والجسور المسلحة) فكان الاستعمال الشائع آنذاك خاصة للأساسات الحجارة الصلدة والتي عادة تقطع من الجرف البحري الذي يبعد حوالي نصف ميل عن الساحل حيث يذهب المتخصصون في سفن شراعية خاصة لقطعه أثناء الجزر وجلبه للساحل بعد المد لينقل على ظهور الحمير إلى ساحات البناء.

قلادة مطـرزة بأسفلها بـرشوم او جـرس يرن ويجلجل اثنـاء سيرها. كما كـانوا يصبغون جبهتهـا وبعض اجزاء من جسمهـا بالحناء الحمـراء، حيث يتضارب لون الحناء الحمراء القاني بلون شعر الحمار الابيض الناصع البياض مضفيا هذا التضارب رونقا جميلا يلفت النظر ويثير الاعجاب.

يشد على ظهر الحمير سرج يشبه الى حـد كبير ما يستعمل اليوم للخيل الا انه مصنوع من الخيش ومحشو بألياف الاشجار. هذا بالنسبة لحمير النقل. اما سرج حمير الـركوب فيكـون عـادة مغلفا بقماش صـوفي جميل، او بقـايا قطعـة مقطوعة من زولية قديمة. ثم يفـرش على السرج ما يدعى بالخرج، وهو عبارة عن قماش صوفي يحتـوي على جيبين يوضع فيهما ما يحتاج اليه مـن حاجيات، ويفرش على الخرج عادة قبل الـركوب ما يسمى «ياعد»، وهـو عبارة عن جلد نعجة او خروف، يعطي الراكب راحة وليـونة ويهيىء له الراحة اثناء السير كما ان هذا «اليـاعد» يستعمل ايضا عند الحاجـة لفرشه والجلوس عليـه اذا صادف ان توقف الراكب في مكان صحراوي او ارض زراعية خالية.

وتصور نفسك ايها القـارىء (ابن اليوم)، وانت في احد اسواق المنـامة او المحـرق، تشاهـد حركـة زحام المارة والمتسـوقة من النـاس، وفي الوقت نفسـه تزاحمهـا حمير تنوء باحمالها الثقيلة من اكيـاس الرز وقلات التمر وحجـارة البناء او جـذوع النخيل وابـواب المنـازل والغـرف وغيرهـا، وكيف ان صـاحبهـا او قائدها يوجههـا وهو يسير بجانبها باشارة من خيـزرانة صغيرة في يده، مع هذا فهي تشق طريقهـا بكل اطمئنان لا تصطدم بما يلاقيهـا من الحمير المحملة او غير المحملة، ولا تـدهس المارة ورواد السوق دون الحاجـة الى شرطي مرور او اشـارة خضراء وحمراء. فقـد خلـق اللـه سبحـانـه وتعـالى فيهـا رادارا طبيعيـا لتوجيهها واعطاها القدرة على تحاشي ذلك.

وبالمنـاسبة فلم يكـن يوجد بـالبحرين في ذلك الـوقت سيارات، بـل عدد محدود من العربات التى تجرها الخيل. واظن انـه في ذلك الوقت من الزمان بدأ توريـد واستعمال الدراجات «البسكليتـات» وكان عـامة الناس يطلقـون عليها اسم «خيل ابليس».

كـان يفصل بين المنـامـة وعين ام شعـوم والجفير في ذلك الـوقت بـر واسع يصطاف على سـاحله غالبيـة سكان المحرق والحد، حيث يشيـدون على طول ذلك الساحـل عرشانـاً من سعف النخيل يسكنونها طيلـة فصل الصيف. واذا ما انتهـى ذلك الفصل، اغلقوا هـذه المساكن ولا يعودون اليهـا الا في الصيف التـالي، وان اول من بنى بيوتـا حجريـة في تلك المنطقـة كان المرحـوم علي بن ابراهيم الـزياني وابن عمـه المرحوم عبدالـرحمن محمد الزيـانى، فقد شيدا بيـوتاً تميـزت بحسن منظرهـا وسعة غـرفها نـاهيك عن مجالسهـا ودواوينها الفسيحـة ومرافقها العامة المتعددة.

في ذلك الـوقت من الـزمان احـدث الباليـوز «المعتمد» الانجليـزى المسمى «دكسن» مـا كان يـدعى (خطة) وذلك بـأن حوط قسما كبيرا من البر الـواسع الواقـع بين المنامة وعين ام شعـوم والمساكن التى يصطـاف فيها المصطـافون في القضيبية، حوطـه على شكل دائرة كبيرة بمجرد تعلية التراب حـول هذه الدائرة بمقـدار قـدم واحـد وحظـر تجاوز هذا الحاجـز او الـدخـول في دائرتـه فكـان القاصـد الى المنامة او العـائد منها يضطر ان يتحـاشى دخول هـذه الخطة والا وقع عليه العقـاب. بل كان عليه ان يدور حـولها لمسافات طـويلة حتى يصل الى طريقه المعتاد، واذكـر ان طفلا يافعا من جماعتنا دخل هـذه الخطة فحجزته الشرطة لمدة يـوم او نحوه ولما تبين لهم انـه طفل غريـر لا يدرك مـا يفعل اخلي سبيله.

وللمعلـومية فـان اول طائرة ركـاب بريطـانية تحمل اسم امبريـال ايرويـز Imperial Airways وصلت الى البـحرين بل وربما الى منـطقة الخليـج حطت رحالها في الجزء الجنـوبي من الفراغ المشـار اليه اعلاه. وان اول بئـر ارتوازي في البحرين، لا بل وفي كل منطقة الخليج كما اعتقـد، جرى حفره في هذه البقعة من الارض وكـان حفره على يـد المهندس هـولمز Holmes وهو نفـس المهندس الانجليزى الذى سـاهم في اكتشاف النفط في البحرين. وكـان لاكتشاف الماء بهذه الطريقـة صدى كبير في البحريـن وخارجها اذ كـان الناس يتوافـدون من

جميع اطراف البلاد لمشاهدة هذا الحدث الكبير مبدين الدهشة والتعجب من عملية الحفر ثم من تدفق الماء العذب بقوة من ثقب في الارض.

وحسبما سمعت تقاضى المهندس المذكور عن حفر هذا البئر مبلغا قدره خمسون الف روبية وهو مبلغ كبير جدا اذا قارناه بما تقاضاه، مقاول بحريني تخصص فيما بعد في حفر الآبار الارتوازية، بمبلغ يتراوح بين الف والف وخمسمائة روبية للبئر الواحد. اما ثاني بئر ارتوازي قام المهندس المذكور بحفره فكان في موقع بالمحرق يطلق عليه اسم «خرايب السادة» اما البئر الثالث فكان ما اطلق عليه «عين الحدادة» ويقع في فريق الزيايته بالمحرق. ثم تتابع حفر الآبار الارتوازية في البحرين وخارجها بحيث اصبح امر حفرها من الامور المألوفة العادية.

قصتي مع الكلاب السائبة:

كنت في سن الطفولة - واسرد هنا حادثة حدثت لي آنذاك فيها بعض الطرافة والعظة. كنا نسكن في المحرق وكان بيتنا يقع مباشرة شرق السوق الممتدة من قهوة الطواويش حتى الحالة.

وكانت غالبية الاسواق في ذلك الزمان مسقفة بسعف النخيل والحصر حماية للسالكين والمتسوقين من الشمس الحارقة. وكانت الكلاب السائبة، وعددها كبير وحجمها ضخم، ترتاد هذه الاسقف متخذة منها ومن سطوح البيوت والمحلات التجارية المجاورة اوكارا لها تحميها من المطاردة. وكان لا ينقطع سماع نباحها عن بيتنا ليلا او نهارا، ومع الاسف اتخذ اهلنا من نباحها وسيلة لتخويفنا ونحن لازلنا في سن الطفولة. اذ انه عندما يريدون تسكيتنا اثناء الليل اذا اعترانا ألم او مرض ولم نستطع النوم وظللنا نتلوى من الم او ضجر وكذلك اذا بدا منا شيطنة صبيانية او صراخ، يقولون «اذا ما تسكت او تسكن ندعو الكلاب الضارية لمهاجمتك وعظك!» وقد خلق هذا التهديد المتكرر في نفوسنا عقدة الخوف من الكلاب.

وفي اثناء الليل وشوارع - عفوا - وطرقات المحرق الضيقة لم تكن مضاءة كما هى عليه اليوم، تنزل سروح من هذه الكلاب الى الطرقات متخذة الظلام وسيلة للتنقل بين طرق المدينة طلبا للغذاء ولملء بطونها من فضلات الطعام التى اعتاد الساكنون رميها على قارعة الطرقات امام بيوتهم. واذكر انه في احدى الامسيات، وبعد صلاة العشاء، كنت متواجدا في مجلسنا المقابل لبيتنا، ولم يكن باب المجلس مقابلا تماما لباب البيت بل كان البابان متواربين، بحيث يبعد احدهما عن الآخر بمقدار ٢٥ قدما، مع ان الطريق الفاصل بين البيت والمجلس لا يزيد عرضه عن ٨ اقدام. ذكرت اني كنت متواجدا في مجلسنا تلك الليلة ولما غلبنى النعاس هممت بالذهاب الى البيت ولتخوفي من هذه الكلاب السائبة المتوحشة، كنت تعودت في هذه الاحوال ان اقف على عتبة باب المجلس ثم اركض بمنتهى السرعة قاطعا الطريق الى باب البيت متحاشيا تلك الكلاب، انما صادف في هذه المرة انه ما كدت اطلق

العنان لرجلي واذا بي اصطدم بعدد من هذه الكلاب المفزعة التى كانت منطلقة بسرعتها الفائقة في الاتجاه المضاد لي! تصور ايها القارىء طفلا روع وخوف مرة ومرات بالكلاب النابحة المتوحشة حتى بلغ به الجزع والخوف منها مبلغه، تصوره يصطدم بها في ظلام الليل الموحش! صرخت صرخة مفزعة شاركني فيها عواء الكلاب المذعورة بمن صدمها في هذه الظلمة الحالكة. وقد هزت صرختى المفزعة والمغمورة بعواء الكلاب جميع ساكنى البيت والمجلس ودفعتهم لانقاذي حيث وجدوني ملقياً على الارض ارتجف وأبكي وانتحب من هول ما اصابني، وقد ظلت هذه الحادثة تراود افكاري ومشاعري مدة من الزمن حتى ترعرعت. وأسفت لعدم ادراك اهالينا خطورة ما قاموا به تجاه تخويف اولادهم.

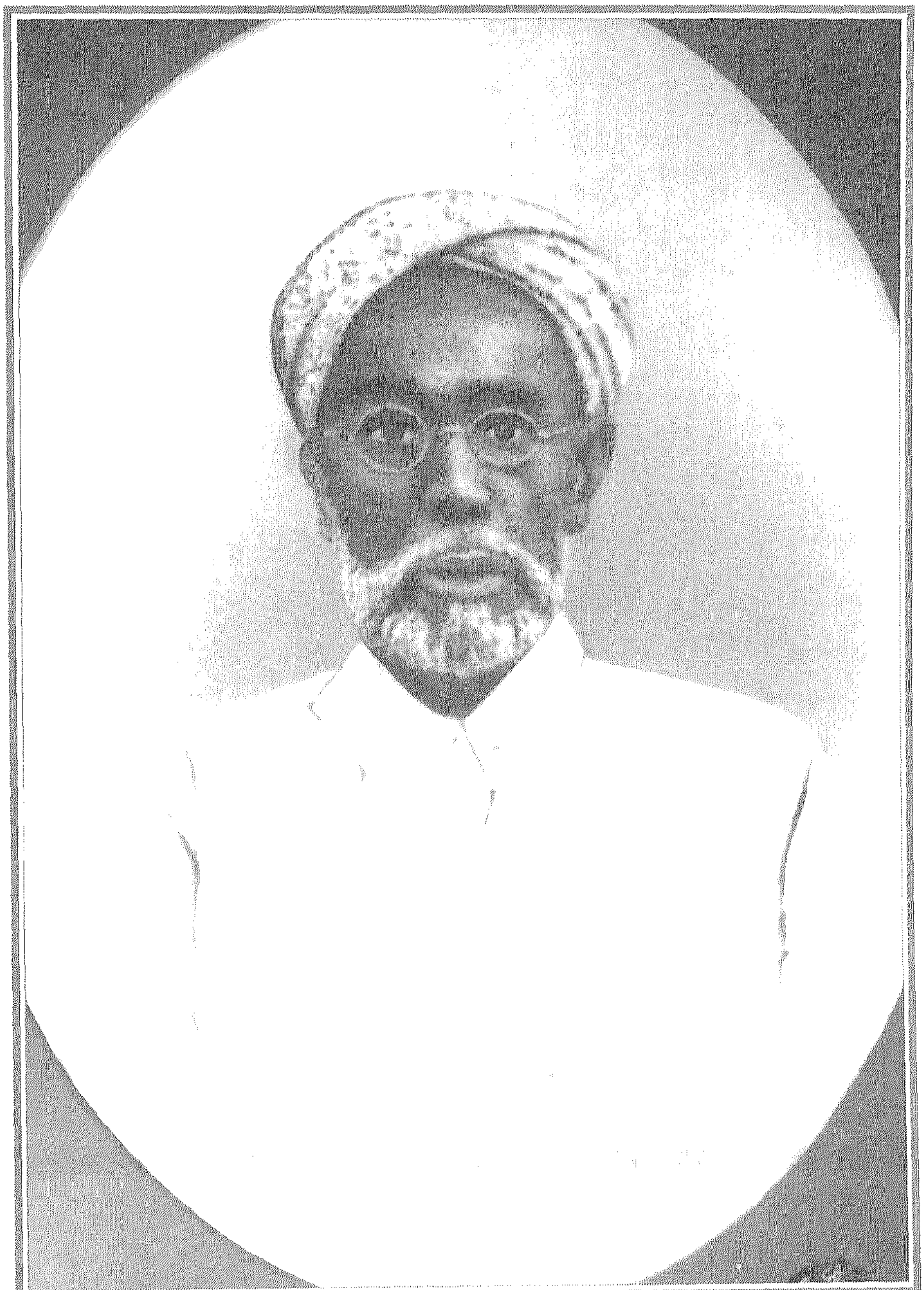
الدكَاكَه:

كذلك كان مشهورا في ذلك الزمان واستمر مدة سنوات طويلة بعد ذلك امر ما يسمونه بالدكاكه، «وهي عبارة تطلق على لصوص الليل» الذين كانت غالبيتهم تأتي من خارج البحرين تهاجم الدكاكين والمحلات التجارية واحيانا بيوت السكن وكان يحرس الاسواق حراس يدعون «نواطير» تمتد مراكزهم على طول الاسواق التى كانت مضاءة بفناره (فوانيس صغيرة) تعمل بالكاز (الكيروسين) الا ان الدكَاكَه كانوا يتخذون من ثقب اسقف الدكاكين الهزيلة وسيلة للولوج اليها ووضع يدهم على محتوياتها، ولذلك اضطر رجال الامن ان يستعينوا بنواطير متحركة تجوب اسقف الدكاكين، وكان هؤلاء يتنادون بينهم باصوات فيها نوع من التخويف والفزع غايتهم منها تخويف الحرامية او «الدكاكه» كما كانوا يسمونهم. ولما كانت غرفتنا مشارفة لهذه الاسقف، كانت اصوات هؤلاء النواطير وعواء الكلاب مصدر فزع وقلق لي وممن هم في سني من الاطفال. وبالمناسبة اذكر هنا شيئا عن حراسة الاسواق من قبل النواطير، قلت ان الاسواق كانت مضاءة بشموع الكاز الهزيلة في الوقت الذى تكتنف الظلمة الحالكة طرقات المحرق الضيقة. فكانت غالبية الناس المعروفين طبعا يتخذون في تنقلاتهم الليلية عبر المدينة طريق السوق المضاء

نوعا ما، فاذا احس الناطور المتربص باحد المراكز بشخص قادم، او قل لمح شيئا قادما اليه صاح به سائلاً من؟ وعلى القادم ان يجيبه بقوله «صديق» وينتظر الناطور الى ان يصل اليه القادم «الصديق» ليتبحر في وجهه وليتأكد من معرفته، والا قاده الى دائرة الشرطة ليقضي تلك الامسية فيها، وتصور مرورك بالسوق وانت تستعد لترديد كلمة «صديق» لكل مركز تمر به شيء ممل ولكن الناس تعودوا عليه.

الباب الثاني

جدي الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني



المرحوم الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني

جدي الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني

اني لم أر جدي وأتعـايش معه إلا لفترة قصيرة في حياتـه. كانت تجمعنـا به أنا وأخي أحمد وعـدداً من أولاد عمنا وجبة العشاء كل مسـاء فقد كان، رحمه الله، يتناول هـذه الوجبة بعـد صلاة المغرب مبـاشرة عند عودتـه من المسجد. وكانت لـه طريقة خاصة في تغـذيتنا، فهو يضع لكل واحـد منا كمية محدودة من الطعام في صحن صغير ولا يسمـح لنا بتكرار ذلك أو مد يـدنا الى الأواني المختلفـة والموضوعـة على سفرة الأكل ويحدث أحيـانا أن أحـدنا يجد نفسـه لم يشبع مما خصص لـه فيسارع بعد الانتهاء من الأكـل الى حمل الماعون الرئيسي من الطعام بـالذات الى المطبخ متظـاهرا بالخدمـة، ولكنه وهو في الطـريق يمد يده مرة ومـرات و يأكل من الأكل الموجود في الماعون لكي يشبـع نفسه وتتكرر هذه الـوسيلة كل ليلة والحظيظ مـن يحمل (الغنجة) (١). كنا نحترمـه ونهابه بل ونخشـاه، بعد العشاء يقـوم أحدنـا بصب القهوة اما والدنـا فلا يشـاركنا وجبة العشاء، بل كان يجلس جانبـا يتحدث للجد عن أخبار العمل والسوق والـزيارات النهـارية ومـا شـاكلها، امـا عشاؤه فيتنـاولـه بعد ذلك في مجلسنـا الكائن بـالمحرق والمقـابل لبيتنا. ولما استفسرت عـن السبب في عدم مشـاركته معنا فيما بعـد أخبرت ان الأمر كـان مقصودا، وذلك لكي يتمكن والـدي من استضـافة ضيـف موجـود في مجلسنـا، أو ربما قـد قدم الى ضيـافتنـا في وقت متأخـر من المساء. كـان الجد بعد العشـاء، يطلب منا فـرادى أو مجتمعين أن ننشـد له مـا تعلمنـاه من نشيـد في المدرسة. أو نتلـو على مسـامعـه جزءا ممـا حفظنـاه مـن القـرآن أو الحديث. ونبقـى كـذلـك حتى يحين مـوعـد صـلاة العشـاء، حيث ينفض هذا المجلـس العائلي ويتـوجه الجد الى المسجـد ثم الى المجلس. كان الجد يحرص على أن نؤدي الصلاة في المسجد، ويحثنا على ذلك وإذا صادف ومـر بنا بعـد الصلاة ونحـن نلعب في الطريق أو البيـت، أوقفنا عن اللعـب وسألنـا هل صليتم؟ بطبيعة الحال نجيب «نعم». ولو اننا لم نصل

(١) **الغنجة**: إناء الطعام الرئيسي المحتوي عادة على الرز وتوابعه.

خوفا من ضربة مطرقه (١) الـذي اعتاد حمله. عنـدها يفاجئنا بأسئلـة مختلفة للتأكد من صـدقنا. مثلا يسألنا ماذا قـرأ الإمام؟ أو في أي مسجد صليتم؟ أو نحـوه ولما يجد انه بـدا علينـا الارتباك، ينـزل علينـا غضبـه ويهددنا بـالضرب بمطرقـه، ولكنه في النهايـة يتسامح معنـا بعد توبيخنـا لعدم الصلاة بـالمسجد ولكذبنا.

كان الشيخ عبـدالوهاب الزيـاني من حيث السن الابن الثالث بين اخـوته الخمسة. وقد تـوسم والده المرحوم حجي بن أحمد الـزياني، توسم فيـه الذكاء والجرأة والاستقامـة، فغرس فيه روح التعلم والتعليم، وبعثه للخـارج لتكملة علومـه الدينيـة واللغويـة. ولما عاد من دراستـه بنى لـه مسجدا لايـزال يعرف باسمـه في فريق الـزياينة ومـدرسة حديـث وتثقيف ديني، حيث مارس امـامة المسجد والتدريس في المدرسة المذكورة طيلة وجوده في البحرين.

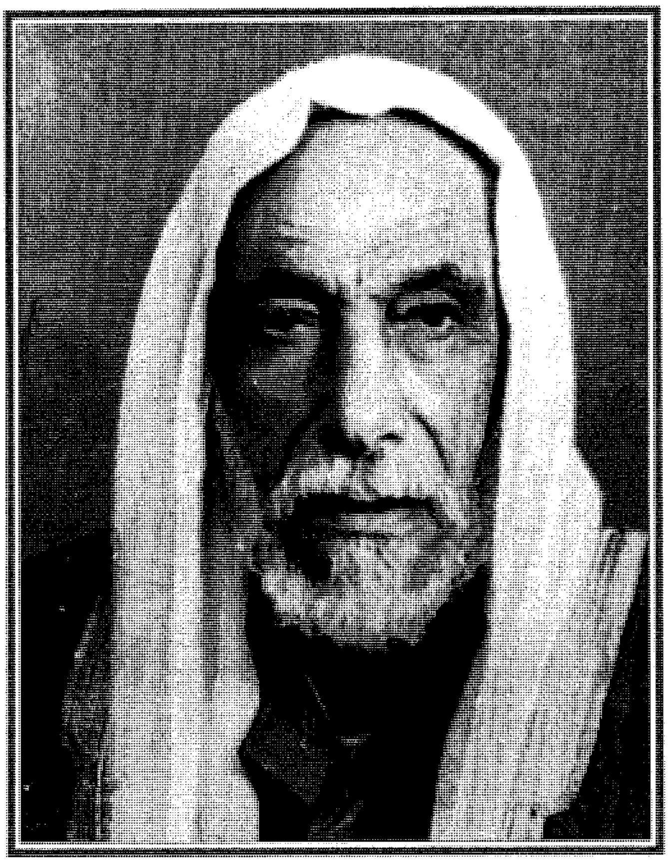
وبعد سنـوات من وفاته، اعترى المسجـد المذكور الخلل والتـداعي، فقام ابنـه عبدالـرحمن بهدمه وبنـائه من جديـد بعد تـوسعتـه، وقد سـاهم المحسن الكبير المرحـوم سلمان بـن مطـر، بـالقسـم الأكبر من تمويل ذلـك، جـزاه الله خيرا. مع مرور الأيـام طرأ خلل في عدة أقسـام من بناءً المسجد شمل خلـوته ومنارته، فتبرعت أنـا وأخي أحمد بالقيام بهدم المسجد بكاملـه وإعادة بنائه من جديـد بناء حديثـا متطورا مع توسعـة رقعته بإضافـة أراض ومحلات مجاورة له وتخصيص خلـوة للصلاة خـاصـة للنساء ذات مـدخل خـاص ومرافق وضـوء وغيره تابعـة لها. وبما ان المنطقة في حـاجة الى جامـع فقد صمم البنـاء الجديد ليوفي بهذا الغـرض الخيري النبيل. . وما دمـت قد ذكرت اسـم المرحوم سلمان بن مطر وكيف انه ساعد ماديـاً في بناء مسجد الشيخ عبدالوهاب يجدر بي هنا ان أنوه وأشيد بمآثر هذا المحسن الجليل وبعض أعماله الخيرية.

فعندما كـان نادي البحرين بأمس الحاجة لايجاد قاعـة لتمثيل أول رواية له مجنون ليلى(٢) تكرم جزاه الله خيراً وأعـار النادي عمارة تحتوي على حوش (٣) فسيح لتمثيل الرواية المشار اليها آنفاً مما كان له اثر كبير في نجاح الرواية.

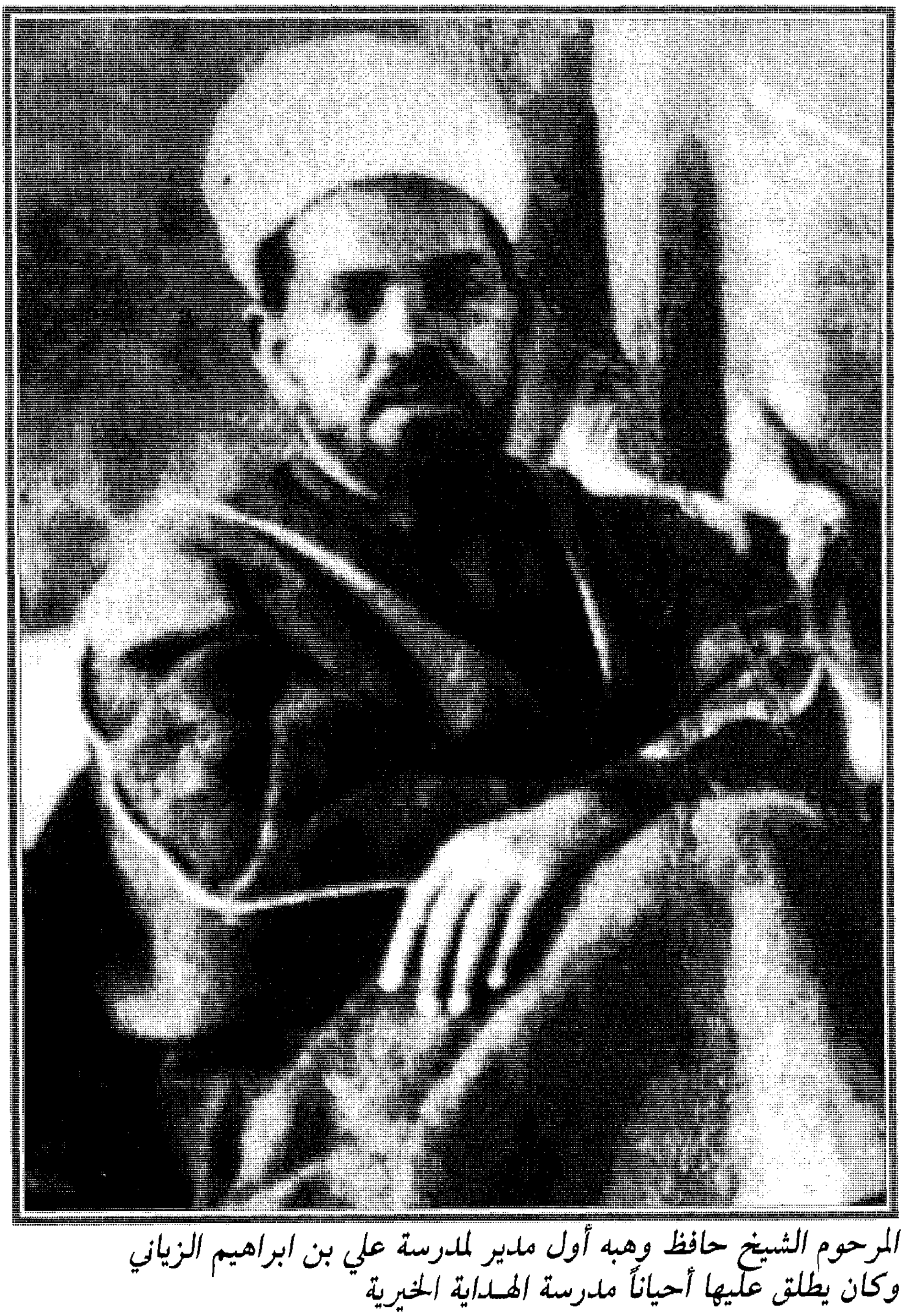
---

(١) **المطرق**: عصا من نوع خاص عادة يحملها العلماء وكبار السن في ذلك الزمان. (٢) راجع ما كتب عن نادي البحرين في هذا الكتاب صفحة (٢٨٩) (٣) الحوش قاعة مفتوحة داخل العمارة

ومن حسناته انه فتح بيته لمساعدة المحتاجين والمعسرين ابان حلول الكساد العالمي الذى احاق بالعالم في الثلاثينيات من هذا القرن وتزامن ذلك مع انحسار عمل اللؤلؤ وتجارته بسبب اختراع اللؤلؤ الياباني مما جلب الفقر والفاقة للعديد من الاهالي في البحرين والمنطقة وألجأ العديد منهم الى بيع ممتلكاتهم وامتعتهم الشخصية، لا بل وأرغم بعضهم حتى لقلع بعض شبابيك بيوتهم وبيعها لمجرد ان يتمكنوا بثمنها من مواصلة عيشتهم المقنضبة. كما فتح مجلسه مساء كل يوم من تلك الأيام العسيرة لاطعام الجياع من الفقراء والمساكين. رحمه الله برحمته الواسعة وأثابه على أعماله الخيرية.



المرحوم الحاج سلمان بن مطر



المرحوم الشيخ حافظ وهبه أول مدير لمدرسة علي بن ابراهيم الزياني
وكان يطلق عليها أحياناً مدرسة الهداية الخيرية

ساهم الشيخ عبدالوهاب الزياني مساهمة كبيرة في إدخال التعليم النظامي للبحرين وقد اختير ليتولى منصب نائب الرئيس في مجلس المعارف المؤلف من عدد من وجهاء البلاد آنذاك برئاسة المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وبقى يزاول العمل فيه الى أن نفي (١) من البحرين في عام ١٩٢٣م وقد عهد اليه في البداية ترشيح وتوظيف المدرسين الأجانب نظرا لخبرته واتصالاته بالخارج، خاصة قطر العراق حيث كان يتردد على بغداد ويقضي فيها مدة من الزمن بحكم وجود بيت وزوجة له فيها. وأول المعلمين كما فهمت كان المرحوم الشيخ حافظ وهبة الذي تولى وأدار أول مدرسة نظامية هي مدرسة علي بن ابراهيم الزياني وقد منعته السلطات البريطانية من دخول البحرين عندما عاد من الكويت بعد أن قضى اجازته المدرسية فيها، فاضطر للرجوع الى الكويت ومنها التحق بخدمة جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود كمستشار ثم سفير الى ان اختاره الله الى جواره. ومن المعلمين الذين تحضرني أسماؤهم النقشبندي والشنقيطي. والرسالة الموجهة من الشيخ عبدالوهاب الزياني للمغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة والمرفقة صورة منها(٢) تلقي الضوء على مدى اهتمامه بالتعليم في البحرين والحاجة لاستشارته عند اختيار المعلمين الصالحين.

---

(١) نفاه الانجليز الى الهند لاعتراضه وزملائه على تدخلهم في امور البلاد الداخلية خلافا للمعاهدة المبرمة بين بريطانيا وحكام البحرين.

(٢) صفحة (٣٠)

حسم الله من ينبي رقم سعد شوال سنة ١٤٤١

صفوة الفاضل الأعز والأخ الوفي الأكرم الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة الحشري حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال الحفي عن عزيز ذاتك النفيسة
وبعد السرور الذي خصنا به كتابك الكريم مبشراً بدوام صحتك وسعيك في إخلاص من صفوة ما طبع لطفك
لصفي ودك عزيزي تفضلت بإبداء ما يكنه ضميرك النفيس من ألم البعد والفراق إلي
أؤكد لحضرتك أن إحساسي ونصيبي من ذلك الألم ضعف ما عندك على ذلك والله يتفضل بالإياب
ربي أن يهيئ أسباب الاجتماع عن قريب عزيزي تفضلت بوصف حالة البلاد وخصوصية
وأحوالها المشاكل تكفي بالجهل ... وبال مستبداد علاجها ولولا ما حرم الله القنوط
إليها سريعاً ولكل أجل كتاب من خصوص مذاكرتكم مع حضرة الفاضل الشيخ محمد الشنقيطي
في تحصيل معلمين مقتدرين وإرشاده إلى جلبهم من الحجاز وتستلفتون نظري ورأيي
بما نويتموه على تأسيسه تحت معلومات الشيخ محمد وإرشاده فإني أراه البر الصدوق
الناصح المخلص وقد كتبت كتاباً إلى الشيخ عبد الرحمن وصحبة كتاب الشيخ عبد الله بن عطية وأرسلته
وأكدت عليه في تحصيل الشخص المقصود وإن لم يوافق بأخذ رأيه ورأي مدير مدرسة الفلاح
في انتخاب من يصلح مع التحفظ منه بالسؤال عن الأخلاق الفاضلة وأسأل الله أن يوفق لهذا
العمل من يقوم بواجبه والعلم في عبد الرحمن أنه يبادر بالجواب إليكم وإن ورد في شيء أبادر به
لحضرتكم وأسأل الله أن يحفظكم وسلامي على إخوانكم الكرام والسلام عليكم
محبكم عبد الله ...
عبد الله ...

بسم الله من بومبي وفي١٣ شوال ١٣٤١

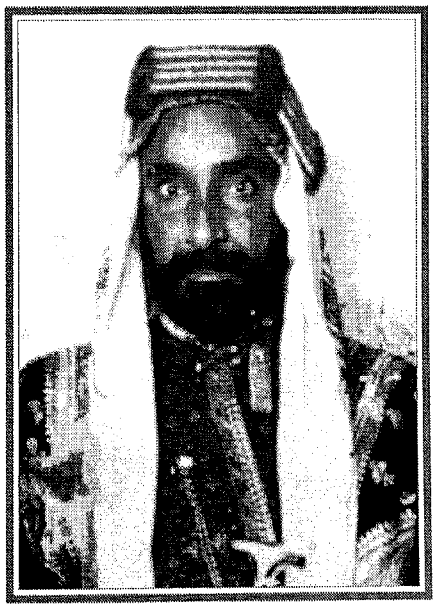
حضرة الفاضل الأفخم والأخ الوفي الأكرم الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة المحترم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال الحفي عن عزيز ذاتك الفخيمة وبيد السرور أخذت كتابك الكريم مبشرا بدوام صحتك ومسفرا عن اخلاص عواطف لطفك لصفي ودادك. عزيزي تفضلت بإبداء ما يكنه ضميرك الأنور من ألم البعد والفراق - اني أؤكد لحضرتك ان احساسي ونصيبي من ذلك الألم خير شاهد على ذلك واني أبتهل الى الله ربي ان يقدر أسباب الاجتماع عن قريب - عزيزي تفضلت بوصف حالة البلاد المهضومة وأدوائها الفتاكة فكفى بالجهل موتا وبالاستبداد هلاكاً. ولا ييأس من روح الله إلا القوم الخاسرون ولكل أجل كتاب - من خصوص مذاكرتكم مع حضرة الفاضل الشيخ محمد الشنقيطي في تحصيل معلمين مقتدرين وارشاده الى جلبهم من الحجاز وتستلفتون نظري ورأيي فإني أوافق على ما رأيتموه ثقة بمعلومات الشيخ محمد وارشاده فإني أراه البر الصدوق الناصح المخلص - وقد كتبت كتاباً لأخينا عبدالرحمن وجعلت كتاب الشيخ عبدالله بطيه وأرسلته وأكدت عليه في تحصيل الشخص المقصود وان لم يوافق يأخذ رأيه ورأي مدير مدرسة الفلاح في اختيار من يصلح مع التحفظ منه بالسؤال عن الأخلاق الفاضلة. وأسأل الله أن يوفق لهذا العمل من يقوم بواجبه وأملي في عبدالرحمن أن يبادر بالجواب اليكم وان وردني منه جواب أنهيته لكم وأسأل الله أن يجمعني بكم وسلامي على أنجالكم النجباء والسلام عليكم.

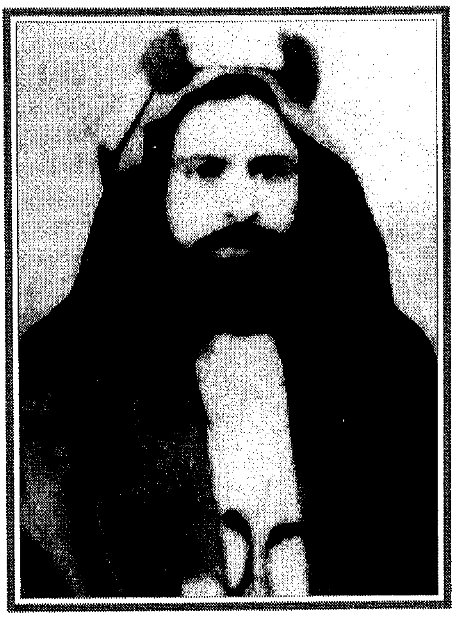
عبدالوهاب بن حجي الزياني

كان الشيخ عبدالوهاب كما ذكرت آنفا عالما دينيا ولكنه غير متعصب أو متزمت، وله صولات وجولات والتقاءات مع العلماء في البحرين والخارج، وبالذات العراق والاحساء بالسعودية وكان له مؤيدون من العلماء المتحررين ومعارضون من العلماء المتعصبين الذين يساورهم الشك والريبة في نشر التعليم الحديث بين أبناء البلاد بمقولة انه يبعدهم عن دينهم، لدرجة ان بعضهم كان يطلق على المدرسة نعوتا غير مقبولة لا تتناسب ورسالتها الخالدة.

لقد تبوأ الشيخ عبدالوهاب مركزا مرموقا ومقاما رفيعا بين أهله ومعارفه. وكان رحمه الله يعتبر من الشخصيات العبقرية الفذة في زمانه حيث كان يكن له الجميع الاحترام والتقدير ولعل أجمل وصف وأوضح دليل على ذلك الكتاب التالي الموجه اليه من قبل المرحومين الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة - وزير المعارف آنذاك - والشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة - نائب الرئيس:



المغفور له الشيخ عبدالله
بن عيسى آل خليفة



المغفور له الشيخ ابراهيم
بن محمد آل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عيسى وابراهيم بن محمد آل خليفة الى حضرة اخينا الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك الكريم وموجب ما أشرت اليه من
تسرّع اخيكم قاسم وعجلته وتأثر احساساتك من ذلك فلا تسل ايها الفاضل عن ما
وقع في قلوب اخوانك من الدهشة والحيرة والأسف كيف لا وانت الوحيد بينهم المتخصص
بشرف العلم وفضله الذي يتجملون بك في المحاضر العمومية ويؤملون في سداد رايك الوصول
الى الاصلاحات اللائقة هذا اعتقاد اخوانك فيك وفي جملتهم قاسم وعند اعتبارنا هذا
لا يبقى لسوء الظن مجال وقد قدم اخوكم قاسم اعتذاراته عند اخوانك واقسم ان
البارة انه لم يقصد فيما بدر منه الا الاصلاح وقد امره الرئيس بالوصول اليكم وتقديم
اعتذاراته لديكم وقد وصل اليكم بالفعل ولا شك انكم قابلتموه بما انتم اهله من السماح
وقبول المعذرة نسأل الله ان ينفع بكم وطنكم ويوفقكم لما فيه نجاح مشروعكم الاصلاحي
من اجتماع الكلمة واتحاد المقصد والله يحفظ وجودكم والسلام

[illegible]

بتحريره واليوم [illegible] رجب ١٣٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

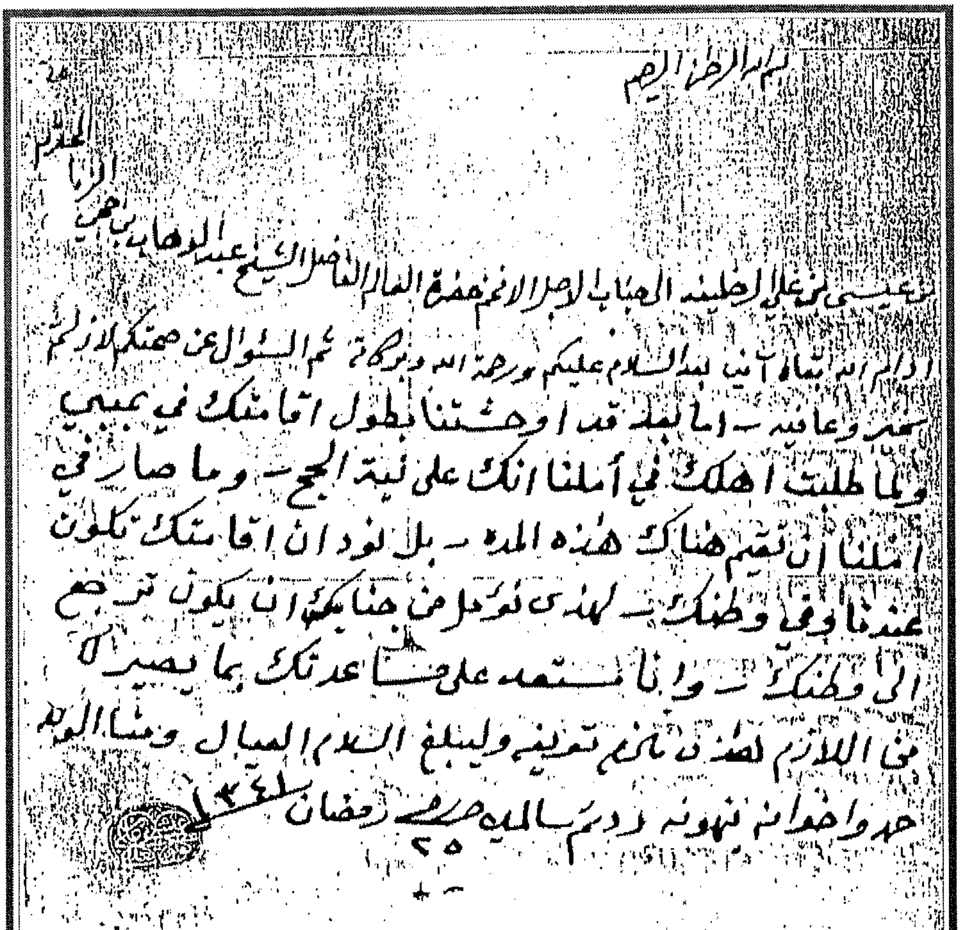
من عبدالله بن عيسى وابراهيم بن محمد آل خليفة الى حضرة اخينا الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك الكريم وموجب ما اشرت اليه من تسرع اخيكم قاسم وعجلته وتأثر احساساتك من ذلك فلا تسل ايها الفاضل عن ما وقع في قلوب اخوانك من الدهشة والحيرة والأسف كيف لا وانت الوحيد بينهم المتخصص بشرف العلم وفضله الذى يتجملون بك في المحاضر العمومية ويؤملون في سداد رأيك الوصول الى الاصلاحات الهامة. هذا اعتقاد اخوانك فيك وفي جملتهم قاسم وعند اعتبارنا هذا لا يبقى لسوء الظن مجال وقد قدم اخوكم قاسم اعتذاراته عند اخوانك واقسم بايمانه البارة انه لم يقصد فيها بدر منه الا الاصلاح وقد امره الرئيس بالوصول اليكم وتقديم اعتذاراته لديكم وقد وصل اليكم بالفعل ولا شك انكم قابلتموه بما انتم اهله من السماح وقبول المعذرة نسأل الله ان ينفع بكم وطنكم ويوفقكم لما فيه نجاح مشروعكم الاصلاحي من اجتماع الكلمة واتحاد المقصد والله يحفظ وجودكم والسلام.

امضاء	امضاء
الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة	الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

بحرين واليها ٢٣ رجب ١٣٣٩

فوق هذا وذاك فقد كان من المقربين لدى أمراء البحرين من آل خليفة بل كانت لـه منزلـة خاصة لـدى المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أمير البلاد وحـاكمها آنـذاك. فكانت اللقـاءات متصلة ومتـواصلة أثنـاء وجوده في البحرين والمراسلات متبـادلة عندما يسافـر الى خارجها لمتابعة أعمالـه التجارية خـاصة في الهنـد إذ كانـت الهند، وبـالأخص مـدينة بـومبي السـوق الرئيسيـة للمتاجـرة بلؤلؤ الخليج، فضـلا عن تبويبه وتخريقـه وتحويله الى عقود جـاهزة للاستعمال وتشير الرسالة التالية الى ما ذكر أعلاه:


بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي آل خليفة الى جناب الاجل الاكرم حضرة العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني
ادام الله بقاه آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم السؤال عن صحتكم لا زلتم
بخير وعافية - وما بعد فقد اوحشتنا بطول اقامتك في بمبي
وما طلبت اهلك في املنا انك على نية الحج - وما صار في
املنا ان تقيم هناك هذه المدة - بل نود ان اقامتك تكون
عندنا وفي وطنك - لهذي نؤمل من جنابكم ان يكون ترجع
الى وطنك - وانا مستعد على مساعدتك بما يصير لك
من اللازم لهذه ما لزم تعريفه وليبلغ السلام العيال ومنا الولد
حمد واخوانه يهدونه زود السلام في ٢٥ رمضان ١٣٤١



المغفور له الشيخ عيسى بن علي
آل خليفة حاكم البحرين وتوابعها
من ١٨٦٩م الى ١٩٣٢م



المغفور له الشيخ حمد بن عيسى
آل خليفة حاكم البحرين وتوابعها
من ١٩٣٢م الى ١٩٤٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي آل خليفة إلى جناب الاجل الافخم حضرة العالم الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني المحترم

أدام الله بقاءه آمين. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم السؤال عن صحتكم لا زلتم بخير وعافية - أما بعد قد أوحشتنا بطول إقامتك في بمبي ولما طلبت أهلك في أملنا انك على نية الحج - وما صار في أملنا ان تقيم هناك هذه المدة - بل نود ان إقامتك تكون عندنا وفي وطنك - لهذا نؤمل من جنابك ان يكون ترجع الى وطنك- وأنا مستعد على مساعدتك بما يصير لك من اللازم - هذا ما لزم تعريفه وليبلغ السلام العيال ومنا الولد حمد واخوانه يهدونكم ودمتم سالمين حرر في ٢٥ رمضان ١٣٤١.

الختم

حاكم البحرين
عيسى بن علي آل خليفة

لقد أبلى الشيخ عبدالوهاب الزياني هو وصحبه المخلصون المتحمسون لنشر العلم والعرفان بما فيهم أعضاء مجلس المعارف بلاءً حسناً وكانت فرحتهم كبيرة لا تضاهيها أية فرحة يوم وضع الحجر الأساسي لمدرسة الهداية الخليفية. ففي يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٩ هجرية الموافق ١٦ - ١١ - ١٩١٩م احتفل بهذا الحدث التاريخي الجليل، حيث أقيم سرادق فخم شرفه المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البلاد يصطحبه نجله وولي عهده المغفور له الشيخ حمد ونجله الثاني المغفور له الشيخ محمد. وكان في استقبالهم عند مدخل السرادق المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس مجلس المعارف وعدد من أعضاء المجلس والعلماء والوجهاء والأعيان. وبعد أن استقر بهم المقام ألقيت خطب مكتوبة ومرتجلة كان من بينها خطبة الشيخ عبدالوهاب الزياني نصها ما يلي:

خطبة الشيخ عبدالوهاب الزياني يوم وضع الحجر الأساسي لمدرسة الهداية الخليفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله والمتبعين لهداه.

اما بعد فان أيام السرور في هذه الحياة قليلة وان المسرات الحقيقية والسعادة الهنية لا تكون إلا في الأعمال التي يبقى أثرها دائما مستمرا وليس لدينا من وسائل الأعمال ما يجلب الأفراح ويسر البال واني حيثما ألتفت لا أرى إلا ما يفتت الأكباد ويضاعف الحسرات من فشو الجهل وفتكه في الأفراد والعائلات وفساد الأخلاق وسوء المعاملات، أفمع بذور الجهل راحة وسرور أم مع الشقاق والخلاف تصلح الأمور؟ كلا، لقد كان التاريخ أثبت شاهد لأسلافنا الماضية وبلادنا معشر المسلمين فانها كانت قديما مهد الحضارة والعرفان ومصدرا لأنوار العلوم والبيان لقد كان منا نوابغ العلماء المشرعين والنبلاء المفسرين والمحدثين ومنا الأطباء الحذاق والمهندسون ومنا الصناع

المهرة في جميع الفنون لقد اينعت بلاد الاسلام الغربية (١) وأخصبت خصبا كاد يفوق اختها الشرقية اما الآن فقد اجدبت بلادنا العربية من العلم والعلماء وصرنا كالأجانب عن لغتنا الشريفة حتى كادت أن تتبرأ من نسبتنا اليها لأننا ما حفظنا عهدها ولا قدرناها ولولا ما جاءت به مصر ونوابغ علمائها من الكتب والمؤلفات لقضي علينا القضاء الأخير. لقد ساورتني هذه الأحزان زمنا غير يسير من حياتي، ولكن أراني اليوم أشعر بهزة فرح وسرور غير عادي لما منّ الله به من هذه العناية بفضل همة مليكنا المعظم وأنجاله الميامين الفخام وذويه النجباء والأعيان الكرام بعد أن شعروا بحاجتهم للعلم فجادوا ببذل الأموال وجدوا لبذر بذور العلم بأحسن طريق ينال وشرفونا بحضورهم في هذا اليوم السعيد الذي سنجعله أكبر أعيادنا وأسعد أيامنا للاحتفال بوضع أول حجر أساس معالم العلم المجيد فما أسعدني في هذا اليوم وأبهجني إذ أرى جلالة مليكنا المعظم منح أمته التكريم بحضور شخصه لهذا المحفل المنيف وما أعظم سروري إذ أرى أسرته الملوكية والأعيان من الرعية يتسابقون مهتدين بهديه مفتخرين بتشييد مدارس العلم ومعالم الهدى فأسألك اللهم أن تلحظنا بعنايتك وتكلأنا برعايتك وأن تحفظنا من خطل الرأي وعثرات الفكر ونضرع اليك أن تديم بقاء أيام جلالة ملكنا المعظم المحبوب وسعادة أنجاله المحترمين انك حسبنا ونعم الوكيل.

* * * * *

علاوة على هذا كان الشيخ عبدالوهاب، رحمه الله، مصلحا اجتماعيا وتاجرا بارعا في مزاولة تجارة اللؤلؤ الطبيعي التي اشتهرت بها بلاد البحرين وبقية بلدان الخليج العربي، فضلا عن هذا فقد كان وطنيا قوميا مخلصا لعروبته ودينه. وتروى عنه هذه الرواية أسردها هنا لتبيان حرصه على مصلحة بلاده يقول الراوي: «كان يتولى ويقوم على استحصال رسوم الجمارك في البحرين في أيامه هندي بوذي، فلم يرقه تولي هندي أجنبي أهم مورد للدولة

---

(١) يعني الحضارة الاسلامية في الاندلس والمغرب العربي ابان العصور الوسطى

في ذلك الزمان، فاتصل بولاة الأمور مقترحا تنحية الهندي المشار اليه وإعطاء هذا المركز المهم الى أحد أبناء البلاد من الأتباع أو التجار، فأبدى ولاة الأمور ترحيبا باقتراحه ولكنهم ذكروا له انه سبق وعرض هذا المنصب على عدد من الأشخاص الموثوقين، وبالأخص بعض التجار ولكنهم رفضوا بحجة ان هذا المنصب محرم دينيا فهو «مكس» - فقال لولاة الأمور انه سيأخذ على عاتقه إقناع أحد التجار بذلك، وعند مفاتحته بعض التجار رفضوا قبول المنصب بدعوى ان هذا حرام بمقولة انه «مكس». بطبيعة الحال استنكر منهم هذا الادعاء وقال عبارته المشهورة «اما توافقوا على قبول المنصب. وإلا فاني سأنزع عمامتي وأتولى هذا المنصب» وكانت النتيجة أن نحي الهندي البوذي وتولى المنصب أحد أبناء البلاد.

يوم قرر الانجليز نفي جدي كنت صغير السن لا أدرك تمام الإدراك تفاصيل ما جرى، ولكني أذكر انه عندما عدت من المدرسة ذلك المساء، وجدت الحزن مخيما على كل فرد في بيتنا، وشاهدت النسوة يجهشن بالبكاء والنحيب. ولما استفسرت عن السبب قيل لي «أبوك العود حجزوه الانجليز ونفوه خارج البحرين».

هذا كل ما عرفته في ذلك الوقت عن هذا الموضوع، ولكن فيما بعد روى لي والدي وأناس آخرون ممن عايشوا هذه الواقعة ما حدث تفصيلا أورد ذلك فيما يلي:

يقول والدي نظرا لتقدم حاكم البحرين المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في السن، استغل بعض من حوله الثقة التي أولاهم إياها فصدرت منهم تصرفات خاطئة. فاتفق رؤساء القبائل وعدد من الاعيان والوجهاء على أن يتقدموا الى سمو الحاكم يطلبون منه تعيين مجلس شورى لمساعدته في تصريف شئون البلاد برئاسته وقد وافق على ذلك وكتب تعهدا والتزاما بذلك، كما تشير الوثيقة التالية..



بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين

الختم

تعهد الشيخ عيسى للأهالي

إني ألتـــزم وأتعهد إلى جميع العشائر والأهالي التابعين لحكومتي ولكافة رعيتي بأني لا استبد دونهم بإجراء وتنفيذ أمـر من الأمور التي تهدد مصالح حكومتي ومصـالحهم ومصالح البلاد وعلَّي أن لا اقضي أمـراً دون مشاورتهم (مشاروة الهيئة الممثلة في المجلس) امتثالاً لما أمر اللـه به، بقوله وشاورهم في الأمر، أقـدم لهم عهد الله وميثاقـه أن أوفي لهم بما تعهدت به واللـه على ما أقول شـاهد ووكيل وعليهم أن يلتزمـوا إلى النصح والموالاة واتحاد الكلمة في جميع مصالحهم ومصالح العموم.

تحريراً في : ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٢

ولكن الميجر ديلي - المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ويدعى آنذاك (بالباليوز) - والذي اشتهر بقسوته واستبداده لم يرقه هذا الإجراء. فاتخذ خطة فيها نوع من التحدي تتعارض وموافقة المغفور له الشيخ عيسى بن علي على تشكيل مجلس شورى. وذلك بأن خطط ورتب تولي نائبه وولي عهده الشيخ حمد، الإبن الأكبر للشيخ عيسى، لينوب عن والده في إدارة دفة الحكم. فاعتبر وجهاء البحرين وأعيانها آنذاك هذا الإجراء تدخلاً في شئون البحرين الداخلية خلافا للمعاهدة الموقعة بين حكام البحرين والحكومة البريطانية والتي منحت الحكومة البريطانية ادارة الشئون الخارجية فقط. عقدوا على اثرها عدة اجتماعات فيما بينهم، وكانت أكثر اجتماعاتهم في مجلس أو بيت الجد الشيخ عبدالوهاب. وتعاهدوا بأن يعترضوا على ما أقدم عليه الميجر ديلي ووقعوا عريضة بهذا المعنى قدمت لدار الاعتماد. وقد وقعها كما فهمت الأشخاص الآتية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالوهاب الزياني - السيد أحمد بن لاحج - الشيخ عبداللطيف بن محمود - السيد عبدالله بن ابراهيم - السيد حسين بن علي - الحاج شاهين بن صقر الجلاهمة - الحاج محمد بن راشد بن هندي - الحاج أحمد بن جودر - الحاج عيسى الدوسري - الحاج مهنا بن فضل النعيمي - الحاج جبر المسلم.

فما كان من الميجر ديلي إلا أن دعاهم للحضور للاجتماع في دار الاعتماد ولما حضروا، وكان حاضرا في نفس الوقت المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة والشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة، سأل ديلي الحاضرين عن الداعي لتقديم هذه العريضة، فنهض الشيخ عبدالوهاب واقفا وقال اننا كتبنا هذه العريضة وهذا الاحتجاج ونصر على ما جاء فيها. ثم تبعه واقفا أحمد بن لاحج وقال انه يؤيد ما قاله الشيخ عبدالوهاب، عندها ترك الميجر ديلي والشيوخ قاعة الاجتماع. بعد قليل جاء رسول الى القاعة مناديا كلا من الشيخ عبدالوهاب وأحمد بن لاحج، وطالباً منهما الحضور الى غرفة أخرى جانبية. بعد مغادرتهما قاعة الاجتماع عاد الرسول وأمر الباقين بالانصراف

قـائلاً: «أنتم مـرخوصـون»، فما كـان منهم إلا ترك القـاعـة والخروج من دار الاعتماد (البالـيـوز). يقول والدي عبدالـرحمن الذي كان حـاضرا هذا الاجتماع «أصابنـي شيء من الحيرة والذهـول في تلك اللحظة، وأردت أن أعـرف مصير والـدي وزميله. وبعـد جهـد وعنـاء تمكنت من الالتقـاء بـالشيخ عبـدالله بن عيسى آل خليفـة حيث أخبرني بأن والدي محجـوز في غرفـة لوحـده. وانه قـد تقـرر تسفيره وزميلـه أحمد بن لاحـج الى خارج البحـريـن وانـه - أي الشيخ عبـدالله - قد اقترح تسفيره الى العـراق، حيث يلتقـي هناك بـزوجتـه العراقيـة ويقيم معهـا في راحـة وأمـان». طلبـت من الشيخ عبــدالله، والكـلام لازال لـوالـدي عبـدالـرحمن، أن يـؤذن لي بـالاجتماع بـه، ولما أذن لي ودخلت عليـه وجدته جـالسا على كرسي في غرفـة فسيحة وقد أرخى رأسه على حـافة الكرسي وأغمض عينيـه وغط في نـوم عميق. أيقظتـه ففـاجأني بتـلاوة الآية الكـريمـة ﴿أنزل عليكـم من بعد الغم أمنـة نعاساً يغشـى طائفة منكـم . . .﴾ الى آخر الآية، هـذه الآية كما هـو معلوم نـزلت أثناء معركـة أحد عنـدما بـدأت بوادر انتصـار المسلمين على المشركين، وشاهـد الـرماة الـذين أمـرهم الـرسول عليـه الصلاة والسلام بأن يـأخذوا مواقعهم في أعلى الجبل فلما شاهـدوا بوادر انتصار المسلمين، ظنـوا ان المشركين هـزمـوا، فترك الغـالبيـة منهـم مـواقعهم في أعلى الجبل ونـزلوا الى أرض المعـركة للحصـول على الغنـائم. في هذه الأثنـاء اغتنم المشركـون فـرصـــة تخليهم عن مـــواقعهم وانكشـاف ظهـــر جيش المسلمين، فـانقضوا عليهم مـن الخلف بقيـادة خالـد بن الـوليد الـذي لم يكن قـد أسلم آنذاك. فكانـت الكارثة، حيث قتل عدد من المسلمين منهم عـم الرسول حمزة بن عبــدالمطلب رضي اللــه عنـه وأمير الـرمـاة عبــدالله بن جبير وعـــدد من الصحابـة. وجرح النبي صلـوات الله وسلامه عليـه إذ انكسرت احدى ثنـاياه وشاع بين المسلمين ان النبـي ﷺ قد قتل، مع انـه صلوات الله وسـلامه عليـه كـان ينـادي بهم «علي يـا عبـاد الله» «علي يـا عبــاد الله». بعـد ان تلى الشيخ عبدالـوهاب الآيـة الكريمة الآنفـة الذكـر التى ترمز الى ان الانسـان اذا اصيب بـالغم يعتريه النعـاس مما يخفـف عنه مـؤقتاً الغـم والمصيبة، اجل بعـد ان تلى

تلك الآية أتبعها بقوله «يا ابني ماذا جرى بعد استدعائي الى هذه الغرفة»؟ أخبرته، والكلام لازال لوالدي عبدالرحمن، انك وأحمد بن لاحج قد تقرر حجزكما ثم نفيكما من البلاد ثم سأل عن بقية المتعاهدين والمشاركين في العريضة، أخبرته انهم أمروا بالانصراف فتركوا دار الاعتماد، عندها فاه بهذه العبارة «يا ابني لا تبغيها عليهم فالعهد طوق في عنق المعاهد» ثم سأل عن الجهة التي يراد أن ينفى اليها، قلت اقترح الشيخ عبدالله بالنسبة لك أن تنفى الى العراق حيث تعيش مع زوجتك وانسبائك هناك، هنا اعتدل والدي في جلسته والكلام لازال لوالدي عبدالرحمن. . اعتدل والدي في جلسته وصاح بي «لا يا ابني لا أريد الذهاب الى العراق بل أفضل الهند» ولما أعدت عليه الاقتراح وأوضحت له ان هذا فيه راحتك، أجابني «انك يا ابني لا تدرك ما أدركه أنا فاذهب بسرعة واطلب ان تكون الهند، وبومبي بالذات، جهة النفي. وحاول ان تصر على ذلك زاعما انني تاجر لؤلؤ ومعاملتي مع الهند وليست مع العراق. يقول والدي عبدالرحمن أذعنت لرغبته وصدعت لأمره وأخبرت الشيخ عبدالله بذلك، وفعلا نفي مع زميله أحمد بن لاحج الى بومبي بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٢٣م على ظهر بارجة حربية بريطانية تدعى «لارنس» أخذتهما الى البصرة ومنها نقلا الى باخرة اسمها «فاسنا» توجهت بهما الى الهند.

لقد تكدر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من المعاملة التي عومل بها الشيخ عبدالوهاب وزميله أحمد بن لاحج من قبل ميجر ديلي المعتمد البريطاني إثر قيامه بنفيهما من البحرين ويبرز ذلك في كتابه التالي المؤرخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٢ هجرية والموجه للشيخ عبدالوهاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني دامت سلامته

السلام عليكم ورحمة الله ومرضاته ولازلتم متمتعين بنعمه وبركاته .. ان ما وقع عليك وعلى زميلك
من النفي والاعتقال والاضطهاد قد آلم نفسي كما آلم نفوس الاهلين وقد بلغ التأثر بالشعب
الحصى غاية . فوعدتهم بانتظار الفرج والانصاف فان للباطل جولة ثم يضمحل ..
واني واثق من ان المراجع الرسمية للدولة البريطانية التي قامت بالعدل وتغذت بالحرية
اذا لم تكن قد اطلعت فستطلع على هذا التلاعب الجبروتي والاستبداد الغريب الذي
اتى به الميجر ديلي في البحرين — لم تقل انت الا ما يقوله كل فرد من اهالي البحرين"
ولم تعمل الا بما يفعله الكثير من مواطنيك مما يبيحه الشرع والقانون ولكن الاغراض
الشخصية التي تملي على الميجر ديلي سياسته هي التي ساقته الى اعتقالك دون
سؤالك — ان بين البحرين وبين بريطانيا العظمى معاهدة صريحة مبنية
على الصداقة ولا تجيز التدخل في شؤوننا الداخلية او ما يمس استقلالنا
وحريتنا — ولا ريب في ان هذه الدولة العظيمة هي اولى الامم في الامتناع
بحقوق الضعفاء — ولكن الم ترى الى الميجر ديلي كيف دنس هذا الشرف
الابيض بعزلي عن ادارة شؤون بلادي وبذلك محى وجود حكومة
عربية محلية ثم عطف على الاهلين سجنا ونفيا وتغريما
ولقد ابلغنا امرنا واوصلنا احتجاجنا الى المقامات العالية تلغرافيا
على اني مستيقن ان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لا بد ان
تحقق في هذه الامور وتعيد الحق الى نصابه فاصبر الصبر الجميل
وتوكل على الله انه حسبنا ونعم الوكيل والسلام

كتب في ١٥ ربيع ثاني ١٣٤٢ صحيح عيسى بن علي
الخليفة حاكم البحرين بيده

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني دامت سلامته

السلام عليكم ورحمة الله ومرضاته. . . ولا زلتم متمتعين بنعمه وبركاته. . ان ما وقع عليك وعلى زميلك من النفي والاعتقال والاضطهاد قد آلم نفسي كما آلم نفوس الاهلين وقد بلغ التأثر بالشعب اقصى غاية. . فوعدتهم بانتظار الفرج والانصاف فان للباطل جولة ثم يضمحل. . واني واثق من ان المراجع الرسمية للدولة البريطانية التى قامت بالعدل وتغذت بالحرية اذا لم تكن قد اطلعت فستطلع على هذا التلاعب الجنوني والاستبداد الغريب الذى يأتيه الميجر ديلي في البحرين. . لم تقل انت الا مقولة كل فرد من اهالي البحرين ولم تفعل الا ما يفعله الكثير من مواطنيك مما يبيحه الشرع والقانون ولكن الاغراض الشخصية التى تملي على الميجر ديلي سياسته هي التي ساقته الى اعتقالك دون سواك. . ان بين البحرين وبين بريطانيا العظمى معاهدة صريحة مبنية على الصداقة ولا تجيز التدخل فى شئوننا الداخلية او ما يمس استقلالنا وحريتنا. . ولا ريب في ان هذه الدولة العظيمة هي اولى الامم في الاحتفاظ بحقوق الضعفاء. . ولكن الم تر الى الميجر ديلي كيف دنس هذا الشرف الاسمى فعزلني عن ادارة شئون بلادي وبذلك محى وجود حكومة عربية محلية ثم عطف على الاهلين سجنا ونفيا وتغريبا.

ولقد ابلغنا امرنا واوصلنا احتجاجنا الى المقامات العالية تلغرافيا فثق كما اني مستيقن ان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لابد ان تحقق في هذه الامور وتعيد الحق الى نصابه فاصبر الصبر الجميل وتوكل على الله انه حسبنا ونعم الوكيل. والسلام.

كتب في ١٥ ربيع ثاني ١٣٤٢

صحيح عيسى بن علي آل خليفة
حاكم البحرين بيده



المرحوم الشيخ عبدالرحمن الزياني اثناء زيارته لوالده
الشيخ عبدالوهاب الزياني في منفاه بالهند



من اليسار: الشيخ عبدالرحمن الزياني - شريف التركي - المشار إليه في صفحة ١٨٥ - آمنة بنت الشيخ عبدالرحمن الزياني. ويظهر في الخلف الحاج خميس المعراج مرافق الشيخ عبدالوهاب الزياني في صورة أخذت لهم في بومبي أثناء زيارتهم للشيخ عبدالوهاب الزياني في منفاه

اما السر في إصرار الشيخ عبدالوهاب على نفيه الى الهند بدل العراق فيكمن في انه كان قد صمم على مقاضاة الحكومة البريطانية في موضوع تسفيره من بلاده ومطالبتها برفع الحظر عنه وإلغاء الحراسة عليه، إذ أن المحاكم في الهند انذاك مستقلة وحرة، شأنها شأن المحاكم البريطانية، لا تتدخل الحكومة أو السياسة في أحكامها، بينما محاكم العراق في تلك الأيام لم تكن كذلك. وهذا ما حدث فعلا، فعند وصول الشيخ عبدالوهاب وزميله احمد بن لاحج الى بومبي بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣م، استقبلهما كبار الشخصيات من العرب والهنود، من بينهم الزعيم محمد علي جناح، ومندوب عن جواهر لال نهرو، والزعيم الهندي شوكت علي وغيرهم. أسكن الجد في فندق تحت الحراسة، ثم تقدم عدد من كبار المحامين الهنود للدفاع عنهما واعتبار حجزهما غير قانوني فقررت المحكمة اطلاق سراحهما. كما ورد في رسالة الجد لابنه عبدالرحمن (والدي)، وفيمايلي مقتطفات منها:

بسم الله ماهو بي زنيه سنة ٢ حج من سنة ١٣٤٢

من عبد الوهاب الى جناب الاكرم الولد الاعز عبد الرحمن حفظه الله ووفقه لما يحب ويرضاه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سبق لكم التعريف لاني وفقت عن يد النعيمي اولا وعن يد مقبل الذكير
وقد السرور وسرورنا لكم بتحريرنا الماضي مع عبد الله بن علي وما تشير به صار معلوما لا سيما عن حالة
الناس ودعاهم جزاهم الله عنا خيرا واما اخواننا العشيرة وعن حالهم من الخجل ولوم الناس لهم
اما خجلهم فهو من قصور نظرهم ولوم الناس لهم بهذا السبب وكان انا اعذرهم لعدم فهمهم للطريق الذي
يلزم عليهم اجراه بعد سفرنا وارجو انهم ثابتين على ما بيننا وبينهم لان الامل ان الله سيجعل
لنا مخرجا ويكون لنا ناصرا ونفيدكم عن دعوانا التي قدمناها على حكومة بمبي في الضغط علينا
بانتنا في الهيل وعدم رخصتنا ناخذ لنا مكان ولو بعدنا دعانا سفركم الى الخليج

بسم‌الله من بومبي ٥ شوال ١٣٤٢هـ

من عبدالوهاب الى جناب الأكرم الـولد الأعز عبدالرحمن حفظه الله ووفقه لأسباب رضاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبـركاته سبـق لكم من التعريف مـا لزم وقته عن يد القصيبي أولاً وعن يد مقبل الذكير.

وقد أسرني ورود كتابك تحريـر ١٧ الماضي مع عبدالله بن علي وما أشرت به صـار معلومـا لاسيما عن حالـة الناس ودعاهم فجـزاهم الله عني خيرا وأمـا اخوانـنـا العشرة وعن حالتهـم من الخجل ولوم النـاس لهم أما خجلهـم فهو من قصور نظـرهم ولوم النـاس لهم بهذا السبب ولكن أنا أعـذرهم لعدم فهمهم للطـريق الذي يلزم عليهم اجـراه بعد تسفيرنـا وأرجـو انهم ثـابتين على مـا بيننـا وبينهـم لأن الأمل ان الله سيجعل لنا مخرجا ويكـون لنا ناصرا ونفيدك عن دعوانا التي قـدمناها على حكـومـة بـومبي في الضغـط علينا بـإنـزالنـا في الهتيل (١) وعـدم رخصتنا نأخذ لنا مكانا وتوعدنا ربما نسفركم الى الخارج.

---

(١) الهتيل : يقصد الفندق

وبهذا الدعوى الى المحكمة العالية هناك كورث وصار حضورنا يوم الجمعة الماضية وحضر الكمسير وبلشتر
الحكومة وحضر وكيلنا وبلشترنا وحضر شهود بدعونا مما انكلهم بلشترنا وسئل الجميع جميعهم اخرسوا
وقالوا الى الان ما عندنا معلومات الاسباب في تسفير هذا الرجل قال لهن تعيدون حريته بلا علمكم بحجته
قالوا نطلب الى خامس من جنوري نقدم الحجة وفي ثمانية عشر شهر قال الرجل لا ينبغي محجوز على حريته
فهو مخصوص حر له كل سماح بخياره من الهند الى تعديه بجملة وجميع الحاضرين بالمحكمة من المتخاصمين والوكلاء
والبلشترية اخذهم العجب من عمل حكومة بنبي وعجبت الناس باصدار التبعية هذا العمل الجاري
بلا قانون ولا اصل حجة وفشل الكمسير ووكيله واعترفوا بان ما لنا عليكم ادنى حجة ولا مراقبة
وانتهى الحكم في عموم بنبي وكتبت جميع الجرائد حتى النجم وفد فهم الوكيلنا وبلشترنا ان الجميع [illegible] مرادهم
يطلبون من

قدمنا الدعوى الى المحكمة العالية هات كورت (١) وصار حضورنا يوم الجمعة الماضية وحضر الكمشنر (٢) وبلشتر (٣) الحكومة وحضر وكلينا وبلشترنا وحضرت وبدأوا بدعوانا ولما تكلم بلشترنا وسئل الحجج عن حجتهم أخرسوا وقالوا الى الآن ما عندنا معلومات عن الأسباب في تسفير هذا الرجل قال كيف تقيدون حريته بلا علمكم بحجة - قالوا: نطلب الى خامس من جنوري نقدم الحجة وفي خمسة عشر نحضر - قال الرجل لا يبقى محجوراً على حريته هو مفسوح له كل مكان يختاره من الهند الى تقديم حجتكم وجميع الحاضرين بالمحكمة من المتخاصمين والوكلاء والبلشترية أخذهم العجب من عمل حكومة بومبي وضجت الناس بإظهار التعجب من هذا العمل الجاري بلا قانون ولا أقل حجة وفشل الكمشنر ووكيله واعترفوا بأن ما لنا عليكم أدنى حجر ولا مراقبة واشتهر الحكم في عموم بومبي وكتبته جميع الجرائد حتى التيمس وقد فهم وكيلنا وبلشترنا انهم مرادهم يطلبون من

---

(١) هات كورت يقصد هاي كورت اي المحكمة العليا
(٢) الكمشنر اي المدعي العام (٣) بلشتر اي محامي

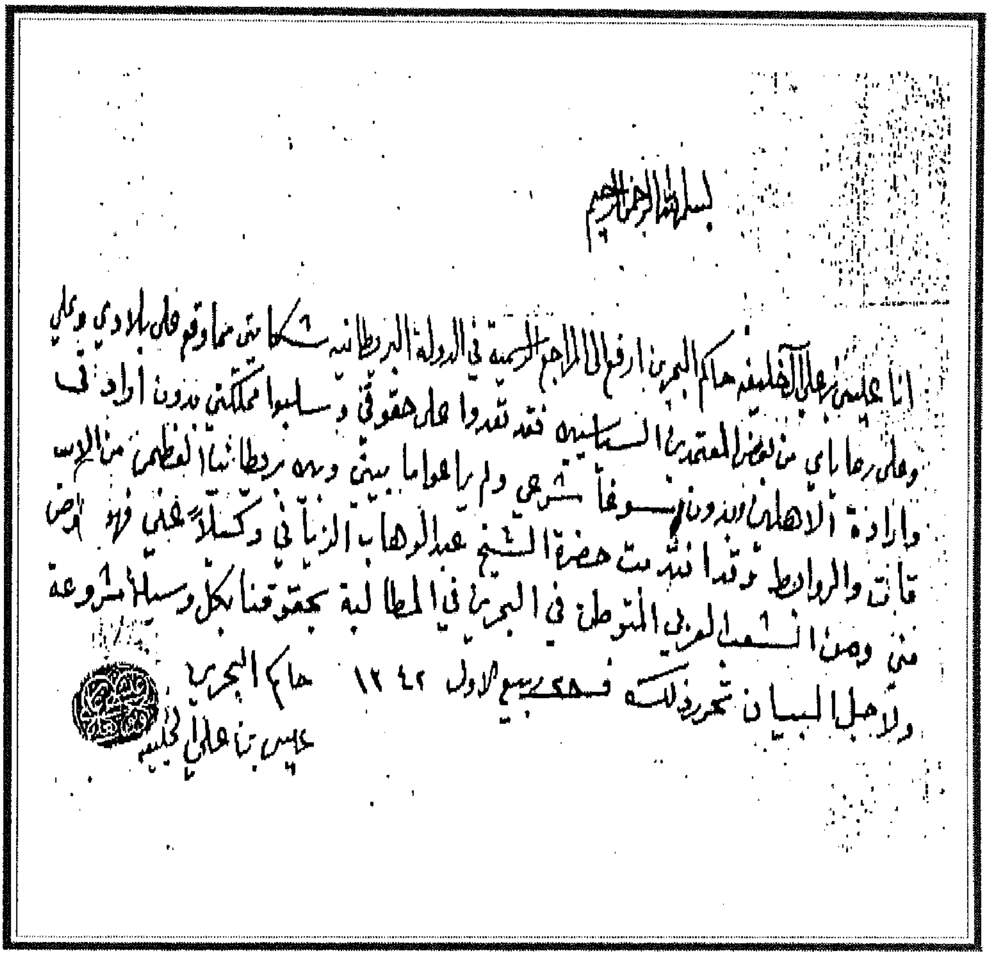
رئيس الخليج وقنصل العرب ان يرسلون لهم معلومات تبين عملهم وكلامهم عملهم لا ينطبق على
جميع القوانين وان شاء الله انكم انتم مخطوبون باعمالهم العدائية وان شاء الله من فشلهم في عملهم سعى
تباين جميع اعمالهم في البحرين وتنكشف للعموم والحاكم الذي حملناه فوق عن ذنايم جميع العرب الذين في
بنبي وحتى علي بن خالد قبل انهم عزم على تسفيره من بنبي وان قنع من عمله الا رجال الفلس معهم ورجال
الفلس او ينادوهم في محله واحد بالنهار وواحد بالليل من فضل ال بوعلي الحاكم وبعده شغول رجال الفلس
ان يخرج معهم وقال لهم لكن امن ما عليك نسفيه الى الخارج وصاروا يا خذونه قالوا وقبل ذلك مخفرين لم
ليصير لديك معلوما. وبالحاضر ما في تشهير الواقع قبل انقضاء الدعوى في خصوصي الى الذي اشهر عندنا انه
ان اردت تشهير الواقع لمن يكتم فلا باس قصدنا ان لا يدخلون ما يصلنا من التحريرات من الحج عليهم

رئيس الخليج وقنصل البحرين أن يرسلوا لهم معلومات تبرر عملهم ولكن عملهم لا يتطبق على جميع القوانين وإن شاء الله انهم مخذولون بأعمالهم العدائية وان شاء الله من فشلهم في عملهم معي تتبين جميع أعمالهم في البحرين وتنكشف للعموم والحكم الذي حصلناه قوى عزايم جميع العرب الذين في بومبي وحتى علي بن خالد(١) قبل لهم عزم على تسفيره من بومبي ولا يخرج من محله إلا رجال الفليس(٢) معه ورجال الفليس لا يفارقه في محله واحد بالنهار وواحد بالليل من وصل الى يوم الحكم وبعده منعوا رجال الفليس ان يخرج معه وقالوا له كن آمنا ما عليك تسفير الى الخارج وصاروا يأخذون خاطره وقبل ذلك محتقرين له ليصير لديك معلوما. وبالحاضر ما نحب تشهير الواقع قبل انقضاء الدعوى من خصوصي الا الذي اشتهر عند الناس. إن أردت تسر بالواقع لمن يكتمه فلا بأس قصدنا ان لا يراقبون ما يصلنا من البحرين من الحجج عليهم...

---

(١) المشار إليه هو الشيخ علي بن خالد بن علي آل خليفة
(٢) الفليس يعني الشرطة

فوق هذا وذاك فقد انتدبه سمو المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وكيلاً عنه مفوضاً للمطالبة بحقوقه كما تشير الوثيقة التالية :



بسم الله الرحمن الرحيم

انا عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين ارفع الى المراجع الرسمية في الدولة البريطانية شكايتي مما وقع على بلادي وعلي
وعلى رعاياي من بعض المعتمدين السياسيين فقد تعدوا على حقوقي وسلبوا مملكتي بدون ارادتي
وارادة الاهالي وبدون مسوغاً شرعي ولم يراعوا ما بيني وبين بريطانيا العظمى من الاتفـ
اقات والروابط وقد انتدبت حضرة الشيخ عبد الوهاب الزياني وكيلاً عني فهو المفوض
مني ومن الشعب العربي المتوطن في البحرين في المطالبة بحقوقنا بكل وسيلة مشروعة
ولاجل البيان تحرر ذلك في ربيع الاول ١٢٤٢ حاكم البحرين
عيسى بن علي آل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين أرفع الى المراجع الرسمية في الدولة البريطانية شكايتي مما وقع على بلادي وعلي وعلى رعاياي من بعض المعتمدين السياسيين فقد تعدوا على حقوقي وسلبوا مملكتي بدون ارادتي وارادة الاهلين وبدون مسوغاً شرعي ولم يراعوا ما بيني وبين بريطانيا العظمى من العلاقات والروابط وقد انتدبت حضرة الشيخ عبدالوهاب الزياني وكيلا عني فهو مفوض مني ومن الشعب العربي المتوطن في البحرين في المطالبة بحقوقنا بكل وسيلة مشروعة.

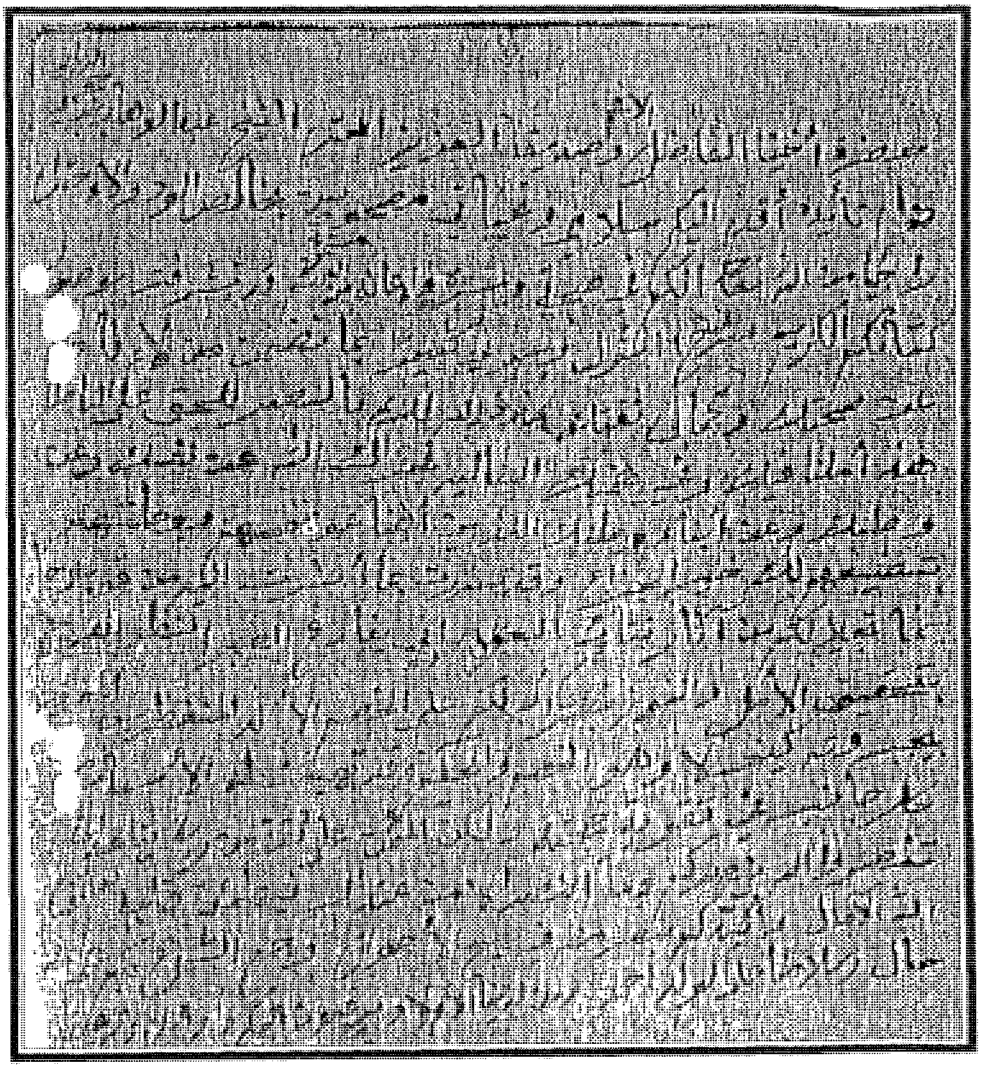
ولاجل البيان تحرر ذلك في ٢٨ في ربيع الاول ١٣٤٢.



حاكم البحرين

عيسى بن علي آل خليفة

وتوضح الرسالة التي بعثها الأديب الجليل والمجاهد الكبير، المغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة الى الشيخ عبدالوهاب الزياني، وهو في منفاه في بومبي، مدى اهتمام المرحوم الشيخ ابراهيم وتطلعه لما يقوم به الشيخ عبدالوهاب في بومبي بالهند من تقاضي ودفاع عن الحق، مع دعائه له بالنصر والتوفيق.



حضرة أخينا الفاضل الأفخم وصديقنا العزيز المحترم الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني دام تأييده أقدم اليكم سلامي وتحياتي مصحوبين بخالص الود والاحترام راجيا من الله تعالى انكم في صحة ومسرة وإعانة من الله مستمرة ثم قد تشرفت بوصول كتابكم الكريم مؤرخ ١٦ شوال وسرني كثيرا بما تضمن من الإفادة عن صحتك وكمال ثقتك بمدد الله لك بالنصر للحق على الباطل هذا أملنا فيك وفي همتك العالية فجزاك الله عن نفسك وعن وطنك وعن أبناء وطنك الذين أضاعوا أنفسهم ووطنهم بتضييعهم لك خير الجزاء وقد سررت بما أشرت اليه من قوة الرجاء بما تجلى لكم من آثار نتائج العمل اني بفارغ الصبر أنتظر المزيد بتحقيق الأمل والفوز بنصر الله لكم على الخصم الألد المتغطرس المغرور بجبروته كيف لا وهو الخصم والحكم وقد تهيأت له الأسباب من كل جانب في تقوية حجته ولكن المؤمن على ثقة من ربه يتلو - ان تنصروا الله ينصركم وما النصر إلا من عند الله - فيطمئن قلبه حقق الله الآمال وأيدكم بنصر منه في جميع الأحوال وجمع الشمل بكم على أجمل حال وسلامنا على الولد أحمد ومن لدينا الأولاد يرفعون اليكم وافر السلام والله يحفظكم.

واصل جدي الشيخ عبدالوهاب مقاضاة الحكومة البريطانية نيابة عن المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة غير ان المنية لم تمهله فتوفي في مدينة بومبي في سنة ٦ - ١٢ - ١٣٤٣ هـ الموافق ٢٧ - ٦ - ١٩٢٥م عن عمر يناهز ٦٣ عاما حيث دفن جثمانه الطاهر في احدى مقابر المسلمين الخاصة، بعد أن أديت على جثمانه صلاة الجنازة ثلاث مرات متتالية رغم اتساع المسجد. وقد شيع جنازته رجالات العرب المتواجدون في الهند وأكابر الهنود وزعماء المسلمين، وفي مقدمة المشيعين الزعيم محمد علي جناح والزعيم شوكت علي وغيرهم من الزعماء المشهورين.. رحم الله جدي الشيخ عبدالوهاب برحمته الواسعة آمين يا رب العالمين.

وقد رثاه عدد من الكتاب والشعراء اذكر أدناه بعضاً منها:

قصيدة المرحوم الشاعر الكبير خالد الفرج: (مقتبسة من ديوانه)

بطل الجهاد

رثاء المرحوم الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني زعيم البحرين المجاهد توفى منفياً من الانجليز في بومبي في الهند في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ هـ

بطل الجهاد ضحية الأوطان ... لك في الشهادة رتبة الرضوان
لا تبعدن وان نأى بك مضجع ... فالبعد في القلب الصفي تدانى
إن مت مبتعدا فذكرك خالد ... متجدد بتجدد الأزمان
خفقت لنعيك في (أوال) ضمائر ... فوق الخدود أسلن دمعا قاني
وكأنما أسلاك نعيك كهربت ... تلك القلوب بهزة الخفقان
رزء على رزء صدى آلامه ... آهات أحزان بلا سلوان
فقد الزعيم على ابتعاد مزاره ... وفوات آمال وموت أماني
متحيرون سؤالهم وجوابهم ... بالهمس مات الأوحد الزياني
يا راحلا عنا واسم بلاده ... ختم لما نطقت به الشفتان
هزت أوال لصوت نعيك هزة ... ضؤلت لديها هزة البركان
عذراء ذات وداعة نشبت بمن ... تحنو عليه مخالب الحدثان

ضحيت بالعلق النفيس لأجلها … بالأهل بالأموال بالخلان
ما كان أحوجها لسمع وصية … من طاهر الأخلاق والجثمان
واضنها بك ان تضمك بقعة … لم تغذ فوق ترابها بلبان
لك فوق تربتها أساس مبادىء … يا ليتها ضمت رفات الباني
في ذمة الله المهيمن راحل … صافي السريرة ثابت الإيمان
أقواله أسمى الدروس وشخصه … ملء النفوس برقة وبيان
لو قدرت أفعاله العظمى لما … ضمته أكفان سوى الأجفان
لكن بلاء الشرق ان رجاله … تجزى على أعمالها بهوان
ان أخلدوا مستسلمين أقضّهم … وخز الشعور بقاضب وسنان
وان استغاثوا صارخين فمالهم … في دفع أرزاء البلاء يدان
هطلت على ذلك الضريح برحمة … مزن الرضى وسحائب الغفران
حيث النعيم من الجنان حنوطه … تغدو اليه ملائك الرحمن

كما رثاه الشاعر الكبير المرحوم عبدالله الزايد بقصيدة أوجز منها الأبيات التالية:

هدف حياتك والسنون نبال … فعلام تجزع والخلود محال
عدل الزمان . . ولا تؤمل عدله … هل يستوي الادبار والاقبال
يا دهر هات كؤوس غدرك هاتها … ما للأبي بواحتيك مجال

* * * *

أودى بنا لهب الخطوب فكلما … قلنا خبا يتفاقم الاشعال
واذا انتهى عهد التعلل بالمنى … فالموت سعد والحياة وبال

* * * *

ما بعد موتك يا بن حجي ساعة … يهنى الفؤاد ويستريح البال
ان نامت الحدثان يوما عن فتى … فلها وان طال المدى زلزال
عبر الاثير البرق يحمل نعيه … ما مات بل قد ماتت الآمال
نعي أسال من الجفون قلوبنا … هيهات يجدي الدمع والاعوال
غادرتنا والدهر في غليانه … ونزحت حين اشتدت الاهوال

كنت الغيـاث وكنت نبراس الهدى غبشـت بفقـدك ظلمـة وضـلال
نفـس وان جـار الـزمـان ابيـة وخـلائق للمكـرمـات تهال
مسـت فـؤادك للمنـون انـامـل فجـرى القضـاء وحـالت الاحـوال
ان مـت جسماً انـت حـي سمعـة دهـراً تـردد ذكـرهـا الاجيـال
امـر بـه حـم القضـاء وليس في احكـامـه نقـض ولا امهـال
لهفـي على قمـر الحيـاة ونـورهـا لم يستـدر بـل غـاب وهـو هـلال
للـه مـن غيبتمـوا تحت الثـرى الـديـن والاخـلاص والافضـال
حـق المنيـة ان تنـال خصـومـه لـو انها علمـت بمـن تغتـال
لكنهـا خبطـت فمسـت نفسـه فتعـذر الامهـال والادلال
يـا تـربـة شرفت بضـم عظـامـه روى ثـراك الـوابـل الهطـال
لـولا الجهـالـة والتأخـر والهوى لأقيـم تـذكـاراً لـه تمثـال

* * * *

مـن للقضيـة بعـد مـوتـك انها دفنـت فـلا قـول ولا افعـال
والقـوم في نـوم وفي جهـل وفي صـف العـدو أمـالهم فـأمـالـوا

* * * *

نحن تنـوء الـراسيـات بحملهـا ومـن العجـائب ان تنـوء جبـال
ان الهوى محق الهدى حجبـاً لـه فـالحسـن قبـح والحرام حـلال

* * * *

مـات المضحـي نفسـه ونفيسـه وجميعهـم رغـم الغنـى بخـال
يـا عين سحي وانـدبيـه انـه عين بـآيـات الهدى تنثـال
وشفـاء آلام الفـؤاد اذا ذكـت نـار لها دم مـدمعـي سيـال
أسـف على أسف ولـوعـة يـائس أضنـاه من بعـد الـوصـال نصـال

* * * *

أسروك غـدراً بين أهلك صنعـاً يبكيـك صحـب حـاذقـون وآل
ونفيـت حتـى مت مـن ألم الأسـى فلكـم تقـاس بمثلـك الأبطـال
مهما تفقمـت الخطـوب حقيرة إلا إذا شمتـت بـك الأنـذال

* * * *

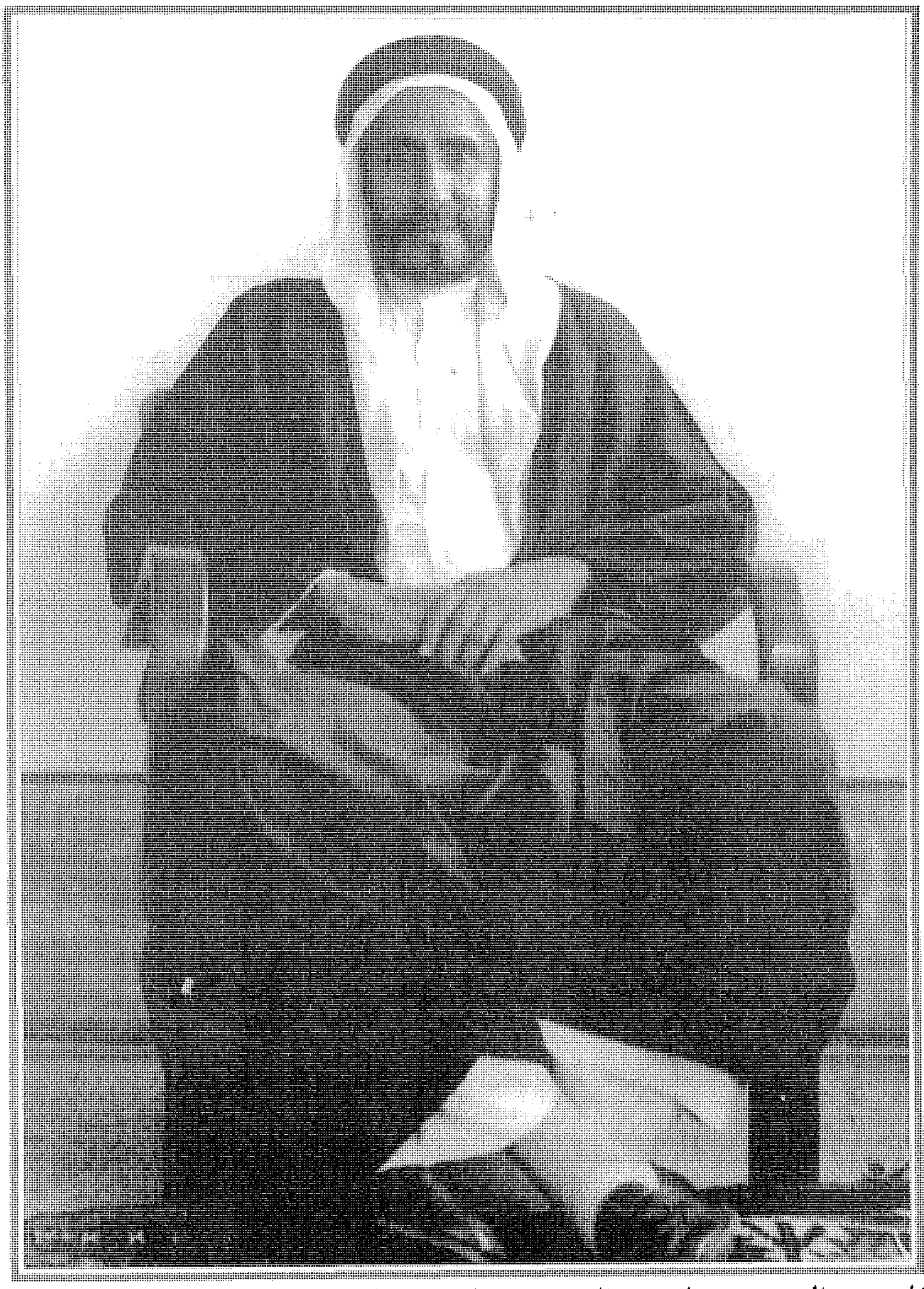
تتـابـع الحسرات وهـي عـريضـة   وفـوادح النكبـات وهـي طـوال
فقـراء في اوطـاننـا وغـريمنـا   يجبى اليـه بكـدنـا الامـوال
غـربـاء في اوطـاننـا وغـريبهـا   وقـف عليـه العـز والاقبـال
يـا صـاحبـي دع التحسر فـانتهى   سير المعـالي فـالحيـاة قفـال

* * * *

يـا أيها العـرب انهضـوا واستبسلـوا   ان الحيـاة تـزاحـم وجـدال
نصبوا شبـاك الغدر في بحـر الردى   فـالعهـد نقض والـوعـود خيـال
والغـرب اغـدر خـائن وقعـت بـه   رغـم التجـارب والعظـات رجـال
ان الشعـوب مصيرهـا في كفهـا   تسـدى النفـوس وتبـذل الامـوال

الباب الثالث

والدي الشيخ عبدالرحمن
بن الشيخ عبدالوهاب الزياني



المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشيخ عبدالوهاب الزياني

والدي الشيخ عبدالرحمن
بن الشيخ عبدالوهاب الزياني

ليس من المعقـول ولا الجائز أن أكتب هذه الذكـريات ولا أذكر ولـو شيئا مقتضبا من سيرة والـدي الشيخ عبدالرحمن طيب الله ثـراه. ففضله العظيم علي وعلى اخـوتي لا يمكن أن ينسى أو يغفل. فبتربيتـه الحكيمـة تربينـا، وبفضل طباعـه الحميدة تطبعنـا، واتباعـا لسيرته الحميـدة حاولنا، ونحـاول بإذن الله.

والدي كـان الابن الأوسط من الثلاثة الاخـوة. ومع اني لم أدرك الأكبر منهم، لأنـه توفي قبل ولادتي إلا اني أستطيـع أن أقول ان ذاكـرتي تستطيع أن تتذكـر لمحة بسيطة عن أخيه الأصغـر قبل وفاته. ومن مجرى الحوادث والكلام علمت ان جدي كان يعتمـد اعتمادا كليا على والدي، بخلاف اخوته فقـد كان والدي بارا بوالده مطيعا لأوامره، ملتزما التزاما كليا بخدمته وتوجيهاته. وقد ذكرت في موضـوع آخر من هـذه الذكريـات مثالين على ذلك، أولهما عنـدما قـرر ميجر ديلي نفي الجد وتسفيره خـارج البحريـن وعرض والـدي على جدي أن تكـون وجهـة التسفير العراق للعيـش في بيته في بغـداد مع زوجتـه العـراقية، صفحـة (٤٣) والأخـرى عندمـا أمر الجد والـدي أن يكتب حـوالة بمبلغ خمسـة آلاف روبية لزائر لم يكن معروفا لديهما صفحة (١٦٩).

كان والدي صبورا مؤمنا بقضاء الله وقدره، وقـد شاهدته عندما بلغه خبر وفـاة والـده بمنفـاه في بومبـي يجلس بين المعـزين في المجلس دونما يبـدو عليـه الانهيـار والحزن الشـديـد. ولكنه مـا كـاد يـدخل البيـت بعـد ذلك ويعـانق شقيقته، حتى انهمر دمعه بغزارة.

لم يترك له والـده مالا أو ثـروة، بل ترك لـه تركة مثقلـة بالـديون، وعـائلة كبيرة تزيد في عددها على أربعين شخصا.

كـانت هذه الـديون قـد تراكمت بسبـب كساد عمل اللـؤلؤ الـذي شمل المنطقة بأكملها آنـذاك. وكانت تجارة اللؤلؤ هي التجارة والمورد الوحيـد للعائلة في ذلك الزمان.

كانت تـركة جدي عاجـزة عن تسديد ديونها المتراكمـة إلا ان والدي وبكل إصرار عقد العـزم على تبرئة ذمة والـده وإعالـة عائلتـه الكبيرة رغم قلـة موارده الماليـة كما شرحته سـابقا. وقـد حاول وجـاهد لتسـديد هـذه الديـون الكثيرة المتفـرعة بـالحسنى والتفاهـم، وقد قمت بمسـاعـدته بعـد عودتي من الجامعـة الأمريكية ببيروت، ووفقنا في النهاية الى الخلاص من هذا المأزق الحرج بفضل صبرنا وجهدنا وإيماننا بأن الله سبحانه وتعالى سيأخذ بيدنا ويعيننا.

مع هذا فقـد قام والدي بعد وفـاة والده ببيع الأملاك والموجـودات الموجودة ليسدد بعـض الديـون وأذكر انه كـان يحضر في مجلسنا كـل يوم «محرّج» دلال يحرّج على أمتعتنا من مـلابس وفرش وزل وصناديـق وأواني وغيره ويكون ذلك بحضـور عدد من وجهـاء البلـد وتجارها وقـد اصطفـوا على الكراسي يحيطـون بـالمعروضـات من ثـلاث جهات بينما تـركت جهـة واحدة للـداخل والخارج. ويقـوم المحـرج بـالطواف ببعـض هذه الأمتعـة مـارا بها على الجالسين واحـدا واحدا قبل أن يشرع بالمنـاداة عليها. فهذا يزيد في سجـادة وتقيد عليه، وذلك يزايـد في آنية أو طاولـة أو كرسي وكنت صغيرا أجلس على عتبة المدخـل أتابع ما يجري بـاستغراب وتعجـب وفي يوم من هـذه الأيام لاحظت ان أحـد الخدم قـد أحضر الى المزاد طاولتي الصغيرة التي كنـت أجلس اليها لمذاكـرة دروسي، والتي لا يـزيد حجمها على قـدمين × قدم واحـد، مع كرسيهـا فصرخت من دون وعي مني «ميزي - ميزي» أي طاولتـي وأخذت أصرخ وأبكي بكاء حارا لفت انتبـاه الحاضرين وبـدأوا يتسـاءلـون عن سبـب صراخي وبكـائي. وأراد والـدي أن يسكتني ولكن لم أستطع السكـوت. فامتنع الحاضرون عن المزايـدة عليها بعـد أن وصل ثمنها مـع الكرسي ١٦ روبية (أي دينـار وستمائة فلس). هنـا تدخل والـدي وقال «قيـدوها على حسـابي». هكـذا كانت نـزاهة والـدي وأمانته رحمه الله.

ومع ان والـدي كان دائما متعـاطفا ومتعـاونا مع جماعتـه وأقربـائه، إلا ان بعضهـم للأسف لم يكونوا يضمرون له المحبة، بل ضاددوه وقاوموه حتى وصل الأمر ببعضهم الى الشكـاية عليه ومقاضـاته، مع هذا فقـد نصره الله وبدل أن

ينتقم منهم أو يعاملهم معاملة سيئة، قابل السيئة بالحسنة وساعد المحتاج منهم ماليا وأدبيا عندما تحسنت أحوالنا المالية، ولعله من الطريف أن أروي هذه الواقعة كمثل لذلك: تقدم اليه أحد الفقراء المعسرين من جماعتنا طالبا منه شهادة بأنه فقير صاحب عائلة وذلك لكي تسمح له دائرة الأوقاف بالسكن في بيت وقف صغير أوقف على المحتاج من الجماعة فأعطاه الوالد الشهادة المطلوبة التي مكنته من موافقة دائرة الأوقاف والسماح له بالسكن في ذلك البيت ولكن شخصا آخر من مستوري الحال من الجماعة لم يرقه نزول الشخص الفقير في ذلك البيت فاحتج مطالبا سحب الشهادة وأراد والدي أن يثنيه عن احتجاجه ولكنه أصر وأقام دعوى على والدي في احدى المحاكم. وبالرغم من الخصومة بينه وبين والدي إلا ان والدي كان يتوجه في صباح يوم الحضور بالمحكمة الى بيت المدعي المذكور، ويطرق بابه قائلا «يا فلان جئت أذكرك اننا اليوم مدعوون للحضور بالمحكمة فتعال معي في سيارتي لأوصلك الى المحكمة. وكرر ذلك معه عدة مرات الى أن فشل ادعاء المدعي وألغيت الدعوى. وبمرور الأيام ولما ضاق حال المدعي الخاسر ماليا، جاء لوالدي وهو يعتذر عما فعل زاعما انه قد حرض على ذلك، فسامحه وأكرمه وجعل يساعده وعائلته ماليا الى أن اختاره الله الى جواره.

كان والدي لا يتوانى عن ملاحظة الكبير والصغير، الفقير والغني، يعطف عطفا كبيرا على الفقراء والعاملين. وأروي ما رواه لي مشرف البناء لدينا أثناء بناء بيوتنا بالرفاع، يقول المشرف المذكور في كثير من الأحيان يأمرني والدك بصرف العمال قبل حلول وقت دوامهم، ولما أحاول أن أثنيه عن عزمه وأذكره ان انتهاء الدوام بعد ساعتين أو ثلاث يقول «ولو» فاليوم حار أو بارد أو ممطر، ويكفي انهم اشتغلوا من الصباح للآن. وفي بعض الأحيان يعطيني بعض النقود لأوزعها عليهم.

كـذلك كـان - رحمه اللـه - يحرص على عمل الخير ويـرحب بـدراسـة او تنفيـذ أي اقتراح يأتي من أي انسـان في هـذا الخصـوص، وأذكر هنـا حـدثين خيرين كان لوالدي شأن كبير في تنفيذهما:-

١ - **بناية الأوقاف:**

في اواخر السبعينات، عندمـا كنت أتحدث مع والدي، رحمه الله، في امور مختلفة جـاء ذكر الاوقاف ومخصصات الأئمـة والمؤذنين فقد كان والـدي عضوا في مجلس الاوقـاف السنية وقـد قضى في مجلسهـا حقبة من الـزمن، وكـان من جملـة الحديث والتعليق ان دخل الـدائرة ضعيف، ولـذلك اضطرت الـدائرة الى توظيف أئمة ومؤذنين اجانب من الباكستانيين او ما شاكلهم.

طرأت لي عندهـا فكرة عرضتها على والـدي وهى لماذا لا تبني دائرة الاوقاف بعض اراضيها الخاليـة على ان يختار المهمة منهـا ليتكون من دخلها مـورد مالي اضافي؟ اجاب، رحمه الله، البناء يحتاج الى مـال وهذا ليس متوفرا لدى الدائرة واذا سعينـا الى الاقتراض فـالإقتراض لا يأتي الا بـالفائدة الأمـر الـذى يـدخل تحت شعار الربا.

انقطع الحديـث عنـد هـذا الحد ولكنني في اليـوم التـالي تـوجهت اليـه بهذا الاقتراح: ان يتوجـه والدي شخصيا لمقـابلة جـلالة الملك خالـد بالسعـودية او يوجـه كتابا الى جـلالته يطلب المسـاعدة عن طريق قـرضة حسنـة لبناء بعض هـذه الاراضي. رحب والـدي بالاقتراح ووعـد بتنفيـذه عنـد سنوح الفـرصـة المناسبة بعد ان يعـرض الامر على المسئولين بادارة الاوقاف والمسئولين بـالدولة، غير ان الفرصة مع الاسف لم تسنح له حيث تمرض ثم وافته المنية رحمه الله.

رأيت بعـد وفـاتـه ان آخـذ هـذه المهمـة على عـاتقي منفـذا رغبتـه وأمنيتـه فاتصلت بالمسئولين بدائرة الاوقاف وبـالمسئولين في الحكومة استأذن منهم القيام بهذه المهمة، ولما ادركت استحسـانهم توجهت الى الرياض حيث قـابلت وزير المالية الشيخ محمـد عبدالله ابـا الخيل ولما شرحت له الامر شرحـا وافيا. رحب جزاه الله خيرا، بالمساعدة وطلب ارسال طلب بذلك.

قدم طلب القرض، واحمد الله ان هذا المسعى قد تكلل بالنجاح التام حيث

اقرضت المملكة السعودية مشكورة ومأجـورة دائرة الاوقاف السنية قرضة حسنة مناسبة تسدد على اقساط مريحة مكنـت الدائرة من بناء بعض المباني في اراضيها مما جعل لها ريعا مناسبا يساعدها على القيام بمهامها.

٢ - **مقبرة المحرق:**

تعـد مقبرة المحرق اكبر مقبرة في البحـرين وكانـت تقع في مكان بعيـد عن بيـوت السكن ولكن الـزحف السكـاني احـاط بها من كل جهـة، كما انها تقع بالقـرب من مطـار البحرين الـدولي ويمر بجـوارها القـادمون والمغـادرون من المسافرين.

جلست الى والـدي في احد الايـام وأثرت مـوضـوع تحويطها فلقيت منـه، رحمه الله، كل ترحيب وتشجيع.

عهدنا الى مقـاول بالقيام بذلك بعد ان اتصلنا بـدائرة الاوقاف واستحصلنا الاذن لذلك. اثناء تحويـط الجهة الشرقية منها اعترضنا امـر لا بد من التشاور فيه مع المختصين. هذه الجهة تحتوي على قبور اخواننا جماعة الشيعة من سكنة المحرق فـلا بد من مشاورتهم. ارسل الـوالد رسولا الى كبيرهـم ويـدعى - بن نايـم - وطلب الاجتماع به وعنـد حضوره وبـرفقته شخص مـن جماعتهم فتح الـوالد الموضـوع معه، وكنت حـاضرا، وأخبره اننـا نقوم الآن بتحـويط المقبرة فهل تسمحون لنا بتحويط جهتكم؟

اجاب بـالقبول والرضـا والشكر، ثم اردف قائلا يـا شيخ عبدالرحمن نـرجو ان تكملوا احسـانكم وذلك بأن تمدوا لنا انبوبـة ماء من احد العيـون الى موقع المقبرة. رحب الوالد بـذلك وعملنا على مدها حسب طلبهم. ونحمـد الله اننا بعملنـا هذا قـد سترنا على قبـور ضمت العديـد من اهـالينا وذوينـا واخواننـا رحمهم الله برحمته الواسعة.

كذلك كـان من عادته في شهر رمضان ان يـدعو الى مائدته يـوميا عددا لا يقل عن اثنـى عشر شخصا من الفقـراء والمساكين لمشـاركته فطـوره. ويجلس معهم بعد الفطور يحدثهم ويتقصى أحوالهم ومعيشتهم ولا يبخل على بعضهم بما تجود به نفسـه. ولما نزلنا بـالرفـاع، رتب سيارات تأتي بهم من أنحـاء مختلفة من البلاد وتعيـدهـم الى محلاتهم. وكان يحتفظ بدفتر دون فيـه أسماءهـم. وقبل

وفـاته ببضع سنـوات عنـدما حل شهـر رمضان في فصـل الصيف، وكان قـد اعتاد ان يصيـف وعائلته في القـاهرة، ومـراعاة لصحتـه وطول أيـام الصيام في فصل الصيف الحار عرضت عليـه أن يرمض في القاهرة مع العائلـة، فاستنكر مني هـذا الاقتراح وقـال يـا ابنـي كيف تقترح علي هـذا الاقتراح! ان علينـا واجبـات ومـوجبـات تجاه الفقراء في هـذا الشهـر. وبعـد ان استشرت والـدتي ورأيتها تحبذ الفكرة عـدت اليه مرة أخرى قائلا «ان في القاهـرة فقراء أشد فقرا وانه بإمكانك إطعامهم طيلة الشهر، وبعـد رجوعك بإمكانك توزيع ما يقسم الله من مـال على الفقراء هنـا فتكسب بدل الأجـر أجريـن!» سكت ولم يجبني بجـواب، وأنا من طبعـي لا أحاول مجادلتـه، ولكني لاحظت بعـد يومين انـه بدأ يستعد للسفـر الى مصر. بعد مضي بضعة أيام من رمضـان أرسل الي كتابا من القاهرة يقول فيه العبارة التـالية «يا ولدي انك لما اقترحت علي السفر كنت غير مقتنع أو راض عـن اقتراحك ولـذلك سكـت ولم أجبك ولكـن بعـد أن وصلنا الى القـاهرة ورتبنا مع إمـام المسجد القريب من منـزلنا بأن يدعـو عددا من الفقراء كـل يوم لإطعامهم في المسجـد تحت إشرافه وأيضـا أطعمنا الحارس والبـواب وعـائلاتهم، شعـرت بـالارتيـاح والسرور وقلت بـارك الله في ابني فمشورتـه دائما حسنة وجيـدة. وعند العودة إن شـاء الله سنقوم بالـواجب تجاه فقراء البحـرين». وقد اتبع هـذا البرنامج في السنـوات التالية حتـى اختاره الله بجواره في الثالث والعشرين من شهر يوليـو ١٩٧٧م. قبل وفاته بأيام وكان في القـاهرة مع العـائلة اتصلـت بي احدى شقيقـاتي من القاهـرة هاتفيـا قائلـة ان والدي يشكو من ألم في بطنـه، فاتصلت به وكنت آنذاك عـازما على السفر الى أوروبا، وعـرضت عليه أن أحضر الى القـاهرة أجـابني انه لا يشكـو من شيء مهم بـل عـارض بسيط. وألح علي أن لا أغير بـرنـامـج سفـري. فصـدعت لرغبتـه وبعد يـومين من وصولي الى لندن، استفهمـت من الشقيقة فقالـت انه لازال يشكو، فـأمرت ولدي خـالد أن يتـوجه الى القـاهرة حالا ويخبرني بـواقع الأمر وأن يحصل على تقـرير طبي من طبيبه المعـالج يرسله بـرقيا. فعلا تـوجه الولد خالـد وأرسل التقرير ولما عرضته على الطبيب في لنـدن قال انه يحتاج الى عملية جـراحية في المعـدة. عندها استأجـرت طائرة خـاصة بها طبيب وممـرضة

للتوجه الى القاهرة وكنت على اتصال دائم مع ولدي خالد لإجراء الترتيبات اللازمة في القاهرة وإقناع الوالد بالتوجه الى انجلترا على ظهرها. ولما وصلت الطائرة الخاصة استقبلته بالمطار بسيارة إسعاف كما حجزت له غرفة باحدى المستشفيات وعند التوجه الى لندن بسيارة الإسعاف حدث معه رحمه الله انتكاس فتوجهنا الى أقرب مستشفى يقع على طريقنا الى لندن. الا انه مع الأسف الشديد لم يكن بالإمكان إسعافه رغم محاولة الأطباء ففاضت روحه الطاهرة الى بارئها في هذا المستشفى، هنا لا بد لي من ذكر شيء عن نبل وأريحية أحد أبناء البحرين الطيبين. كان هذا الشخص الأريحي السيد ابراهيم المحروس أثناء ذلك يرقد في احدى مستشفيات لندن وقد أجريت له عملية جراحية حديثة ويحتاج لبضعة أيام قبل أن يسمح له بمغادرة المستشفى. ولما سمع اننا نحاول الحصول على غرفة باحدى المستشفيات للوالد ونجد صعوبة لعدم توفر ذلك، أرسل الي ابنه يعرض علي أن يطلب من طبيبه المعالج أن ينقله الى شقته لمواصلة الاستشفاء فيها لكي يكون بالإمكان استعمال غرفته في المستشفى لوالدي. انه تقدير جميل منه جزاه الله خيرا.

كان والدي وفياً مع الناس عموما، لا يتخلف عن المبادرة بزيارة أو ردها، ويحرص حرصا كبيرا على أداء واجب التعزية لمن يعرف أو لا يعرف، وأذكر انه في اليوم الثاني من وفاته، وكنا جلوسا للتعزية في مجلسنا بالرفاع، دخل شخص من عامة الناس وهو يبكي بصوت عال ويردد «الله يرحمه - الله يرحمه» ولما رأيت انه لم يتوقف عن البكاء قلت له هون عليك وترحم له بدل البكاء. توقف عن البكاء والنحيب وقال بالحرف الواحد «يا أبو خالد أنت ما تعرفني ولا تعرف كيف كسبني والدك بمعروفه، فأنا رجل فقير من أهالي الحالة بالمحرق، توفى والدي قبل بضعة أشهر وجلست في البيت لاستقبال المعزين. ولم يمر بي إلا أفراد قلائل من الجيران. وفي صباح اليوم الثالث، سمعت من يطرق باب بيتي فتحته فاذا بشخص يسألني: «هل هذا بيت فلان؟» فلما أجبت بنعم، قال هذا العم الشيخ عبدالرحمن جاء ليعزيك في والدك. انه لا يعرفني ولم يكن بيني وبينه أية صلة او معرفة».

(الفصل الاول)

بدايات التعليم النظامي في البحرين



بقايا مدرسة المرحوم الحاج علي بن ابراهيم الزياني في المحرق

بدايات التعليم النظامي في البحرين

يشير البعض الى ان التعليم النظامى في البحريـن ابتدأ في عام ١٩١٩م يوم احتفل بـوضع حجر الاساس لبنـاء مدرسـة الهداية الخليفية ولكن الـواقع غير ذلك فـالتعليم النظـامى في البحرين ابتـدأ قبل افتتـاح هذه المدرسـة بسنتين او ثلاث في مدرسة المرحوم الحاج علي بن ابراهيم الزياني بالمحرق.

اذ عندما قرر مجلس المعارف المشكل من الاعضاء التالية اسماؤهم:

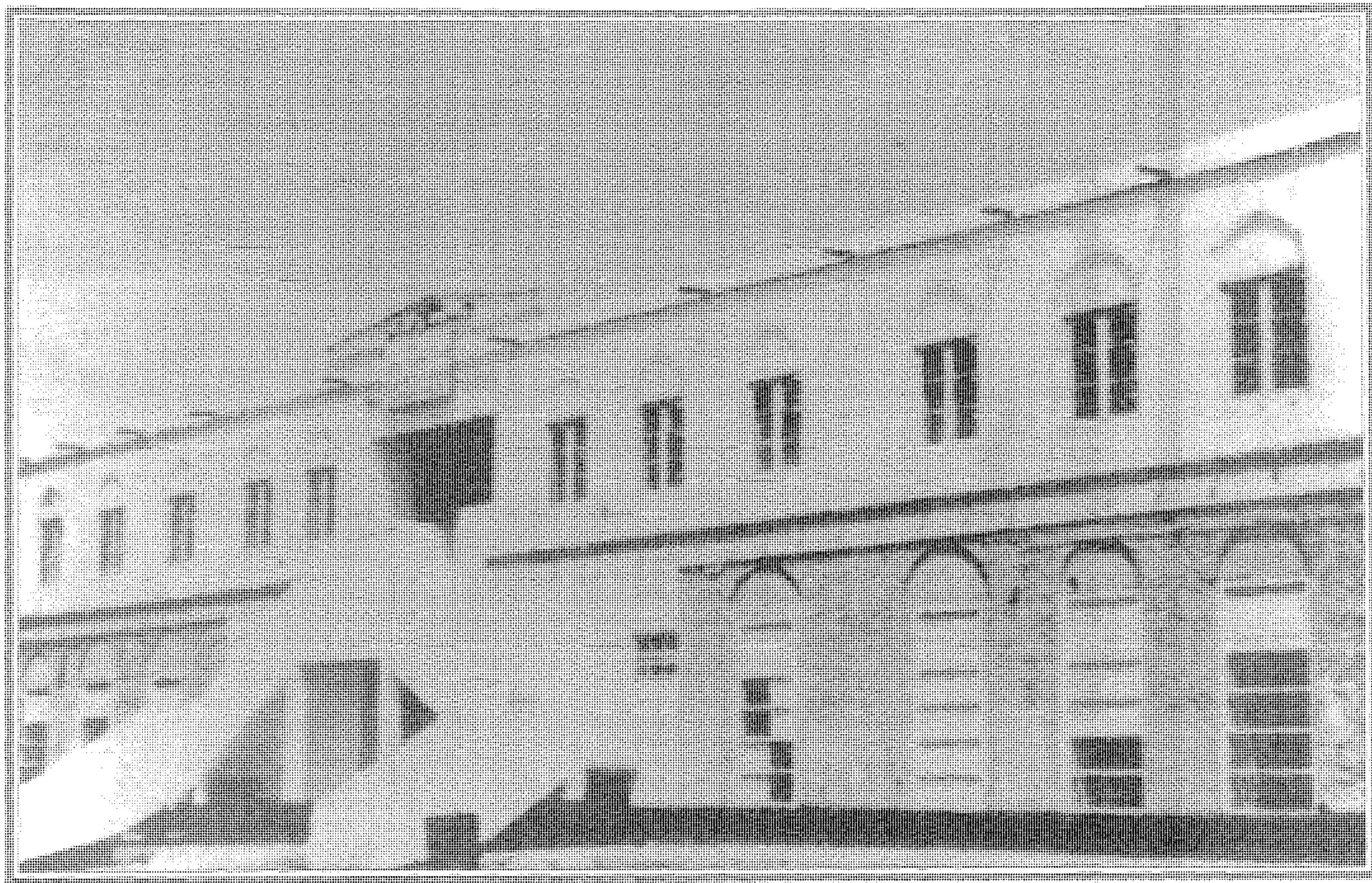
الشيخ عبـدالله بن عيسى آل خليفـة رئيساً - الشيـخ ابراهيم بن محمـد آل خليفة نـائبا للرئيس - الشيخ عبـدالوهاب بن حجي الـزيانى نائبـا للرئيس - الحاج عبدالـرحمن بن محمد الـزيانى عضوا - الحاج يـوسف عبدالـرحمن فخرو عضـوا - الحاج علي بن صقـر الجلاهمة عضوا - الحاج عبـدالـرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزيانى عضوا - الحاج محمد بن راشد بن هندي عضوا.

عندما قرر انشـاء مدرسة نظامية قبل بضع سنوات من بنـاء مدرسة الهداية الخليفية الحاليـة لم يجد المجلس بيتـا او مكانـا لائقا لاستعمالـه كمدرسـة، هنا تقـدم المرحوم علي بـن ابراهيم الـزيـانى وعـرض عليهم استعمال مـدرسة كـان المذكور قد بنـاها قرب بيته في فريق الـزياينة بالمحرق، بناهـا خصيصا لتكون مدرسـة دينية تلحق بالمسجـد المجاور لها. وكانـت هذه المدرسة مكـونة من ٩ الى ١٠ صفوف يمتد امامها ليوان استعمل قسم منه كصف اضافي.

وقد تتلمذ بتلـك المدرسة الاستاذ احمد العمران ومحمد يـوسف فخرو وأحمد بن شـاهين الجلاهمة وحمد المحميـد ومحمـد مـراد ومحمد علي عبـداللـه عبيـدلي وغيرهم وكـان يدير المدرسـة الاستاذ الجليل الشيخ حـافظ وهبة الـذى كان في استضافـة جدي الشيخ عبـدالوهـاب الزيانـى ووالدي الشيخ عبـدالرحمن رحمة الله عليهم جميعا. ثـم تولى ادارتها المرحوم الشيخ عبدالعزيـز العتيقي الذى كما فهمت جرى ترشيحه عن طريق الشيخ حـافظ، اما تمويل المدرسة ومصاريفها فكانت تأتي عن طريق التبرعات والاعانات الفردية.

(الفصل الثاني)

تأسيس مدرسة الهداية الخليفية



مدرسة الهداية الخليفية

تأسيس مدرسة الهداية الخليفية

في هذه الاثناء شرع في تشييد مدرسة الهداية الخليفية التى استغرق بناؤها اكثر من سنتين لكونها بنيت بطريقة تختلف عما كان يتعارف عليه في ذلك الزمان من طرق البناء فقد بنيت جدرانها من الحجر البري او الجبلي، الذى لا اعرف من اين اقتطع او أتي به. وكان يعمل على تربيع تلك الاحجار عمال من الهنود، حيث كانوا ينحتون جوانبها ليشكلوا منها مكعبات تقدر قياساتها بـ ١٤ × ٨ × ٨ بوصة وكانوا يصفونها على بعضها واضعين بينها شريطا من الاسمنت. ولهذا السبب استغرق بناؤها وقتا طويلا. وقد بنيت المدرسة من طابق واحد على هذه الطريقة من البناء، ولكن فيما بعد بني فوقها طابق آخر بالطريقة البحرينية المعتادة وكانت المدرسة الاصلية مكونة من غرف، او صفوف، في الشمال امامها ليوان مسقف وغرف اخرى من الشرق. ومن درج وغرف اخرى من الغرب تفصلها قاعة كبيرة تستعمل كمسجد في الايام العادية، وكقاعة للاحتفالات والاستعراضات عند اللزوم.

اما الجنوب فبقي مفتوحاً على الخارج وكانت تحيط بالمدرسة من كل جوانبها آنذاك اراض فارغة تفصلها عن المحرق من الجنوب وعن قرية البسيتين من الشمال. وتمتد هذه الاراضي الخالية الى ساحل البحر من الغرب، حيث بني على حافة البحر غرف صغيرة تستعمل كمغاسل للوضوء ودورات مياه اذ لم يكن يوجد في بناية المدرسة الاصلية دورات مياه. ولعله من المناسب ان اذكر هنا لمحة بسيطة عن الاحتفال بوضع الحجر الاساسي لبناء مدرسة الهداية الخليفية. ففي عام ١٩١٩م أقيم سرادق كبير في شمال مدينة المحرق شرفه بحضوره المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين المعظم يصحبه نجله وولي عهده الشيخ حمد ونجله الثاني الشيخ محمد وكان في استقبالهم عند مدخل السرادق المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وزير المعارف وأعضاء المجلس والأعيان والوجهاء (١).

---

(١) مزيدا من التفصيل في صفحة (٣٧) الباب الثاني الفصل الأول تحت عنوان جدي الشيخ عبدالوهاب.



المرحوم الأستاذ عثمان الحوراني

لقد فاق السيد عثمان الحوراني (وهو من مواليد حماه ببلاد الشام ومن الذين اضطروا للفرار من سوريا، اذ كان من بين الذين حكم عليهم الاستعمار الفرنسي بالاعدام فالتجأ للبحرين وصار مديرا لمدرسة الهداية الخليفية)، فاق كافة المديرين الذين سبقوه في ادارة مدرسة الهداية بنشاطه وحيويته ناهيك عن حزمه وحسن ادارته. وكان الجميع سواء الاساتذة او التلاميذ يحترمونه ويخشونه. وكان يستعمل العصا في بعض الاحيان عند اللزوم واذكر اني شاهدته مرة، وكنا في اجتماع الطابور بقاعة التجمع في المدرسة، وهو يضرب امام الجميع بعصاه الطويلة احد التلاميذ من صفي لانه انتقد باستهزاء احد الاساتذة في الصف فاشتكاه الاستاذ الى المدير وكان ضربه مبرحا حتى ان علامات الضرب والجروح الناتجة عنه بقيت ظاهرة للعيان على جسم التلميذ اياما معدودة. وكان يعترى الصغار من التلاميذ نوبة من الهلع والخوف اثناء بروز الحوراني الى القاعة حاملا عصاه الطويلة.

فقد حدث مرة اثناء معاقبة احد التلاميذ وضربه بالعصا، ان سقط على الارض احد هؤلاء الصغار مغشيا عليه.

تمثيل رواية كسرى ووفود النعمان:

كان من جملة نشاط الحوراني انه قرر في أحد احتفالات المدرسة ان يمثل التلاميذ رواية قصيرة فاختار واقعة كسرى ووفود النعمان. جاء رسوله يستدعيني لمقابلته في الادارة ولما مثلت بين يديه قال «يا راشد لقد اخترتك لتقوم بدور كسرى في هذه التمثيلية» في واقع الامر شل لساني ولم استطع ان اجيب بالقبول ام عدمه، فمن يستطيع ان يخالف امرا للسيد عثمان الحوراني ظللت ساكتا مترددا. ثم اردف قائلا «اني توسمت فيك الكفاءة للقيام بهذ الدور ولذلك اخترتك». خرجت من مكتبه وانا حائر واقول في نفسي «هل من المعقول وانا في هذا السن ان اقوم بدور كهذا امام الحشد الهائل من المدعوين والمتفرجين والذى بلا شك سيكون في مقدمتهم كبار الشيوخ والاعيان والتجار!» ولكن كما ذكرت آنفا من الذى يستطيع ان يخالف ما



من اليسار : المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز - المستشار بلكريف - صاحب السمو المغفور له الشيخ حمد - المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي

يريـده السيد عثمان الحوراني. وبمـرور الايام، ومـع بعض التدريبـات تغلبت على ترددي وخـوفي من الفشل ومثلت الروايـة في ساحة المدرسـة. كان المسرح البسيط عبـارة عن عـرش مرتفع، صـف على جانبيـه مقاعـد في مستوى انـزل جلس عليهـا الـوفـود امـا انـا فقـد اجلسـت على العـرش، ووضع على رأسي الصغير آنذاك تاج مرصع باللآلىء والمجـوهرات كما عهد لي ان امسك صولجانا مذهبـا ومرصعا بـالجواهر. واذكر انـه لما فتح الستار وشـاهدت نفسي في وضع رفيع عـال بـالنسبة للـوفـود والمشاهـدين، اعتراني نـوع من الغطـرسة والتعـالي فمثلت الـدور على احسـن ما يـرام خـاصـة اثنـاء تبـادل الكـلام مع الـوفـود والطـريقة التى كنت احـادثهم بها. والـدليل على ذلك انـه لمجرد الانتهـاء من التمثيلية واسـدال الستار، انـدفع نحوي السيـد عثمان الحوراني وبقية الأسـاتذة وهم يهنئـونني ويشـدون على يدي بكل قـوة وابتهـاج، مما يـدل على سرورهم بأني اجـدت الدور الـذى عهد الي. وأعتقـد ان هذه هى أول روايـة مثلت في البحرين رغم كونها صغيرة ومختصرة.

والسيد الحوراني هـو الذى اقنع مجلس المعارف آنـذاك بارسال بعثـة تعليمية الى الجامعة الامريكية في بيروت والتى كانـت أول بعثة ترسل للخارج، والذى كان لي الشرف ان اكون من بين احد افرادها.

وكما اشرت في أول هـذا الحديث كـان الحوراني وطنيـا وقوميـا متحمسـا لا يستسيغ افكـاره او تحركاتـه الاستعمار. ولـذلك خطط لـه النفي من البحـرين رغم تعلق تلاميذه وأساتذتـه به ورغـم اسفهم واحتجاجهم على ذلك ولكن كما يقال «ما باليد حيلة» فالاستعمار كـانت له كلمته المطلقة في ذلك الزمان. فقد كـان الاستعمار يسعـى بكـافـة الـوسـائل ليحـول دون تعلم العـرب وحتى تـواصلهم، وأذكـر مثـلا آخر على مـا حـدث أثنـاء مرور الملـك عبدالعـزيـز بالبحـرين في طريق عودتـه من اجتماعه بالملك فيصـل الاول ملك العراق على ظهر احدى البوارج الانجليزية في مكـان يقع بالقرب من رأس تنورة من اعمال المملكة العربية السعوديـة وذلك في يومى ٢٣ و ٢٤ فبراير ١٩٣٠م الموافق ٢١ رمضان ١٣٤٨هـ. فأثناء رجوع الملك عبدالعزيز الى السعودية على ظهر تلك

البارجة كـان لا بد لها من ان تتوقف وترسو في مينـاء البحرين الشمالي ليستقل جلالته منهـا سفينة صغيرة توصله الى ميناء العجير في السعـودية لكون العجير في ذلك الـوقت المينـاء الرئيسي على سـاحل السعـوديـة في الخليج ولا تستطيع الـوصول اليـه الا السفن ذات الغاطس البسيـط. وكون جـلالته سيتـوقف في ميناء البحـرين بعث المرحوم الشيخ عيسـى بن علي آل خليفة حاكـم البحرين آنذاك برقيـة الى جلالة الملك يدعوه لـزيارة البحرين وهو في طـريقه للمملكة. لبى جـلالته الدعـوة ويوم وصـول البارجة البحـرين، استقل اثنان مـن انجال الشيخ عيسى قاربـا بخاريا وتوجها الى البـارجة لمرافقة جلالة الملـك في نزوله. عنـد وصولهما وجـدا الملك وكأنـه غير متأهب للنـزول فاستغـربـا ذلك وسألا جـلالته بقـولهما «يـا جـلالة الملـك ان والدك الشيـخ عيسى يـرحب بقـدومك وتشريفك البلاد واهلهـا وهو بانتظـارك على فرضة المنامـة!» هنا تساءل جـلالة الملك مستغـربا وقـال «كيف ذلك وقد وصلتني بـرقية بـأن الشيخ عيسى ليس على استعـداد لمقـابلتي او لقـائي. قم يـا حـافظ (١) واحضر البرقيـة» وعنـد قراءتها تبين ان الـذي أرسلها المعتمد البريطـاني بالبحرين «بـراير» دون علم او استئذان من شيـوخ البحرين. عندها قـال جلالة الملك اذا كان الامـر كذلك فاسمحـوا لي لأتأهب للنزول معكم وفعـلا نزل ولقي مـا يستحقه جلالتـه من ترحاب واستقبال من العائلة الحاكمة والاهالي عموما.

---

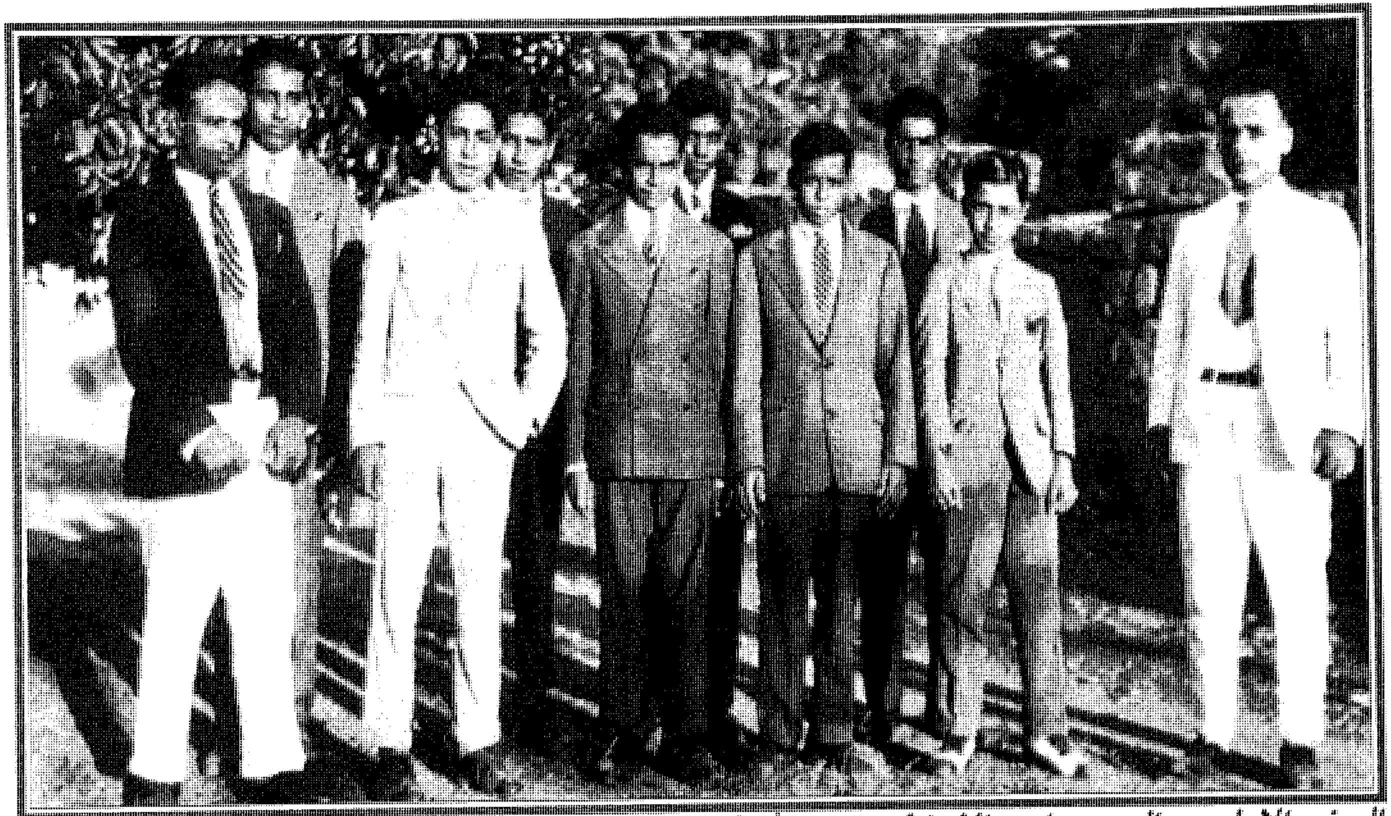
(١) المشار إليه أعلاه هو الشيخ حافظ وهبـه والذي كان أول من استعين به في بداية التعليم النظـامي في البحرين وكـان شخصيـة وطنية وحـدث أنه سـافر الى الكـويت في اثناء العطلـة الصيفية ولما عـاد الى البحريـن على ظهر احـدى البواخـر، لم يسمح له الانجليـز بالنـزول من البـاخـرة فاضطر للرجـوع الى الكويت حيث تزوج فيهـا ثم التحق فيما بعد بخدمة المغفـور له الملك عبدالعزيز آل سعـود في الرياض بصفة مستشار. وكان المغفور لـه الملك عبدالعزيز يجمع حوله عددا من المستشارين يختارهم من البلدان العربية..

بدايات التعليم النظامي للبنات:

اما أول مدرسة بنـات نظامية افتتحت في البحرين، فكانت مـدرسة البنات التى افتتحت رسميـا من قبل الحكومـة في سنة ١٩٢٨م في احد بيـوت المرحوم عبدالرحمن بن محمد الزيانى بالمحرق بفـريق الزيايانة، حيث كان الاقبال عليها كبيرا اذا تصـورنـا وضع المرأة البحـرينيـة في ذلك الـزمـان، وقـد كـان من بين معلماتها آنذاك المرحومـة لطيفة يوسف الزيانى والمرحـومة مريم عبداللـه الزيانى وكون افتتاح هذه المدرسة رسميـا في سنة ١٩٢٨م لا يعنى ان تعليم البنات بدأ في تلك السنة، كلا فان تعليم البنات بوشر فيه قبل ذلك بسنتين او ثلاث وفي نفس هذا البيت كما انـه قبل ذلك امكن استعمال هذا البيت ليكون مقـرا مؤقتا للنادى الادبي، الـذى امر الانجليز بغلقه عنـدما كان يقع في الناحيـة الشمالية من سوق المحرق، فاضطر الاعضاء الى نقل مقـره الى بيت عبدالرحمن الزيانى المشار اليـه آنفا وظلـوا يستعملونه كمقـر مؤقت للنـادي ثم استخدم كمـدرسة بنات اهلية في غضون عام ١٩٢٦م.

(الفصل الثالث)

أول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين
إلى الجامعة الامريكية في بيروت



الصف الاول من اليمين: احد الاساتذة - عبدالله الباكر - المؤلف راشد الزياني - الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة - الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة - الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل خليفة
الصف الثاني من اليمين: احمد العمران - عبدالعزيز الشملان - عبدالرحمن المعاودة - كمال المهزع

أول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين
إلى الجامعة الامريكية في بيروت

في عام ١٩٢٨م كنت في اعلى صف في المدرسة واظن انني كنت الاول على الصف تلك السنة، رتب الاستاذ الحوراني ارسال بعثة للدراسة العليا في جامعة بيروت الامريكية بعد ان اخذ موافقة مجلس المعارف المشار اليه في صفحة (٧٥) تحت بند بداية التعليم النظامي في البحرين.

وقد وقع علي الاختيار لأكون من بين اعضاء البعثة، غير اني لا اعرف من الذى رتب اختيار افرادها فقد كنت صغير السن نسبيا ولا ادرك تمام الادراك ما يدور حول هذا الموضوع في ذلك الوقت ولكن علمت ان اسمي قد اختير من بين اعضاء البعثة. ولما عرض الامر على والدي رفض بشدة ارسالي الى بيروت بحجة ان الولد صغير واخشى ان يبتعد عن عقيدته ودينه الذى رباني عليها.

ولكن السيد عثمان الحوراني وهكذا كنا ندعوه ومن معه اصروا وجاءوا الى والدي. وكنت اراقبهم عن كثب عندما كانوا يترددون على مجلس الوالد لاقناعه بالموافقة، وكانت حجة الوالد الرئيسية ان الولد صغير السن ويمكن ان يؤثر عليه لصغر سنه وقد يقع له خطر فلا يعرف كيف يتصرف. وهنا جاء اقتراح بأن اكون تحت رعاية ووصاية الاستاذ احمد العمران. والمذكور كان في ذلك الوقت استاذا في المدرسة ومن بين المرشحين لعضوية البعثة عندها قبل الوالد ارسالي. واذكر ان والدي، رحمه الله، قبل يوم السفر احضر شنطة (١) ملابس جلدية وكان بداخلها جيب. وقال تعال يا ابني وأراني صرة حمراء صغيرة فتحها امامي. فاذا بداخلها اربع جنيهات او ليرات عثمانية ذهبية. ثم ربطها وادخلها الجيب. وقال هذه ذخر لك لا تستعملها الا اذا احوجك الزمان. ثم بدأ يوصيني بالمحافظة على الصلاة والابتعاد عن

---

(١) **الشنطه** : حقيبة جلدية



أفراد البعثة يتوسطهم المرحوم عبدالرحمن القصيبي أثناء زيارته لبيروت – من اليمين.. الصف الاول: المؤلف راشد الزياني – الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة – الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة – الحاج عبدالرحمن القصيبي – الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة – الشيخ فهد السالم الصباح – عبدالله الباكر.. الصف الثاني من اليمين: عبدالرحمن المعاودة – كمال المهزع – أحمد العمران – عبدالعزيز الشملان

الموبقات وما الى ذلك من حديث ابوي حنون وانا مطرق رأسي استمع اليه وأؤمن على كلامه. ثم اخذني الى صدره الحنون وقبلني فشعرت بالحزن لفراقه وسالت الدموع من عيني وتجدد هذا الدور مع والدتي، رحمهما الله واسكنهما جناته.

كانت وسائل السفر في ذلك الوقت الباخرة والقطار والسيارة فقط. سافرنا بالباخرة وكنا ثمانية افراد هم: الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل خليفة - الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة - الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة - الاستاذ احمد العمران - الاستاذ كمال المهزع - عبدالعزيز الشملان - عبدالرحمن المعاودة - راشد الزياني. كنت اصغر افراد البعثة سنا واضعفهم جرما، ولذلك امكن الحصول لي على تذكرة بالباخرة بنصف الاجرة. وصلنا البصرة وذهب الاخوة لترتيب سفرنا بالقطار الى بغداد وحجز المحلات والتذاكر، اما انا فقد سارعت الى مشاهدة شط العرب والبواخر الكثيرة الراسية فيه والحركة غير المألوفة عندي في جوانبه. وهذه المشاهد كانت بالنسبة لي عجيبة وغريبة، وفيما كنت اتجول سمعت من يناديني بصوت عال وإلحاح استجبت للصوت فاذا هو احد افراد البعثة يطلب حضوري امام مدير محطة القطار. ذهبت معه ودخلت مكتب المدير فاذا بي اشاهد هنديا، ضخم الجثة عريض المنكبين اسمر حالك السمرة، غطى رأسه وشاربه وحاجبيه شعر كثيف ابيض ناصع البياض. كان جالسا امام مكتبه نظر الي نظرة فاحصة ثم هز رأسه وقال لا بأس، خرجت وانا لا اعرف ما هو الغرض من استعراضي بهذه الصفة. وفي الخارج سألت كما اظن الشملان ما هو القصد من استعراضي بهذا الشكل فقال طلبنا لك تذكرة سفر مخفضة بالقطار الى بغداد فلم يوافق المدير واصر على حضورك ليراك. وفعلا اعطيت لي تذكرة بنصف الاجرة (مما يجدر ذكره هنا ان حكومة البحرين اعطتنا نقدا مبلغا معينا لمصاريف سفرنا بحيث يكون لكل فرد منا حصة متساوية فيه).

وصلنا بغداد بالقطار ونزلنا في فندق يقع على شارع الرشيد وكان هو الشارع الوحيد والمهم في بغداد آنذاك وكان عدد عربات الخيول التى تسير

فيه اكثر من عدد السيارات وهى تستعمل بـدل سيارات الاجرة. كانت المهمة هنا هـى ترتيب سفـرنا بـالسيارات الى بيروت وكـان للاخـوة كامل الحريـة في الخروج والتجوال امـا انا فقـد حظر علي الخروج مـن الفندق خـوفا علي، كما كانوا يدعون وصدعت لامـرهم. فكنت اجلس امام الشباك المطل على شارع الرشيد اشاهد حركة المرور.

كـان لا بد لي وانـا في بغـداد ان ازور زوجـة جدي الشيـخ عبدالـوهـاب فكلمت الاستاذ احمد العمـران مذكرا ايـاه (كونه الـوصي علي) فقال لا بأس. وفي اليـوم التـالي ذهب معـي الى بيت زوجـة الجد مستقلين احـدى عـربـات الخيل. وهنـاك قابلنا زوجـة الجد وبعض اقاربها ثم عـدنا الى الفنـدق. وهذا هو كـل ما رأيتـه في بغداد في هـذه الرحلة. سـافرنـا من بغـداد باتجاه بيروت وكان السفـر بالسيـارات العاديـة، ولو انه كـانت هناك بـاصات اخـرى اوفر راحـة من السيارات العـادية، تـديرهـا وتسيرهـا شركة انجليـزية يطلق عليهـا شركة نيرن. ولكن حبا في تـوفير المصاريف اختار الاخوة السيـارات العادية. كـان سفرنـا في الصباح، وكـان اتجاهنا مـركز (الـرطبة)، آخـر حدود العـراق الغربية. وهى عبارة عن قلعة وسط الصحراء المخيفـة، وصلناها حوالي الثالثة بعد منتصف الليل ولم تكن هنـاك طرق معبدة بل طرق صحـراوية ذات تراب نـاعم كـالبودرة مـلأ خيـاشيمنـا وحلوقنـا، وكنـا ونحن نسير في تلك الليلـة المظلمـة، نسمع بين حين وآخـر رغـاء البعـاريـن فنـرتعـد من الخوف لما كنـا نسمعه ويشـاع من وجود قطاع طرق في تلـك المنطقة، ونظرا لوعـورة الطريق وتزاحمنـا في السيارة وخوفنـا مما سمعناه ومـن الظلمة والوحشـة لم نستطع النوم ولكن مـا ان دخلنا القلعة (قلعـة الرطبة) حتـى استسلمنا لنوم عميق مـن اثر الخوف والقلق ناهيك عن التعب والجلوس غير المريح في السيارات.

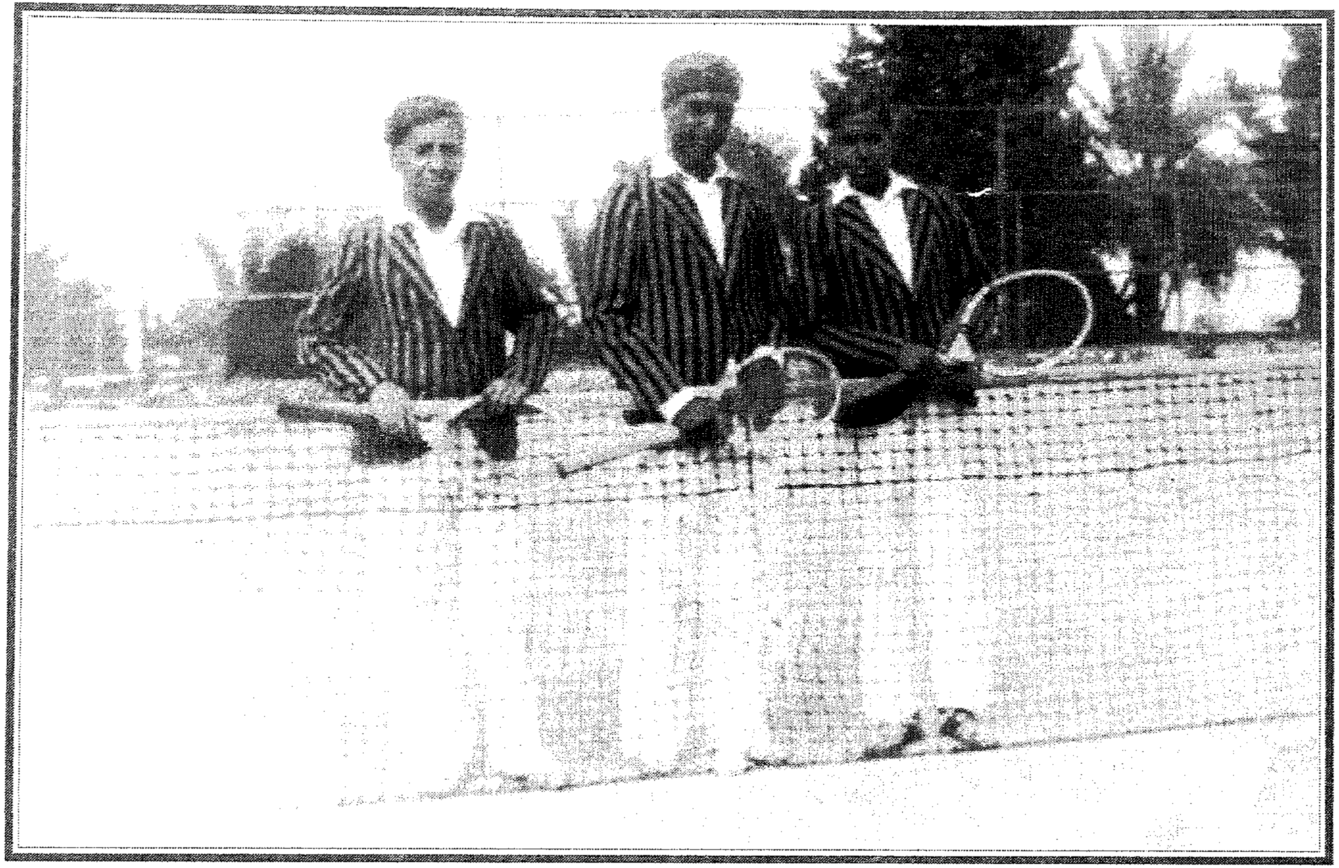
بعد طلوع الشمس واصلنا المسيرة بعد ان تناولنـا فطورا بسيطا باتجاه مدينة دمشق. فـوصلنـاها حـوالي الظهـر. هنا انفـرجت أسـاريرنـا فـالطرق معبـدة والاكل وفير. لم نبق في دمشق الا بضع سـاعات واصلنا على اثرهـا السفر الى بيروت وما كادت السيارة تمتطي ظهـر الجبل ويهب علينا نسيم لبنان الطري،

حتى غشانا نعاس ورحنا في سبات عميق لم نستيقظ منه الا ونحن في حوش الجامعة.

عينت لغالبية البعثة غرفة كبيرة بها ثمانية أسرة ولم يشاركنا فيها ثلاثة من البعثة هم الشيخ عبدالله بن ابراهيم والشيخ خليفة بن محمد آل خليفة والشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة فقد استقل كل منهم بغرفة خاصة في الطابق الارضي. الحياة في بيروت تلك الايام كانت غريبة بالنسبة لحياتنا البحرينية من حيث لهجة الكلام والطباع والتفاهم وكذلك من حيث نوعية الاكل وطريقة طهيه. ففي البحرين تلك الايام لا نعرف الزيتون والجبنة واللبنة. وكان السمن المستعمل للطبخ عندنا السمن الحيواني بينما في لبنان يستعمل زيت الزيتون. وبطبيعة الحال لم نستسغ الاكل كما عهدناه في بلادنا وبدأنا نشتكي ونتشكى حتى ان بعضنا وانا منهم كتب الى اهله يشتكي من نوع الاكل وطعمه.

لم يكن احد من اهل البحرين في ذلك الزمان يلبس اللباس الافرنجي. ولما تشكلت البعثة اصبح لزاما علينا ارتداء الزي الافرنجي ففصلت لنا البدلات الافرنجية على يد خياطين هنود بدائيين لبسناها متباهين بها وبتفصيلها. ولكن ما كدنا نصل بيروت حتى ادركنا ان تفصيلها لا يتناسب مع آخر الموديلات المتعارف عليها هناك، وقد لاحظ ذلك السيد معاصري المسئول عن مصاريفنا والمشتريات الخاصة بنا، فأخذنا الى سوق الطويلة في بيروت حيث كسينا ببدلات حديثة الموديل تتناسب والمحيط الذى نعيش فيه.

بعد استقرارنا في اماكننا جلس الاخوة في زاوية من زوايا غرفتنا الكبيرة بينما كنت جالسا على سريري في الزاوية المقابلة، واخذوا يحسبون مصاريف الرحلة وتوزيع ما تبقى من المبلغ المستلم من الحكومة، وطبعا كان التوزيع بالتساوي. وكما قلت لم اكن جالسا معهم ولما توصلوا الى تعيين المبلغ المطلوب لتوزيعه على كل فرد منا اعترض المرحوم الشملان وقال انتظروا يا اخوان، راشد، لم يحسب عليه الا نصف تذكرة في الباخرة، وكذلك القطار، لذلك يجب ان ندفع له ما يعادل النصف الآخر، ثم نقسم الباقي بالتساوى، فأعيدت الحسبة واستلمت نصيباً اكبر.



ثلاثة من أعضاء البعثة بملابس التنس ايام زمان
من اليمين: المؤلف راشد الزياني - عبدالعزيز الشملان - عبدالرحمن المعاودة

قبل دخول الجامعة كان لا بد من فحصنا طبيا على يد عدد من الاطباء، اصطففنا في طابور ليأخذ كل منا دوره ولما جاء دوري وفحصني طبيب الصدر والقلب لم يمررني مع بقية التلاميذ بل ركنني جانبا واخذ يفحص غيري فقلت في نفسي، يا حافظ يا حفيظ، هل معنى هذا اني سأرفض؟ ولكنه بعد قليل عاد الي ومعه طبيب آخر واخذا يفحصانني من جديد ويتحدثان بكلام لم افهمه. لا بل واستدعيا طبيبا ثالثا. وبعد حديث ومناقشة فيما بين الثلاثة دام بضع دقائق سمح لي بارتداء ملابسي ولم اجرؤ ان اسألهم عن السبب خشية المفاجأة بشيء لا يسرني او يكدرني. ومع اني سررت بتمريري من الفحص الطبي دون معارضة، الا ان الشك ظل يخامرني وبعد مضي فترة من الزمن، اضطررت لمراجعة طبيب الجامعة مشتكياً من الاستيقاظ فزعاً اثناء النوم بين حين وآخر، فأجرى الفحص علي وقال لم اجد بك مرضا يوجب العلاج. ولكن الاستيقاظ المفزع ظل يراودني فعدت اليه مرة اخرى فقال سأرسلك الى طبيب متخصص في مستشفى الجامعة، ذهبت الى مستشفى الجامعة ومعي كتاب من طبيب الجامعة. ولما حضر الطبيب المختص وكان لبنانيا ضخم الجثة بدأ يفحصني بدقة وتمعن ثم امر الممرضة بأن تحضر له آلة طبية خاصة للفحص. وبعد الفحص الاخير، قال للممرضة وهو غاضب اكتبي للدكتور فلان، يقصد طبيب الجامعة، هذه الرسالة التالية، وكان يمليها عليها بصوت عال جهوري يكاد يسمعه كل من كان بالمستشفى «لقد فحصنا مريضكم ولم نجد به أي مرض والافضل ان لا تشغلونا بامر تافه كهذا. ولعل تلميذكم هذا متلاعب او كسلان ويتعذر بأعذار تافهة فأوقفوه عند حده.. الخ». ختم الرسالة بعد ان امضاها وسلمها لي قائلا خذها الي طبيبك بالجامعة. اصابني ذهول وتصبب العرق من جسمي وفكرت ماذا اعمل هل آخذ الرسالة الى طبيب الجامعة واسمع منه كلمات توبيخ قاسية علاوة على ما سمعت من هذا الاخصائي او اخفي الرسالة واسلم امري لله. قررت عدم توصيل الرسالة واخفيتها وابتعدت عن مراجعة الطبيب والظاهر انه لم يتذكر امر ارسالي غير ان الاستيقاظ المفزع ظل

يراودني بين حين وآخر ولما رجعنا الى البحـرين زاد وتكرر فالتجأت الى استاذي احمد العمـران استشيره في الامـــر، فــاصطحبنـي الى مستشفى الارســاليــة الامريكيـة. وهناك فحصني الطبيب الامـريكي المدعو دكتـور ديم Dr. Dame الفحص الدقيق وقـال، كما فهمت منه، كل ما بـك هو ان حجم قلبك كبير بالنسبة لصغر جـرمك وانه يحتاج بين حين وآخر لزيادة كمية الـدم المتدفقة فيه فيخفق بسرعـة مما يـزعجك. وانـه بعـد تقدمك في السـن سيزداد كبر جـرمك ويزول ما بك.

هكذا افهمت تحليلـه في ذلك الوقت وواقع الامر انـه بعد مضي سنتين زال عني ذلك الخفقان المفزع. فهل اطباء الجامعـة الذين فحصوني مع بقية الاخوة اثناء تسجيلنا وترددهـم له علاقة بذلك. . لا ادري!

وزعنـا على الصفـوف بعـدمـا جرى فحصنـا طبيـا وعين لنـا ان نكـون في صفوف تحضيرية لكي نتقوى في اللغة الانجليزية ما عدا الاستاذ احمد العمران فقد اعفي من ذلك وادخل الصف المناسب له. كـان النظام في الجامعة شديدا يختلف عما هو عليه الآن فأولاً: ممنوع التدخين منعـا باتا ويعاقب من يدخن. وكـان بعض الاخـوة من بيننـا اعتـادوا التدخين فيضطـرون الى الاختفـاء بين الاشجـار البعيدة وبكـل حذر يشعلـون سجـائرهم. وكـان الخروج من بـاب الجامعة ممنوعا الا ثلاث مرات في الشهـر: ظهريتان لرأس بيروت، ويوم واحد للمـدينة ومن يخالـف ذلك يفصل من الجامعـة. وكـان بواب قسمنـا شديـدا وحذرا لا يسمح لنـا حتى بالتجول في القسـم الآخر من الجامعة حيث تـوجد الفصـول العليا الا في ايـام العطل. وكنت بطبيعتـي احب الريـاضـة وممارسـة الالعاب الرياضيـة، ومع انه في قسمنا كان يوجـد ملعب كرة، الا ان ملاعب التنس كلها كانـت في القسم الآخر من الجامعة حيث توجـد الصفوف العليا. وكان المرحـوم الشيخ خليفة بن محمـد آل خليفة مولعـا ايضا بـالرياضـة ويجيد لعبـة التنس الارضي، فطلبت ان ارافقـه الى مكان تلـك اللعبة لتعلمهـا. قبل دخولنا الملعب اعطاني بعض الارشادات وأفهمني أصـول اللعبة وقواعدها، ثم نزلنا الى الملعب وقد اخـذ مني الحماس مبلغه فلما ضرب الي اول كرة، تصديت

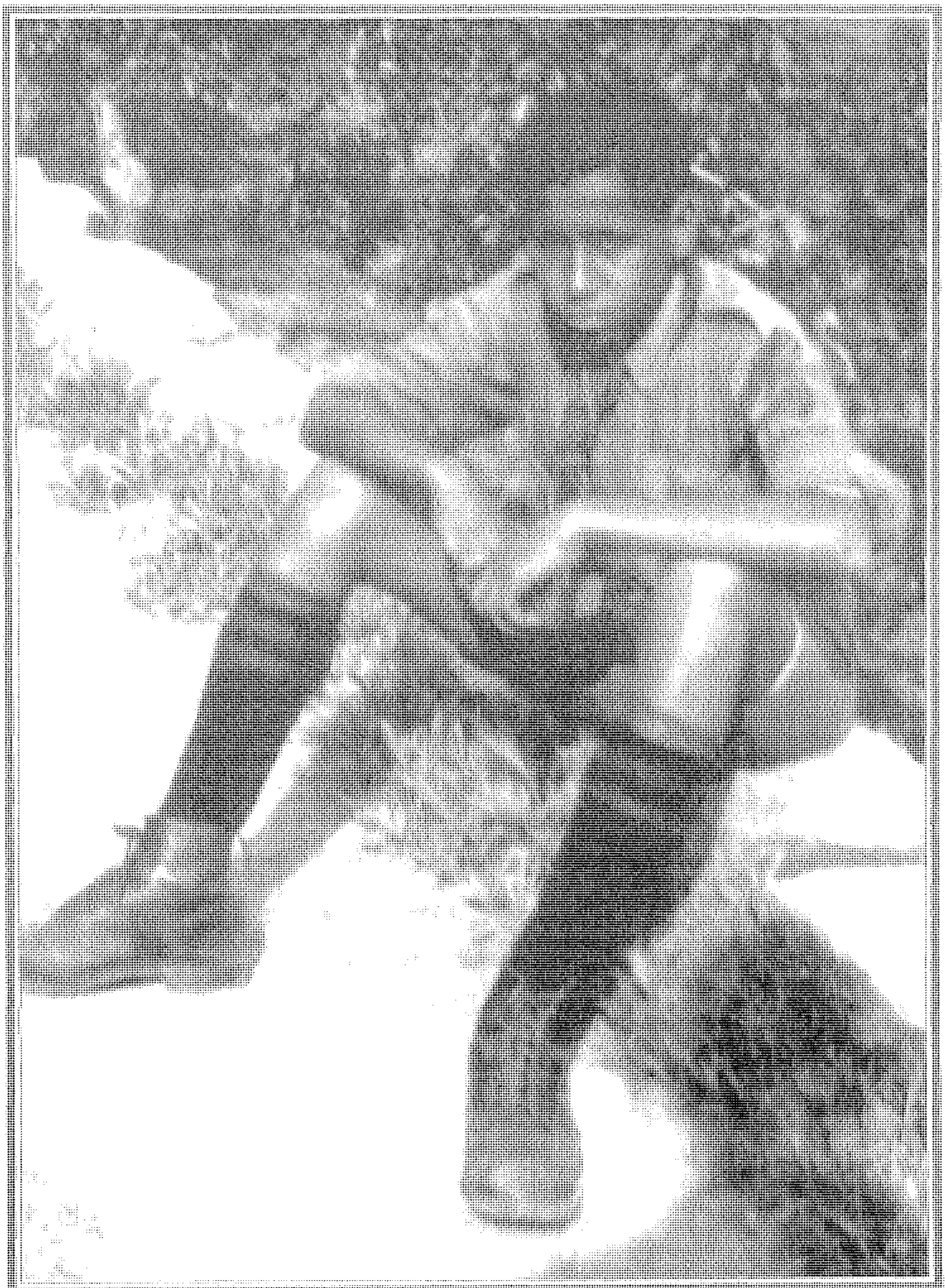
لها وضربتها راجعة بقوة هائلة فطارت في الهواء منطلقة خارج الملعب ومخترقة زجاج احدى نوافذ الغرف المطلة على الملعب فانزعج ساكنوها واسرعوا لفتح الشبابيك لمعرفة الفاعل. اما انا وزميلي فقد سارعنا الى الاختفاء خلف الاشجار المجاورة. وبعد مضي بعض الوقت والاطمئنان لعدم مساءلتنا عدنا الى الملعب وهنا لامني زميلي وابدل موضعي في الملعب المواجه للبناية حتى لا يتكرر ما حدث.

في المساء بعد العشاء مباشرة نتواجد لمدة ساعة في قاعة كبيرة للمذاكرة ثم نخرج للاستراحة لمدة ربع ساعة، وبعدها نواصل المذاكرة لمدة ثلاثة ارباع الساعة ثم نذهب الى غرفنا للنوم. وفي خلال نصف ساعة تطفأ الانوار في الغرف ويطوف المفتش متجولا من غرفة الى اخرى ومعه مصباح كهربائي للتأكد من ان كل فرد منا في سريره.

كانت الحمامات في الطابق الارضي ولا يوجد فيها ماء حار، حتى في الشتاء وايام البرد القارص الا مرة في الاسبوع. ويكون ذلك في ليلة معينة وقبل النوم حيث نصطف في طابور، يقوم الاستاذ بتوجيهنا فردا فردا الى دوش دافىء بحيث لا نستقيم تحته اكثر من دقيقة واحدة. ولما كنا قد تعودنا الاستحمام بين حين وآخر في بلادنا وجدنا هذا الاسلوب مجحفا بل ومقرفا.

اني بطبيعتي كما ذكرت احب التريض والرياضة، فكنت اخرج كل صباح واذهب الى ملعب كرة القدم المجاور لبناية سكننا، اركض حول الملعب ثم والعرق يتصبب مني اضطر للذهاب لاخذ حمام. فكنت عندما اجد الماء وهو يندفع في برودة قاسية لتعذر وجود الماء الحار، اشجع نفسي واحمسها ثم ادفع بجسمي النحيل تحت هذا الدوش البارد لمدة ثوان وابتعد عن الدوش واستعمل الصابون ثم اعود الى الدوش البارد وامري لله. انما والحق يقال اني كنت اشعر بعد ذلك بحيوية ونشاط.

كان يغالبني النوم اثناء المذاكرة الليلية وكان لا بد من الحضور فاتخذت طريقة اقوم بموجبها تحضير مذاكرتي اثناء النهار وفي فصل المذاكرة الليلية، عندما يغلبني النوم اضع كتبي فوق بعضها على الطاولة امامي وأرخي رأسي



المؤلف راشد الزياني بملابس الكشافة في الجامعة الامريكية في بيروت

عليهـا وانـام. يأتي المفتـش ليوقظنـي فأقـول لـه اني انهيت مـذاكـرتي فيتركني وشأني ولكني في النصف الاخير من السنـة الدراسية تمكنت مـن الاستفادة من النظام المعمول به آنـذاك وهو انه اذا كان معدل علامـات التلميذ ٨٥ فما فوق فله الحق ان يتغيـب ويترك القاعة بعـد الفترة الاولى من المذاكـرة واحمد الله ان كانت علاماتي كذلك، فاصبحت أحضر المذاكرة الاولى فقط واذهب للنوم مبكرا.

ادخل افـراد البعثـة في الكشافـة التي يشرف عليهـا استـاذان امريكيـان وفي اثناء احدى العطل قررا ان يأخذا الكشافـة الى الجبل فركبنا السيارات الى مدينة «عالية» بـالجبل ثم نزلنا وسرنا مشيا في طـابور الى قرية سوق الغـرب وصلناها قبل المغرب بقليل لم ندخل القرية بل عسكرنـا خارجها في العراء وكان كل منا يلبس لباس الكشافـة ويحمل فراشه على كتفه، كـان الجو باردا فجمعنا بعض الحطب، واشعلنـا فيهـا نارا كبيرة ثـم جلسنا حـولها للتـدفئـة والسمر وتنـاول العشاء، ثم فرش كل منا فراشه للنـوم، الذى لم يكن نوما مريحا بسبب وعورة الارض تحت الفـراش الخفيف وبـرودة الجو. في الصباح بعـد الفطـور البسيط اصطففنا في الطـابور وصدرت الاوامـر ان نعود الى بيروت والجامعـة من هناك (أي من سـوق الغرب) مشيـا على الاقـدام، نفذنـا الاوامر واتجهنـا الى بيروت وكنا احيـانا نسير في طـريق معبدة، واحيـانا نخـرج الى طريق وعـرة، بعضها نـزول في واد والآخـر صعـود الى مـرتفـع، لم نتـوقف الا لبرهـة قصيرة لتنـاول (ساندويشـات)، وصلنا فرن الشباك، اول بيروت، حوالي المغـرب، وهنا بدأ الاعيـاء والتعب يظهر علينـا كلنـا ولكن البعض لم يستطع المشي حتى خطـوة واحـدة. كـان لا بد لنـا لأن نصل الى الجامعـة ان نقطع بيروت ونظـرا لطـول المسافـة سمح لنا بركوب الترمـواي الى الجامعة. عند وصولنـا اليها، لم يتمكن بعض الاخـوة بسبب الاعيـاء والتعب من الـذهـاب الى غرفهـم، فوضعـوا في جناح خاص في الطابق الارضي معد لعزل المرضى في الحالات الضرورية لحين نقلهم للمستشفى واحمد الله اني قد تحملت التعب فلم انم في هذا الجناح.

هذه بعض امثلة للحياة الجامعية في ذلك الزمان، وكيف انها كانت شديدة وصعبة بالنسبة لما تسير عليه الجامعة نفسها هذه الايام.

جاء الصيف فالتحق الغالبية من افراد البعثة بالمدرسة الصيفية الكائنة في سوق الغرب. في هذه المدرسة كان يدرسنا الرياضيات استاذان بالتناوب. وفي نهاية الصيف، ذهبت والاخ الشملان لمقابلة استاذ الامتحانات للاستفسار عن علاماتنا وكان معروفا عن هذا الاستاذ انه شديد وقاس، فقال لي اني سقطت في الرياضيات مع اني اجيد الرياضيات واحصل فيها على أعلى الدرجات دائما. ذهلت وذهل معي الشملان وقال للاستاذ كيف يكون ذلك والزياني من ابرع التلاميذ في الرياضيات وكلنا نقر له بذلك، اصر على قوله اما انا فقد غلبني البكاء والنحيب ولكن الشملان، رحمه الله، بادر في ملاطفتي وقال نذهب للاستاذ معاصري مدير المدرسة وهو في نفس الوقت استاذ الرياضيات الآخر الذى اشرت اليه آنفا. ذهبنا اليه، ولما اخبرناه استنكر الامر وقال انا ايضا ادرسكم الرياضيات والزياني افضل التلاميذ في الرياضيات عندي! هدأ من روعي وحزني وقال انه سينظر في الامر ولما عدنا الى بيروت وعرضت النتائج على مدير الجامعة وكان امريكيا يدعى (لوفت) ارسل علي وقال وصلتني نتيجتان متعارضتان عنك، ولكن مدير المدرسة الصيفية اقترح ان اعطيك فرصة وهو ان اقبل بنجاحك وارقيك الى صف اعلى لمدة شهر، وعند خروج نتائج ذلك الشهر نقرر فيما اذا انك تستحق البقاء في هذه الترقية ام لا

قبلت بذلك وشكرته، وبعد شهر بينما كنا جالسين في قاعة المذاكرة الكبيرة، وزعت علينا نتائجنا الشهرية فكانت علامتي في الرياضيات ٩٣ اخذ جيراني في المقاعد يتداولون ورقتي مستغربين هذه النتيجة العالية. اخذت ورقة نتيجة علاماتي الشهرية الى المدير الامريكي (لوفت) ولما اطلع عليها هنأني عليها وقال إذاً تبقى في هذا الصف، بما يعني اني بترقيتي هذه، درست دراسة سنتين في سنة واحدة.

اثناء وجودنا بالجامعة حدث ان توفى احد التلاميذ من ابناء غزة، فأقيم له حفل تأبين يتخلله انشاد حزين باللغة الانجليزية قام به عدد مختار من التلاميذ بتوجيه من مدير الجامعة وكنت احدهم ولكن اختياري كان ذا ميزة

خاصــة، اذ كنت المنشد الـرئيسي، اما البـاقون فكـانوا الـردادة ولا اعرف لماذا اخترت لذلك يا ترى هل كانت نبرات صوتي يغلب عليها الحزن؟ الله اعلم.

قبل نهايـة السنة الثـانية سمعنـا ان الانجليز اوقفـوا الاستاذ عثمان الحوراني وقرروا نفيـه من البحرين. فـاجتمع الاخوة وقرروا ارسـال برقيـة احتجاج من البعثة فكـانت هذه البرقيـة هى القشة التـى قصمت ظهر البعير، فعنـد ارسال البعثة الى بيروت كان المستشار بلكريف في اجـازة خارج البحرين، وكان يحل محله كـابتن بارك مـدير الشرطة، والمشهـور عن بلكريف انـه يرى ان لا يتعلم ابناء البحرين اكثر من القراءة والكتـابة والنزر اليسير من الحسابات. فلما رجع من الاجـازة لم يجد مجالا لسحـب البعثـة ولكن بـرقيتنـا هـذه اعطتـه الفـرصـة السانحة لسحب البعثة فأصدر امره بسحبهـا وامرنا بالعودة. ويقال انه زعم او ادعى بأن مصاريفنا كانت باهظة لا تستطيع الميزانية تحملها. طبعا عدنا بنفس الطريق الذى أتينا منه.

الباب الخامس

ما بعد عودتي
من الجامعة الامريكية في بيروت

ما بعد عودتي من الجامعة الامريكية في بيروت

لم اكن اعرف قبل سفري مع البعثة عن احوال والدي المالية شيئا، فالآباء في ذلك الزمان لا يطارحون ابناءهم الحديث عن احوالهم المالية، ولا يجرؤ الابناء سؤال آبائهم عن أي شيء من هذا القبيل. كنت اتصور اننا اغنياء نملك ثروة طائلة ولكن بعد عودتي وجدت الامر مختلفا عما تصورت، خاصة واني كبرت وتوسعت مداركي، وجدت والدي يشكو من ضيق مالي ويتأفف من الاعسار. في نفس الوقت وجدت البلاد تقاسي ركودا اقتصاديا كبيرا وان الكساد قد ضرب اطنابه فيها شاملا سوق اللؤلؤ عمل والدي ومورده المالي الوحيد.

كان لدي بعض التوفير من مصروفاتنا بالجامعة وكان معي كذلك الاربع ليرات او الجنيهات الذهبية التى وضعها والدي في شنطتي يوم سفري وأوصاني ان لا اصرفها الا عند الضرورة. سلمت الجميع لوالدي فكان لها وقع جميل عنده فتح لي مجال الحديث معه عن احوالنا المالية. فأخبرني اننا مدينون بديون هي ليست علينا ولكنها على تركة والدنا الشيخ عبدالوهاب.

لم يكن لدى والدي دفاتر تجارية توضح مقدار تلك الديون والموجود لديه فقط قوائم من الدائنين مرفق مع كل قائمة منها كتاب موجه للوالد، يطلب التسديد، والوالد لا يرد الا على بعض المتشددين منهم. شمرت عن ساعدي ونظمت هذه القوائم واحصيتها فاذا بي اجد ان مبالغها كبيرة ووالدي لا يملك اقل القليل منها. هنا طرأت لي فكرة عرضتها على والدي وهي ان هذه الديون على شخص متوف، وقد بعنا كل ما كان يملك لتسديد غالبية ديونه بحيث اصبح لا يملك شيئا آخر لمقابلة البقية الباقية من تلك الديون. فجميع الاملاك بعناها والتركة من اثاث وملابس وامتعة وحتي موجوداتنا الشخصية حرجنا عليها، ونحن في نفس الوقت لا نملك مالاً او ملكاً للمساهمة في تسديد ما تبقى من دين. فلماذا لا نكتب للدائنين نخبرهم بالحال ونطلب منهم ابراء ذمة المرحوم؟ استحسن والدي الفكرة بعد تردد وترك لي السير

فيها، فعلاً باشرت بارسال رسائل منسقة تجلب العطف فجاءتنا الاجوبة من لنجة (ايران) ومن الكويت ومن الهند بالموافقة على الغاء باقي دينهم اما جدة فكان الجواب محاولة لالغاء قسم منه، انما بعد اخذ ورد، قبلوا بإلغاء بقية الدين ايضا. ولم يبق بعد ذلك الا البحرين، فكان الدائنون اربعة تجار وافق اثنان منهم بالغاء الدين بمجرد ان فاتحناهما. واذكر ان احدهم قال لي عندما عرضت عليه قائمته «يا ولدي ان جدك نعتبره ابا لنا جميعا ولا ننكر فضله واني منذ سمعت بوفاته اعتبرت ديني ملغيا». اما التاجران الباقيان فوافق احدهما على تخفيض الدين بمقدار ٢٠ في المائة على ان ندفع له خمس روبيات شهريا. وكان دينه حوالي ٨٠٠ روبية اما الآخر فكان دينه اعلى من ذلك في حدود خمسة او ستة آلاف روبية، فقد هددنا بالمحاكم ثم قدم دعوى علينا مطالبا إيانا بتسديد المبلغ رغم اطلاعه على اعسارنا ورغم أنه كتب الينا في جوابه لطلبنا منه بالاعفاء شأنه شأن الآخرين كتب هذه العبارة «اني لست بأشر خلق الله». ولما اعيتنا الحيلة لمطالبته بالعدول عن مطالبتنا التجأ والدي الى المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة ملتمسا منه التوسط واقناع ذلك التاجر المتشدد بالغاء الدين على نحو ما فعل الآخرون ولكنه مع الاسف لم يوفق الا الى اسقاط قسم منه فتحاملنا على انفسنا، وبعنا ما امكن بيعه من باقي موجوداتنا الخاصة لتسديد هذا الدين الاخير واغلقنا دفاترنا بالنسبة للدائنين. وبقى علينا بعد ذلك مخالصة الورثة الذين كانوا يظنون ان مورثهم قد ترك ثروة طائلة. والورثة هم زوجة الجد البحرينية وزوجته الاخرى البغدادية وابنته رقية. ذكرت انهم - أي الورثة - يظنون ان مورثهم قد ترك مالاً غفيراً وهنا اوضح كيف امكن اعلامهم بصورة الواقع ثم المخالصة معهم.

ابدأ بالزوجة البحرينية: كان والدي يعتبرها كوالدة له سيما وانه قد فقد والدته وهو في سن الطفولة. فكان يحترمها احتراما عظيما رغم قسوتها - سامحها الله وغفر لها - على والدتي وعلينا جميعا وكانت تتولى ادارة البيت ولا تسمح لوالدتي بالاقتراب من شؤون البيت وكان يحيط بها عدد من عبيد اهلها يهيؤون لها اسباب الشدة ووسائل القسوة على والدتي وعلينا. واضرب

هنا مثلا لما كـان يعمل هؤلاء العبيد. كنت صغيرا وفي سن ربما لا اعـرف فيه النـافع من الضار. ويظهـر اني كنت كثير الحركـة وما يسمـونه بـذلك الـوقت «الشيطنة» فاتخذوا من كثـرة حركتي او صراخي وسيلة للتذمر والايعـاز لوالدتي بتأديبي. وربما كـرروا ذلك على مسامعهـا مرات عـديدة، فما كـان منها، ربما دون وعي او تحت تأثير ايحائهم، الا ان سحبتنـى من يدي الى داخل ليـوان في بيتنـا خصص لتحضير القهوة والشـاي، وكـوت ظهر يـدي اليسرى بمحماس القهـوة الحديدي الـذى كانت قـد وضعتـه في النار حتى احمرّ. كل هـذا لتبرر موقفها امـامهم بانها تؤدبني. وأذكر انها لما تنبهت الى سـوء فعلتها ضمتنى الى صـدرها وهـى تبكي بمـرارة حتى فـاق صياحهـا صيـاحي وانـا اتألم من يـدي المشتعلة بـالالم الشديـد. ولازال اثر تلك الكيـة واضحا على ظهـر يدي اليسر حتى الآن. ومن قسوة الـزوجة المذكورة وعبيدهـا هو انه اذا ما حـدث ان دعا والـدى ضيوفـا، أي عمل «عـزيمـة»، تأمـر عبيدهـا بجمع الاطفـال كبيرهم وصغيرهم ذكـورهم وانـاثهم، وكان العـدد كبيرا، وتـدخلهم في احدى غـرف الخدم وتقفل عليهم بـاب الغرفة سـاعات طـويلة الى ان ينتهى فصل الضيـافة ويغادر الضيوف مجلسنا.

لكنها في آخر ايـامها، رحمها الله، اصيبـت بالخرف ثم توفيت فقام اخـوها يطـالبنـا بإرثهـا مـن زوجها واظنـه لجأ الى القضـاء، ولكـن في النهـايـة امكن التصالح معه على مبلغ بسيط.

امـا الزوجـة البغداديـة فبقينا على عـلاقة عـاديـة معها، وكـانت تسكن في بغداد مع شقيقتهـا زوجة الشيخ خميس الضاري رئيس قبيلـة زوبع، فخذ من افخاذ شمر. وكان جزاه الله خيرا يكرمها ويعزها حتى اختارها الله الى جواره.

في اثناء زيارتي لبغداد عام ١٩٣٦م فتحت معهـا موضوع المخالصة بعد ان اوضحت لها حالـة التركة وانه لا بـد لنا من بيع بيت المرحوم زوجهـا في بغداد لتسديد ديـونه وبعد رد وبدل وافقت، فتخـالصنا معها تخالصاً ودياً واكـرمناها حسب استطاعتنا الماديـة آنذاك. انما واصلنا مواصلتها واكرامهـا فيما بعد عندما اكرمنا الله وتحسنت احوالنا الماليـة، وزادت صلتنا واتصالنا بها اثناء زواج اخي احمد ثم زواجي في بغداد في اوائل الاربعينات.

اما الشقيقة رقية (اخت الوالد الوحيدة من ابيه) فزوجها، وهو ابن عمها، جعل يحرضها على ان تقاضي اخاها بل وطلب منها توكيله لمقاضاته. ولكنها أبت وامتنعت مما جعله يقسو عليها ويعاملها معاملة خشنة. ولما اوضح والدي لها - وكنت حاضرا مهيئا ورقة المخالصة - اوضح لها حالة التركة وما امكن عمله لتبرئة ذمة والدهما، شكرت وأبدت غاية الارتياح لبراءة ذمة والدها ثم قال والدي يا اختي احب ان اكتب بيني وبينك مخالصة خشية ما يحدث بعدنا فرحبت ووقعت المخلاص الذي ذكرت اني اعددته بكل طمأنينة وثقة. وقد تعهد فيه والدي بدفع مبلغ بسيط معين يدفع لها على دفعات. وقد طلبت من والدي عدم افشاء ذلك احتراسا من زوجها الذي كما ذكرت لم يكن يعاملها المعاملة الحسنة.

بعد تخلصنا من الدائنين ومن الورثة شعرنا اننا ولدنا من جديد. وكنت بعد عودتي من الجامعة قد التحقت بوظيفة مدرس للرياضيات بمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق لمدة سنة نقلت بعدها الى ديوان الحكومة الذي كان يرأسه مستشار الحكومة المستر بلكريف ومقره المنامة، وذلك في سنة ١٩٣١م، لأشغل وظيفة السكرتارية والترجمة حيث بقيت فيه مدة تقرب من ثماني سنوات. وقد شرحت في فصل آخر من هذه الذكريات مجريات الامور خلال تلك المدة.

كان كل دخلنا آنذاك من راتبي البسيط لدى الحكومة الذي ابتدأ بخمسين روبية شهريا (خمسة دنانير)، مضافا اليه دخل بسيط آخر يأتي من اعطاء دروس خصوصية باللغة الانجليزية لبعض الافراد ومن دخل دلالة اللؤلؤ يقوم بها اخي احمد في البحرين اثناء الصيف وفي بومبى اثناء الشتاء. وكان الحمل ثقيلا. انها ليست عائلة والدي فقط، بل عائلة المرحوم جدي وعائلة عمي المتوفى واتباعهم من عبيد وخدم وبعض الاعمام والاقارب الفقراء والعاجزين الذين اعتادوا العيش على حساب جدى الشيخ عبدالوهاب واعتبارهم والدي حل محل والده، وحتى اخته الوحيدة وهي كما ذكرت سالفا متزوجة من ابن عمنا، فكان زوجها لا يصرف لها أي مبلغ، بل يقول لها

خذي من ارثك عند عبدالرحمن وبهذه المناسبة اذكر مرة اني كنت مع والدي بالمنامة ذهبنا الى دكان يشغله بعض البهره استلف والدي من صاحبه عشرين روبية اخفاها في جيبه وسار متجها خارج السوق وانا اتبعه ولما خلا الى مكان غير مطروق توقف، وقال «تعال يا ولدي هذه عشرون روبية تذهب الى القضيبية وتسلمها لعمتك فهي قد طلبت مني ذلك وألحت» ثم اردف قائلا وهو يتحسر «يحسبون ان عبدالرحمن على كل شيء قدير». هكذا كانت حالة والدي وحالتنا في تلك الايام. واذكر اننا كنا نتغدى بخبز وشاي احمر فقط، اما العشاء فكان الرز مع السمك او اللحم خشية ان يستضيفنا ضيف في المجلس الذي بقى مفتوحا تجملا ولعدم اظهار الفاقة او الحاجة التى نمر بها.

سرنا على هذا الحال فترة من الزمن ولكنا لم نيأس من رحمة الله وكنت اذا استلمت الراتب البسيط اجلس الى والدي نقسم المبلغ بين تسديد الدين وبين الحاجة الماسة لمعيشتنا ثم لما من الله علينا وزاد دخلنا، سواء من زيادة راتبي او من دخل اخي احمد، بدأت احتفظ منه بحصة بسيطة اضعها في صندوق التوفير بدائرة البريد البريطانية (١) حتى وصل مجموع التوفير حوالى ٧٠٠ او ٨٠٠ روبية وهو المبلغ المشار اليه في صفحة اخرى من هذه الذكريات (٢) والذي به بدأنا عملنا التجاري.

اثناء فترة هذه المدة التعسة اذكر ان احد التجار من اهل الخير والبر والاحسان ادرك ما نحن فيه من حالة صعبة، فأرسل الى بيتنا في وقت كنا خارجه دابة محملة بالرز والتمر والسكر يرافقها رجل لم يبح باسمه او اسم المرسل وعندما سأله خادمنا من هو المرسل اجابه فاعل خير ولما سألنا الخادم فيما بعد قال لم يفصح عن اسم المرسل انما اكاد اعرف المرافق لهذه الصدقة فهو خادم التاجر الفلاني. كما عز على احد تجار اللؤلؤ من البحرينيين ان يجدنا وقد بعنا السفينة الوحيدة التى كنا نملكها، والتى كان يستعملها والدي

(١) كان البريد يدار من قبل دائرة الاعتماد البريطانية في ذلك الوقت ومقره واجهة من واجهات دائرة الاعتماد.

(٢) تحت عنوان قصتي مع العمل التجاري صفحة (١٥٣).

للـذهاب للطـواشة لشراء اللـؤلؤ من الغـواصين وعدم تمكنـه والحالة هـذه من الاستمرار ومبـاشرة عمله الـذى اعتاد عليه هـو وآباؤه - عـز على هذا التـاجر البحريني الشهم ان يرانا في تلك الحالة، وهو ليس مـن اقربائنا وكانت معرفتنا به معرفة سطحيـة، فزارنا في مجلسنا في احدى الليالي وقال لـوالدي وهو مطرق برأسـه «يا بـوراشد. . اني لا املك مـالا اساعـدك فيه لمباشرة تجارتـك المعتادة فحـالي مستـور، ولكنـي املك سفينـة اضـافيـة غير السفينـة التـى استعملهـا للطـواشـة (شراء اللـؤلـؤ مـن الغـواصين) كنت أؤجـرهـا في فصـل الصيف. وجئتك لأقـدم لك هـذه السفينـة لتستفيد منهـا في عملك دونما اطـالبك اجـرا لها». حاول الـوالد ان يعتـذر منه ولكنه اصر واقسـم الا ان نقبل ما عـرضه. شهـامة ومـروءة مقرونـة بحب الخير ومسـاعدة المحتـاج اتصف بها ابنـاء ذلك الزمـان ومارسـوها لا لغرض او نفع شخصي او مـادي بل لوجـه الله سبحـانه وتعالى.

اخـذنا السفينـة ولكن مـاذا نعمل بها ايـن الدراهـم للشراء والبيع؟ فـاتفق الوالـد مع قريب من اقـربائنا الفقـراء، ممن اعتاد ممارسـة عمل «المجنى»، أي الذهاب الى شواطيء البحرين الضحلة والتقاط المحار ثم فتحه وبيع ما يمكن ان يحصل فيه من لؤلـؤ رخيص وهذا العمل عادة يقوم به الافـراد الفقراء الذين لا يستطيعون الذهاب الى مغاصات اللؤلؤ المعتادة.

كنت من بين مـن حملتهم هـذه السفينة رغم وجـود قـرحة كبيرة على ظهـر قـدمـى اليسرى اثـر حـادث أصـابنـي في احـدى الليـالي المظلمـة قبـل عهـد الكهـرباء، فقـد كـان والـدي مدعـوا على وليمـة عشـاء عند عمتـي. وكنت بصحبتـه، ولما حـان وقت العشـاء أمرني والـدي ان اذهب الى المطبـخ وأطلب من عمتـي تحضير العشـاء. ذهبت مسرعـا للقيـام بهذه المهمـة وعنـد دخـولي المطبخ حطت رجلي اليسرى داخل قـدر مرق اللحـم الذى كـان قد انـزل لتوه من النـار وترك على الارض في محل مظلم ليبرد. صرخـت صرخة داويـة قلبت سرور الجميع في تلك الليلـة الى مناحـة وكدر وقـد أدى هذا الى حرق قـدمي اليسرى بكـاملها ثم تـورمهـا، واحمد الله ان العـلاج البـدائى البسيط في ذلك

الزمـان قد شفـى القدم من تـورمها مخلفـا قرحـة كبيرة على ظهر القـدم استمر علاجهـا وشفاؤهـا عدة اشهـر. ولما كان عمل المجنى المشـار اليه آنفـا يتطلب الخوض في البحـر في المياه الضحلـة او الغوص في الميـاه العميقـة ولما كنت من بين من حملتهـم السفينة لهذا الغـرض كما جـاء ذكـره آنفـا كان لـزامـا علي ان اشـاركهم النـزول الى البحـر. كـانت هـذه القـرحـة تـؤلمنى ألماً شـديـدا عنـد ملامستها لماء البحـر فكنت اتصبر، انما بعد ثلاثة او اربعة ايـام تورمت وشمل تـورمها الاجـزاء العليا من القـدم فاضطـررت للتـوقف عن النزول الى البحـر بضعة ايـام. كنت ألوم نفسي خـلالها من كوني لا استطيـع مشاركة الآخـرين مهمتهم.

كان اتجاهنا في السفينـة المشار اليها آنفاً الى السواحل الشرقيـة من البحرين حيث بقينا نتنقل مـن محل الى آخر مدة شهر تقـريبا امكننا خـلاله جمع بعض اللآلىء وبيعها فيما بعد بثمن زهيد يكـاد يغطى مصاريف الرحلة واني احمد الله على انه عنـدما تحسنت احوالنـا المالية، لم ننس فضل هـذين التاجرين وقـابلنا احسانهما ومعروفهما بمثله خـاصة الاخير صاحب السفينة، تاجـر اللؤلؤ. فقد تقدم سنه وضعف بصره وبسبب تدهور عمل اللؤلـؤ ساءت حالته المالية فكنا له خير صـديق وقابلنا احسانـه بالاحسان دون مـذلة او اهانة او منـة. وظللنا كذلك الى ان اختاره الله الى جواره.

الباب السادس

ثمان سنوات في ديوان الحكومة



دائرة حكومة البحرين في ١٩٣٠م. في الصف الأول وفي الوسط المستشار بلكريف وعن يمينه صقر الزياني رئيس كتّاب الحكومة ثم محمد خليل رئيس الطابو ثم عبدالله بن راشد كاتب المحكمة وعن يسار بلكريف نارين رئيس كتّاب السكرتارية . . وفي الصف الثاني من اليمين عبدالعزيز الصالح - محمد حسن الحسن وجعفر الصالح وفي الوسط السيد محمود العلوي.

ثمان سنوات في ديوان الحكومة

ذكرت آنفا (١) اني نقلت من التدريس في مدرسة الهداية الخليفية الى ديوان الحكومة برئاسة المستر تشارلس بلكريف مستشار حكومة البحرين وادارة سكرتير الدائرة، وكان هنديا يدعى نارين يشترك معه آنذاك كاتبان احدهما السيد محمود العلوي والآخر شخص زبيري الأصل يدعى عبدالعزيز الصالح. وكان اختصاص السيد محمود المالية والحسابات اما عبدالعزيز فكان يتولى قسم السكرتارية والترجمة. منذ أن التحقت بالوظيفة في هذا المكتب لاحظت عدم ارتياح عبدالعزيز من وجودي ولم أعرف سببا لذلك. ولكن بعد أن استقر وضعي أدركت السبب فقد كان نارين لا يحب عبدالعزيز لأمور لا أعرفها ولذلك استبشر بقدومي وكذلك كان السيد محمود. (ومما يجدر ذكره هنا ان العلاقة العائلية بين جماعة العلوي وبالأخص والد السيد محمود وجده مع والدي وجدي كانت علاقة صداقة متينة لم أعرف عنها أو أدركها إلا فيما بعد. وأحمد الله ان هذه العلاقة والصداقة المتينة توارثها أبناء العائلتين الى يومنا هذا). بدأت أستلم عملي تدريجيا، ولكن عبدالعزيز كان يضع العراقيل أمامي لتخوفه من أخذ مركزه. ولما استقر بي المقام وبدأت أسير في عملي سيرا طبيعيا، نقل عبدالعزيز الى دائرة الطابو وعهد الي استلام عمله اضافة الى عملي. لم يكن في الدائرة غير آلة طابعة انجليزية واحدة يطبع عليها نارين وكنت أراقبه مستغربا ومتعجبا وهو يطبع عليها وكيف انه يستطيع أن يلمس مفاتيحها دون أن ينظر اليها بل ينظر الى ما هو محرر في الورقة الموضوعة بجانب الآلة ولا غرابة في ذلك فإني لم أشاهد من قبل طابعة إذ كان الموجود منها والمستعمل في البحرين محدودا ومقتصرا على بعض المكاتب الكبيرة المهمة. اشتاقت نفسي ودفعني طموحي لتعلم ذلك ولكن كيف وهو يحتفظ بهذه الطابعة بجانب مكتبه ويحافظ عليها حتى انه كان يقفل غطاءها بالمفتاح

---

(١) راجع الباب الخامس صفحة (١٠٨).



الطابعة القديمة المشار اليها في صفحة (١١٧)

عند انتهـاء الدوام. ولم أكن أجـرأ أن أطلب منه السماح لي بـالتجربـة عليها. كان مـرتبي الشهري خمسين روبيـة (أي خمسة دنانير)، طبعـا لا أستطيع شراء طابعة. كنت حـريصا على أن أؤدي عملي وأنجز المعامـلات التي تكاثرت على مكتبي فقررت أن أبقى في الـدائرة بعد الدوام لإنجاز ذلك - مـع العلم بأنه لا يوجـد قانـون (أوفر تـايم) في ذلك الـزمان - مكتفيا بغـداء بسيط يكـاد يسد الـرمق مكـون مـن رغيف وقـدح لبن (مخيـض). وفي أحـد الأيـام وأنـا أقلب الدوسيهـات القديمة المبعثـرة في جوانب المكتب وأرتبهـا، وجدت تحتها طـابعة انجليزيـة قديمة أخرجتهـا من مكانها ووجدت انها عـاطلة وقد علاهـا الغبار الكثيف كما شل الصـدأ حركـة مفـاتيحها. حـاولت تحريك حـروفها فكـانت جامـدة. في اليوم الثـاني أحضرت معي قليلا من (الكـاز) وقليلا من الـزيت، ولما انتهى الـدوام، بدأت أعالـج تشغيلها حتى بـدأت حروفها تتحـرك، المهم بعـد محاولات عدة أمكن الكتـابة عليهـا ولـو ان حروفهـا كانت غير واضحـة ومتزنة. كان طموحي أن أطبع كما يفعـل نارين، طريقة اللمس، ولكن كيف أتعلم ولا أظن ان نارين سيعلمني كما اني لا أريد أن أكشف أمر هذه الطابعة خشيـة أن تـؤخـذ مني. فقـد كنت أخفيهـا تحت الـدوسيهـات المبعثـرة أثنـاء سـاعـات الدوام، غير ان تصميمـي وطمـوحي دفعـاني لأن أقف أمـام مكتب نارين متعذرا بسؤاله عن موضـوع أو ورقة، وفي نفس الوقت أراقبه وهو يضع أصابعـه على مفاتيـح الحروف وأطبق ما أراه تـدريجيا بعـد الدوام على الطـابعة القديمـة بعد أن أخـرجها مـن مخبأها. ولما لم يمض وقـت قصير حتى تمكنت من الطباعة باللمس انها طباعـة بطيئة وعندها قلت في نفسي «الحمد لله بالصبر والمثابـرة توصلـت في النهاية الى بلـوغ طموحـي». وفي أحد الظهـريات وبينما كنت أطبع على هـذه الآلة وكنت نـوعا مـا قد أجـدت الطباعة عليهـا، دخل المستشار بلكـريف الـدائرة وهي خاليـة إلا مني وهو ينـادي بصوتـه الجهوري «نارين - نارين» ظاناً ان الذي يطبع هو نارين. ولما لم يجد نارين دخل مكتبي المجـاور لمكتب نارين مستغـربا وقـال «أو راشد أنـت تعرف تطبع طبع ممتـاز» قلت أحـاول بالـرغم من قدم الطـابعة. وفي اليـوم الثاني اشتريـت آلة طـابعة

جديدة ووضعت أمام مكتبي وزيد راتبي خمس روبيات، كما عهد لي بمساعدة نارين في طبع بعض المكاتيب الصغيرة.

كان بلكريف يستطيع الى حد ما قراءة بعض المكاتيب العربية خاصة تلك التي تأتي من الديوان، فهو يفتحها ويقرأها بنفسه، اما الأخرى فكان يرسل لي بعضها للترجمة أو يستدعيني الى مكتبه وأفتحها بحضوره وأقرأها عليه فيبدي جوابه باختصار وأقوم أنا بعدها بكتابة الجواب بالطريقة الصحيحة. لم تكن عندنا طابعة عربية ولا توجد في أية دائرة من دوائر الحكومة طابعة عربية في ذلك الزمان إذ كانت غير معروفة. فالمكاتيب العربية كلها كانت تكتب بخط اليد.

كانت دائرتنا تشغل القسم الشمالي الغربي من البناية، بينما تشغل دائرة الطابو القسم الجنوبي الغربي منها. اما القسم الشرقي فكان به مكتب المستشار، ويقع في الشمال الشرقي، ثم المحاكم مع دوائرها. كان من بين موظفي دائرة الطابو زميلنا في البعثة الأستاذ كمال المهزع. المذكور أخذ اجازة ثلاثة أشهر ذهب خلالها الى البصرة حيث تلقى تعليما وتدريبا للطباعة على الطابعة العربية. ولما عاد اشترت دائرة الطابو طابعة عربية كانت الوحيدة الموجودة في دوائر الحكومة وأصبح الأستاذ يتفاخر بها علينا. طبعا أخذت الغيرة نارين، إذ كانت بينه وبين محمد خليل الباكستاني رئيس ادارة الطابو منافسة شديدة، فطلب من المستشار أن يشتري طابعة عربية. ولما اشتريت وسلمت لي، وجدت ان الطباعة عليها تختلف عن الطابعة الانجليزية.
فطلبت من الأستاذ كمال ان يرشدني الى طريقة الطباعة عليها فكان جوابه اني أحتاج لأن أذهب الى البصرة لعدة أشهر كما فعل وأتعلم هناك. غير اني لم أيأس وطبقت ما تعلمته مع نارين من مراقبة طريقة طباعته وبدأت أتمرن حتى تمكنت من الطباعة الصحيحة بطريقة اللمس عليها أيضا. مضت السنوات الأولى من عملي في الدائرة بسلام واطمئنان، غير انه ما كاد يبدأ المستشار بلكريف يعهد رأسا الي بأعمال وكتابات أقوم بها (خلافا لما كان يجري سابقا عندما كانت تأتيني عن طريق نارين) حتى دبت الغيرة في قلب

نارين وبدت منه أمور مؤسفة توحي بغيرته مني. مع اني لم أسع الى ذلك سيما وان المستشار قد زاد من تقريبي اليه واعتماده علي في بعض الأمور دون وساطة نارين مما حدا بنارين ليضع العراقيل في طريقي. وفي يوم من الأيام أرسل علي المستشار وقال منزعجا «راشد أنا أرسلت مسودة كتاب لترجمته وطبعه ليرسل للديوان باسم سمو الشيخ والآن مضى على ذلك ثلاثة أيام وأنت لم تنجزه» أجبته اني لم أستلم ذلك قال «عجيب أنا أمرت الفراش علي (رئيس الفراشين) أن يسلم ذلك اليك. إذهب وفتش عنه»، طبعا لم تكن المسودة بين أوراقي، فذهبت الى نارين استفسر منه فاذا بالمسودة بين أوراقه أخرجها بانزعاج ثم أتبع كلامه بعصبية وقال «أنا أعرف انك تطمع أن تحتل هذا الكرسي» قال ذلك وهو يضرب بيديه على جانبي كرسيه. لم أجبه. أخذت المسودة وترجمتها وطبعت الكتاب وأخذته الى المستشار للتوقيع عليه. سألني فقلت وجدت المسودة بين أوراق مستر نارين ربما الفراش أخذها خطأ. ولكن المستشار فهم ما يدور وربما انه سمع شيئا من نارين لا أدري!

حاولت أن أصلح الحال مع نارين ولكنه مع الأسف زاد من تعنته وفي نفس الوقت زاد المستشار بلكريف اعتماده علي حتى بدأ يرسل إلي رأسا طباعة بعض المكاتيب الانجليزية المهمة. ثم عهد الي باستدعاء المرشحين للالتحاق بالشرطة على أن أقدم له خلاصة الاختيار ممن تكون أوصافه تتفق ومطلب الشرطي. وكان بلكريف يفضل الشرطي «المولّد» أي عنصره عربي - زنجي وقد كتب مرة في احد تقاريره السنوية التي يرسلها الى بريطانيا عن طريق دار الاعتماد وكنت أطبع قسما منها هذه العبارة: ان الفطنة والذكاء العربي مضافا اليها قوة احتمال الزنجي «تكوّن أفضل شرطي»، وبمناسبة تفضيل الشرطي المولد، صادف ان كان بين أفراد الشرطة شرطي عراقي من أبناء البصرة مضى له في الخدمة سنوات، لاحظ هذا الشرطي ان بعض الشرطة ممن التحقوا بالخدمة بعده قد رقوا وأعطوا مراتب عليا بينما هو لم يحصل طيلة مدة خدمته الطويلة على أي ترقية رغم اجتهاده وتفانيه في الخدمة. حز في نفسه هذا الأمر فطلب من رئيسه ان يسمح له بمقابلة قمندان الشرطة، وكان وقتها المستشار

بلكريف، ولما حضر أمامه وأدى له التحية العسكرية قال «سيدي اني أطلب رخصة للذهاب الى السوق والى متجر أشرف بالذات (وكان هذا المتجر من أكبر محلات مبيعات التفرقة في ذلك الزمان) لأشتري صبغاً أسود لطلاء الوجوه والأجسام وذلك لأطلي جسمي بذلك الطلاء لكي أحصل على ترقية انتظرتها من زمن بعيد»! . انفجر المستشار بلكريف بالضحك وأمر بترقيته.

أحداث أثناء إدارة بلكريف:

في أثناء سنوات الخدمة المذكورة طرأ أمران يستحقان التنويه عنهما: الأول - في أوائل الثلاثينات وصلت ميزانية الحكومة الى أقل من مائة ألف دينار - نعم أقل من مائة ألف دينار، فقرر المستشار بلكريف تخفيض رواتب موظفي الحكومة بمقدار ١٠ بالمائة. وكتب بذلك منشورا الى جميع الموظفين فاستجابوا جميعهم وأولهم المستر بلكريف نفسه فالذي لا يستجيب معناه يستقيل، انما بعد مضي سنتين أو نحوها أعيدت الرواتب الى سابق عهدها كما أعيد ما اقتطع من كل موظف في الدولة حتى ذلك التاريخ.

اما الأمر الثاني فهو المفاوضة بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة دولة البحرين حول رسوم الترانزيت. ففي تلك الأيام كانت السعودية تستورد حاجياتها وأغلبها المواد الغذائية وأهمها الأرز (عن طريق البحرين - ترانزيت) فكانت الباخرة ترسو شمال المنامة وتنزل البضائع للسعودية في سفن شراعية تتوجه رأسا الى ميناء العجير (١) بالسعودية. وكانت حكومة البحرين تتقاضى ٢٪ رسوم ترانزيت على هذه البضائع. طلبت الحكومة السعودية تخفيض هذا الرسم وأرسلت وفدا للتفاوض الى البحرين. فعينت حكومة البحرين وفدها برئاسة المرحوم الشيخ عبدالله بن

---

(١) في ذلك الزمان وقبل استحداث ميناء الدمام والخبر كانت العجير الميناء الوحيد لدخول البضائع والاغذية واهمها الرز الى السعودية. وكان هذا الميناء صغيرا وبدائيا لا يصلح لرسو البواخر والسفن الكبيرة فكانت تفرغ هذه البضائع والاغذية في ميناء البحرين ثم تشحن الى العجير على ظهر سفن شراعية او ميكانيكية ذات غاطس بسيط يتناسب وضحولة المياه المجاورة للميناء المذكور وكانت حكومة البحرين تستوفي رسم ترانسيت على هذه البضائع والاغذية مقداره ٢٪ مما يساعد الى حد كبير في اثراء ميزانية دخلها.

عيسى آل خليفة وتحاشى المستشار بلكريف حضور أي أجنبي بين أعضاء الوفد البحريني. كما اختارني لأكون مقررا للجلسات. عقدت جلستان أو ثلاث وكان وفد البحرين بين كل جلسة وأخرى يجتمع مع المستشار لإطلاعه على ما دار فيها وأخذ التعليمات منه وفي النهاية توصل الطرفان الى تخفيض الترانزيت الى ١,٧٥٪ بدلاً من ٢٪.

كذلك حدث شغب وتظاهر من عمال الغوص احتجاجا على تحديد سلفيات الغوص فنزلوا في تجمهرات كبيرة في أسواق المنامة والمحرق وأغاروا على بعض الحوانيت محطمينها ومستولين على بعض موجوداتها مما دفع الشرطة بقيادة المستر بلكريف لمقاومتهم بالقوة وقد أدى الى اصابة بعضهم بطلقات الشرطة النارية. وكان التخطيط لتجمعهم ومسيرتهم يدور في «الدور» الخاصة بهم. والدور عبارة عن مجمع للبحارة وعمال الغوص أشبه بنادي فقام المستشار بهدم عدد من هذه الدور، وكلها كانت بالمحرق. ولما استقر الحال أعادت الحكومة استصدار القوانين المناسبة لتنظيم أعمال الغوص وسلفياته.

قلت فيما سبق ان المستشار بلكريف زاد من اعتماده علي وانه فوق هذا وذاك أمر بزيادة راتبي الشهري مرتين في سنة واحدة زيادة جيدة، كل هذا كان حافزا كبيرا لنارين ليحقد علي. استمر الحال بيني وبين بلكريف ونارين، فبلكريف يوجه لي رسائل انجليزية لأطبعها ويرسل لي أيضا مسودة الرسائل العربية فأترجمها وأطبعها، فأصبحت أقوم بأعباء أكثر من طاقتي ووقتي الصباحي. وكوني خلقت طموحا لا أمل العمل اضطررت لإتمام عملي في الظهريات. (طبعا دون مقابل لأن الأوفر تايم المتعارف عليه اليوم غير متبع في تلك الأيام)، وهذا يزيد من حقد نارين فيعمل على مضايقتي بكل الوسائل وفي أحد الأيام ألقى علي كلمة نابية. طبعا نظرت اليه باحتقار أولاً ثم أجبته بأقسى منها وتوجهت الى مكتب المستشار مشتكيا عليه فما كان من بلكريف إلا أن أرسل عليه والظاهر انه وبخه فامتنع عن مضايقتي ولكن حدثت مقاطعة بيني وبينه.

استقالتي من الوظيفة:

في هذه الأثنـاء تحسنت أحوال عـائلتي المالية بعض التحسن، ففي الـوقت الـذي كنت أشتغل في ديـوان الحكـومـة كنت أخطـط للتحـول الى عمل أهلي التجاري. فأنا تاجر ابن تاجر لا تـروقني الوظيفة وما التحقت بها الا للحاجة الماسة عندمـا رجعت من الجامعة، وخلال أيام الكساد. فلما اشتـد عود عملنا التجاري قدمت استقـالتي للمستشار بلكريف وحسب البروتـوكول لا بد من تقديمها بواسطـة رئيس الدائرة «نارين» الذي يظهر انه أصيـب بدهشة عظيمة عندما اطلع عليها فهو يفكـر انني أخطط لأحل محله والآن بعد أن وصلت الى هذا المركز الهام وكسبت ثقة المستشار التامـة وبعد أن زيد مرتبي مرات متعددة خـلاف المعتـاد أستقيل. كظم نـاريـن دهشته لمدة يـومين أو ثـلاثـة ولم يقـدم الاستقالـة للمستشار. وبعد ذلـك بدأ يظهر التـودد في معاملته لي، ولما سـألته هل أرسل استقـالتي الى المستشار قـال لا لم أرسلها ولا أرى ان أرسلهـا بالمرة، وسألنـي لماذا أريد الاستقـالـة قـائلا ألا تعلم وتـدرك انـه ليس هنـاك مجال في الوقت الحاضر للحصـول على وظائف سواء لدى الحكومـة أو شركة النفط أو التجـار، أجبتـه اني لا أسعى لإبـدال وظيفتي بـوظيفـة أخـرى، اني أنـوي أن أشتغل في العمـل الحر، ولكن كـلامي هـذا لم يقنعـه لأن الكســاد التجـاري ضارب أطنابه، ثم وفي مناسبات عدة كرر طلبه مني أن أسحب الاستقالة ولما رأى اصراري بدأ يـوسط أصدقـائي ومعارفي وحـاول مثلاً الاستعـانة بـالمرحوم الشيخ عبـدالله بن حمد آل خليفـة حيث كانـت تربطنـي به صـداقة ومـودة - سبحان مغير الأحـوال - بقيت الاستقالة متعثـرة بين نارين وبلكـريف مدة لا تقل عن ستة أشهـر رغم تذكيري بذلك بين حين وآخر، ولم يفـاتحني بلكريف عن أمـر هذه الاستقالـة ولم يغير معاملته لي. وفي أحـد الأيام بعـد مضي هذه المدة الطويلة وكان كما أذكر يوم خميس كتبت كتـابا الى المستشار طبعا بواسطة رئيس الكتاب نارين قلت فيـه بالحرف الواحد «انه آخر يـوم أحضر فيه للدائرة فأرجو اعتباري مستقيلاً عن العمل». عنـدها استدعاني المستشار، ولما حضرت الى مكتبه، سـألني ما الداعـي للاستقالـة هل هو الخلاف بينك وبين نـارين؟

أجبت لا، اننا الآن على أحسن وفاق - هل وجدت وظيفة أعلى من وظيفتك الحالية أو أكثر راتبا؟ قلت كلا ولا أسعى الى ان أتوظف، انما غايتي هو العمل الحر. ولما تأكد من صدق كلامي قال معقبا «انك أظهرت تقدما كبيرا ولك مستقبل كبير في عمل الحكومة، ولكن إذا كنت تصر على الاشتغال بالتجارة فأنا لا أريد أن أقف في طريقك وأعدك انه في أي وقت يمكنك أن تعود الى وظيفتك الحكومية إذا أردت ذلك أو لم تجد النجاح في التجارة. شكرته على ذلك، بارحت مكتبه فلم أكد أصل مكتبي حتى جاءتني مسودة شهادة كتبها المستشار بلكريف عني بخط يده وكانت مطولة مع ان الشهادات التي يصدرها بلكريف في العادة تكون كلماتها محدودة قصيرة. طبعا انهيت سنوات خدمة الحكومة الوظيفية على هذا الأساس. ولله الحمد والشكر.

الباب السابع

ذكريات في عهد المغفور له
الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة

المقدمة

من فضل الله على البحرين وعلى شعبها ان ولى عليهم حكاما اعتمرت قلوبهم بالمحبة لشعبهم كما اجتباهم المولى سبحانه وتعالى وحبب لهم تبادل الرأي والاستماع للمشورة من رعاياهم.

ولعل اكبر دليل على ذلك تشكيل المجالس الاستشارية في البحرين وابتداء العمل بها منذ اوائل هذا القرن (قرن العشرين) بداية بمجالس البلدية ثم المعارف والصحة والاوقاف واموال القاصرين واخيرا وليس آخر مجلس الشورى الحالي. علاوة على هذا فدواوينهم مفتوحة لمن احب زيارتهم وابداء المشورة او النصح او التنبيه وحتى الانتقاد البناء. ومن هذا المنطلق اردت ان ادلل على ذلك بذكر بعض الوقائع التالية التى حدثت في ايام المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان وكان لي فيها دور واني بعرض هذه الوقائع لا اقصد منها الا اثبات وتأكيد ما ذكرته اعلاه في هذه المقدمة.

فقد كان لسموه دور بارز في تاريخ البحرين ومن صفاته الحميدة بعد نظره وصبره وحكمته وحزمه كما اتصف بحب الاصلاح والاطلاع على كل كبيرة وصغيرة في البلاد.

رحم الله الشيخ سلمان بن حمد وطيب ثراه وأسكنه فسيح جناته.

(الفصل الاول)
الباسبورتات المزورة

الباسبورتات المزورة

في اوائل الخمسينات (١٩٥٠م) عندما كان نشاط شركة ارامكو في السعودية على اشده وكان يتوجه العديد من البحرينيين الى المنطقة الشرقية في السعودية للاستفادة من هذا النشاط، طلبا للرزق، لاحظت دوائر الجوازات في المنطقة الشرقية ان بعض حاملي الجوازات البحرينية ليسوا من الناطقين بالضاد وان بعضهم لا يلفظ العربية لفظا صحيحا ولما زاد اشتباهها في امرهم اتخذت طريقة بدائية للتأكد من انهم حقيقة من اهل البحرين، فكانت تطلب ممن تشتبه فيه ان يلفظ كلمة «ضب» ومن وجدت انه لا يستطيع لفظها لفظا صحيحا لا تسمح له بدخول المملكة، ولو انه يحمل جواز سفر بحريني ومع الايام تزايد هذا العدد المرفوض وكثر القيل والقال حول هذا الموضوع في البحرين والسعودية.

استاء الكثير من اهل البحرين وتأثروا من هذا الوضع وانا من جملتهم فرأيت من الواجب عدم السكوت واللامبالاة فأمر تسرب الاجانب لبلادنا، وبالاخص في ذلك الوقت من الزمان يهدد كياننا.

توجهت في صباح يوم باكر الى مجلس المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان حيث تشرفت بالمثول بين يدي سموه وبعد احتساء القهوة التمست من سموه محادثته على حدة، وعندما فرغ المكان قربت من سموه وبدأت حديثى بهذه العبارة «يا طويل العمر هل من المعقول وحكومتكم تكافح التسرب الاجنبى ان تولوا موظفا صغيرا (دروازة) (١) البحرين»، وما ان سمع عبارتي هذه حتى اطرق بناظريه الى الارض واخذ يخطط في رملها بعصا في يده، اذ كنا جالسين على دكة خارج قاعة المجلس، ثم رفع بصره ملتفتا الي وقال «تقصد ذاك الـ . ؟؟ مشكور يا ولدي مشكور» مرت فترة سكوت قصيرة بعد ذلك، استأذنت بعدها بمواصلة الحديث مع سموه وقلت «يا طويل

---

(١) **الدروازة** : ترمز الى البوابة الكبيرة.



صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان بن الشيخ حمد آل خليفة حاكم البحرين وتوابعها من ١٩٤٢ الى عام ١٩٦١م.

العمر اسمح لي فربما انا فضولي فأرجو معذرتي، اني اود ان ابدي اقتراحا لعله يساعد او يفيد» اجاب «لا يا ابني انت ناصح وصريح وانا احب ان اسمع منك» قلت «طول الله عمرك ربما يرى سموكم ابدال المتولي الحالي بشخص آخر، فآمل ان يكون المتولي الجديد من المخلصين الفاهمين الناصحين، واذا يسمح لي سموكم فاني اقترح احد ثلاثة اشخاص» سميتهم لسموه بحينه (ولا حاجة لذكر اسمائهم هنا). اجاب سموه بعبارة «مشكور بارك الله فيك».
غادرت المجلس شاكرا لسموه حلمه وحسن تقبله لكلامي وفعلاً لم يمض وقت قصير حتى عين احد هؤلاء الثلاثة وبدأ التحقيق في الجوازات المشتبه فيها واتخذت الاجراءات لالغاء المزور منها وبذلك انتهت الحاجة لاستعمال كلمة «ضب» في السعودية.

(الفصل الثاني)

قصة العزيمة

قصة العزيمة

في الخمسينات (١٩٥٠م) وايام حركة الهيئة (١) كان لأخي وصديقي المرحوم علي الوزان دكان في وسط سوق المنامة لا يبعد الا بضعة امتار عن محلنا التجارى آنذاك وكنت بين حين وآخر ازوره في دكانه حيث نتبادل اطراف الحديث ونستعرض احداث الساعة.

فى احدى الزيارات قال لي انك لم تحضر عزيمة الشيوخ البارحة، (وكان من عادة المغفور له الشيخ سلمان دعوة التجار بين حين وآخر الى وليمة عشاء)، قلت له «لم تصلني دعوة الا اذا كانت قد فقدت»، اجاب «كلا، لم ترسل لك دعوة» استغربت من كلامه وظننته يمزح كيف يدعى كل التجار ولا ادعى انا ولما رأى استغرابي، اضاف «نعم لم ترسل لك دعوة وأؤكد لك ذلك!» سألته ما السبب؟ قال «لأن الشيخ سلمان زعلان منك»، قلت «زعلان مني ولماذا»؟ «وماذا عملت»؟ لا اذكر اني عملت شيئا يكدر الشيخ سلمان.

غادرت دكانه وانا بين الشك واليقين وكانت من عادتى بين الحين والآخر ان اتشرف بزيارة صاحب السمو الشيخ سلمان في مجلسه الخاص بعد المغرب، فهو يجلس جلسة خاصة مختصرة لا يحضرها الا عدد قليل من الزوار.

قمت بزيارة صاحب السمو في مجلسه تلك الليلة كالعادة فلم ألاحظ على سموه أي تغير في معاملته او مقابلته لي ولكن عدم دعوتي لتلك الوليمة من بين كل التجار، بعد ان تأكدت انه لم تصلني دعوة ظل يقلق بالي. ورأيت انه لا بد لي من اكتشاف سر هذا الاستثناء المستغرب، وحتى اريح نفسي من هذه الحيرة والقلق، صممت على مفاتحة صاحب السمو مستفسراً.

تشرفت بزيارة سموه في الليلة التالية وبعد تناول القهوة وتبادل الحديث القصير التمست محادثة سموه على حدة ولما فرغ المكان دنيت بقربه وقلت «يا طويل العمر علمت ان سموك دعيت عددا من التجار الى وليمة عشاء قبل

---

(١) انظر صفحة (١٤١)



من اليمين: المرحوم علي الوزان - المؤلف راشد الزياني - المرحوم ابراهيم كانو

يومين واستثنيتني منها واخبرني أحدهم ان عدم دعوتك لي لأنك زعلان مني فهل هذا صحيح؟ نظر الي نظرة فاحصة واجاب بهذه العبارة «انت تعرف» قلت مستغرباً «اعرف ماذا؟ لا اعرف شيئا عملته يكدر سموك» اجاب «انت ولدنا وعزيز علينا ولكن ما كان يجب ان يحدث منك ما عملت» هنا لم أتمالك وقلت «يا طويل العمر افصح لي فانا لا اعرف ولا اذكر اني عملت شيئا يكدرك» وبعد اخذ ورد مع سموه وهو يتردد ان يفصح لي بما يجول في خاطره وقلبي مشتعل من الحيرة فيما يرمي اليه وما يقصد به قال «انت قبل اسبوع ذهبت الى قرية الزلاق وجمعت اناسا ثم ألقيت فيهم خطاباً تحرضهم فيه علينا» قلت «معاذ الله ان افعل ذلك» قال باصرار «نعم عملت» قلت «يا طويل العمر ان هذا محض افتراء علي فأنا لم أر الزلاق او ذلك الساحل منذ اكثر من سنتين ومستعد ان اقسم لك على القرآن بذلك، كما انه بامكان سموك ان تأمر دائرة التحقيقات لتحقق معي لتعرف اين كنت تلك الليلة»، هنا تغيرت لهجته وعاد يقول «تقول انك لم تكن في الزلاق تلك الليلة» قلت «أؤكد لك اني لم ار الزلاق منذ سنوات» قال مندهشاً «آمنا بالله!» سكت بعد عبارته هذه برهة قصيرة ثم أتبع كلامه بقوله «على كل انت ولدنا وعزيز علينا» قلت «لا يا طويل العمر ان هذا افتراء وغيبة في حق مخلص لسموكم واني ارجو ان تحضروني مع من نقل لكم هذا الافتراء وأطلب من عدالتكم ان تأخذوا حقي ممن اراد ظلمي وتشويه سمعتي لدى سموكم».

لم يوافق سموه على احضاري مع المفتري والظاهر انه شخصية مهمة وقال «على كل ربما صار اشتباه - واعاد تكرار عبارته الجميلة - (انت ولدنا وعزيز علينا)» ولما رأيت اصرار سموه على عدم جمعي مع المفتري رجوته ان يرسل عليه على الأقل ليوبخه على فعلته وافترائه او بالأحرى يعاقبه على هذا الافتراء المشين، ولم أطلع على ما اتخذه سموه من اجراء تجاه ذلك المفترى ولكني شعرت بأني قد برأت ساحتي لدى سموه وكسبت المزيد من رضاه. هكذا مع الأسف يحاول بعض الناس لأغراضهم الخاصة ان يصطادوا في الماء العكر.

(الفصل الثالث)

الهيئة

الهيئة

كما هو معلـوم كانـت ايام اوائل الخمسينـات (١٩٥٠م) ايام عنفـوان الهيئة المؤلفة مـن ثمانية اشخـاص والتى كانت تطـالب الحكـومة بـاجراء اصـلاحات اداريـة، ومع ان المطـالـب التى تقـدمت بها الهيئـة كـان لها مـا يبررهـا الا ان الاسلـوب الذى سلكتـه الهيئة في المطـالبة في نظـري ونظر العـديد من النـاس اسلوبا عشوائيا غير مدروس.

وكـان الشيخ سلمان، رحمه الله، رغم عنـاد مستشار حكـومته الانجليـزى بلكريف، يحبذ التفاهم ويستحسن اجراء بعض الاصلاحات الادارية اذ وافق في البداية على تشكيل مجالـس استشارية مختلفة للبلديـات والمعارف والصحة، ولكن الهيئـة وبإغراء كما يقـال من المقيم السيـاسي البريطاني الموجـود آنذاك في البحرين لم تكتف بما نالته من هذه المطالب بل ذهبت الى أبعد من هذا وطالبته بتشكيل مجلس إداري يشمل شـؤون الحكم الأمر الـذى لم يوافق عليـه الشيخ سلمان في باديء الأمـر، وبعد رد وبدل وعدهـا كما فهمنا بالنظـر في ذلك بعد مبـاشرة العمل في المجالس المنـوحـة، وبعد ان يـرى الجميع نجاح تجربتهـا، ولكنها أصرت على رأيها وتمسكت به.

كانت البلاد في حالة غليـان، والشعب بين مؤيد للهيئة وبين معارض لها، أو بين محتـار ومـذهول لا يعـرف كيـف يتصرف، وكانـت سيـاسة الحكـومـة البريطانيـة غير مفهومـة هل هى يـا ترى تعمل على تحريض الهيئـة؟ وهل هى ضد المستشـار بلكريف؟ أو معـه؟ أما المستشار فقـد كان يؤيـد الشيخ سلمان تأييداً كاملاً.

في هذا الجو المتوتـر كان لا بد من ايجاد وسيلة لكسر هـذا الجمود وتقريب وجهـات النظـر بين الطـرفين، هنـا خطـرت لي فكـرة لمحـت فيهـا بـادرة أمل للـوصول الى حـل وسط يـرضي الجميع. اتصلت بـالمرحـوم الشيخ خليفـة بن محمد آل خليفـة الذى كان يشغل يـومها مركز آمـر الشرطة والذى تـربطني به صـداقـة ومودة، إذ كنـا زمـلاء في البعثـة المبتعثـة لجامعة بيروت الامـريكيـة،

اتصلت به تلفونيا وطلبت الاجتماع به على جناح السرعة. رحب رحمه الله، بطلبي فاجتمعنا في مجلسه بالمحرق حيث تباحثنا واستعرضنا أحداث الوضع المتوتر وما هى السبل الكفيلة لحل هذا الخلاف وانهاء التوتر.

عرضت عليه فكرتي وهى اني ارى ان الشيخ سلمان قد منح الهيئة عدة امتيازات عارضاً تجربتها ليرى الجميع نتائج وفوائد تنفيذها كما عرض عليها تأجيل المطالب الاخرى موعداً بالنظر فيها فيما بعد فلماذا لا نقنع الهيئة بقبول ما منح لها الآن وتأجيل المطالبة بالامور الاخرى. لقى اقتراحى هذا قبولا لدى المرحوم الشيخ خليفة. قلت اذاً سأحاول الاتصال بعبدالرحمن الباكر وعبدالعزيز الشملان بصفتهما زعيمي الهيئة لاقناعهما بذلك فاذا وافقا سأخبره وعليه هو بعد ذلك ان يذهب الى الشيخ سلمان ليطلعه على قبولهما او بعبارة اخرى قبول الهيئة وبناء عليه تسوى الامور بين الطرفين على هذا الشكل.

اتصلت بالباكر والشملان واجتمعنا ليلاً في سيارة خارج مدينة المنامة حيث عرضت عليهما قبول ما امكن الحصول عليه من مطالب مع وعد من الشيخ سلمان بالنظر في المطالب الاخرى بعد مرور تجربة تنفيذ المطالب الممنوحة للهيئة وبعد اخذ ورد وافق الاثنان ووعدا باقناع بقية اعضاء الهيئة بذلك وقد اخبرتهما اني وشخصية مهمة ذات مقام كبير لدى الشيخ سلمان نسعى لتذليل هذه الصعاب ولم افصح لهما عن اسم الشيخ خليفة.

في الصباح الباكر تلفنت للشيخ خليفة اخبره بما جرى وان عليه ان يتوجه لمقابلة سمو الشيخ سلمان واطلاعه على ما جرى، ذهب الشيخ خليفة الى الرفاع لمقابلة صاحب السمو الشيخ سلمان لعرض الموضوع على سموه. كنت على أحر من الجمر انتظر الالتقاء بالشيخ خليفة للاستماع الى نتائج اجتماعه مع الشيخ سلمان.

في الظهر تلفن لي وهو قلق في كلامه، وقال «يا راشد كدنا نقع في مصيبة ولكن الله سلم، تعال عندي لا استطيع ان اكلمك بالتلفون» ذهبت مسرعا لملاقاته في مجلسه بالمحرق فقال «عندما وصلت اخبرني احد الحاشية ان الشيخ سلمان مجتمع اجتماعا خاصا مع شخصيتين مهمتين انتظرت حتى خرجا ولما

دخلت على سموه وبعد تبادل التحية واثناء تناول القهوة فاجأني سموه بقوله انه غير راض عن تحركات اعضاء الهيئة وانه لا يسعه التغاضي والسكوت على ما يفعلونه وانه لا بد من اتخاذ اجراء لوقفهم عند حدهم بل ومعاقبتهم». يقول الشيخ خليفة هنا اسقط في يدي وحمدت الله اني جئت متأخرا لمقابلة سمو الشيخ سلمان الذى فاتحني بما جرى وما ينوي ان يتخذه من اجراء مع الهيئة قبل ان افاتحه بما اتفقنا عليه من مبادرة وحديث.

في النهاية انتهت الهيئة كما هو معلوم للجميع، وفي نظري انه لو قبلت بما منح لها من مطالب لكان ذلك من صالح الجميع ولكن المثل العامي يقول «من بغاه كله خلاه كله».



رئيس الشرطة المرحوم الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة باللباس العسكري

(الفصل الرابع)

بيوتنا بالرفاع

بيوتنا بالرفاع

كنا نسكن في المحرق في فـريقنا (فريق الزيايِنة) ثم تحول سكننـا الى مدينة المنامة فسكنـا في فريق العوضية في بيت كان في الاصـل لمحمد شريف عوضي المشهور في زمانه، عرض بيعه علي المرحـوم محمد حسين باقر فاتفقت معه على شرائه وبعد تعميره واصلاحه اتخذناه سكنا لنا، كـان نزلاؤه والدي وعائلته وانا وعائلتي فقط.

في احدى الصباحيات ارسل الي والدي رسولا يطلب حضـوري في مجلسنا لمقابلـة زائر مهم جاء لـزيارتنا، كـان الزائر المرحوم الشيخ ابـراهيم بن حمد آل خليفة. بعد تنـاول القهوة وتبادل الاحاديـث الودية قال الـزائر المذكور «يا اخ عبدالـرحمن انا جئتكم في مـوضوع ارجو ان لا تـردوني» قال والـدي رحمه الله «وصلت خيرا» قـال «انا عنـدي بيت بالـرفاع الغربي ومستغنـي عنه اريـد بيعه واحب انكم تشترونـه مني» اجاب الـوالد «لا بـأس سننظر في الامـر وان شاء الله مـا يصير خاطرك الا طيب» بعـد مغادرته بدأت والـوالد نفكر ونتـذاكر في موضوع هذا البيت.

كان الرفاع الغربي في ذلك الزمان خاصة الجهـة الغربية منه تقريبا خالية من البيـوت الا قصر سمـو الأمير وعـائلته وإخـوتـه وبعـض الحاشية ويقـع بيت الشيخ ابراهيم منعزلا في الطرف الشمالي منها.

والذى نعـرفه ان المغفور له الشيخ سلمان لا يحب ان يجاور قصره في الـرفاع الغربى الا من يستحسن مجاورتـه والشيخ ابراهيم اخو الشيخ سلمان وقـد زارنا وقصدنـا بالذات في مجلسنا. بعـد المداولة فيما بينى والوالـد والتفكير في الامر، قررنا التشرف بزيارة صاحب السمو الشيخ سلمان لعرض الموضوع على سموه.

في عصر اليـوم التالى تـوجهت ووالـدي الى الرفـاع حيث تشرفنـا بـالمقابلـة الكريمة وعند سنوح الفرصة افتتـح والدي الحديث مع سموه قائلا «طول الله عمـرك زارنـا ولـدكم (١) الشيخ ابـراهيم بن حمد وعــرض علينـا شراء بيتـه

---

(١) الشيخ ابراهيم اخو الشيخ سلمان انما جرت العادة بين الامراء اطلاق «ولدكم» على الاخ الصغير.



صورة لوليمة أقيمت احتفاءً بالمغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة اثناء زيارته للشيخ عبدالرحمن الزياني في منزله الجديد بالمنامة بعد تحوله من المحرق

بـالـرفـاع، وبما ان هــذا الملك مجاور لقصـوركم لم نجبــه بـالقبـول الا بعـد مـراجعتكـم والاستئـذان من سمــوكم، اجـاب سمـوه بهذه العبــارة «يـا اخ عبدالـرحمن نحن من زمان نقـول لك اترك المنامـة وتعال انزل حـولنا والآن هل انتم عـازمون على ذلك» اجـاب الوالـد بطبيعة الحال لا ننوي غير ذلـك، قال «اذاً تباركـوا». وقد علمنا فيما بعد ان أنـاساً آخرين تقـدموا لشراء ذلك البيت ولكن سمـو الشيخ سلمان لم يستحســن البيع لهم. تم شراء البيت وبعـد مـدة خطط الشارع الذى امامه فأصبح بينه وبين الشارع فراغ كبير فتقدمت بكتاب الى صاحب السمـو الشيخ عيسى ملتمساً شراء هذا الفـراغ فأكرمنا أطـال الله عمره به. وعلى اثـر ذلك شرعنا في بناء بيوتنـا الثلاثة التى استغرق بنـاؤها مدة طويلة لأسباب عدة: عدم توفـر المهندسين المحليين والأيدي العاملة الممتازة في البحـرين في ذلك الـزمـان ممـا اضطـرنـا الى الاعتماد على جلب كل شــيء من الخارج، مع هـذا وفي نفس الوقـت تزامن بنـاء البيوت المذكـورة مع انشغالنـا بـالقيام بمشـاريع اخـرى كمشروعي تشييـد فنـدق دلمون ومصـانع بـلاستيك الخليج، مما أخر استكمال البيوت في وقت أقصر.

والمهم ان لكل شيء سببـاً فلولا زيـارة الشيخ ابراهيم لنـا لما تركنـا سكننا بالمنامة وتحولنا الى الرفاع.

الباب الثامن

قصتي مع العمل التجاري

المقدمة

كان لوالـدي، رحمة الله عليه، الفضل الأكبر في حسن تربيتنـا، أنا واخوتي وتـوجيهنا التـوجيـه الصحيح المستقيم في مجال حيـاتنا ومن أفضـالـه علينا انـه غرس في نفوسنا الاعتدال في معالجة أمورنـا واتباع سبل الاقتصاد وعدم التبذير في معيشتنا متخـذا من القول السليم «الاقتصاد نصف المعيشـة» «وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين»، فضـلا عن إرشاده لنا بأن نعتمد على الله وعلى أنفسنا عند طـرق سبل عيشنا. (ولـذلك لم يكن يخصص لي ولاخـوتي مصروفا يـوميا مقررا كما هو متبع اليوم بين العائلات).

من هـذا التـوجيـه وهـذا المنطلق تعـودت منـذ صغري على طـرق أبـواب الاقتصاد والتـوفير وأحمد الله اني بممارستي هذا التوجيـه واتباعـه وفقت في توفير المال لتنفيذ العديـد من المشاريع والأعمال التي قمت بها أو توليتهـا طيلة حياتي إذ كانـت تلك التوجيهـات، هي المنار الـذي كنت ولاأزال أهتدي بـه. ولعل القارىء يود أن يسمع شيئا عن بعض تجارب الاقتصاد والتوفير التي مررت بها.

أثناء دراستي بالجامعـة الأمريكية في بيروت ضمن البعثة المكـونة من ثمانية أشخـاص كان يـدفع لكل فـرد منا مخصـص اسبوعي متسـاو. مع هـذا كنت الوحيـد من أفـراد البعثة الذي عنـدما ينتهـي الأسبوع يكون لـديه فـائض من ذلك المخصص فكنت قبـل استلام المخصص الجديـد أخزن ذلك الفـائض في علبـة خـاصـة أخفيهـا في متـاعي. وفـوق هـذا وذاك، فـاني لم أصرف الاربع الجنيهـات الـذهبيـة التـي وضعهـا والـدي في جيب شنطتي يـوم سفـري من البحرين، موصيني بأن أحتفظ بها للضرورة، (جاء ذكـرها في الذكريات تحت عنوان «أول بعثـة تعليمية تبتعث من البحـرين» صفحة ٨٩) والتـي أعدتها الى والدي بعد رجوعي من الجامعة مضافـا اليها مبلغا كنت قد وفرته من مصروفي الأسبوعي.

اني آمل ألا يتبـادر لـذهن القـارىء ويصفني بـالبخل فـاني لست كـذلك ولكني استفـدت مـن تـوجيهـات والدي أخطـط وأضع الأمـور في مـوضعهـا

الصحيح، فقد كانت عيشتي في الجامعة أفضل عيشة بالنسبة للآخرين. فبعد مضي ٧ أو ٨ أشهر من العام الدراسي، وحلول العطلة الربيعية، فتحت العلبة، وأحصيت ما تجمع بها فإذا بها من التوفير ما كفاني لشراء آلة تصوير مع ملحقاتها وطاولة كتابة مع كرسيها، لمذاكرة دروسي، ركنتها بجانب سريري. كما اشتريت لوازم وحاجيات الرياضة التى كنت امارسها باستمرار، من ملابس واحذية ومضارب تنس وكرات وغيره.

اما عن توجيه والدي لنا للاعتماد على أنفسنا عند طرق سبل عيشنا فأذكر هنا ما يلي:

قبل سفري للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت وكنت في أوائل العقد الثاني من عمري، كان والدي يصطحبني معه في فصل الصيف الى مغاصات اللؤلؤ كونه طواشا (١). وكان رحمه الله، يدعوني للجلوس بجانبه عندما يستعرض مشترياته من اللآلىء أو يزنها أو يقيمها أو يبوبها بقصد تعليمي حرفتنا التقليدية التي ورثناها أباً عن جد.

بعد إدراكي لما يفي بحاجتي من الخبرة طلبت اليه ان يقرضني مبلغا بسيطا من المال لأمارس به خبرتي منفردا، فخصص لي المبلغ المطلوب واشترى لي قارباً صغيرا يجدف فيه بحار واحد (٢)، فكنت بواسطة هذا القارب أزور سفن الغواصين عارضا شراء القليل الرخيص من اللؤلؤ علاوة على ما يسمى بالمخشر (٣)، ولا تبدأ زيارتي هذه إلا بعد أن يفرغ الطواشون المعتمدون أمثال والدي من زيارتهم الصباحية للغواصين. وكان الغواصون ينظرون لي وأنا في قاربي الصغير - نظرة متطفل على عمل الطواشة، حتى ان بعضهم لا يسمح لي بالصعود الى سفنهم ولو بعد انتهاء الطواشين المعتمدين من زيارتهم - إما لعدم وجود شيء عندهم للبيع أو ربما احتقارا لصغر سني وتفاهة قاربي.

---

(١) اصطلاح يطلق على التاجر الذي يشتري اللؤلؤ من الغواصين في عرض البحر.

(٢) في ذلك الزمان لم يبدأ استعمال المحركات الميكانيكية في السفن والقوارب.

(٣) اصطلاح يطلق على نوع من اللؤلؤ الملتصق بالصدفة.

عند جمع مشترياتي وتبويبها وتقييمهـا، كما علمني والدي، وبعد أن أكون قد استنفدت كامل المبلغ المقترض أو غـالبيته، اعرض على والدي شراءها مني دون أن أخبره بـرأسمالها، فكان يعـرض علي ثمن الشراء حسب تقـديـره، فإذا كان تقـديره مربحـا، وفي الغالب يكون كـذلك، بعته، اما اذا كـان خاسرا، طلبت منه أن يوضح لي مدى خطئي في الشراء.

كانـت تجربتي هذه مرة واحـدة أثناء فصل الصيـف قبل ابتعاثي للجـامعة ولكنها والحق يقـال كانت أكبر حـافز لي لـلاستمتاع بـالعمل الحر وكنت آمل أن أبـاشر العمـل التجـاري مع والـدي بعـد عــودتي من الجامعـة ولكنـي مع الأسف الشـديـد أصبت بخيبـة الأمـل إذ فوجئـت بل وصـدمت بعـد عـودتي بـالعسر المالي الـذي ألم بـوالدي مـن جراء تـدهـور عمل اللـؤلـؤ والاتجار بـه لأسباب عـديدة منها مثلا انتشـار اللؤلؤ الصنـاعي الياباني في الأسواق العـالمية والكساد التجاري العـالمي الشهير الذي أحاق بالعالم في الثلاثينـات ناهيك عن عزوف العديد من عمال الغوص عن مـواصلة مهمة الغوص الشاقة، واتجاههم للعمل المريح نسبيـا في شركة نفط البحـرين. لقد وجـدت والدي عنـد عودتي من الجامعـة في حيرة من أمره فتجارة اللـؤلؤ أصبحت فـاشلة وهـو لا يجيد ولا يعرف مهنة غيرهـا كما انه أصبح لا يملك مالا للمتاجـرة في عمل آخر بعد أن فقـد جل ثروتـه. أجل لقـد أصبت بخيبـة أمل ومـرارة ولم أجد سبيـلا لضمان معيشتنـا إلا الوظيفـة مع التطلع بشـوق وتحفز الى العمـل التجاري في الـوقت المناسب وهذا مـا حدث لي فبدل أن أشتغل بالتجارة كما كنت مؤمـلا ومتوقعا اضطررت لـلالتحاق بمـدرسة الهداية الخليفيـة بوظيفة مـدرس رياضيـات فيها وبعـد مرور سنـة على ذلك نقلت الى ديوان الحكـومة الـذي كان يشرف عليـه ويتولى ادارتـه المستشار الانجليزي بلكريف حيـث مارست وظيفة السكرتـارية والترجمة لمدة ثماني سنوات استقلـت على اثرها وبـاشرت العمل التجـاري الذي كـانت تتـوق نفسي اليه وفيما يلي أشرح بعض التفـاصيل عن كيفيـة ممارستي للتجارة.

(الفصل الأول)

الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري



أقصى اليمين: أول محل تجاري باشرنا التجارة فيه - شارع باب البحرين

الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري

بعد أن بدأت تتحسن أحوالنا المالية في أواسط الثلاثينات، وكنت آنذاك موظفا في ديوان الحكومة، باشرت بمراجعة الكتلوجات ومتابعة مجريات الأعمال التجارية ومراسلة بعض الشركات المصدرة في الخارج وبدأت أتطلع الى ذلك اليوم السعيد الذي أنطلق فيه من عقال الوظيفة الى العمل الحر. وكنت بمشاركة والدي وأخي أحمد قد وفرنا مبلغا زهيدا لا يتجاوز ألف روبية (مائة دينار). وفي يوم من الأيام أخبرني أخي الكبير وأستاذي أحمد العمران، وكان آنذاك يتولى منصب سكرتير بإدارة الكهرباء المستحدثة مؤخرا، والتي كان يشرف على ادارتها مهندس انجليزي يدعى (استيل)، أخبرني ان المدير قرر عدم رغبة الدائرة مواصلة العمل بتركيبات الأسلاك الكهربائية في المساكن والمحلات التجارية مفضلا إعطاء ذلك لمقاول.

كان كلامه هذا لي كلاما عابرا غير مقصود، ولكني ما كدت أسمع هذا القول منه، حتى خطر لي خاطر تجاري. فلم أجبه أو أعلق على كلامه في الحال كي أعطي نفسي مهلة تفكير لدرس هذا الخاطر التجاري والعمل على استغلاله. بعد تفكير تذكرت ان ابن عمنا سلمان الزياني لديه دكان بشارع التجار بالمنامة يبيع فيه بعض الأدوات الكهربائية وكان يعمل عنده عامل هندي يقوم بإصلاح المراوح وما شاكلها في ورشة متواضعة تقع في عقر الدكان. ففاتحت الأستاذ العمران في اليوم التالي بقولي «يا أستاذ ما رأيك لو انني اشتركت مع سلمان الزياني وتقدمنا بطلب لدائرة الكهرباء للقيام بالتركيبات الكهربائية التي ذكرتها لي؟ أجاب الأستاذ العمران وقال «أنت تعرف انك موظف حكومة والقوانين لا تسمح لك بالمتاجرة مادمت في الوظيفة اما سلمان فهو تاجر حر يمكنه أن يتقدم بطلبه للدائرة» أجبته «نعم فكرت في هذا ولدي الحل» فقال «ما هو؟» قلت «ان الشراكة مع سلمان ستكون باسم والدي أو أحد الأخوين، اما الرخصة فتكون باسم سلمان الزياني»، قدم سلمان الزياني طلبا لإدارة الكهرباء قبل في الحال، وأعلن للجمهور اسمه

كمقاول مرخص للتركيبات الكهربائية كما سلمت له دائرة الكهرباء جميع الطلبات المتجمعة لديها - هنا «قامت القيامة» إذا صح التعبير، إذ قدم عدد من التجار احتجاجا لدى دائرة الكهرباء يحتجون فيها على إعطاء سلمان رخصة بمفرده، فأجابتهم الدائرة انها مستعدة لإعطاء رخصة لمن يطلبها إذا توفرت لديه الكفاءة والشروط اللازمة، وفعلا تقدم بعض التجار، ولما قبلت طلباتهم أصبح لزاما عليهم قبل مباشرتهم العمل الاستعداد بالفنيين والمواد اللازمة للتركيبات مما استغرق وقتا كان سلمان قد استغله واستفاد منه، وعند انتهاء كل الطلبات المستلمة من دائرة الكهرباء، صارت المنافسة شديدة وغير مربحة، فاضطررنا الى التوقف وتحاسبنا في الربح، فكانت حصتنا تفوق الألفين من الروبيات بقليل.

بهذا المبلغ البسيط سعينا للبدء بفتح عملنا التجاري، ولكن واجهتنا صعوبة اعتراض والدي على مبدأ القبول بفتح محل تجاري مدعيا ان هذا من أعمال التجار الهنود والأجانب وليس من أعمال تجار اللؤلؤ وهي تجارتنا الطبيعية الموروثة. طبعا في ذلك الوقت كانت تجارة اللؤلؤ فاشلة وخاسرة. وبعد أخذ ورد مع الوالد استطعت ان أقنعه بفتح محل تجاري بعد أن أوضحت له مشكلات تجارة اللؤلؤ وما جلبته لنا من متاعب وخسائر. ولكونه غير مرتاح لفتح محل تجاري عاد ليقول «ان فتح محل تجاري برأسمال صغير في حدود ألفي روبية (١) سوف لن يكون مربحا» فأجبته بأني قد وضعت في حسابي هذه المسألة وان تقديري بالمردود الربحي بعد مضي سنة على العمل والمتاجرة سيكون بسيطا ولكن أمل اطراد زيادة الربح في السنوات اللاحقة. (٢) وافق الوالد بتردد وبدأنا بالبحث عن المحل المناسب، واذا بالصدفة، نجد دكانا له فتحة واحدة على الشارع، إلا انه كان عميقا وعريضا من الداخل، يقع على شارع باب البحرين بالقرب من مكتب عبدالعزيز البسام مقابل (الجبرة) (مخازن جمارك الحكومة)، التي تحولت فيها بعد الى محلات

---

(١) مائتا دينار

(٢) ومما يجدر ذكره هنا ان ناتج المتاجرة في السنة الاولى كان جيدا بحيث اننا ضاعفنا رأسمالنا.

تجارية ممتدة من السوق المغطى وحتى دائرة الشرطة بالمنامة وكان الدكان ملكاً لفضل النعيمي ويشغله أحد التجار الهنود والظاهر انه أفلس، فصفى بضائعه وموجوداته ولم يبق منها إلا الخزانة الحديدية والخزانات الفارغة التي تعرض بها البضائع. فاتفقنا معه واشترينا الجميع بمائة وعشرين روبية (١٢ دينارا) يا بلاش!

صرفنا من الألفين حوالى ٢٠٠ بقى ١٨٠٠ روبية. في هذه الأثناء كان الأخ أحمد في بومبي، وكان يرسل لنا بين حين وآخر مع الركاب القادمين من الهند، كمية محدودة من النعل الرجالية. وكنا عند استلامها نبيعها على المحلات التجارية بسوق المحرق عن طريق دلال. نبيعها مفردة أو ما شاكل ذلك ونحصل منها على المقسوم. وطبعا محظور على الدلال، وهو في الغالب خالنا (عبدالله) ان يذكر للمشتري صاحب تلك البضاعة. فكان يدعي انها لأحد التجار من الهند. وعبدالله المذكور كان أصغر أخوالنا الثلاثة وكان يشتكي من ألم في رجليه مما يضطره السير ببطء معتمدا على عكازه. وهذه المهمة تناسبه لأن سوق المحرق كان صغيراً وقريباً من بيتنا.

الدكان:

كان لا بد من ايجاد بضائع لملء الدكان، فقمت مع والدي، وأحيانا بمفردي، بعد الظهر بطبيعة الحال لأني لازلت في وظيفة الحكومة وأداوم فيها في الصباح. قمنا بزيارة تجار الكماليات وغالبهم هنود لنشتري منهم بعض السلع البسيطة على أساس أن ندفع لهم قسما من الثمن والباقي يدفع لهم على سبيل المسابعة. والمسابعة هي انه في نهاية كل اسبوع، ندفع ما نستطيع دفعه من ثمن البضاعة - طبعا بدون اضافة فائدة - وأذكر ان أحد الهنود قال مرة كلمة حزت في نفسي ولازالت كذلك الى هذا اليوم. فقد اشترينا منه بضاعة بمبلغ ٩٠ روبية فقال «بس شيخ كبير ودكان ومشترواتك بهذا المبلغ البسيط» أجبته «ان هذا للتجربة وحتى تصل لديك بضاعة جديدة». في نفس الوقت كتبنا للأخ أحمد ان يزودنا بأية بضاعة وطبعا هو سيشتريها بالدين ومن فضل الله علينا ان سمعتنا التجارية كانت طيبة واننا موضع أمانة وثقة في البحرين

والهنـد. اقترحنا عليـه تـزويدنـا ببعض الأثـاث من كـراسي وطـاولات كتابـة وكـذلك نعل وغتر ومـا شاكل ذلـك. وعندمـا وصلت أول بضـاعة بـالمركب بصحبـة أحـد المسافـرين تـوفيرا لأجـور الشحن ذهبت للمـركب لاستـلامهـا وصادف وصول المركب أثناء الليل وكانت كما أذكر ليلـة قاسية فالريح كانت شديـدة عاتيـة وكان من الصعـب التصاق اللنجات (١) بـالمركب الـذي كان يـرسـو شمال البحـرين في عـرض البحـر، نظـرا لعلـو الأمـواج فكيـف يمكن الصعود الى المركب وكيـف يمكن تنزيل الأثـاث في اللنج والأمر كله بـالليل. كـانت مخاطـرة جسديـة ومـالية سيما وان الأثـاث عـار غير مغلف. على كل، سهل الله، وأحضرنـا الأثاث. وبعـد تنظيفه، عـرضناه في الـدكان كما عـرضنا النعل والغتر في الخزانات بعد ان قربناهـا بقرب بعضها البعض لتصغير مساحة العرض في الدكان. وحفظنا الباقي منها في الخلف للتوسعة في المستقبل.

في اليوم الثاني فتحنا الدكان بعـد الاعلان عن ذلك فكان الإقبال كبيرا من الزائرين للتبريـك وكنا بدائيين في نظـرتنا التجاريـة فلم نربح إلا ربحـا بسيطا على مبيعاتنا من البضائع المباعة ومع ان الربح كان بسيطا لا يكاد يذكر إلا ان إقبال الزبائن على الشراء هيأ لنا ولمحلنا دعاية طيبة.

واصلنا العمل بـالطريقتين الآنفتي الذكر الشراء من السـوق المحلي والدفع بالمسابعة والاستيراد من الهند بواسطـة الركاب القادمين منها والشراء عن طريق المســابعـة لا يكلفنــا رأسمال إلا ان التجـار الهنــود، وهم المستحــوذون على الوكالات الرئيسية في ذلك الزمـان، لا يسمحون لنا إلا بفائدة بسيطة لا تغني ولا تسمن من جـوع مثـلا معجـون الأسنان كـولينـوز المشهـور آنذاك وكيلـه (أشرف) كان يعطينـا آنة واحـدة تخفيضا فقـط عن سعر المفـرق. وبريلكـريم دهـان الشعر وكيلـه (جشنمال) كـان يعطينا آنتين عن القنينـة الكبيرة من هـذا الكريم بمعنى انه إذا اشترى زبـون قنينة دهن شعر ماركة بـريلكريم بروبيتين وصادف انه لم يسدد ثمنها الينا خسرنا خسارة كبيرة.

---

(١) **اللنجات** : القوارب الميكانيكية

لقـد حـز في نفسي تصرف التجـار الهنـود وطمعهـم وعـدم اهتمامهم بسماع احتجـاجنـا فبـدأت أراسـل الشركـات في الخارج، وذلك بأن أبقـى في مكتب الحكـومـة بعـد الظهر مكتفيـا بغـداء بسيط جـدا لتسنح لي الفـرصـة لمراسلـة الشركات الأجنبيـة مستفيدا من وجود الآلـة الكاتبة القـديمة التي كانت مـرمية في جانب من جوانب المكتب لعدم صـلاحيتها والتي تمكنت من اصلاحها لحد ما والاستفـادة منها. كانـت المراسلة باسم المحـل. تمكنا على اثرهـا من طلب بعض بضائع مماثلة لتلك التي عرفت واشتهـرت في السوق مثلا امواس حلاقة ودهن شعر وبعض الكماليـات وما شاكل ذلـك - بعد أن وجدنا ان أسعـارها رخيصـة ومزاحمة فكـان لذلـك وقع كبير لدى الـزبـائن حيث بدأ الإقبـال على شرائها بعد بعض التردد. ثم جازفنا بأن طلبنـا من النمسا خمسين طاقة (طول) قماش نسـائي ويل. ويتكون الطـول من خمسين يـاردة على أساس التـوسع في العمل، ولكن عنـدما وصلت البضـاعة أسقط في يـدنا إذ تبين لنـا ان تكلفتها مـرتفعة بـالنسبـة لأسعار السـوق فلم نجـد عليهـا إقبالا وطلبـا وكـانت تجارة الأقمشة النسائيـة آنذاك محتكرة من قبل التجـار اليهود الذين قدمـوا من العراق واستـوطنـوا في البحـرين وهم بطبيعـة الحال يطلبـون كميـات كبيرة وبأسعـار رخيصة حـاولنا بيعها ولـو برأسمالها فلم نوفق، ولكـن لطف الله وبركة والـدنا وجـدنا، رحمهما الله، أسعفتنـا إذ صادف ان زار البحـرين في تلك الأيام وزيـر الماليـة السعـودي المرحـوم الشيخ عبـدالله السليمان، فبـادر التجـار الى زيـارتـه للسـلام عليه كما هـو مألوف لـدى الجميع. وكـان من بين الزائرين والـدي، رحمه الله، والمرحوم أحمد بن عبـدالله الدوسري - والدوسري المذكـور كان رحمه الله من أعز أصـدقاء والدي، وكان محبوبـا ومقربا من الجميع وكـان يزورنا في المحل كل يـوم يجلس ويتحدث مع الـوالد وأحيـانا معي. التفـت إلّي في اليوم الثاني من وصول الوزير وقال «يـا ولدي راشد لاحظت بعض التجار يعرضون على الوزيـر بعض البضائع، وجهني إلى بضاعـة لديكم لأعرضها على الـوزير لعلي أدرك بعض الفائدة» قلت له «يا عـم، الحفيز (المحل) كله تحت أمرك» - التفت يمنة ويسرة، وقـال اعطوني أربعة أطوال من هـذا القماش النسائي لعلي أوفق في بيعـه على الوزيـر. أمرت أحد العـاملين بأن يرافقـه بأربعـة أطوال الى

مجلس الوزير. رجع بعد ذلك وقال «يا راشد كل الناس زاروا الوزير لماذا لا تذهب أنت أيضا للسلام عليه» قلت «يا عم يكفي انك والوالد وأمثالكم قمتم بالزيارة اما أنا فلازلت صغيرا ولم أصل بعد الى مركزكم» وانتهى الحديث معه الى هذا الحد لكنه في اليوم الثاني أعاد الحديث عن زيارتي للوزير أمام والدي ولما اعتذرت قال موجها الكلام الى والدي «ولدك هذا عنيد لا يسمع الكلام» عندها التفت والدي الي وقال «وافق عمك أحمد» قلت «لا بأس أمر والدي مطاع ولكن اشترط أن يذهب العم معي للتعريف على الأقل لأني لست تاجراً مهماً وسني لا يتناسب مع مقابلة الشخصيات الكبيرة». ذهبت والمذكور الدوسري لزيارة الوزير، ولما أقبلنا على مجلسه شاهدته جالسا في صدر المجلس والناس جلوس حوله من بعد سلم عليه العم أحمد الدوسري أولاً ثم مددت يدي لأصافحه فصافحني ببرود اعتيادي كما كنت أتوقع «رؤوس الأصابع» وهنا قال العم أحمد: «هذا راشد بن عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزياني» وما كاد يذكر اسم الشيخ عبدالوهاب الزياني حتى عاد الوزير وجذب يدي وشد عليها وقال بالحرف الواحد «أهو جدك الشيخ عبدالوهاب؟» قلت «نعم» قال «حياك» وأجلسني بقربه ثم أمر بالقهوة وفي أثناء تناول القهوة قال العم أحمد «أطوال القماش التي جلبتها أمس هي من محلهم» أمر الوزير بإحضار الأربعة أطوال وعندما ألقيت على الأرض التفت الوزير الي وقال «هل هذه من متجركم» قلت «نعم» قال «هل هي كل الكمية الموجودة لديكم؟» قلت «عفوا لدينا كمية أخرى» قال «بندوها كلها» أي احزموها كلها لنا. استأذنت للمغادرة فطلب مني الوزير التريث. حان وقت الغداء فدعاني للغداء مع الحاضرين وبعد الغداء وشرب الشاي سألني الوزير هل عندكم بالمحل تليفون قلت نعم، أمر الكاتب أن يأخذ نمرة التليفون ثم قال «سنوجه طلباتنا اليكم أو بواسطتكم فالذي عندكم يكون من عندكم والذي لا يوجد تشترونه من السوق وتضيفون عليه سعيا لكم انما لنا شرط واحد هو أن لا تغلقوا محلكم في المساء قبل أن نأذن لكم بذلك»(١).

(١) كانت السعودية في ذلك الزمان تستورد وتشتري اغلب حاجياتها الغذائية والكمالية من اسواق البحرين او عن طريق ترانسيت البحرين

كانت عادة غلق الأسواق في ذلك الزمان مع غروب الشمس ولكننا كنا حسب رغبة الوزير نظل فاتحين أحيانا حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلا والى أن يقال لنا اغلقوا. وجهت الينا طلبات مشتريات الوزير المتنوعة، وكانت الغالبية منها تشترى من السوق لقلة الموجود منها في محلنا. ومع اننا كنا مسرورين من العمل، إلا اني كنت قلقا على ماذا سيحدث لنا لدفع مبالغ ما اشتريناه من السوق لحساب الوزير! فالسعودية في ذلك الزمان لم تكن حالتها المالية كما هي عليه اليوم، بل كان المشهور عنها التأخير في دفع القوائم والحسابات. فما هو الحل إذا تأخر التسديد بالنسبة لمن اشترينا منهم تلك البضائع؟

استمر الوضع كما هو طيلة مدة إقامة الوزير ثم سمعنا ان الوزير سيغادر نهار الغد الى السعودية فأمرت بإعداد قوائم ومشتريات الوزير وحوالى الساعة الثامنة مساء، وكان محلنا المحل الوحيد الذي بقى مفتوحا في سوق المنامة حسب أوامر الوزير، جاءنا تليفون من مكتب الوزير يطلب إرسال قوائم المشتريات هذه الليلة. ولحسن الحظ كانت القوائم حاضرة فبعثناها ثم جاءنا تليفون آخر من مقر الوزير بأنه مسموح لنا بغلق المحل. أغلقناه وتوجهنا الى مساكننا. في الصباح توجهت بصحبة والدي الى المنامة فعلمنا ان الوزير وجماعته أصبحوا على ظهر اللنج (١) التي ستعود بهم الى السعودية، فسارعنا الى فرضة المنامة لتوديعه ولما وصلنا الى مرسى اللنج وجدنا محركاتها شغالة وهي تتأهب للمغادرة. استقبلنا الوزير رحمه الله استقبالا طيبا ورحب بنا وبعد تناول القهوة والحديث القصير مع سعادته، نهضنا لنودعه فأومأ الى أحد مرافقيه فإذا به يناوله ظرفين مختومين استلمهما منه وسلمهما لنا. ودعناه وهو يكثر من الثناء على ما قمنا به نحوه وما كدنا نركب السيارة حتى بادرت بفتح أحد الظرفين مختارا الكبير والسمين منهما، فإذا بداخله قوائم المشتريات وبرفقتها تحويل على أحد التجار السعوديين بالبحرين. انفتحت أسارير

---

(١) **اللنج** : قارب ميكانيكي

وجهي وقلت لـوالدي الحمـد لله الذي جعلنـا مع البائعين، ثم فتحت الظرف الآخر فاذا هـو كتاب شكر وتقدير لما قمنا بـه من خدمة له خلال مـدة إقامته ومعه أيضا تحويل بمبلـغ ألف روبية مكافأة لنشاطنـا! وكيف انه كان مسرورا من انجاز هذه المشتريات. . الخ.

عدنا الى محلنا التجـاري وكان الوقت حوالى الساعة التاسعـة صباحا، وما كـدنا نستقـر حتى شعـرنا جميعـا بتعب وكسل وتثـاؤب فاستشرت والـدي بأن نغلق المحـل ونـذهب لنستريح، أغلقنـا المحل وذهبنـا الى بيـوتنـا وأذكـر اننـا غطظنا في نـوم عميق من ذلك الـوقت وحتى الغروب دون الاستيقـاظ للغداء عنـدهـا، وبعـد تلك الـراحـة سألت والـدي سـؤال استغـراب وتعجب! لماذا اختارنـا الوزير وكرمنـا هذا التكريم! قـال والدي رحمه الله «يا ولـدي أنا كنت عـازمـا ان أقـول لك منـذ أن ذكـرت لي انـه عنـد سماع الوزيـر اسـم الشيخ عبدالـوهاب سارع لإكـرامك ثم أتبع ذلك في اختيـارنا وتفضيلنا في مشتريـاته ولكن سرعة الحوادث غلبت الفـرصة لتوضيح ما أردت ان أقولـه». فالحقيقة لم تتوضح لي إلا بعـد تفكير عميق واستذكـار وتذكر ثـم سرد لي حكاية الـوزير المذكـور وقال «في عهـد والدي - يقصـد والده الشيـخ عبدالـوهاب - وكـان الوقت بعد صـلاة المغرب وبينما كنت جالسا أتبادل الحديث مع والـدي جاءنا أحد الخدم وقـال دخل علينا بالمجلس ضيـف يظهر انه من الأعـراب، فأمرني الـوالد (الشيخ عبـدالـوهاب) بـأن أذهب الى المجلس لأستقبل الضيف وأكـرم وفادته، فعلـت ومن عادة والدي (الشيخ عبدالـوهاب) انه بعد صـلاة العشاء في المسجد يجلس بـالمجلس حيث يلتقي بالضيـوف والأصدقاء وأفراد العـائلة. في ذلك المسـاء وبعـد صـلاة العشاء، اجتمـع والدي مـع الضيف ورحب بـه وحياه ثم أحضر اليه فراش للمنام. في الصباح اجتمعنا معه لتناول الفطور ثم قال والدي (والكلام لازال لوالـدي عبدالرحمن) للضيف حياك الله هذا مجلسك خذ راحتك أهـلا وسهلا بك، قـال الضيف: يا شيخ عبدالـوهاب أنا شـاكـر لك حسن وفادتك وإكرامك، ولكني عازم على الـرجوع الى المنامة اليوم وأنت لا تعرفني فأحـب أن أعرف نفسي، وأذكر مطلبي إذا سمحت، أجاب الـوالد

أهلاً وسهلاً تفضل، قال الضيف: أنا تاجر صغير من أهالي نجد لدي دكان بالمنامة أبيع بعض الحوائج البسيطة كالدلال (دلال القهوة) والنعل وبعض الأبسطة وأنوي السفر الى الهند لأتبضع، وأحتاج الى مبلغ خمسة آلاف روبية، قرضة تحول لي على أحد التجار من معارفكم ببومبي وإن شاء الله أردها لكم حالما أرجع وأصرف بضاعتي، قال الجد: وصلت خيرا، قم يا عبدالرحمن أكتب له حوالة على التاجر الفلاني بالهند بالمبلغ المطلوب.

يقول والدي (عبدالرحمن) ترددت، فالمبلغ كبير بالنسبة لذلك الزمان، والشخص غير معروف لدينا وفي المنامة عدد من التجار النجديين والسعوديين فلماذا اختارنا من دونهم؟ ولكن والدي أمرني أن أسارع في كتابة الحوالة. خرجت من غرفة المجلس وأخفيت نفسي خلف أحد الأعمدة، بحيث يراني الوالد ولا يراني الضيف، وأشرت لوالدي برفض هذا الطلب، ولكنه كما يقال حمر عينيه وقطب حاجبيه، فلم يسعني إلا أن أصدع لأمره، لأني يا ولدي تعودت منذ صغري أن لا أخالف أمر والدي. أعطيناه الحوالة بعد أن ترحمت على هذا المبلغ الكبير، في ذلك الوقت ولكنه بعد مدة عاد وأحضر معه مبلغ الحوالة شاكرا وممتناً لمساعدته. انتهى كلام والدي، ثم أضاف والدي قائلا: «يا ولدي راشد ان المعروف لا يضيع وهذا من بركة جدك الشيخ عبدالوهاب ففي الوقت الذي كنا نشكو فيه ضعفا ماليا ومن بضاعة كاسدة. يسخر لنا رب العالمين هذا الوزير الذي هو نفس التاجر البسيط الذي اقترض منا خمسة آلاف روبية قبل سنوات مضت. وانه بلا شك ما كان ليعبر البحر ويأتي الينا بالمحرق لطلب القرض إلا بعد أن يئس من الحصول على مثله من جماعته من التجار بالمنامة. عندما قابلت يا ولدي هذا الشخص الذي أصبح وزيرا وذكر اسم الشيخ عبدالوهاب، وانك حفيده تذكر فضل جدك عليه في يوم كان تاجرا بسيطا في أشد الحاجة لمبلغ يتاجر به. فالحمد لله على ذلك.

(الفصل الثاني)

فتح محل تجاري في بغداد

فتح محل تجاري في بغداد

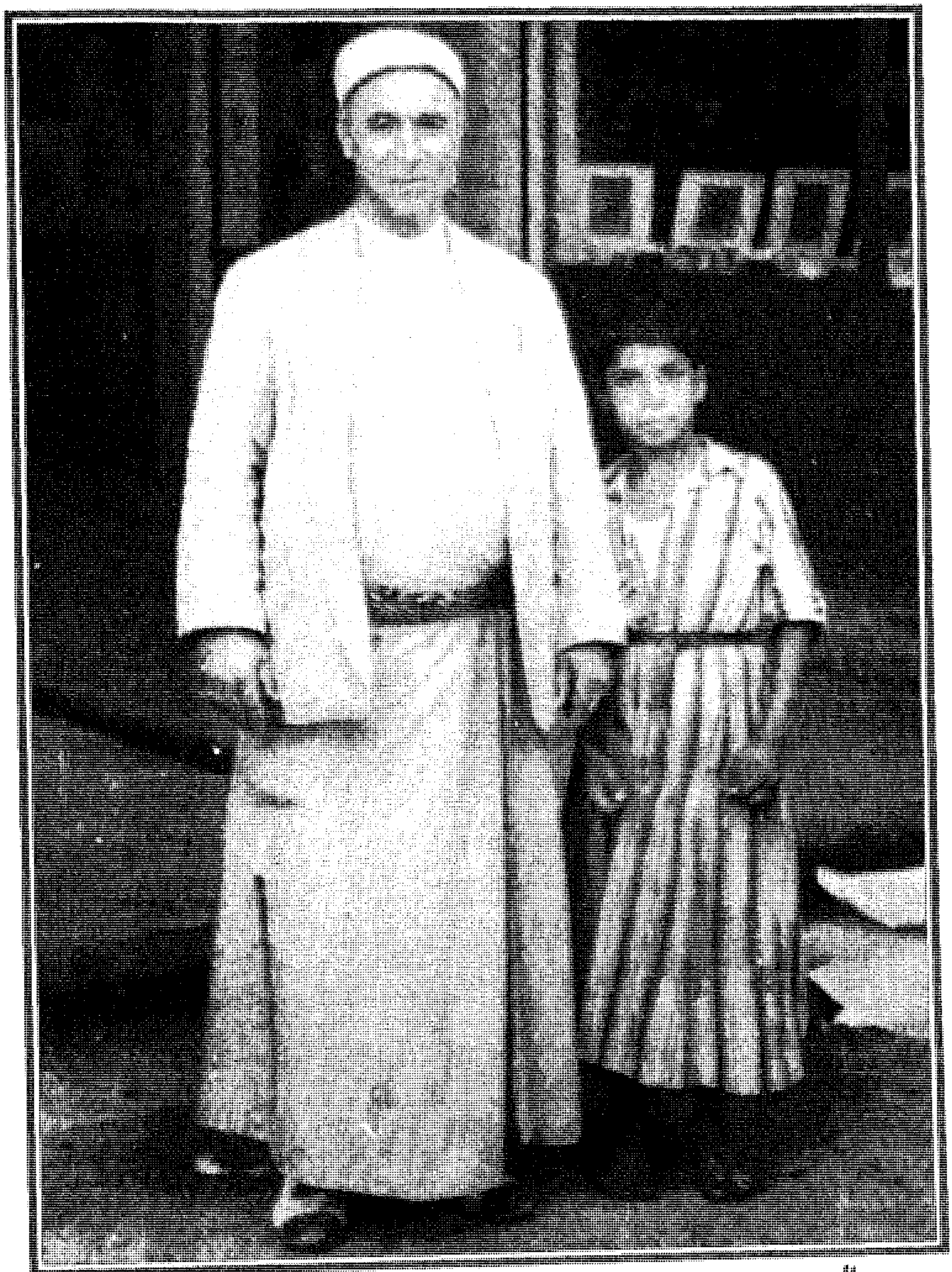
لعل أكبر أمنية للوالدين أن يروا أبناءهم وقد شبوا وكبروا ثم تزوجوا وخلفوا وهكذا كانت أمنية والدي ووالدتي في أواخر الثلاثينات، حيث بدآ يلحان علّي بالزواج. ولكن الزواج بأطرافنا في تلك الأيام كان مغامرة، فالزوج لا يرى زوجته إلا بعد الدخول عليها. وكل ما يمكن أن يعرفه عن زوجته المقبلة من معلومات أو مواصفات يتحصل عليها، من الخاطبة القريبة أو البعيدة، فالمسألة كما قلت مغامرة فاما يوفق المرء بزوجة مناسبة، أو يرتاده الفشل وخيبة الأمل، وكان زواجي الأول لسوء الحظ من القسم الأخير.

بعد مدة قصيرة من زواجي أراد شقيقي أحمد الزواج، وخشية أن يقع في نفس المغامرة، اقترحت عليه أن نزور أنسابنا في بغداد للاطلاع والتحري لعله يجد الزوجة المناسبة فاني بحكم زيارتي للأنساب في عام ١٩٣٦م لاحظت كيف يعالجون أمور الزواج بحرية واطلاع محتشمين. عرضنا الأمر على والدي، فاستحسن ذلك.

توجهنا أنا وأخي أحمد الى بغداد. وقام الأنساب بالواجب فتزوج الأخ أحمد بمن رأى واختار، في هذه الأثناء سألتني زوجة جدي عن زواجي فصارحتها بالأمر فأخذت تغريني بالزواج في بغداد وتلح في ذلك فتوكلت على الله ووافقتها على ما ألحت عليه.

أثناء وجودنا في بغداد، وكان ذلك أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية لاحظنا حركة تجارية قوية مع وجود عدد كبير من التجار السوريين والايرانيين وغيرهم في الوقت الذي كانت التجارة في البحرين راكدة. وكان التجار يتهافتون على شراء المجوهرات فاتفقنا على أن نفتح لنا محلا تجاريا في بغداد للمتاجرة في المجوهرات، واللؤلؤ بالذات.

سافر الأخ أحمد الى بومبي لمباشرة محلنا فيها، ومن هناك بدأ يرسل الّي ارساليات من اللؤلؤ المخرق والمشكوك في خيوط حريرية. وعند وصول أول ارسالية أجريت معاملتها الجمركية وأخرجتها من الجمارك ثم قارنت تكليفها



حجي مالو

مع ما يباع في السوق فاذا الفرق كبير «مثلا المثقال يكلفنا أربعة دنانير» وسعر مثيله يباع بثمانية أو تسعة دنانير! ولعرض هذه الإرسالية كان لابد لي من الاتصال بسوق المجوهرات وبالدلال المناسب.

ذهبت الى سوق المجوهرات فاذا هو «خان» قديم متهالك قذر صاخب، والخان عبارة عن فتحة دروازة في السوق، عند ولوجها، يدخل المرء الى فناء واسع يحيط به من جهاته الأربع متاجر مختلفة، بعضها كالدكاكين المعتادة، اما الباقي فجحور صغيرة يجلس في كل منها شخص واحد أمامه خزانة حديدية وميزان. هؤلاء هم تجار المجوهرات في سوق بغداد وكلهم من اليهود، وحتى الدلالين، ماعدا دلال واحد مسلم مخبول ألبس كشيدة (عمامة) وعباءة يدعى (حجي مالو)، يعمل تحت سيطرة هؤلاء التجار والدلالين اليهود ويستعمل كغطاء، عند اللزوم، إذا جاءت امرأة مسلمة لا تود أن تشتري أو تبيع بواسطة اليهود. عرضت صرة اللؤلؤ على أحد المحلات فلم يدفع لي إلا أربعة دنانير للمثقال، ثم مررت على كافة الجحور والدكاكين فكان سعرهم لا يتعدى أربعة دنانير أو أربعة وربع. ولكن كيف؟ فهذا رأسمالي والأيام أيام حرب المجال مفتوح فيها للأرباح الكبيرة؟ وحسب معرفتي بتجارة اللؤلؤ وتقدير أثمانه، ينبغي أن لا يقل ثمن بضاعتي هذه عن ٧ أو ٨ دنانير للمثقال الواحد.

عدت بصرتي الى مكتبي وأنا حزين وجلست أفكر ماذا أعمل وماذا أكتب لأخي بالهند لأخبره عن نتيجة الارسالية الأولى وهو قد هيأ الارسالية الثانية ليرسلها بعد هذه. سيما واننا لا نملك ثروة تذكر في ذلك الزمان وكان أخي يشتري هذه اللآلىء من التجار الهنود بالدين. في واقع الأمر كانت صدمة شديدة لي وكانت ليلة سوداء مرت علي لم أنم فيها حتى الصباح. ذهبت للمحل في صباح اليوم التالي وأنا محتار أفكر ماذا أعمل، وبينما كنت سارحا في حيرتي وتفكيري دخل علي شخص عرفت من اسمه انه يهودي وقال انه دلال مجوهرات وان اسمه «يوسف قصاب». رجل وسيم لبق بشوش. قال «سمعت انه وصلتك ارسالية لؤلؤ أعطني إياها لدي زبون». انفرجت أسارير

وجهي ففتحت الخزانة وسلمته الصرة وقبل أن يبرح محلي سألني «كم أطلب من سعر؟» قلت «حوالى خمسة دنانير ونصف» وكان قصدي بيع هذه الصرة على الأقل لأريح نفسي من القلق وخيبة الأمل ولأشجع أخي لكي يرسل صرة أخرى. وبعد عدة ساعات عاد إلي والصرة معه وقال «لم أدرك إلا أربعة دنانير وربع، وأشور عليك بالبيع». طبعا لم يوافقني هذا السعر فأنا لست غريراً أعرف ثمن بضاعتي.

في اليوم التالي نزلت السوق المكتظ بتجار من جميع الأنحاء أغلبهم من سوريا ولبنان وفي أثناء الحديث مع أحدهم ذكرت له اني تاجر لؤلؤ. قال «ان أحد أصحابي يشتري اللؤلؤ لزبائن بحلب (سوريا) انتظر هنا سأناديه». فعلا حضر الشخص وذهبنا الى المحل ومن شدة رغبتي في بيع الارسالية لم أطلب عليه سعرا عاليا فمجرد ان قلت له السعر قال «اشتريت». بعت الصرة عليه بسعر أربعة دنانير وثلاثة أرباع الدينار. وبعد أن سلم إلي الثمن قال إذا عندك غيرها فاني مستعد لشرائها. حالا أبرقت لأخي بالخبر وطلبت منه أن يرسل الارسالية الثانية.

في اليوم التالي جاءني الدلال «يوسف قصاب» نفسه وما كاد يصل باب المكتب حتى فاجأني بقوله ملحا «أعطني الصرة عندي مشتر جاهز» قلت له «بعتها» قال «بكم؟» لم أخبره.. تظاهر بالأسف ثم قال «أنا لمحت مثل صرتك تلك مع أحد التجار السوريين وإذا وصلتك ارسالية جديدة فأنا الذي سأعمل على بيعها لك بسعر جيد» ثم أردف قائلا «انه من الأحسن لك أن لا تبيع على هؤلاء التجار الأجانب لأن بعضهم لا يؤتمن أو ربما تحدث لك معهم بعض المشاكل خصوصا البيع بدون دلال، قلت «لا بأس»، عند وصول الارسالية الثانية سأجعلها بواسطتك.

وصلت الارسالية الثانية، وكانت نوعيتها أحسن بقليل من الأولى وتكليفها حوالى خمسة دنانير المثقال. استدعيت يوسف قصاب وسلمت له الارسالية وفي لمح البصر خابرني تلفونيا بأنه أدرك ثمانية دنانير للمثقال. قلت «توكل على الله وبع».

أبـرقت لأخـي أبشره وأطلب منـه أن يـواصل الارسـال. في هـذه الأثنـاء، وبحكم عـلاقـة انسبـائنا في بغـداد ومصـاهـرتهم لبعض العـائلات الكبيرة من الأعيـان والـوزراء وغيرهم، طلبت مني احـدى سيـدات العـائلات الكبيرة ان أجلب لها عقود لـؤلؤ ممتازة قـائلة «ان العديد مـن أصدقائهم يـرغبون في ذلك وانهم لا يجدون في السـوق لـؤلـؤا ممتـازا». كتبت لأخي فأرسـل الي اثني عشر عقـدا بلغ تكليف مثقـالها اثني عشر دينـارا، عنـد استلامهـا اتصلت تلفـونيـا بالعـائلة المذكورة مخبرا إياهـا بوصول العقـود المطلوبة فحددت مـوعدا أحضر بموجبـه الى بيتها مصطحبا البضاعـة معي. توجهت الى بيت العائلـة المذكورة ومـا أن دخلت حتى وجدت عـددا كبيرا من النسـاء تخاطفن العقود كلهـا من يدي ولم يبق منهـا ولا عقد واحـد للعائلة التي طلبـت العقود. صرت في حيرة ما العمل؟ قـالت السيدة التي كانت أوصت على طلب العقـود لا بأس هؤلاء صديقاتي وأنا سأنتظر حتى تصل ارسالية أخرى.

بما ان هذه الارسـالية طلبـت خصيصا للعـائلات، وبعضهم من انسبائنـا وأصدقـائهم، ولأني كنت أسعى لفتح مجال للاتصال بهذه الشخصيـات الغنية البارزة متحاشيا الابتعـاد عن عصابة تجار المجوهرات الآنفي الـذكر فلم أحملها إلا ربحا بسيطا.

كان يـوجد بين الحاضرات عـائلات وزراء وأعيان لا أعـرفهم وقـد أخذوا العقـود بالسعـر المكتوب على كـل عقد دون مشـاورة أو مجادلة أو استفسـار، ولأني أود أن أحافظ على الثقـة والاسم الطيب بين الزبائن قلت لهم «يـا جماعة أنتم قبلتم شراء هذه العقود بالثمن الموضـوع عليها ولكن لكم كامل الحق بأن تعرضوها في السوق فاذا وجدتم ثمنهـا أقل فاني مستعد لاسترجاعها وأرجو أن لا تدفعوا الثمن قبل أن تطمئنـوا»، قال بعضهم نحن نثق بك وسكت البعض الآخر.

رجعت الى مكتبـي، وبعد الظهـر جـاءني الـدلال يـوسف قصـاب وقـال «يظهـر انك بعت العقـود التي وصلتك مـؤخـرا (١)»! قلت «نعم» قـال «أنـا

(١) المذكور رأى هذه العقود عندما كانت في دائرة الجمارك عندما عرضت عليه ليثمنها بغرض استيفاء الرسم الجمركي عليها.

علمت بـذلك عندمـا عرض علي أحـدها لتثمينـه» قلت «بكم ثمنتـه» قال «لم أعط سعرا معينا بل قلت لصاحبة العقد ان هذا النوع من اللؤلؤ ممتاز لابد أن ثمنه يختلف كثيرا عن النوع الدارج عندنـا بالسوق». ثم أردف قائلا «أنا الآن مـرتبط بموعـد وأراك منشغـلا أيضا ولـدي معك حـديث خـاص فما رأيك ان نجتمع غـدا في محل خـاص لأتحدث معك بحـديث ربما يكـون فيـه فـائدة للطرفين»؟. اجتمعنا في اليوم الثاني فقـال «انك بدأت تبيع بالمفرق على الناس وهذا فيـه كثير من الإشكال والتعب عليك، وربما الخسارة إذا تأخـر أحد عن دفع الثمن في وقته، وأنت الآن أصبحت لك شهـرة بين العائلات الذين يثقون بك فما رأيـك لـو تـركت محلك هـذا (وكـان محلي يبعـد قليـلا عـن خـان بيع المجـوهرات الـذي اشرت اليه سـابقا) ونـزلت معنا في خـان بيع المجوهـرات؟ وأرجـوك ان تأتي معي لأفرجـك على الخان فهو من طـابقين وأترك لك اختيـار أي دكان أو مكتب مـوجود فيه». قلت «الخان كما شاهـدته سابقا كلـه مليان لا يـوجد بـه فراغ» قـال «لا يهمك، اؤمـر وافرغ لك المكـان الذي تطلبـه» ولم يكتف بـذلـك بل ألح علي لأذهب معـه الى الخان في تلـك اللحظـة ولما كنت راغبا في الاطلاع وافقته فذهبنا.

في أثناء وجودنا في الخان كـان المذكور يلقى الترحيب والاستقبال والاهتمام من كل فـرد في الخان، فأدركت حين ذاك انه وان كـان يتولى الدلالـة كمهنة، إلا انه لاشك الرئيس والممول الحقيقي لهم جميعا.

كان الخان كما ذكرت آنفـا متهالكا وقذرا نـاهيك عن الصخب والضجيج فيه. بعـد التفرج قلـت «يا يـوسف، لا أفضل ان انزل في هـذا الخان لسببين الأول: لا ترضى نفسي ان أخرج ساكنا لأحـل محله - وثانيا: المحلات صغيرة نسبيا وأنـا أفضل محلا متسعا. ولكني سأحـاول ان أجد محلا يكـون غير بعيد منكم». (وفعلا بعد مدة قصيرة تحولت الى بناية جـديدة ونظيفة قريبة من خان المجـوهرات واستـأجرت فيهـا مكتبـا في الطـابق الثـاني). لم يعلق على كـلامي ولكنـه عاد ليقـول «لدي اقتراح أضعـه بين يـديك مـا رأيك لو فتحنـا محلا في شارع الرشيـد (وهو الشارع الرئيسي في بغداد آنذاك) وكتبنـا عليه اسمك فقط

وأكـون أنا الـدلال عنـدك؟ ويمكننـا استيراد مختلف أنـواع اللؤلـؤ والأحجـار الكريمـة الأخرى - الألماس - الزمـرد - الياقوت وغيرهـا. «اما التمـويل فلا يهمك لا أريد منـك أن تضع فلسا واحدا، كـل ما نريـده اسمك فقط» قلت «لا بأس، أفكر» فارقته والدهشة بل والحيرة تحيط بي وتثير مشاعري. وأقول في نفسي حقا انهم يعرفون كيف يشتغلون وكيف يستغلـون! فهم حاولوا في بداية الأمر أن يكسروني ويكسـدوا بضاعتي ولما لم يجدوا سبيـلا الى ذلك جاءوا بهذه الخطـة العجيبة. سألني في اليـوم التـالي عن جوابي على الاقتراح قلت لـه «اني أفكـر فيـه ولا بد لي مـن عرض الأمـر على شريكي وهـو في الخارج»، وبقينـا أصدقاء نلتقي بصورة مستمرة خصوصا وان محلي أصبح قريبا من سوقهم.

وفي احدى الجلسـات ذكرت لـه ان الجمارك يستوفون مني رسـوما عـالية، وبعض الموظفين يصعبون إجـراء المعاملة الجمـركية معي قـال «لا تكن في فكر من هذا الأمر، فأنا الذي أثمـن المجوهرات لدى دائرة الجمرك فما عليك إلا ان تخبرني عن مـواصفات بضـاعتك واترك البـاقي علي». فعـلاً وصلت ارساليـة، أخبرتـه، فمـرت في الجمارك بكل سهـولـة ومرونـة وبسعـر مخفض أيضـا. يـا سبحان الله كيف يتدبرون الأمور بهذه السهولة.

مرت الأيام وأنا أماطله في فكرتـه (فكرة المشاركة وفتح محل بشارع الرشيد) بحجـة وأخـرى ولكني استفـدت منـه في تـرويـج بضـاعتي وفي التسهيـلات المطلوبة لها.

وفي أحد الأيام وكنت جالسا في مكتبي فـاذا بالدلال المسلم المخبول الذي ذكـرته آنفـا «حجي مالـو» يدخـل علي وهو يتلفت يمنـة ويسرة وقال وهـو في حالـة ارتباك شديد «ستـأتيك الآن امرأة لديها عقد لـؤلؤ تريـد بيعه احسب لي دلالـة» وخـرج مسرعـا وهـو يتمتم ويتفـوه بكـلام لم أستطع سماعـه جيـدا أو أفهمه. بعد لحظات جاءت المرأة المشار اليها آنفا وكانت محجبة ويظهر انها في منتصف عمرها، وقـالت «دلني الدلال عليك وعندي هذا العقـد أريد بيعه».
قدرت ثمنـه بمبلغ معين وتركت لنفسي ربحـا حوالى ٢٠٪ ولما عرضـت عليها السعـر أبـدت سرورها ومـوافقتهـا، وبـاعتني العقـد دون جدل أو تـردد ومـا

كادت تستلم الثمن وتغادر المحل حتى دخل علي يوسف قصاب هائجا وهو يلهث من سرعة المشي وصعود الدرج وسأل باستعجال «هل جاءتك امرأة معها عقد» قلت «نعم وقد اشتريته منها». قال من أحضرها اليك؟» طبعا لم أقل له «حجي مالو» بل قلت جاءت بمفردها. خرج غاضبا وهو يتمتم «الملعون حجي مالو. الملعون حجي مالو» وقد فهمت فيما بعد انه جرى بينه وبين حجي مالو شجار وعتاب، اما حجي مالو فلم يحضر عندي لأخذ دلالته إلا بعد اسبوع، وقد اتى وهو في حالة حذر وتخفي يتلفت يمنة ويسرة.

سألته ما هي قصة تلك المرأة؟ قال «لا أستطيع أن أتحدث اليك الآن ولكن إذا تفتح محلك نهار السبت سآتي وأخبرك» (ذلك لأن اليهود لا يفتحون محلاتهم نهار السبت). وبالمناسبة بكل أسف أقول ان الأسواق كانت كلها تقريبا تغلق في بغداد يوم السبت في ذلك الزمان، وكنت كذلك أقفل محلي في ذلك اليوم بحكم الوضع الراهن. هكذا كان نفوذهم وتحكمهم في التجارة والاقتصاد. كانت رغبتي للاطلاع والمعرفة جعلتني أفكر في أمر «حجي مالو». وأردت ان استدعيه أثناء أيام العمل وأسمع قصته، ولكني وجدت انه لا يجرؤ على أن يأتي الى محلي في أيام العمل. ويوم السبت يوم العطلة أنا لا أفتح المحل فرأيت ان أدعيه على الغداء نهار السبت في بيتي، وهناك فتح لي صدره وأخبرني بكل الخبايا، قال صحيح اني أشتغل معهم وبالذات مع يوسف قصاب، ومع انهم يستغلونني كوني مسلم وألبس كشيدة (أي عمامة) لإقناع النساء المسلمات والتحايل عليهن، إلا انهم لا يعطوني حقي من الدلالة بل جزء بسيط منها، فوق هذا وذاك، فهم يحقروني، وأنا بسبب الحاجة الماسة لا يسعني إلا مسايرتهم. اما كيف يستفيدون مني، فمثلاً اذا جاءت امرأة طبعا مسلمة تريد بيع مصاغ أو لؤلؤ أو ما شاكل ذلك دعوني لمرافقتها، فأحييها وآخذها الى أول محل في الخان لتعرض بضاعتها، وحيث ان المشتري حسب العرف الجاري في السوق له الحق الكامل في مشاركة شراء هذه السلعة مادامت مرت على دكانه، فيدفع لها ثمنا زهيدا. فآخذها الى الدكان المجاور، ثم المجاور، وهكذا حتى تمر تقريبا على كل الدكاكين والجحور من أول

الخان الى آخره وفي كل مرة تقف أمام أحـد هذه الدكاكين، أو الجحور، أقف خلفها وأؤشر لصـاحب الدكـان بالسعر الـزهيد الذي دفعـه الدكـان السابق، فيدفع هـذا ثمنا مماثلاً أو حول هـذا الثمن. وعندما يكتمل مـرور البائعة على كل الـدكـاكين والجحور أعـود فأقـول لها «الأحسن أن تبيعي على الـذي دفع ثمناً أعلى». بعد البيعة يشترك جميع من عرض سعرا لهذه الشروة بالتبايع بينهم طبعا محققين الربح لهم جميعـا على حساب البائعة المسكينـة. وعلى أساس هذا العمل أعطى أنـا - والكلام لحجي مـالو - دلالـة بسيطة. اني في واقـع الأمر أتأفف مـن هذا العمل، ولكـن ماذا أعمل؟ «فـأنا في حـاجـة ماسـة وليس لي مورد آخـر يكفي لمعيشتي ومعيشـة عائلتي والفقـر لا يرحم». ويضيـف انه لما وجهت اليك تلك المرأة وباعت عليك العقد بـ ٨ دنانير المثقال لم يدفع فيه في السوق إلا أربعة دنانير، وكانت تصرخ بين حين وآخـر «يا ظلام، أنا اشتريته منكم قبل أيـام فقط بعشرة دنانير المثقـال!». تأثرت بصراخها وتظلمهـا فقلت أوصلها اليـك وأمري لله. وطبعا اتهمـوني بأني الذي دليتهـا على محلك مع اني انكرت أشد الإنكار.

بعد ان أعطيته دلالته ذهب شاكرا بعدما طلب مني بإلحاح أن لا أذكر انه زارني في البيت أو اتصـل بي بـالمكتب. وعـدتـه بـذلك - هكـذا كـان العمل التجاري يجرى في سوق بغداد العتيد وهكذا كان التجار اليهود يتصرفون.

والمصيبة الكبرى في ذلك الـزمان هو ان كل وزيـر عراقي تقريبا يكـون له مستشـار مالي يهودي يتخـذه كصديـق له ولعـائلته. وهنـا أروي هذه القصـة كدليل على مـا أقول. في أحد الأيـام وكنت في زيارة لبعض انسبائنـا في بغداد التقيت عندهـم بزوجة رئيس الـوزراء توفيق الـسـويدي وهي قريبـة من حيث النسب لأنسبـائنا في العراق. فقـالت «أريد أن تطلب لي عقـدي لؤلؤ ممتـازين جدا»، كتبـت لأخي بالهنـد فأرسل العقـدين المطلوبين ولما وصـلا اتصلت بها تلفونيـا في قصرهم أخبرها بـذلك. قالت «تفضل اليـوم الساعة الـرابعة أشرب الشاي مع الباشا (تقصد «تـوفيق باشا زوجها») وأحضر العقدين معك». فلما ذهبت والتقيـت بالبـاشـا رحب بي وسـألني عن أهلي وجماعتـي، ثم أخـرجت

العقدين ووضعتهما أمامه وبعد حديث قصير فتحهما وأبدى استحسانه قائلا «انه لم يـر مثل هذا اللؤلـؤ من قبل» وفي هذه الأثنـاء حضرت زوجته ولما رأت العقدين أبدت إعجابها وسرورها.

أحضر الشاي، وفي أثناء ذلك دخل علينا شخص عرفني به الباشا، ومن اسمه طبعا عرفت انه من يهود العراق شرب المذكور معنا الشاي وأظهر إعجابه بالعقدين بعدما قال له الباشا أثناء التعريف بي انني الذي استوردتهما.

عدت الى مكتبي مودعا مكرما. في اليوم الثاني جاءني نفس الشخص اليهودي الى مكتبي وبعد التحية قال: «الباشا طلب مني تثمين العقدين وأنا وعدته بذلك ولكني لا أعرف شيئا عن المجوهرات ولا عن اللؤلؤ بالذات وكل ما أطلبه منك هو أن تحتفظ لي بعمولة ٥٪ وأنا سأمرر لك السعر الذي تريده». في واقع الأمر فار الدم في جسمي، الى هذا الحد بلغت الثقة بهؤلاء! اني لم أضع ربحا على هذه الارسالية أكثر من خمسة في المائة باعتبار انها لأناس من الأنساب والأقرباء وقد أخبرتهم بالثمن وأوضحت لهم انها تساوي أكثر مما وضعته من ثمن عليها. لم أتمالك نفسي وقلت للواسطة «اني لا أستطيع أن أدفع لك فلسا واحدا فهذه ليست صفقة تجارية بل عبارة عن هدية وتستطيع أنت أن تخبرهم بأي سعر تشاء» ولما رأى انزعاجي وإصراري تراجع وقال «لا بأس ماذا تريدني أن أقول للباشا؟» قلت: «قل ما حلا لك أن تقول». خرج لا يلوي على شيء، وبعد مدة التقيت به في السوق فقال «هل أنت لازلت زعلاناً مني؟». قلت «الأمر انتهى، ولكن كم ثمنت العقدين؟». قال «أنت أحرجتني اضطررت أن أقول للباشا اني في واقع الأمر لا أفهم في أثمان اللؤلؤ ولكني أرى ان البائع من جماعتكم يحبكم ويقدركم ولا أظنه يطلب منكم سعراً عاليا». ثم أردف يقول «انك تاجر متسبب وهؤلاء الوزراء أغنياء يستغلوننا ويكلفوننا بقضاء لوازمهم فلابد لنا من الحصول على شيء مقابل تعبنا وخدماتنا وأنا أستغرب كيف تقبل بـ ٥٪ فقط خاصة في المجوهرات وفي هذه الأيام بالذات مع هذا أنت حر في مالك».

تراجعت تجارة المجوهرات سنة ١٩٤٤م و١٩٤٥م فلم أكتف بالعمل بتجارة اللؤلؤ بل بدأت باستيراد الأقمشة الحريرية من اليابان عن طريق

الهند، وكذلك من سوريا وخاصة من حلب وألعاب الأطفال من فلسطين، طبعا قبل عهد مقاطعة اسرائيل، وتاجرت في متاجرات محلية كشراء صناديق الصابون المحلي وبيعه، وفي نفس الوقت بدأت حكومة نوري السعيد تصدر قوانين صارمة تحد من المتاجرة وتشل حركتها فآثرت التوقف عن العمل في بغداد.

في أثناء اصدار هذه القوانين الصارمة جاءني خطاب من ديوان ضريبة الدخل ببغداد يطلبون حضوري للتفاهم معي على ما استحق دفعه للضريبة. ذهبت الى الدائرة المختصة حيث قابلني موظف شرس وضع أمامه ملفا ضخما حشي بأوراق كثيرة ومكتوب عليه اسمي قال «اننا قدرنا الضريبة عليك بمبلغ ١٠٠٠ دينار للسنة الأولى و١٥٠٠ دينار للسنة الثانية» قلت «على أي أساس قدر هذا المبلغ» قال «هكذا تقديرنا وأنت إذا عندك اعتراض تحضر أمام اللجنة وتقدم اعتراضك لديها». طبعا اعترضت، ولما حضرت أمام اللجنة وكان يرأسها انجليزي متعجرف. «قلت لم أستورد بضائع تستحق هذه الضريبة، فأرجو من اللجنة أن تعيد النظر في هذه المبالغ فالتفت الرئيس الى الشخص العراقي الجالس على يمينه وقال له بالانجليزية «كان من الخطأ مطالبته بهذا المبلغ، فلو كنا طالبناه بمبلغ أكبر لقبل بهذا المبلغ». وكان يظن اني لا أجيد الانجليزية. فهمت ان الأمور مساومة ولم أتظاهر بأني أفهم اللغة الانجليزية، انما أصريت على اعادة التقييم وان تحال أوراقي الى مخمن اخر. فعلاً حولت قضيتي وكان هذا المخمن نوعا ما أرحم من سابقه. قلت «تسمح لي أن أطلع على ما ذكر في هذا الملف الضخم؟» قال «عادة لا نسمح بذلك» قلت مسترجيا أن يقرأ علي بعض ما جاء فيه، وافق وفتح الملف وقال «انك استوردت فستق ومكسرات مختلفة من ايران بمبالغ كبيرة»، قلت «اني لا أتعامل في هذه البضائع»! قال «كيف، هذا مسجل لدينا من الجمارك». وبعد أخذ ورد مصحوب بجدل طويل أغلق الفايل وقرأ الاسم المكتوب على ظهره فاذا هو «رشيد عبدالرحمن» وسألني «أليس هذا اسمك؟» قلت «كلا اسمي (راشد عبدالرحمن)» قفل الفايل وقال «اذهب سنرسل عليك فيما بعد».

أرسل علي بعد بضعة أيام ولما حضرت اعتذر لي وقال «صار اشتباه في الاسم وعرفنا الآن كم المستحق عليك وهو ٨٠ دينارا للسنة الأولى و١٣٩ دينارا للسنة الثانية» ما شاء الله الفرق كبير بين هذين الرقمين والرقمين السابقين! اما رشيد عبدالرحمن فكان تاجرا كرديا يتعامل مع ايران في البضائع التي أدخلت خطأ في الملف الخاص بي نظرا لتشابه الاسمين.

قصة الحارس معي:

كان سكني في بغداد، في بيت متوسط الحجم في الكرخ بالقرب من بيت نسيبنا الشيخ خميس الضاري زعيم قبيلة زوبع أحد أفخاذ شمر، وكنت قد اعتدت قبل الزواج بعد أن أقفل محلي التجاري في المساء أمر ببيت الشيخ خميس المذكور آنفا لأتبادل الأحاديث معه وأتناول العشاء بحضوره وحضور زوجته وشقيقتها فاطمة أرملة جدي الشيخ عبدالوهاب. وفي احدى الأمسيات بعد أن نهضت لأذهب الى بيتي قالت لي أرملة الجد «سنبعث معك أحد أتباعنا ليكون معك في البيت» ولما سألتها عن السبب والحاجة لذلك قالت «في هذا اليوم أثناء تنظيفنا للبيت لاحظنا ما يشككنا بأن أحدا دخل البيت عند خروجك» ولما سألت وما هو هذا الشيء قالت «وجدنا أضوية السرداب مفتوحة وأنت لا تستعمل السرداب، فمن الذي أضاءها؟ حاولت ثنيها عن عزمها ولكنها أصرت وأصر معها بقية أفراد العائلة فأبديت الموافقة.

أرسل معي شخص في مقتبل العمر، مظهره قوي وذكي يدعى شكري، هو وزميل له يدعى شريف كانا في الأصل من أبناء تركيا، وعند احتلال الانجليز للعراق وطرد الأتراك منه، أخذا مع بقية الأسرى الأتراك. وكونهما طفلين خشي جدي الشيخ عبدالوهاب أن يتبناهما الانجليز وينصرونهما فشملهما برعايته فأبقى «شكري» في بغداد في رعاية زوجته العراقية واصطحب «شريف» معه الى البحرين حيث ترعرع فيها وعاش معنا عيشة طيبة طيلة حياته. لما وصلت و شكري المذكور آنفاً الى البيت جلست أتحدث معه حديثاً عادياً. ولما سألته ما هي صلته بالجماعة قال: «إنني تربيت عندهم منذ صغري، لذا يعتبرونني كأحد ابنائهم ويأتمنونني حتى على دراهمهم

ومصاغاتهم» ثم طرأ لي ان أسأله عن طلقـات الرصاص المتكررة كل ليلة حتى الصباح والتي كـانت قد حيرت تفكيري ولم أجد لها تفسيرا فهي أحيانـا متفرقة وخفيفـة وأحيانـا غـزيرة، أجـاب «مصـدر هذه الطلقـات معسكـرات الجيش البريطاني والاسترالي. وهـو انه تعود عـدد من الأهالي اقتحام هـذه المعسكرات ليلاً لـلاستيلاء منهـا على ما تقع عليـه أيديهم مـن إطارات سيـارات أو ألبسة صوفيـة أو أي شيء آخر له قيمـة مالية، وذلك لبيـع ما يستولـون عليه بأثمان جيدة. ثم أردف قائلا «لقد اشتركت مع هـؤلاء واقتحمنا عدة معسكرات وقد أصبت مرة بطلق نـاري» ثم كشف عن فخذه ليريني موضع الـرصاصة «ولكن أصحابي نقلوني أثناء انسحابهم». طلبت منـه أن يسرد لي بالتفصيل قصة هذه الغزوة فقـال «مررت أثنـاء النهار مع بعـض أصدقـائي قرب أحـد المعسكرات فلاحظت سيارة لوري للجيش البريطـاني واقفة خارج سياج المعسكر أعجبتني إطـاراتها فـاتفقنـا على الاستيلاء عليهـا أثنـاء الليـل وبعد أن أعـددنـا الخطـة وأحضرنا المعدات الـلازمة لفكها من السيارة، تـوجهنا في الساعة التـاسعة ليلاً تجاه المعسكر ولكن شرطي المرور في أحد الميادين منعنـا من عبور الميدان وبقينا في الانتظار ريثما تنتهـي نوبته ويبـدل بغيره. فالظـاهر انـه خامره الشـك بنيتنا للتوجـه للناحية التي نقصـدها فمنعنـا، انتظرنا حتى أبـدل فعبرنا مسرعين الى المكان المقصـود وعند وصـولنا زحفنـا الى سيارة اللـوري الواقفـة خارج سيـاج المعسكر وبدأنا بفـك عجلتين من عجلاتها بمنتهى الهدوء والحذر ولكن، أثناء دحرجتنـا للعجلتين مبتعدين عن سيـارة اللوري، صادف ان انقلبـت احداهما ووقعت على الأرض محدثـة صـوتـا استفـز الحارس فبـدأ يطلق الـرصـاص من مـدفعه فـأصابتنـي رصاصـة في فخـذي منعتني من السير أو الـركض للهـرب وبقيـت ملقيـاً على الأرض إلا ان أصحـابي حملـوني الى مكـان آمن، ثـم الى المستشفى لإخـراج الرصاصـة من فخذي الـذي بدوره أخبر الشرطة فـأخذوني بعـد شفـائي للمحكمـة حيث ادعيـت اني كنت أسير في الطـريق فـأصـابتني رصاصة طائشة والظاهر انهم لم يجدوا ضدي أي دليل فأفرج عني».

ثم تابع قصته هذه بقصة أغرب منها فقال لاحظت أثناء مروري بالنهار قرب أحد المعسكرات البريطانية القريبة من بغداد خيمة متوسطة الحجم لا تبعد كثيرا عن بوابة المعسكر الذي كان محاطا بأسلاك شائكة من الصعب اقتحامها كما لاحظت ان البوابة يحرسها جندي واحد فقط، قلت لنفسي لا بد ان هذه الخيمة تحتوي على أشياء مفيدة وثمينة ولكن كيف الوصول اليها، ظللت أفكر في وسيلة لاقتحام تلك الخيمة، قررت أن أعود ليلا الى ذلك المكان لأرى فيما اذا كان الحارس موجودا أم لا. عدت حوالى الساعة الحادية عشرة مساءً فوجدت حارساً واحداً فقط لم يكن جالسا بجانب البوابة المفتوحة بل كان يتمشى حولها من الداخل ذهاباً وإياباً، انتظرت ساعة أو أكثر لعله يفارق البوابة ولو لمدة قصيرة أو يركن الى الجلوس للراحة ولكنه لم يفعل، ولكني لاحظت بعد ساعة ونصف أو ساعتين تقريبا، انه قد أضناه التعب فأخذ يتمشى بهدوء وتكاسل فتسللت بقرب البوابة تحت جنح الظلام وانبطحت على الأرض ولما مر بالقرب مني متجها للجهة المقابلة لموقعي وهو يسير بهدوء وتكاسل اغتنمت هذه الفرصة وتسللت الى داخل المعسكر، ودخلت الخيمة حيث وجدت فيها كثيرا من الألبسة العسكرية الصوفية والقطنية فاخترت منها كمية حشوتها في كيس وجدته هناك، ولما هممت بالخروج من المعسكر بنفس الطريقة التي دخلته بها، والساعة قد قاربت الثالثة صباحا حدث ما أحبط مسعاي. فقد استبدل الحارس المتعب بحارس آخر نشيط ويقظ بدأ يتمشى أمام البوابة بكل نشاط وقوة. فكرت ماذا أعمل الآن وأنا داخل المعسكر ولا يمكن الخروج إلا إذا تراخت قوة الحارس الجديد وقل نشاطه. فرأيت أن أنتظر فجلست على الأرض وأسندت ظهري للكيس المملوء بمقتنياتي الثمينة وما هي إلا بضع دقائق حتى غلبني النوم ولم استيقظ إلا بلكمات وركلات متلاحقة موجهة من جنود أشداء، فتحت عيني فاذا الشمس في عنان السماء وإذا بالجنود يتناوبون علي لكماً وركلاً. وبعد أن أشفوا غليلهم سلموني للشرطة، ومنها طبعا للمحكمة فما هو عذري هذه المرة؟! ادعيت اني كنت مارا بالطريق وليس لدي مكان لأنام فيه فاحتميت بالخيمة لأتقي البرد الشديد، سجنت مدة ثلاثة أشهر ثم أطلق سراحي.

بقيت في بغداد حتى عام ١٩٤٦م تـزوجت خلالها في عام ١٩٤٣م ورزقت بـولدي الأكبر خـالد ثم ابنتي منـى التي تليه. وكـانت الحرب العالميـة الثانيـة مستمرة خـلال هذه السنوات وكانت فـرق الجنود الانجليزيـة والاسترالية تحتل مناطق متعـددة في معسكرات حـول بغداد. ويشاهـد المرء جنودهم وعـرباتهم تجوب شوارع بغداد ليلا ونهارا ومع ان المنطقة خالية من جنود الأعداء ولكن لا يكاد تمر ليلـة دون أن تسمع تبادل اطلاق زخـات كثيفة من رشاشـات ثقيلة. شد هذا الأمر اهتمامي وانتبـاهي ولما استفسرت عن ذلك قيل لي ان قطاع طرق يهاجمون المعسكرات ليستولوا على أسلحة وإطـارات سيارات وألبسة وغيره تباع في السوق السـوداء بأثمان عـالية في ذلك الـوقت لندرتها. وكـان يرأس الـوزارة نوري السعيد الـذي كان يعتبره الغالبية من العراقيين والعـرب انه من المتعاونين مع الانجليـز. ومع ان مـدن العراق - البصرة والموصـل مثلاً كـانت تعتم ليـلاً (أي تطفأ الأنوار فيها) خشية غارات المحـور إلا ان بغداد بقيت مضاءة اضاءة كاملـة وحاول الانجليـز فرض التعتيم على بغـداد، انما كما فهمنا رفض مـدير الشرطة أمر التعتيم وأمر بعـدمه. وأخيرا أجبر على الموافقة على تنفيذه فأطفئت الأنـوار أربع ليـال فقط حـدثت خـلالها جـرائم القتل والنهـب بـالنسبـة للمعسكـرات وأفراد الجيـش الأجنبي مما اضطر الانجليـز بعـد أربع ليـال الى إلغاء أمـر التعتيم وفتح الأنوار ليـلاً كسابق عهدهـا. وبقيت بغداد طيلـة أيام الحرب المدينة الوحيدة المضاءة في المنطقة.

العودة إلى الوطن:

على اثر القـوانين الصارمـة التي صـدرت في سنتي ١٩٤٤م و١٩٤٥م والتي حـدت من المعـاملات التجـاريـة في العـراق رأيت أن أخفف من المتـاجـرة في العـراق وأن أوجـه اهتمامي الى نـاحيـة أخـرى فقمت بـزيـارة للبحريـن حيث لاحظت تحسنا كبيرا في تجارتها آنـذاك وكانت البحـرين يومهـا تفتقر الى بعض الحبوب وتعطـي مقابل من يستـوردها كوبـونات شـاي وسكر بأسعـار مخفضة

والعراق بلاد الحبوب ولكن المسموح بتصديره من العراق آنذاك الشعير فقط. اما الحنطة فكانت عسيرة التصدير والبحرين مكتفية من هذه المواد ولكن ينقصها الماش والدال وما شابه ذلك. تحريت عن وجود هذه الحبوب في العراق فكانت كمياتها معقولة ومتيسرة انها ممنوع تصديرها.

اتصلت بأحد المعارف أستشيره في الأمر قال «ان الماش ممنوع ولكن اترك لي الأمر». وبعد يومين زارني في مكتبي وقال اكتب طلبك وحدد الكمية المطلوبة، كتبت طلبا بمبلغ خمسين طنا، أخذه وقدمه لوزارة التموين. بعد يومين كلمني تلفونيا وطلب مني أن أحضر لمقابلة وزير التموين. ذهبت ولما دخلت على الوزير التقيت بصاحبي هناك فقام بتعريفي بالوزير الذي حياني ورحب بي. ثم واصل الوزير وصاحبي حديثاً كانا قد بدآه قبل حضوري وفي هذه الأثناء دخل سكرتير الوزير ومعه كمية من الأوراق للتوقيع عليها، فأخذ الوزير يوقعها وهو في حديث متواصل مع صاحبي، وبعد ان انتهى السكرتير من مهمته وأخذ أوراقه نهض صاحبي ونهضت معه وودعنا الوزير. في خارج مكتب الوزير سألت صاحبي مستفسرا «لماذا لم يكلمني الوزير عن الرخصة» قال «انتظر» مررنا على السكرتير في طريقنا للخروج من الدائرة وتسلمنا الرخصة الموقعة. فرحت بذلك اما صاحبي فقد اتفق معي على أجرة له اذا انجز المعاملة. دفعتها له مع الشكر. اتصلت بالدلالين فأخذوني الى مدينة الحلة القريبة من بغداد، ويا للعجب رأيت حولها اهرامات من الحبوب المختلفة غير مكيسة. كيَّسنا خمسين طنا من حبوب الماش وشحنت للبحرين، حيث بيعت بسعر مجز بالاضافة الى استلام كوبونات شاي وسكر بأسعار التموين المخفضة.

ونظرا لنشاط وتحسن أسواق الخليج وخاصة البحرين ارتأيت تقليص العمل في بغداد والعودة الى الوطن لمتابعة النشاطات فيها. كان قراري هذا في صيف عام ١٩٤٦ فرأيت قبل العودة الى البحرين أن أتوجه الى الشام لأمرين رئيسيين، أولهما: حلول شهر رمضان في قلب صيف ذلك العام والصيام في ربوع الشام ولبنان أقل مشقة وأكثر راحة، في نفس الوقت أخذ قسط من

الـراحة قبل التـوجـه الى البحريـن . . وثانيهما: الاتصـال بـالمعامل والمحـلات التجـاريـة التـي نحتـاج أن نستـورد منهم بضـائع للبحـريـن كـالعقل والغتر ونحوها .

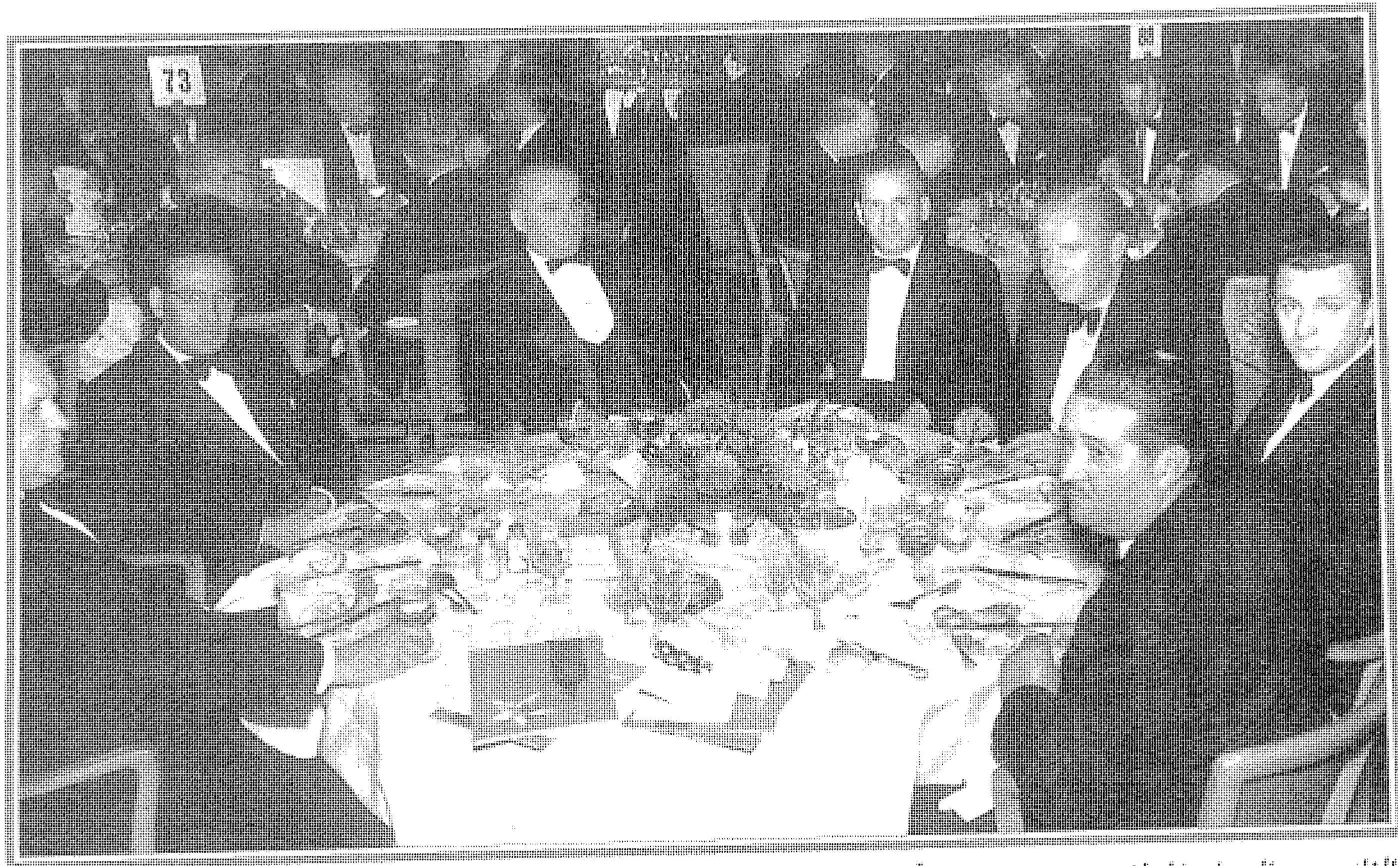
تـوجهت والعائلـة مستقلين القطـار الشهير المدعو اكسبرس الشرق الـذي يصل بغداد بأوروبا مارين بالموصـل والقسم الجنوبي من تركيا حيث انتقلنا الى القطـار المتوجـه الى مـدينة حلب ومنهـا التقينـا بالتـاجـر المعروف آنـذاك أحمد النيال. مكثنـا في حلب حوالى أسبـوعين ثم توجهنـا بعدها الى دمشق مـارين بحمص وحماة. وقد أمضينا فيهـا حوالى عشرة أيام التقينا خلالها بعـائلة الحفار التي كانـت تربطنا بهم عـلاقة تجارية وصـداقة وثيقة وقـد غمرونـا جزاهم الله خيرا بلطفهم وكرمهم، ثم تـوجهنا الى بحمدون بلبنان حيث قضينـا بقية شهر رمضان عدنا بعدها الى بغداد حيث باشرنا بالاستعداد للعودة الى البحرين .

بعد بضعة أيام من ذلك التاريخ تـوجهنا الى البحرين على احدى طائرات الـ RAF البحرية. فركبنا الطائرة مـن بحيرة الحبانية وبعد أن توقفت في شط العرب بالبصرة مساء ذلك اليوم غادرته في اليوم التالي الى البحرين .

هـذه قصة خمس سنـوات قضيتهـا في بغداد وعـدت بعدهـا الى البحـرين لمواصلة العمل التجاري بها .

(الفصل الثالث)

قصة الحصول على وكالات السيارات والوكالات التجارية الأخرى



الثاني من اليسار المؤلف راشد الزياني أثناء حضوره حفل العشاء السنوي لشركة اوستن المقام في فندق جروفنر هاوس بلندن في الخمسينات ويظهر بصحبته عدد من كبار مدراء وضيوف شركة اوستن

قصة الحصول على وكالات السيارات والوكالات التجارية الأخرى

ذكرت في جهة اخرى من هذه الذكريات (١) كيف بدأ عملنا التجارى واذكر هنا شيئا عن تدرجه وتطوره وتشعبه. فبعد ان تمكنا من التعامل بالكماليات اضفنا قسما للادوات الكتابية والقرطاسية ثم فتحنا قسما للاحذية، والنسائية منها بصفة خاصة، حيث اشتهر محلنا بذلك وتفوقنا على غيرنا من المزاحمين في هذا الميدان، ثم زاد تطلعنا الى الدخول في نطاق الصفقات والاعمال الكبيرة، فبدأنا بتقليص الكماليات والادوات الكتابية والتفتنا الى عمل السيارات ثم الوكالات الاخرى فأسست لذلك شركة عبدالرحمن الزياني وأولاده وشركة الخليج للتجارة والهندسة.

وكالة اوستن

كانت السيارات التى اعتاد عليها اهل البحرين وما حولها في ذلك الوقت هى السيارات الامريكية فقط - الفورد - الشفر - الهدسن كرايسلر - البليموث والدوج وامثالها، وكان لكل هذه الشركات وكلاء في البحرين. فالتفتنا الى اوروبا (٢)، وراسلنا شركة اوستن الانجليزية في عام ١٩٤٦م، أي بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، واتفقنا معها على شحن سيارتين طراز Austin 10. عند وصولها للبحرين لم يكن لدينا محل خاص لعرضها. فقمنا بعرضها في الشارع بجوار حائط مخازن الجمارك الممتدة آنذاك من شارع التجار وحتى باب البحرين الحالى والتى حولت فيما بعد الى متاجر.

وفي أحد الايام كنت واقفا على عتبة باب محلنا انظر الى هاتين السيارتين الواقفتين في الجهة المقابلة. واذا بشخصية من الشخصيات الكبيرة المتنفذة في البحرين آنذاك يخرج من محل مجاور لمحلنا يرافقه شخص آخر لا اتذكره الآن. شاهد الشخصية المذكورة السيارتين وقال ساخرا للشخص المرافق له «طالع! طالع! هاذلين بعد جايبين سيارات.. هذي يسمونها سيارات»!

---

(١) تحت الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري صفحة (١٥٩)

(٢) لم تكن السيارات اليابانية والكورية ومثيلاتها قد عرفت واشتهرت في ذلك الزمان.

في ذلك الوقت كانت سيارات اوستن صغيرة الحجم بالنسبة للسيارات الامريكية الضخمة المتداولة بالمنطقة. شعرت بالاكتئاب من كلامه، وقبل ان يلمحني تواريت داخل المحل وانا اقاوم لوعتي من تعليقه السيىء. ويشاء الله سبحانه وتعالى، ويكتب لنا التوفيق في تزايد بيع تلك السيارات واشتهارها في البلاد، ويزداد استيرادنا منها شاملا الصغيرة منها للركاب، او اللورية (الشاحنات) العادية والقلابة للنقل والشحن والباصات. اذ ما كادت تمر ثلاث او اربع سنوات حتى بلغ ما وردناه من سيارات اوستن ولورياتها وباصاتها اكثر من مجموع ما استورد الى البحرين من السيارات الامريكية مجتمعة. مما جعلها تكتسب شهرة واسعة في البحرين والخليج ولم نكتف باستيرادها للبحرين بل شمل استيرادنا لها الى قطر والكويت. وبصورة خاصة اللورية والقلابيات والباصات التى نالت رضاء المقاولين ودوائر الحكومة في البحرين وقطر.

في نفس الوقت استورد تاجر بحريني سيارات (استندرد)، واستوردت شركة لبنانية لوريات بدفورد الانجليزية ولكني اقول وارجو ان لا يعتبر كلامي هذا مبالغاً فيه، بل هو واقع اكيد، اقول لقد بزت سيارات اوستن ولورياتها جميع السيارات الانجليزية من حيث العدد والعدة. وقد أدى مساندتنا لها بالاستعداد بقطع الغيار والصيانة والخدمة الممتازة الى زيادة الاقبال عليها. فقد استحدثنا كراجا حديثاً للتصليح والصيانة، ووظفنا مديرا انجليزيا له خبرة في تصليح سيارات اوستن - مع العلم انه في ذلك الزمان لم يعتد التجار في البحرين توظيف اوروبيين بل جميع الفنيين كانوا من الهنود او امثالهم.

في ذلك الوقت كانت حكومة البحرين تستعمل سيارات انجليزية من نوع الهمبر والهلمن واللورية التابعة لها، وكانت تشتريها عن طريق مكتب شركة في لندن يرأسها شخص انجليزى يحمل لقب (SIR). عز علي بعد ان نجحنا في تسويق سيارات اوستن ان اترك هذه الشركة. تنافسنا في سوق البحرين، فاتصلت بدائرة الكهرباء وكان يرأسها شخص انجليزى. كانت هذه الدائرة

المسئولـة في ذلك الـوقت عن المواصـلات وعن سيـارات الحكـومـة. اتصلت بمديرهـا عارضا عليه ان يشتري منـا ولو بعض لوريـات اوستن التى اشتهرت في البلاد، فلـم يوافـق. على اثرها، سافرت الى لنـدن واتصلت بالشركة الموردة للحكومة، ولما اجتمعت بـرئيسها (السر) وعرضت عليه التعـاون معه، اجابنى بكل عجرفة وصلف بعدم موافقتـه التعاون معنا. وقال بكل كبرياء «انصحك ان لا تتدخل في علاقتنـا مع حكومة البحرين». لم ايـأس، عدت الى البحرين وقابلـت مستشار حكـومة البحريـن بلكريف، وألححت عليـه في شراء بعض اللوريـة منا، وكانت حجتى القـوية اننا نستـورد سيارات انجليزيـة روجنا لها دعايـة كبيرة وهى ناجحة نجـاحا كبيرا، فلا بـد ان تشجعنا حكومتنـا. وبعد الحاح شـديد قـال سأكلم مـدير الكهـربـاء وفي اليوم الثـانى اتصل بى المديـر المذكور تلفونيا وقال «سنشترى منكم سيارتي لوري بأمر المستشار».

الحمد للـه، لقد فتح بـاب المعاملة بيننـا وبين الحكومة فـوثقنا العـلاقة مع المهندس مـدير الكهـرباء فزادت الطلبـات وتكررت، وما ان مضـى شهران او نحوهما على ذلك، حتـى جاء مديـر الشركة الانجليزيـة (السر) الى البحـرين، واول عمل قام به الاتصـال بمستر بلكريف معترضا على معاملة الحكـومة معنا ولما لم يدرك من بلكريف أي تأييد، طلب مقابلتـى. في اثناء المقابلة معه، قال لي بالحرف الـواحد وبغطـرسته المعتادة «لاحظـت ان حكومة البحـرين اشترت منكم لـوريـات ثم اردفهـا بعبـارة (The Government is Naughty)، «تعبير انجليزى يقصد بـه لوم الحكومة بأنها كانت خـاطئة، ثم اردف قائلا «ولكن لا بأس دعنـا نتفـق على ان نورد للحكـومـة سيـاراتها المطلـوبـة من اوستـن ومن سياراتنا ونعمل اتفـاق». قلت «آسف، فات الاوان» وذكرته بمقابلتـه الناشفة لي في لندن. خرج لا يلوي على شيء بعد ان اكلته الصاع صاعين، كما يقول المثل، لمقابلتـه الخشنة لي في لندن، اما نحن فقـد استمرينا في تزويـد الحكومة بلوريـات اوستن حتى بلغ حجم سياراتها من لوريـات اوستن اكبر حجم من أي سيارات اخرى.

مندوب أوستن:

كـان أكبر مـا يهم بـريطـانيـا، بعد انتهـاء الحرب العـالميـة الثانيـة (عـام ١٩٤٥م)، هو تصدير بضـائع مصانعها وكسب الأسواق العالميـة. وكان لدينا في حينه وكالة سيارات أوستن البريطـانية. في احدى زياراتي الى شركة أوستن، اقترحت عليهم إرسـال منـدوب الى البحريـن ليطلع على الأنواع المرغـوبـة من السيـارات في منطقتنـا وكـانت كلهـا تقـريبـا أمـريكيـة - بقصـد مضـاهـاتها ومنافستها - رحبت الشركة باقتراحـي وأرسلت مندوبا يدعى «روني اوين» الى البحرين في شهـر اغسطس أي قلب الصيف. وعند وصـوله لاحظت انـه قد اكتسى ببـدلـة صـوفيـة شتويـة لا تنـاسب الجو الحار في هـذا الشهـر، وكـان يتصبب منـه العرق بغزارة و يتـأفف من شدة الحر. سـألته لماذا لم يكتس ببـدلة صيفية تنـاسب هذا الجو الحار؟ أجـاب ان الشركة اشترت له هـذه البدلـة بعد أن طلبت رخصة خاصة من وزارة التمـوين (حيث ان الألبسة والأطعمة كانت في ذلك الزمان كلهـا حدر تقنين سلطة التموين). الظـاهر انهم لم يتصوروا أو انهم يجهلون ان هذه البلاد شديدة الحرارة في فصل الصيف. أرسلت معه أحد الموظفين ليدله على متجـر يشتري منه بدلة صيفية، ثـم رافقته الى عين عذاري للسباحـة. بقى بضعـة أيام في البحريـن ثم غادرهـا شاكـرا وذاكرا انـه استفاد كثيرا من رحلتـه وانه سيعـود ليكمل مهمته في فترة لاحقـة. عاد المذكـور بعد بضعة أشهـر وكان مجيئه هـذه المرة في عز الشتاء عـن طريق البحر. ولما قـابلته وجدتـه وقد اكتسى ببدلـة صيفية خفيفة وكان يـرتعد من شدة البرد. فـاضطر مرة أخرى للـذهاب الى السوق وشراء بدلـة شتوية. سبحان الله، هكـذا كان عـامـة النـاس في بريطـانيـا: يجهلـون منطقتنـا حتى في أتفـه الأمـور. كـانت المواصلات والاتصـالات في ذلك الـزمان محدودة بخلاف مـا هي عليـه اليوم.

وفي احدى زيـاراته اللاحقة قـال لي صاحبنا روني انه أحب الحيـاة في البحرين رغم بسـاطتها وأحب معاملـة الناس لـه، وانه يتمنى أن يتشرف بمقابلـة شيخ أو أمير أو حاكم عـربي ليسجل ذلك في تقاريـره ومذكراتـه. قلت «أرتب لك ذلك». اتصلت بـالديوان الأميري فعين موعـدا محددا للمقابلة، وفي طـريقنا

الى التشرف بمقابلة صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان قلت لصاحبي «روني أنا أعرف انك يسراوي، تستعمل دائما يدك اليسرى في الكتابة وتناول الأشياء، وعند العرب استعمال اليد اليسرى من الأمور غير المحببة بل ومستنكرة، لذلك أرجوك أن لا تستعملها. وإذا قدمت لك القهوة استلم الفنجان بيدك اليمنى». شكرني على هذه الملاحظة ووعد بالتنفيذ.

تشرفنا بالمقابلة الكريمة وكنت أجلس على يمينه وأقوم بدور الترجمة. وبعد شرب القهوة والشاي ثم الطيب، غادرنا المجلس وكل شيء كان على أحسن ما يرام. وفي طريقي الى السيارة قلت له «روني اني مسرور جدا انك لم تستعمل يدك اليسرى» أجاب: «طبعا لأني كنت طول المدة جالسا عليها»!.

قطر:

بعد البحرين تحول اتجاهنا بلوريات اوستن الناجحة والمتفوقة الى قطر، حيث بدأنا نوردها للحكومة بواسطة الدرويش وبشراكتهم، حتى اصبحت لورياتها اللوريات المفضلة لدى حكومة قطر.

استمر الحال في قطر لبضع سنوات، غير ان المرحوم عبدالله الدرويش، مع الاسف، اراد الاستئثار بوكالة اوستن لنفسه، ومع انني في احدى زياراتي له في الدوحة اطلعته بصورة غير مباشرة على اتفاقنا معه، وكيف ان ذلك الاتفاق كان موثقا من قبل دائرة الاعتماد في البحرين. (لم يكن بالبحرين في ذلك الوقت دائرة توثيق) الا انه لم يأبه بحديثي معه، بل سافر الى لندن واتصل بشركة اوستن طالبا منها سحب الوكالة القطرية منا واعطاءه له. حالما علمت بذلك توجهت الى لندن ولما اتصلت بالاوستن اخبروني بما دار من حديث بينهم وبينه واكدوا لي انهم سوف لا يوافقون على طلبه.

عاد بخفي حنين ولكنه بدأ يضع العراقيل لاجبارنا على التخلي عن حقنا. وفي النهاية جرى خلاف بينه وبين حكومته، أثر تأثيرا كبيرا على عمل سيارات اوستن فتخالصنا معه.

الكويت:

كذلـك توجهنا الى الكـويت وبعنا عـددا من سيارات اوستن فيهـا. وكان عملنـا فيهـا بالاشتراك مـع احـد الاخوة الكـويتيين غير ان اخـانـا هـذا، مع الاسف، حـاول ايضا الاستئثـار بالـوكالـة لنفسه، عنـدما شـاهد نجـاحها. فذهـب الى شركة اوستن في انجلترا في شهـر ديسمبر (قلب الشتاء)، وعـرض عليها تقديم طلبات فـورية بمليون جنيه استرليني بشرط نزع الوكـالة فيها منا وتخصيصها لـه. كنت في ذلك الوقت في البحـرين وقد وصلتها مـن لندن قبل بضعة ايام، فاذا بتلغراف يصلنى مـن شركة اوستن يطلبون حضوري حالا الى انجلترا للتفـاهم حول الـوكـالة في الكـويت، شـارحين عرض اخينـا الشريك لهم. في واقع الامـر لم انـم تلك الليلـة، ظللت اتقلـب في فـراشي حتى قـرب الصبـاح. عنـد طلـوع الفجـر، صليت ودعـوت اللـه ان يخلصنـا مـن هـذه الورطة. شخـص يحاربنا بملايينه، ونحن لا نملك منهـا الا القليل، والشركة تود ان تزيـد مبيعاتها ونحن لا نستطيع ان نطلب منها الا عـددا محدودا. وبعد التفكير طرأت لي فكـرة ارسلت على اثرها الجواب الذى انقـذني من هذا المأزق وهى اني مريض بـالانفلونزا الشـديدة ولا استطيع ركوب الطائرة وانـا على هذا الحال، فارجو الانتظـار لمدة عشرة ايام او نحوها الى ان اشفى واتـوجه اليكم. اني اعرف ان صـاحبنا لا يستطيـع ان يقيم في انجلترا اكثر من ثـلاثة او اربعـة ايـام. وفعلا حـدث مـا تـوقعت، اضطـر الى الرجـوع الى الكـويت وهـدأت العـاصفة نـوعا مـا ولكنه، وهـو لايزال شريكـا معنـا، بدأ يضع العـراقيل في طريقنـا. فاضطـررت للسفر الى الكويت عـدة مرات لمقـابلته ومحاولة التفـاهم معـه ولكن دون جدوى. ولما اعيتنـا الحيلة والـوسيلـة للتفاهم معـه اضطررنـا للمغامرة بفتح محل خاص بنا وباسمنا وحدنا.

كانت الكويت في تلك الايام في بداية نهضتها - شوارع تشق وبيوت تهدم - حركة عمرانيـة هائلة - ولما اردنا استئجار محل، لم نجد الا حـوطة مساحتها ٥٠ × ٥٠ قدما، جـدارها لا يزيد ارتفـاعه عن خمسة اقـدام مبني من الحجارة والطين. علقنـا على بابها القـذر المتهالك قطعـة مكتـوبة على استعجـال بخط

رديء اسمنا بالعـربي والانجليزي «عبدالرحمن الزيـاني واولاده»، بعد ان دفعنا لصاحبها ايجارا باهظا وكل غايتنا كانت مجرد اثبات وجودنا.

لم يكن يوجـد في ذلك الزمان فنـادق حديثة او مـريحة في الكويت، فكنت انـزل في احـدى الغـرف الصغيرة التابعـة لشريكنـا قبل الخلاف معـه. وبعـد ذلك، ونحن على خلاف معـه قررت ان لا انزل في ضيافته، فنـزلت في ضيافة المرحوم الشيخ فهد السالم، حيـث كانت تربطني به معرفة وصداقـة قديمة ايام كنا طلاباً بالجامعة الامريكية في بيروت.

بقينـا في اخذ ورد مـع شريكنا الطـامع في وكـالتنـا ثم تحول الامـر الى تحد ومشـاكسة، ممـا دعـانا كما ذكـرت اعـلاه الى فتح محل رمـزي - لمجرد اثبـات وجودنـا. واخيرا توصلنـا معه الى اعطـائه مبلغا معينـا من المال وتخالصنـا معه واستقلينا بفتح محلنا في الكويت.

البصرة:

في هذا الـوقت عرضت علينـا اوستن اخذ الـوكالة في البصرة فتفـاهمت مع تجار من سكنة البصرة واتفقنا معهم على العمل شراكـة، ومع ان الاخوة الذين اشتركنا معهم، السادة عبدالعزيز البسـام واولاده، كانوا مثال الصدق والامانة والتعاون، الا اننا مع الاسـف لم نوفق تجاريا في عملنا هذا، فـاتفقنا على حل الشراكة وديا بيننا.

الإمارات:

لم تكن سيارات اوستـن صالحة للامـارات في ذلك الوقت لان الطـرق فيها غير معبدة والـدارج فيها هو السيـارات الرملية ٤ × ٤ فقط. لـذلك لم نحاول بيع اوستن فيهـا بل سعينـا للحصول على وكـالة شركـة سيارات الـلاندروفـر لصـلاحيتهـا للاراضـي الرمليـة وبعـد ادراكهـا باشرنـا بتـوريـدها لـلامـارات والسعودية.



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم امارة دبي
وعن يمينه المؤلف راشد الزياني

وكالة اللاندروفر

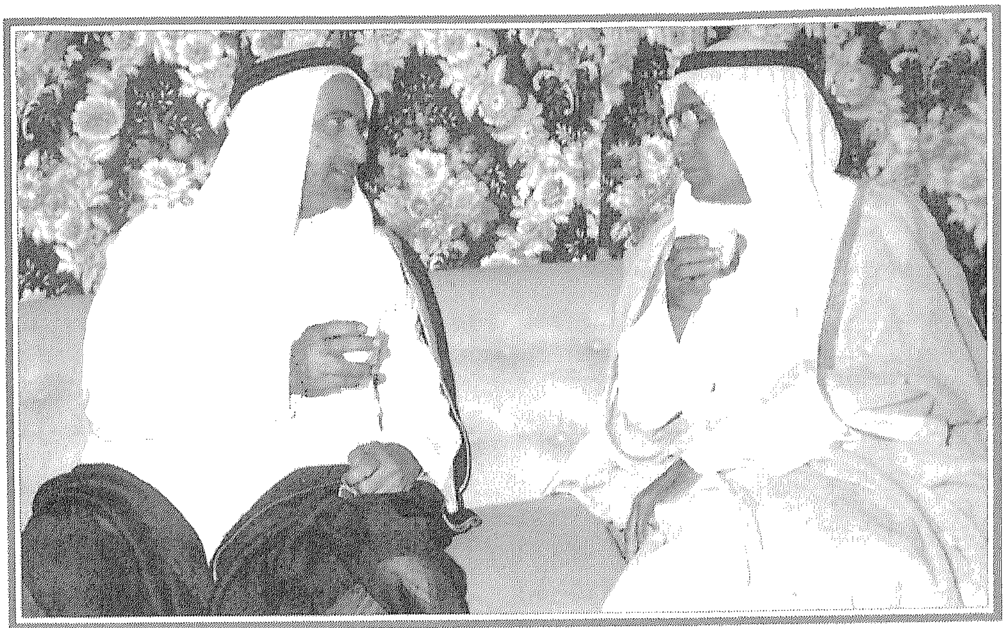
لقد ذكرت آنفا بعض المشاكل والتعرضات التى واجهناها بالنسبة لوكالة وستن في المنطقة. الا ان المشاكل والتعرضات التى واجهناها بالنسبة لسيارات للاندروفر لا تقل عن تلك التى حدثت لنا بالنسبة لاوستن.

في عام ٤٨ - ١٩٤٩م راسلنا شركة روفر وكانت قد بدأت تصنع سيارات لندروفر فحصلنا على وكالتها لكل الخليج، ما عدا الكويت، حيث كان وكيلها آنذاك شركة يوسف الغانم. عند حصولنا على التوكيل وجهناها في الدرجة الاولى الى الامارات والى دبى بالذات لصلاحيتها لتلك المنطقة.

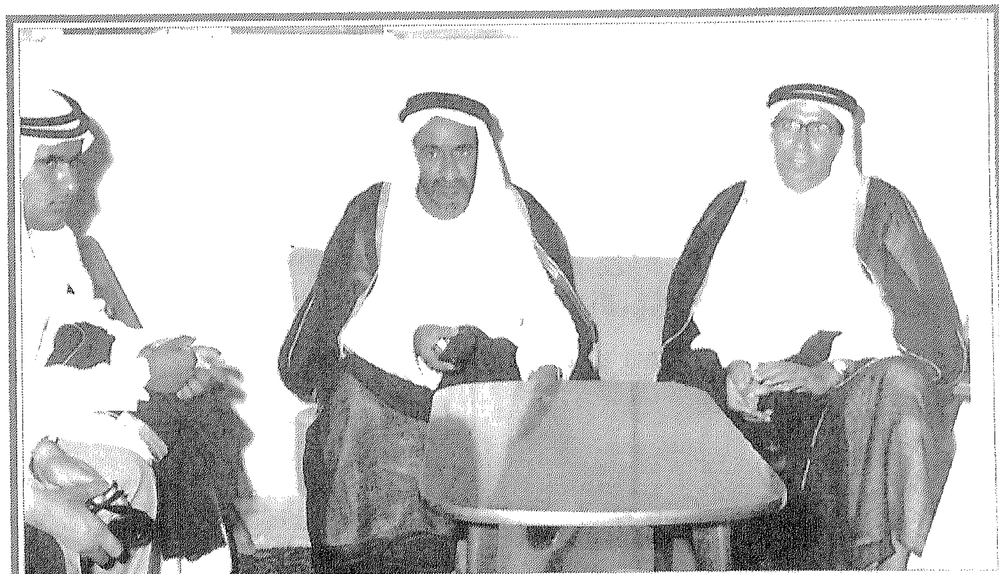
دبي:

في اوائل الخمسينات اتفقنا مع تاجر كويتي يقطن دبى على تمثيلنا هناك، ولم يكد يبيع عددا محدودا منها حتى تغيرت نيته، مع الاسف، وحاول الاستحواذ على وكالة هذه السيارات لنفسه، ولما اعيتنا الحيلة للتوصل معه الى تفاهم، توجهت الى دبى على اساس إما التفاهم معه او نباشر بفتح محل خاص بنا في دبى.

عند وصولي الى دبى وكانت آنذاك دولة تفتقر الى المال والاصلاح لم يكن بها شوارع مرصوفة، ولا بنايات حديثة عالية، حتى مياه الشرب كانت تستنزف من آبار بدائية تحفر في الرمال الكثيفة حول المدينة التى ما يكاد يستنزف منها كمية قليلة حتى تنشف فيحفر غيرها وطبعا لم يكتشف النفط فيها آنذاك، ولم تستحدث الكهرباء. ولكن حاكمها آنذاك سمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم كان يسعى بكل جهده لتطويرها بالرغم من امكانياته المحدودة. فكان يشارك بعض التجار في اعمال تجارية محدودة كالسينما مثلا. والظاهر ان شريكنا اغراه بالاشتراك معه اذا اخذ وكالة لندروفر، اذ لما وصلت الى دبى لاول مرة والتقيت بسموه، رحب بى ترحيبا طيبا واكرمنى جزاه الله خيرا ولكن لما كلمته عن فتح محل لنا ابدى تردداً! وفي كل مرة ازوره اجد منه اللقاء الطيب انما عند فتح موضوع المحل يحاول تحاشي البحث فيه. فأدركت من ذلك ان شريكنا يلعب لعبته.



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم في لقاء ودي مع المؤلف راشد الزياني



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم وابنه الشيخ حمدان
مع المؤلف راشد الزياني

كررت الزيارات لدبى ووسطت بعض الشخصيات المهمة في دبـى لمخاطبة الشيخ راشد، واعترافا بالجميل اقـول هنا اني لقيت من جميع تجار دبـى آنذاك كل تـرحيب ولطف ومودة، وعلمت ان بعضهـم سعى لدى الشيخ راشـد من تلقاء نفسه لمساعدتنا. جزاهم الله خيرا واحسن اليهم.

لم يكن بـدبى فنـادق في تلك الايام فنـزلت عنـد احد التجـار وهو السيـد محمد عـارف شريك ووكيل بيت مصطفى. فكـان خير مضياف وخير جليس جـزاه الله خيرا. كثـر ترددى على دبـى، احيانـا بمفـردى، واحيانـا اصطحب معي احـد الموظفين البحـرينيين لمحاولـة فتح محل فيهـا، والشيخ راشـد، رحمه الله، لم يغير موقفـه. ونظرا لعدم جدوى الوساطـات رأيت رغم مجاملته لي ان افاتحه رأسا واصـارحه. اجتمعت به اجتماعا خاصا وصـارحته قال «يمكنك ان تفتح محلا لكل البضائع انما السيارات فتؤجل مـوضوعها». احترت ماذا اعمل شركة الروفـر تلح في البيع في تلك المنطقة، والمنطقة مؤهلة لسيـارات لاندروفر لكونها رمـال غزيرة والسيارات المماثلـة لها هى السيارة الجيب الامريكيـة وكانت بموجب المقـاطعة العربية لإسرائيل، ممنـوع استيرادها للبلاد العربيـة. توكلت على الله، واتخذت خط المجـازفة، استأجرت دكانـا ذا فتحتين وفتحته، واضعا فيـه انـواعـا من بضـائعنـا الاخـرى غير السيـارات كنت قـد احضرتها من البحـريـن، ولكني في نفـس الـوقت ألصقـت على الابـواب صـور سيـارات الـلاندروفـر بعـدد كبير، والمهم ان يكـون اسمنـا مكتوبـا بحـروف كبيرة على واجهة المحـل. في هذه الاثنـاء فهمت ان شريكنا ذهب واخبر الشيـخ راشد، ولكن المذكـور لم يتخذ أي اجـراء ضدنـا ولما زرته بعـد ذلك لم يظهر منـه أي تغير في مقـابلته لي. فـالشيخ راشـد، رحمه الله، كـان يهمـه تنمية التجـارة في بلاده اكثـر مما يهمـه مصلحته الخاصـة لذلك اظنـه فضل التغاضي عما عـرضه شريكنا الطـامع وحبـذ تشجيعنا للمتاجـرة في دبى. وقد لاحظـت انه مـا كاد يمضى وقت قصير حتـى بدأ يشجعنـى على زيادة المتـاجـرة والعمل وزاد رحمه الله من ترحيبه بي واكرامي ثم بدأ هو وعائلته شراء سيارات لندروفر منا.

بدأنا نطلب سيارات لندروفر رأسا باسمنا الى دبى متجاهلين الوكيل الطامع، وبعد ان استمر عملنا لفترة وجيزة تحولنا الى محل اكبر يملكه شقيق الشيخ راشد، وفتحنا كراجا للتصليح. وما كاد يمضى وقت قصير حتى كسبت هذه السيارات سمعة طيبة واصبحت الاولى في المنطقة.

لم تكن تلك السيارات تعرف في دبى والامارات باسم اللاندروفر بل كانت تدعى «جيب الزيانى» او «الجيب الانجليزى» ومما يجدر ذكره هنا ان اهالي تلك المنطقة في ذلك الزمان اذا ارادوا مدح انسان لذكائه او مقدرته، وكذلك لغير الانسان يطلقون عليه او يلقبونه بكلمة (ملعون) فقد سمعت مرة احدهم وهو يشاهد سيارة اللاندروفر وهى تشق طريقها في الرمال الكثيفة يقول لزميل يرافقه «شوف الملعون الزيانى شيسوى!».

استمر عملنا في دبى بصورة طبيعية وكنت اتردد على دبى احيانا بمفردى واحيانا بمرافقة عائلتى أقيم فيها اياما وربما عدة اسابيع، في نفس الوقت زادت صلتى بالشيخ راشد وانجاله الكرام ولقيت من الشيخ ومن ذويه ومن الاهالي عامة كل اكرام وترحيب وحسن لقاء جزاهم الله خيراً.

والشيخ راشد، كما هو معلوم للجميع يحب البساطة وعدم التكلف، ويقدر كل شخص مجتهد ومجد وله في مجلسه قفشات ظريفة تسر وتضحك ولكنها لا تخرج عن حدود اللياقة او الاحترام. كنت احضر مجلسه كل يوم في الصباح والمساء، كان، رحمه الله، يحدثنى عن ما يجرى في دبى صغيرا او كبيرا وكانت دوائر الحكومة والبلدية تطلعه على ما يجرى في البلاد اولا بأول. فعلى سبيل المثال حدث في احد الايام وبعد سنتين او اكثر من شروعنا في العمل في دبى، ان زرت البلدية لأطلع على تخطيط المدينة وكنت انوي شراء ارض في دبى. ولما زرته في مساء ذلك اليوم كعادتى سألنى اين ذهبت اليوم قلت تجولت في السوق ولم يخطر ببالي ان اذكر زيارة البلدية فقال «وماذا كنت تعمل في البلدية؟» عندها تنبهت وقلت «اطلع على تخطيط جهة (ديرة) من المدينة ربما استحسن شراء ارض فيها كونها مقبلة على العمران ولها مستقبل».

لم يعلق على جوابى ولكن لما اردت توديعه قال «سيأتى اليك احد رجالي غدا

لعصر فاذهب معه وأره منطقة الارض المطلوبة وانت مدعو للعشاء عندي بعد غد». فعلا جاء خادمه وذهبت معه وعينت له المنطقة. وفي مساء اليوم لتالى يوم دعوة العشاء، توجهت الى قصر الشيخ راشد في زعبيل فوجدته جالسا خارج القصر في الهواء الطلق. وما ان حييته وجلست بقربه حتى أومأ لى احد اتباعه الذى نهض وسلمه ورقة قرأها ثم اخرج قلما من جيبه ووقعها، وسلمها لي فاذا هى تحتوى على الارض التى شاهدتها نهار الامس وكانت هبة خاصة منه لي وباسمي، جزاه الله خيرا، شكرته على ذلك ثم امر بالعشاء وبعد ذلك ودعته شاكرا حسن وفادته وكرمه.

مع مضي الايام خططت على الارض المذكورة عمارة تحتوي على معرض، من خلفه مخازن وكراج، استفدنا منه لاعمالنا. وكان اول عمل عملته بعد انتهاء البناء ان دعوت الشيخ راشد لافتتاح ذلك المعرض ومباركته له. ولم تمض مدة قصيرة حتى تغطت كل الاراضي المجاورة للبناية ببنايات وعمارات مختلفة.

وفي زيارة لاحقة لاحظت ان ساحل الشندقة، وهو الساحل الغربى لمدينة دبى، بدأت تدب فيه حياة التعمير. فقد كان ذلك الساحل في الماضى يعتبر مصيفا لاهالي دبى يبنون فيه عششا من جريد النخيل لسكناهم خلال ايام الصيف. ذهبت الى البلدية لاطلع على تخطيط تلك المنطقة. وكنت انوي شراء ارض هناك، بل بالفعل اوصيت احد الدلالين ليعرض علي بعض الاراضي فيها، ولكن عند زيارتى للشيخ راشد في اليوم التالي، سألني عن زيارتي للبلدية، فاخبرته بذلك، فلم يعلق على جوابي، ولكنه بعد يومين او ثلاثة، اوصى احد رجاله بأنه يود ان يلتقى بي مساء ذلك اليوم في الشندقة، حيث كان في ذلك الوقت قد باشر ببناء «مضيف» كبير في تلك المنطقة. ذهبت فباركت له بالمحل الجديد، وكان لازال قيد البناء. وبعد ان صلينا المغرب، قال «سمعت ان زيارتك هذه المرة قصيرة وانك ستسافر» قلت «نعم، هناك امر ضروري يدعوني للسفر الى البحرين ولكني سأعود ان شاء الله».

في صباح اليوم التالي، وكعادتى زرته في دائرة الجمارك حيث اعتاد ارتيادها

كل صباح لأسلم عليه وأودعه، وفي اثناء الحديث سلمني ظرفا فتحته، فاذا محتوياته وثيقة ارض في الشندقة هبة كريمة من سموه لي وباسمي، شكرته على ذلك، رحمه الله وجزاه خيرا.

توسعت اعمالنا في دبى، وشملت كافة مناطق ساحل الامارات، واصبحت سيارات لندروفر هى السيارات الوحيدة تقريبا المنتشرة في تلك المنطقة، واضطررت في كثير من المناسبات، ان امكث في المنطقة اياما عديدة، بل وفي بعض الاحيان اصطحب عائلتي معى. وفجأة في صيف ١٩٦٦م اخبرتنى شركة لندروفر، ان رسولاً جاء من سمو الشيخ راشد يطلب حضور مدير من مدرائهم لمقابلته في لندن، ولما حضر اخبره الشيخ راشد انه يطلب تحويل وكالة السيارات الى تاجر اسماه في دبى، طبعا اتصلت الشركة بى فتوجهت مسرعا الى لندن، وبعد ان تحريت عن سكن الشيخ راشد بادرت بزيارته في فندق سكنه. بعد تقديم القهوة ساررته بقولي «طويل العمر عندي معك رمسة» (١) فأمر الموجودين من حاشيته باخلاء الغرفة. عندها بدأت حديثى وقلت موجها الكلام لسموه «طول الله عمرك، قبل شهر كنت عندك في دبى وأكرمتنى غاية الاكرام، وعلى اثرها كتبت للشركة اشكر واثني على جميلك وحسن صنيعك، والآن علمت انك طلبت من شركة روفر ابعادي وتحويل وكالة السيارات الى شخص آخر. انك بذلك اخجلتنى واحرجتنى امام الشركة، ولو انك طلبت منى التخلى عن هذه الوكالة ايام كنت رهن ضيافتك في دبى لمن تريد لما ترددت، فانا رهن فضلك واحسانك». احمر وجهه، رحمه الله، ثم شد على يدي وتفوه بهذه العبارة «بس بس» وصاح بأعلى صوته «يا ولد جيب قهوة». انتهى الحديث بينى وبينه عند هذا الحد اذ جاءت القهوة ودخل الاتباع.

ودعته وخرجت والحيرة تشغل بالي وتفكيري. فالحديث الخاص بينى وبينه انقطع وتوقف دون ان اسمع جوابه او ادرك نواياه. في نفس الوقت شركة روفر كانت بانتظار سماع نتيجة هذا اللقاء والمباحثة، ولما سألونى قلت

---

(١) رمسة: كلمة تستعمل في الامارات وتعني حديث خاص.

انتظـروا» . ولكن المصيبة ان الانجليـز لا يفهمون عقليتنـا ، فقـد طلب منهم
طلبا يجب ان يلبـوه او يرفضوه وفي الحال ، خـاصة اذا كان ذلـك من شخصية
مهمة وكبيرة . ظللت احاورهم وأؤجل جـوابهم لطلب الشيخ وقد تجاوبوا معي
لكن على مضض .

لم يطل مكـث الشيخ راشـد في لنـدن وعـاد الى دبـى ، فـاضطـررت لقطع
جارتى والعودة الى منطقتنا والتوجه بصـورة خاصة الى دبى . عند وصولي اليها
توجهت كعـادتى لـزيـارة الشيخ راشـد للسـلام ، فرحـب بيى اجمل تـرحيب
ودعانى على العشاء في «مضيفـه الكبير في الشندقة» ودعا في تلك الليلـة غالبية
لتجـار ، ان لم يكن كلهـم . ولما تقـدمنا الى مـائدة الطعـام اصر والـح ، لا بل
اجبرنى ، على ان اجلس في مكانه . رغم امتنـاعي واعتراضي دفعني الى كرسيه
دفعا . اضطررت للجلوس ، ويشهد الله اني لم أتناول من ذلك العشاء الفاخر
لا قليلـه - العرق يتصبـب من جسمي ولا استطيع ان ارفـع بصري لأشاهـد
لمدعوين من الخجل والحرج .

في صبـاح اليـوم التـالى زرت الشيخ راشــد وبعـد الحديث القصير معـه ،
طلبت منه الاجتماع بـه منفردا فأخذني الى حجرة مجاورة . ولما جلسنـا قال «ماذا
في خـاطـرك؟» قلت «يـا طـويـل العمـر ، انـا رهن لطفـك واحسـانك ، وقـد
خجلتنى بـاكرامك ومـودتك ، والآن جئت لأعرض عليـك ما يجول بخـاطري
منتظرا أوامـرك . اني على استعداد لأحمل امتعتى واغادر البـلاد ارضاءً لك وانت
صاحب الفضل والمنـة ، مع اني كنت ناويا التوسع في العمـل وبناء كراج كبير
وجلب وكـالات سيـارات وبضـائع اخرى . ولكـن لن اقـدم على أي عمل او
توسع الا بعد ان اتأكد من صاحب الفضل انه يريد بقائي في بلاده» . اسكتني
وهو يشـد على يدي وقال «تـوسع في عملك ولك كامـل الحرية والتصرف ولن
يعـارضك احد انـت واهلك من اعـز الناس علينـا وخـاصة والـدك فلنا معـه
صلات سـابقة لازلنا نـذكرها . وعـن الكراج تأمر احـد رجالك غـداً يمر على
كاتبنـا ليعين له محل الكـراج المطلوب !» شكرتـه وحمدت الله على انفـراج هذه
الازمـة الطارئة وابـرقت الى شركـة روفـر اطمئنهم خشيـة ان يتسرعوا ويكتبـوا
جوابهم على ما جاء آنفا .

بعد يومين او ثلاثة، عينت لنا قطعة ارض ممتازة لبناء كراج واستمر عملنا بعدها في امان وراحة. ولم نكتف بسيارات اللاندروفر بل جلبنا سيارات اخرى كالرولزرويس والكرايسلر والمتسوبيشي اليابانية خاصة بعد ان عبدت الطرق. وبنينا عمارة كبيرة تحتوي على معارض وكراجات وفتحنا فرعا كبيرا للبضائع العمومية، كما ادخلنا بضائع مختلفة على سبيل المثال مضخات ماء عادية وخاصة. ولما اكتشف الماء في (العوير) سحب غالبيته بواسطة مضخات من مبيعاتنا خاصة من النوع الصالح للاعماق.

اشار الشيخ راشد في حديثه عن الصلات الطيبة مع والدي اني اتذكر ان والدي كان دائما على اتصال وتواصل مع والد الشيخ راشد واعمامه يزيد من تواصلهم عمل اللؤلؤ وتجارته في ذلك الزمان وان والدي رحمه الله كان لا يتوانى بل يسارع الى زيارتهم اذا قدموا للبحرين في سفنهم الميكانيكية او في مقر اقامتهم عارضا الاستضافة والتكريم وما الى ذلك.

في واقع الامر، كانت دبى بصورة خاصة والامارات بصورة عامة، لها وقع خاص في نفسي وكنت اشتاق الذهاب اليها والسبب في الدرجة الاولى لطف الشيخ راشد، رحمه الله، وحسن وفادته وايضا حسن اللقاء من الشخصيات الطيبة المعاصرة للمرحوم الشيخ راشد، واذكر منهم هنا آل الغرير وبن فطيم واللوتاه وغيرهم. فاني وعائلتى لم نجد منهم الا كل لطف ومودة. جزاهم الله خيرا وعلى سبيل المثال لا الحصر كنا قد استأجرنا شقة من التاجر المعروف ناصر بن عبداللطيف لسكني فيها وعائلتي اثناء احدى زياراتنا، ومكثنا فيها حوالي شهر. ولما اردنا دفع ايجارها امتنع عن استلام الايجار وقال «ان لك علينا حق الضيافة والاكرام». رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنته.

أبوظبي:

كانت ابـوظبى في الخمسينات (اعوام ١٩٥٠م - ١٩٦٠م) صحـراء جرداء ذات رمـال غـزيـرة يحكمهـا الشيخ شخبـوط آل نهيـان وكـان دخل نفطهـا في اوائله. امـا الشيخ زايد آل نهيان، حـاكمها الحالى، فكان يقضي معظم اوقـاته في مدينـة العين، وهى بذاتها كـانت مدينة بـدائية ليس بها الا مبـان قليلة كما كانت طرقها بدائية غير معبـدة. وكان اتصال العين بأبوظبى ونواحي الامارات الاخرى لا يأتى الا عن طرق صحراويـة رملية معظمها لا يمكن السير فيه الا بسيارات ٤ × ٤ ذات اطارات رمليـة. في هذه الفترة، توجهت من دبى لـزيارة ابـوظبى بصحبة وكيلنـا آنـذاك في المنطقة مستعملين سيـارة لانـدروفر قـاطعين طـريقا متعـرجـا شاقـا وعرا تغطيـه الـرمال الكثيفـة وفي بعض الاحيـان نقطع مستنقعات او مطاين عندما نعرج للسير بمحـاذات الساحل ابتعادا عن الرمال الكثيفة في الداخل. واذكـر اننا توقفنا مرة او مرتين لدفع السيـارة وتحريرها من التغريز. وصلنا ابـوظبى، وكانت آنذاك عبارة عن جزيرة يـربطها بالبر الرئيسى جسر بسيط مكـون من حجـارة مكـدسة بغير تـرتيب او تنسيـق. اما الجزيـرة نفسها فكـانت كتلة مـن الرمال الكثيفـة تقع في قلبهـا قلعة مبنية مـن الحجارة يحيط بها بعض المبـانى والمسـاكن القديمـة المتهالكـة، اما بـاقي المسـاكن فهى عبارة عـن عشش من جريـد النخيل. وكان سـوقها الصغير آنذاك عبـارة عن دكاكين او ثـلاثة مبنيـة بالحجـارة والجص، والباقـى عشش من جريـد النخيل ايضا. ولم يكن بـه الا بضائع بسيطـة محدودة اغلبها معلبات عفـا على بعضها الزمـن وفات اوان صلاحيتهـا. توجهنـا الى القلعة، وكـان بابها مغلقـا. وبعد طرق البـاب عدة طـرقات، لم يفتح لنـا الباب الـرئيسى، بل فتحت لنـا فتحة صغيرة في الباب نفســه تسمى (خوخـة) بالكـاد تكفى لدخول شخـص واحد متوسط الحجم. بعـد دخولنا وقفل الخوخة اخذنـا الحارس الى مجلس بداخلها فاذا بالشيخ شخبوط قد تصدر ذلك المجلس يحيط به بعض العائلة والحاشية. رحب بنـا وحيانـا وسألنى عن والـدي وجماعتى وبعـد تناول القهـوة والحديث البسيط قال «انكم الآن في حاجـة للراحة بعد هذه السفرة المتعبـة ورجّالنا فلان

سيصطحبكم الى المضيف». فعلا واكب سيارتنا رجال الشيخ واوصلنا الى محل قريب من السوق يتكون من دار تعلوها غرفة وسطح بناؤها قديم ومتهالك، سلمها مبني من الجص ذابت زواياه حتى انك لا تتصور انه سلم، شبابيكها مفتوحة بعضها نزعت درفات ابوابها وبعضها اتلف الصدأ القضبان الحديدية للشباك فاصبح بدون واق يمنع السقوط منه. اما فرشها فكانت مجرد حصر من نوع (مداد البحرين) يغطيها التراب والملح.

بعد فترة وجيزة جاء احد الخدم ومعه دلة القهوة وابريق وبعض الفحم اشعله وبدأ يعمل قهوة في السطح. ثم جاء خادم آخر وألقى من بعد على ارض الغرفة مرتبتين ومسندين. جلسنا ننظر ما حولنا فلم نر الا البر والبحر والرمال والعشش المتناثرة على هذه الرمال الكثيفة. حان وقت الغداء فاذا بالخادم يحضر سفرة لم يفرشها امامنا بل وهو واقف على عتبة الباب ألقاها طائرة لتحط امامنا، ثم عاد وهو يحمل صينية بها رز وعليه قطع من اللحم وقال تفضلوا. كنا جياعا، فالوقت متأخر وكان فطورنا مبكرا، فلما تقدمنا الى صينية الاكل لم نستطع اكل اللحم لكونه يابسا وغير ناضج. اما الرز فقد خالطه شيء من الرمل. احترنا ماذا نعمل؟ عندها طلبت من سائق سيارتنا ان يذهب الى السوق ليحضر لنا ما يمكن احضاره من اكل. عاد وليس معه الا علبة بسكويت وقال «هذا كل ما وجدت مما يصلح لكم». هكذا كان غداؤنا في ذلك اليوم اما العشاء فكانت نفس الصينية، وبطبيعة الحال لم نلمسها. ولحسن الحظ زرنا بعد الظهر أخاً للشيخ شخبوط فقدم لنا حسب العادة عندهم «فوالة» بعض الحلوى وتوابعه، اكلنا منها دون استحياء ما يسد رمقنا من الجوع.

كان تخطيطنا ان نبقى لمدة يومين او ثلاثة، ولكن نظرا للوضع الآنف الذكر اتفقنا على الرجوع الى دبى في اليوم الثاني. فعند زيارتنا لأخ الشيخ شخبوط قال «ان شاء الله انكم باقون عندنا كم يوم؟» قلنا «اننا ننوي الرجوع غدا». استغرب وقال «لا يمكن - فالشيخ شخبوط - سوف لا يسمح لكم بالمغادرة الا بعد ثلاثة ايام» طلبنا منه ان يعتذر لنا من الشيخ

شخبوط لاننا ملزمون بأمور ضرورية في دبى. وعد بمكالمة الشيخ ولما عدنا اليه في المساء قال «ان الشيخ رفض السماح لكم بالسفر غدا». ما العمل؟ المعيشة صعبة من جوانبها المختلفة، كما ان نومنا تلك الليلة لم يكن مريحا. فاتخذنا قرارا لم يكن لنا بد من اتخاذه: سرنا في سيارتنا كأننا نستطلع نواحي الجزيرة حتى وصلنا الى الجسر الموصل الى البر الرئيسى وهنا اطلقنا العنان لسيارتنا بكل سرعتها الممكنة متوجهين الى دبى (١).

بعد سنتين او نحوهما من هذا التاريخ توجهت الى ابوظبى للمرة الثانية بصحبة مدير محلنا بدبى والسائق الذى يعرف الطريق الذى لازال بدون تعبيد، وكنت في ضيافة الشيخ شخبوط لعدم وجود فنادق. هذه المرة انزلنا في بيت حديث مصنوع من الخشب من البيوت التى تستورد جاهزة من اوروبا او امريكا وكان بجواره بيت آخر مماثل، والاثنان مفروشان بفرش مناسب. وحال استقراري بالبيت المذكور فاجأني الخادم بكأس كبيرة مملوءة بماء كدر غير صاف. قال الخادم وهو يناولني الكأس «تفضل اشرب» ثم أردف قائلا «أمرني الشيخ شخبوط أن أقدم لك هذا الكأس لتعرف اننا اكتشفنا الماء في منطقتنا» (وكانوا فيما مضى يأتون بالماء من محلات بعيدة او من دبى). تظاهرت اني شربت من الكأس وامتدحت طعم الماء. ولما زرت الشيخ شخبوط كان اول سؤال سألنى «هل ذقت الماء الذى اكتشفناه؟» وكان في غاية السرور والابتهاج بهذا الحدث، سألته عن موقعه ومكانه وهنأته على هذا الاكتشاف. في هذه الزيارة لاحظت تغيرا في الامارة، فهناك حركة تعمير وتجارة ونشاط ملحوظ. سألنى الشيخ شخبوط عما اذا كنا ننوي فتح فرع في ابوظبى اجبته بالايجاب. بقينا يومين ثم عدنا الى دبى وكنت قد صممت على فتح فرع لنا هناك.

---

(١) اجل هكذا كانت ابوظبى في ذلك الوقت من الزمان غير ان التطور السريع الذي طرأ عليها في مدة وجيزة والانجازات الهائلة التي اتخذت في عهد صاحب السمو الشيخ زايد غير تلك البقعة الصحراوية الجرداء وجعل منها مدينة حديثة جميلة فهي اليوم بحدائقها الجميلة الواسعة وعماراتها الشاهقة وميادينا الفسيحة تضاهي اجمل المدن المتقدمة في هذه المنطقة بل ومناطق العالم الاخرى ولم يقتصر ذلك التقدم على مدينة ابوظبى بل شمل مدينة العين ونواحي امارة ابوظبى الاخرى.

بعـد مـدة قصيرة ارسلت مـديـر محلنـا بـالمنطقـة الى ابوظبـى ليخبر الشيخ شخبوط عن عـزمنا على فتح الفـرع وايضا لاختيار الموقع، فما كـان منه، رحمه الله، الا ان قـال له «تعـال معى». وأخـذه في صحبته الى السـوق. وكان بها عـدد من الـدكـاكين المستحدثـة والمملـوكـة لسمـوه وكانـت جميعها مشغـولـة ومؤجرة. وقال لـه «اختار أياً منها ونحن نأمر بتفريغهـا لكم». تردد وكيلنا في الاجابة وقـال «اترك الامر لسموك». بعـدها تقرر احضار البضـائع والسيارات ولما صفت في مواضعها واخبر المديـر سمو الشيخ بذلك قال سمـوه «انا الذى سأفتح المحـل وأول زبون يكـون في دفتركم هـو اسمي». فعـلاً تـوجه سمـو الشيخ شخبوط وحـاشيته الى المحل وبعد تنـاول المرطبات امر المديـر بأن يقيد في دفتره اول طلب ثم تبعه بعض الانجـال والحاشية فسجلوا طلباتهم. مكـرمة جميلة من سموه رحمه الله وانجاله وهكذا تم فتح الفرع في ابوظبى.

بعـد تدفق النفط انتعشـت الحركة التجـارية في ابـوظبى وزاد اقبال النـاس عليها، فـاتخذت حكومتها قـرارا يفرض على كل تـاجر غير ظبيانـى ان يشارك مـواطنا ظبيـانيا بـاعطائه ٢٥ في المائة من الاربـاح. فاضطـررنا لمشـاركة احـد المواطنين تمشيا مع النظـام الجديد. ورغم اننا التـزمنا بالقـانون واخذنـا شركاء ظبيـانيين الا ان هـذه الشراكـات لم تكن مـوفقـة وأدخلتنـا في محاكم ومتـاعب لانزال نتألم من عواقبها حتى يومنا هذا.

مدينة العين:

اثناء وجودي في الامارات قمت بزيارة مـدينة العين بصحبة مدير محلنا بدبي في احدى صيفيات الستينات من (١٩٦٠م). وكان يقطنها آنذاك سمو الشيخ زايد قبـل توليـه الحكم والمرحوم الشيخ محمـد بن خليفة آل نهيـان. كما التقيت فيها بالمرحوم الشيخ سعيد ابن الشيخ شخبـوط، كانت الطرق وعرة ورملية في ذلك الزمـان، غير معبدة، فمن دبى نسلك الطريق في سيـارة صالحة للسير في الرمـال الى (ابوظبى) ثم منهـا نعرج على طريق هـو اغزر رمـلا واصعب عبورا الى العين، وبالرغم ان سيـارتنا ٤ × ٤ تصلح للسير فوق الرمـال الغزيرة، الا

اننا اضطررنا للتوقف اكثر من مرة لتخليصها من التغـريز، عندما شارفنا مدينة العين، او قل قـريـة العين آنذاك، وجـدنا عنـد مشـارفها سرحـا من الاغنـام خففنا السير لنتحـاشى الاصطدام بها، في هذه الاثناء شـاهدنا عن بعـد عددا من الرجال وعند الوصول اليهـم كان من بينهم المرحوم الشيخ محمد بن خليفة آل نهيـان نـزلنا مـن السيارة للسـلام عليـه اذ كـانت بينـه وبين والدي معـرفـة قديمة، كما كنـت قد التقيت به من قبل في دبى او البحـرين، استقبلنا، رحمه الله، استقبالاً طيبا ودعانا للنزول في ضيافته.

لم يكن بالعين آنذاك فنادق فتبعناه الى مسكنه في العين ووصلنا المضيف مع غروب الشمس. أمـر رحمه الله، ان يعد لنـا مكان في الفضـاء خارج المجلس اذ كـان الوقـت صيفا فـالجلـوس والنوم عـادة يكـون فى الفضـاء لعدم وجـود مكيفات. وما أعد لاقـامتنا عبارة عن عدد من الحصر غطي غالبيتهـا بالسجاد العجمي، بعـد العشاء احضر الينـا فراشـان لي وللمديـر اما السـائق فنام على طـارف الحصر. اثناء نـومنا كـان يوقظنـا بين فترة واخرى حـركات خفيفـة في الـرمـال المحيطـة بنـا، كـانت تلك الحركـات الخفيفـة حشرات بـريـة اغلبهـا عقارب. وكنت بـلاشك خائفا من لـدغة عقرب ولكن خوفي لا يعـادله شيء بالنسبـة لخوف مدير محل دبى المرافق لي فقـد بقى واعيا طوال الليـل رغم عناء السفر الشاق الطويل.

في الصبـاح توجهنـا الى (مشبر) جدول متفـرع من عين قريبـة من القريـة لنتوضأ ونغتسل فيها وجدنا ماءهـا صافيا نظيفا. لم يكن المشبر عميقاً ولكن ما يكـاد المرء يضع رجله فيـه حتى تسـارع الاسماك الصغيرة من نوع «العفـاطي» المعروفة لدينا بالبحرين لقرص رجله وساقه قرصا موجعا.

شكرنا المرحـوم الشيخ محمد بن خليفة على اكرامـه ووفادته وتوجهنـا لزيارة سمو الشيخ زايد وبقية الامراء.

كان الشيخ زايـد قبل اعتلاء عرش ابوظبى يقضى اغلـب اوقاته في العين. وكان يهتم بـالزراعة وتطويـرها. وكنا نـورد لمزارع العين مضخات سحب الماء ونجهزهـا بما تحتاج اليه مـن ملحقات. وكوننـا وصلنا العين رأينا مـن الواجب

زيارة الشيخ سعيد بن شخبوط ابن الحاكم الاكبر، وكانت بيننا وبينه معرفة سابقة، استقبلنا الشيخ سعيد، رحمه الله، استقبالا حارا وألح مصراً على دعوتنا على العشاء تلك الليلة. بعد العشاء استأذناه للمغادرة والرجوع الى دبي، ألح في بداية الامر واصر على بقائنا والمبيت في كنفه ولكنه بعد التماسنا منه أذن لنا. كان سائقنا من اهالي عمان يدعى «عبود» واشهد بالله انه سائق ماهر «دِلِّيل».

تركنا العين حوالي الساعة الثامنة مساء ومضى هذا السائق في تلك الليلة المظلمة يسير في هذه الصحارى المترامية الاطراف مقتحما تلال الرمال الكثيفة دون توقف او تردد الى ان وصلنا الى دبي في الساعة الثانية والنصف صباحا، وقد انهكنا التعب من تقلب السيارة واهتزازها ناهيك عن القلق والخوف من صحراء مهلكة.

رأس الخيمة:

في احدى صيفيات (الستينات - ١٩٦٠م) قمت وبصحبتي عائلتي وبعض اولادي بزيارة رأس الخيمة بدعوة من حاكمها سمو الشيخ صقر القاسمي. غادرنا دبي صباح ذلك اليوم في سيارة لندروفر كبيرة مارين في طريقنا بالمشيخات التي في طريقنا واحدة واحدة. ولم يكن الطريق معبدا آنذاك فكنا نسير في الغالب بمحاذاة الساحل وفي كثير من الاحيان تلامس سيارتنا ساحل البحر. وقبل وصول حدود رأس الخيمة تغير اتجاه مسيرنا الساحلي الى السير في الرمال الكثيفة.

استقبلنا الشيخ صقر وحاشيته واهله استقبالا كريما وأكرمونا غاية الاكرام جزاهم الله خيرا، ولم يكتفوا بذلك بل فرجونا على جميع نواحي الامارة وبالخصوص المزارع والبساتين حولها. وبعد تناول العشاء استأذنا بالرجوع وتوجهنا الى دبي.

لم يكن سائقنا هذه المرة «عبود»، «الدِلِّيل» الذي ذكرته في زيارتنا للعين بل شخص آخر.

ففى اثناء سيرنا وقد قطعنا نصف المسافة تقريبا الى دبى لاحظت وانا اطل من نافذة السيارة ان الارض التى تسير عليها سيارتنا غير الارض التى اعتدنا طرقها. امرت السائق بأن يتوقف وبدأت احاوره عن طريق سيره، اراد ان يقنعنى انه يسير في الاتجاه الصحيح ولكن كان عندي احساس غريب اننا لم نكن كذلك. نزلت من السيارة وكانت الليلة مظلمة وبدأت اتطلع الى السماء الصافية، وبحكم خبرتى بمواقع النجوم من خلال ممارستى السفر بالبحر، لاحظت اننا نسير باتجاه الجنوب أي نحو عمق الصحراء تاركين الساحل خلفنا. ولو واصلنا في هذا الاتجاه لتعرضنا لخطر محدق خاصة وان كمية البنزين الموجودة بخزان السيارة آنذاك محدودة لا تكفى الا لايصالنا الى الشارقة او دبى. عندها امرت السائق بأن يقفل راجعا نحو الشمال باتجاه الساحل وظللت اوجهه بالسير مراقبا نجوم «الياه والفرقد والنعش» في السماء وهى النجوم الشمالية في البوصلة البحرية والتى تسمى بهذه الاسماء في عرف البحرين والخليج. وبعد السير مدة ليست بالقصيرة في هذا الاتجاه اعترضتنا سيارة متجهة نحو الشرق سألنا سائقها عن مكاننا واتجاهنا اجاب انكم الآن متجهون نحو ام القيوين على ساحل البحر. عرجنا الى اليسار حيث وصلنا الى الشارقة وسيارتنا تكاد ترتشف آخر نقطة من البنزين. حمدنا الله ان هدانا لذلك وحمانا من خطر هلاك محدق.

بقى الحال على احسن ما يرام الى ان تمرض المرحوم الشيخ راشد وساءت صحته، وادخلت في تلك الفترة انظمة جديدة في دبى حدت من نشاطنا وتعرضت لمصالحنا ثم تبعها الاستيلاء على وكالاتنا رغم المحاولات المتكررة للتفاهم الودي مع ذوي الشأن او الراغبين في الاستحواذ عليها. وقد سعينا وطرقنا ابوابا مختلفة متعددة حكومية وتجارية للتفاهم وايقاف هذا التيار ولكن مع الاسف لم نفلح.



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس الوزراء الموقر

يجدر بي بهذه المناسبة ان اذكر موقف صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء - اعزه الله وأيده - واشيد باريحيته الكريمة اذ انه ما كاد يعلم بما يدبر لنا حتى تكرم سموه وبعث مندوبا من مكتب سموه الى ولاة الامور بدبي يناشدهم التفاهم الودي معنا، ثم اتبع ذلك بابتعاث وزير من وزراء الدولة الى ابوظبي لنفس الغرض. ومع ان مسعى المناشدين - ويا للأسف - لم يكلل بالنجاح الا ان تفضل سموه واهتمامه بهذا الامر كان لهما الوقع الجميل في نفوسنا والامتنان العظيم لسموه منا - جزاه الله خيرا واطال عمره.

وهكذا اسدل الستار على تجارتنا الواسعة في الامارات بعد ان مضى عليها اكثر من اربعة عقود من الزمن.

قطر:

بعد اختلافنا مع الدرويش وتفرده بوكالة اوستن صفحة (١٩٧) التفتنا الى نشر سيارات اللاندروفر في قطر واتفقنا مع احد الشيوخ من آل ثانى اتفاق شراكة في سيارات اللاندروفر والبضائع الاخرى كالثلاجات والمضخات وغيرها.

استمرت شراكتنا عدة سنوات وهي تسير على احسن ما يرام. ولما كانت الادارة هى مسئوليتنا حولنا من البحرين مديرا للمحل ثم اتبعناه بآخر مواصلين المسيرة الموفقة. وقد حصل في هذه المدة بعض التعرض والتدخل من حاسدين او طامعين الا اننا كنا على استعداد لمقابلة ذلك، سيما وان صلتنا مع الشركات المصدرة كانت قوية وراسخة. وانهم بحكم ما جرى من متاجرة بيننا وبينهم ادركوا قوة نشاطنا وجدارتنا لتحمل المسئولية، كما ان زيارتنا المتكررة لهم والاتصال الشخصى بمدرائهم، عزز هذا الترابط ووثق الصلة معهم ناهيك عن تجارب التدخلات الفاشلة التى مرت بهم في الماضى والتى اخذوا منها دروسا كافية.

نشط عملنا في قطر مع شريكنا وتدرج واضفنا عليه وكالات اخرى وبقى سيره مطردا حسنا حتى جاء الوقت الذى تمرض فيه شريكنا بسبب حادث مرورى أدى الى شل حركة اتصالاتنا التجارية معه فتخارجنا من الشراكة معه بصورة تفاهم ودية ولله الحمد والمنة. شاكرين له تعاونه ووفاءه.

الكويت:

ذكرت فيما سبق ان وكيل اللاندروفر في الكويت كان الغانم، اما وكالة اوستن فقد سبق ان تحدثت عنها في مكان آخر (١). يظهر ان الغانم وهم شركة كبيرة تمثل شركة (G.M) العالمية لم تكن تهتم بتسويق اللاندروفر. ونظرا لما قمنا به من تسويق اللاندروفر في مناطق الخليج الاخرى وانتشارها عرضت علي شركة الروفر في عدة مناسبات ضم الكويت الى منطقتنا ولكني رفضت لما نتمتع به مع جماعة اخواننا الغانم من صداقة ومودة. ولانه ليس من مبدئنا

---

(١) صفحة (١٩٣) تحت عنوان قصة الحصول على الوكالات.... الخ

التعرض لما في يـد الآخرين. وبعـد مدة قصيرة قـال لي ممثل شركة الـروفر «ان جماعة الغانم قد اظهروا عدم رغبتهـم في مواصلة استيراد هذه السيارات» اجبته لا يقنعنى كلامه الا اذا احضر الي كتـابا من الغانم يثبت ما يقولـه. لكنه بعد ايام احضر كتـابا بهذا المعنى. عنـدها قلت له «اسمـح لي ان افكر». اتصلت بأخي قـاسم بـالكويت تلفـونيا واخبرتـه بما جـرى وطلبت منه ان يـذهب الى السيد يوسف الغانم يبلغه سلامي وتحيـاتي ويسأله اذا كان الامر كذلك. فعلاً ذهب وكان جـواب الغانـم «اننا فعـلاً لا نرغب ونفضل ان تكون عنـدكم بدل ان تكون عند غيركم». عنـدها قبلنا بأخذ الـوكالة للكويت وبـاشرنا باستيراد منتوجاتها التى لقيت رواجا كبيرا.

السعودية:

انشأنا فـرعنا التجارى في الخبر بـالسعوديـة في الخمسينات (من ١٩٥٠م - ١٩٦٠م) لكونها آنـذاك المركز الـرئيسي في المنطقة الشرقيـة. ومع اننا بعنـا فيها عـددا من سيارات الـلاندروفـر وكـذلك بضائع مختلفـة، الا ان الهدف الاكبر كـان هو البيع على شركـة ارامكـو. فقد كـانت هى المشتريـة الكبرى في ذلك الزمان في المنطقـة. وهنا اوجه القارىء الى بنـد خاص في هذه الذكـريات عن مغامرتنـا مع شركة ارامكو، تحت عنوان ارامكـو واللاندروفر، وما تـوصلنا اليه من نجاح مرموق، حمدا لله على ذلك. صفحة (٢١٩)

وما دمت في موضوع السعوديـة، اود ان اشير الى واقعة حدثت خلال تلك السنوات: فكما هـو معلوم لا يجوز لأي شخص غير سعـودي ان يمتلك ملكا فيها. وفي أحـد الايام عـرض علي دلال قطعة ارض على شـارع الامير خالـد بالخبر وجدتها تصلح لتكـون معرضا لسياراتنا وبضـائعنا، كما يمكن ان تشيد عليها بنـاية ذات طـوابق متعددة. تفـاهمت مع صاحبهـا بواسطـة الدلال على الثمن وعرضت على والـدي، رحمه الله، ان نرسل برقيـة لجلالة الملك فيصل، طيب الله ثراه، نستأذنه شراءها. ارسلنـا البرقية، وبعد بضعة ايام. وبينما كان مدير محلنـا بالخبر وهو شاب من جماعتنا يباشر عملـه المعتاد، اذ بسيارة «بك اب» تقف امام المحل بالخبر، نزل منهـا «فداوي» شرطي مثقل بسلاحه دخل المحل

وقال بلهجته النجدية «انت ولد الزياني» اجابه المدير مرتبكا بالايجاب فقال الفداوي «تعال معنا في البك اب» اضطرب المدير وسأل عما حدث منه من غلط غير ان الفداوي لم يجبه على استفهامه رغم تكراره السؤال وسار به في البك اب لدار الامارة بالدمام. وهناك وهو في حالة فزع وخوف وجهه الى غرفة معينة في الامارة حيث وجد الموظف المختص محاطا بعدد من المراجعين فلم يتمكن من ان يجد السبيل للوصول اليه وللاستفسار منه عن سبب استدعائه المفاجيء. وبعد ان شق طريقه وتوصل للشخص المختص قال له الموظف هذه العبارة «وصلت الامارة برقية من جلالة الملك تأمر بتسجيل الارض التى طلبتم شراءها في الخبر والمطلوب منك ان تحضر في الحال الاوراق والوثائق الخاصة بها» اجاب المدير «اني لا اعرف شيئا عن ذلك ولا توجد عندي اوراق ووثائق ربما هذا جرى عن طريق البحرين رأساً» فقال الموظف «إذاً اذهب للبحرين وأت بها» في الحال توجه المدير الى البحرين، وعند التقائه بي كان اول كلمة قالها لي وهو في حالة فزع وارتباك «انقلوني من الخبر» (قبل ان يخبرني او يحدثني بما جرى له وما هى الاسباب والدواعي لطلبه هذا). حاولت تهدئته وطمأنته واستيضاح الامر منه ولكنه اصر على النقل فاضطررنا لنقله وابداله بشخص آخر يحل محله. اما الارض فسجلت باسمنا ونعتبرها مكرمة من مكارم المغفور له جلالة الملك فيصل طيب الله ثراه.

أرامكو واللاندروفر:

عند انتعاش نشاط ارامكو بالسعودية في الخمسينات (١٩٥٠م - ١٩٦٠م) اردت الدخول في التعامل مع هذه الشركة الكبيرة عن طريق بيعها سيارات او معدات، فعرضت عليها سيارات لندروفر لصلاحيتها للصحاري والمناطق الرملية ولكن الشركة، وهى امريكية متعصبة لامريكيتها، لم تر ان هذه السيارة صالحة لعملهم وبالاقناع والتقنيع امكنني التوصل معهم الى ما يلى:

عرضت عليهم ان اسلمهم سيارة لاندروفر لتجربتها واستعمالها لمدة شهر كامل دون أي مقابل ودون ضمان او مسئولية، وبعد شهر، لهم الخيار في شرائها او ارجاعها لنا او حتى تركها محطمة مرمية في الصحراء.

استغربـوا هذا الاقتراح وترددوا في باديء الامـر ولكنهم تحت إلحاحي قبلوا به فأرسلوا الى البحرين مندوبين عنهم يحملون ورقة تعهد منا بعدم مسئوليتهم اذا قبلـوا هذا العـرض. ولما طلب المنـدوبـان التوقيع على التعهـد وقعتـه بكل اطمئنان. سلمنـا على اثر ذلـك سيارة لنـدروفر للشركـة للتجربـة. بعد مضي شهر على ذلك وصلنـا شيك بثمن السيارة. سررت بـذلك اتم السرور، ولكن سروري هذا سرور البداية فهو لا يكفى لان نقف عند هذا الحد. فاتجهت الى مفاتحتهـم لشراء عدد من هـذه السيارات، وبعـد المفاوضـة معهم توصلنـا الى مـوافقتهـم على شراء ١٣ سيـارة، بعـد ان اشترطوا ادخـال بعض التعـديـلات عليهـا، واعتبار هـذه الطلبية بـدايـة لطلبيات كبيرة اذا نجحت. كما اشترطـوا توجيه طلبهم هذا عن طريق مكتب مشترياتهم في لندن.

اتصلت بشركـة روفر اخبرهم بما توصلنـا اليه ثم تـوجهت الى لندن لمتـابعة هذا الموضـوع الهام. ولما قدم مكتب مشتريات ارامكو بلنـدن الطلب الى شركة روفر محتويـا التعديلات المطلوبة اتصـل بي هاتفيا مدير المبيعـات بشركة روفر، وكنت آنـذاك في لنـدن، وكان هـذا المديـر من الانجليـز القدامى المتفـاخـرين والمتباهين بانجليزيتهم وصنـاعتهم. وقال «ان شركتنا لا تستطيع ان تجرى هذه التغيرات والتعديـلات واننا سنرفـض الطلب». رجوته ان لا يفعـل واخبرته اني متوجه الى برمنجهام حيث يقع مصنع الروفـر لمقابلته والتباحث معه حول هذا الموضوع. اجتمعت بالمذكور في مصنع الـروفر ببرمنجهام وبعدما اطلعنى على طلبهم قال لي بالحرف الواحد «ان الذى جـاءه بهذا الطلب امريكي وانه عندما تسلم الطلب منه، احـس ان شعر رأسه قد انتصب واقفـا - (تعبير انجليزي) بمعنى انه لا يطيـق الامريكيين» جرت هذه الحادثـة بعد انتهاء الحرب العـالمية الثانيـة وكان الحرب قد تركت آثـاراً نفسية لدى الاوروبيين والانجليز بـالذات تجاه امـريكا والامـريكيين. فقبل الحرب كـان لـدول اوروبـا وخاصـة انجلترا مـركـز عالمي كبير وصـوت رفيع مسمـوع، ولكن دخـول امـريكـا بعديـدهـا وعـددهـا الهائلـة وتأثير ذلك على نجـاح الحلفـاء في الحرب، خلف في نفـوس الاوروبيين الحسد والحقد والكراهيـة لهم. وكيف لا يكون ذلك؟ اذا ادركنا انه

في الـوقت الـذى يتمتـع الموظف او الجنـدى الامـريكـى القـاطن في القـواعـد البريطانية بكـل انواع الملذات من اكل وشرب وكساء وتـرويح، يفتقر المواطن الانجليـزى للحاجيـات الضرورية لمعيشتـه ومعيشة اولاده. فقـد كان سـلاح التموين والتقنين مسلطـا على رقاب الشعب الانجليزى في ذلـك الوقت. فعلى سبيل المثـال، يخصص للشخـص الواحـد بيضـة واحـدة بـالاسبوع واقـل من نصف رطل لحم، وتنطبـق هذه النسبـة كذلك على انـواع الاكل الاخرى امـا الكماليـات والملابس، فكـان لا يحق للشخص سنويـا شراء غير بـدلة واحـدة تحتـوى على جاكيتـة وبنطلون فقط، او بـدل ذلك قميص وفـانلة ومـا شابـه ذلك. اضحكتنى عبـارة المدير، وفهمت لماذا يكـره الامريكان. قـرأت الطلب وكـان مكتوبـا على ورقة رسميـة طبع خلفها شروط متعـددة بعضها مستحيلـة التنفيـذ ولكنها من الشروط التى عـادة تكتب في شهـادات التأمين او بوليصـة الشحن ثم سألت المديـر «كم يقدر تكليف هذه التغيرات» قـال «حوالى ٣٠٠ الى ٤٠٠ جنيـه»، قلت «حسنـا، انـا مستعـد لـدفع هـذا المبلغ وارجـو قيـده علينا». ثـم اخذت التلفون واتصلـت بمكتب مشتريات ارامكـو بلندن طـالبا موعدا للالتقاء بمديره.

حـدد الموعـد وفي اثنـاء الـزيـارة وجـدت المسئـولين الامـريكيين بسطـاء متعاونين. ولما استفسرت منهم عن الشروط المشروطة في ظهـر طلبهم قالوا «لا تهتم بهذه الشروط فهى مطبوعـات لطلباتنا بـامريكا ولن نطبقها هنـا». عدت الى بـرمنجهام واوضحت الامـر لمدير المبيعـات بشركـة روفر فقـال «اني لازلت غير مطمئن لما يوعد بـه هؤلاء الامريكان». قلت «اني اتعهـد بتحمل المسئولية فاكتـب تعهدي هـذا في كتاب سأوقعـه لك» قال «اني اعتبر وعـدك الشخصي كافياً ولا حاجة لكتابتـه وسنباشر في تنفيذ التغيرات والتعديلات حسب طلبهم للثلاث عشرة سيارة ولو اني غير مقتنع وراض عن اجرائها».

اجريت التعـديلات المطلوبة على الثلاث عشرة سيـارة وشحنت الى ارامكو بالسعوديـة، وبعد استعمالها وتجربتها لمدة قصيرة ثبتت لهم صـلاحيتها وكفاءتها فقـدموا طلبـا يبلغ مجمـوعـه ٢٥٠ سيارة ثم أتبعـوه بطلب اكبر مقـداره ٣٠٠

سيارة، فاصبح مجموع مشترياتهم من سيارات لندروفر ٥١٤ سيارة. ولولا المجازفة في البداية بسيارة واحدة ثم المتابعة الشخصية لما امكن بيع هذا العدد الكبير من سيارات اللاندروفر لأرامكو، علاوة على انتشار بيع هذه السيارات في السعودية. كان تمثيلنا لسيارات الروفر يشمل المنطقة الشرقية فقط بينما يمثلها في المنطقة الغربية تاجر آخر. اكتشفنا ان سلطات الجمارك في المنطقة الشرقية كانت تتقاضى منا رسوما اكبر مما تتقاضى من الوكيل في المنطقة الغربية، فقمنا على اثرها بتقديم احتجاج على هذه التفرقة وبعد ان استغرق النظر في هذا الامر وقتا طويلا، وافقت سلطات الجمارك على تخفيض الرسوم الجمركية على سيارات اللاندروفر في المنطقة الشرقية لتعادل الرسوم التى تستوفى في المنطقة الغربية، ومع اننا طالبنا اعادة ما استوفي منا من زيادة في الماضى إلا اننا مع الاسف لم نوفق لذلك.

مرت الايام فاتخذت الحكومة البريطانية قرارا بدمج الشركات الثلاث اوستن وروفر وليلاند وتحويلها الى شركة واحدة تحت اسم «بريتش ليلاند» كما قررت تولي ادارتها وجعلها تحت اشرافها. في هذه الاثناء اتفقت بعض الدول العربية على انشاء مصنع في مصر لصنع سيارات حربية من طراز الجيب واللاندروفر، ولما كان الجيب الامريكى واقعاً تحت نظام المقاطعة العربية لاسرئيل، رأيت من المناسب اغتنام هذه الفرصة الذهبية السانحة، وخاصة وان شركة بريتش ليلاند في ذلك الوقت كانت في حالة مالية عسيرة، فاتصلت بالشركة واقنعتها بالاتصال بالحكومة المصرية والتفاوض معها على صنع سيارات اللاندروفر في مصر. وكنت اتابع مجرى المفاوضات. ولما طال الاخذ والرد، توجهت مرة اخرى الى انجلترا لمتابعة الموضوع والاستفسار عن العوائق المحيطة به. فعلمت ان المفاوضات متوقفة بسبب اختلاف بين المفاوضين من الطرفين. فالحكومة المصرية طلبت من الانجليز المشاركة بقسم ولو بسيط في رأسمال المشروع، وبريتش ليلاند، او بعبارة اخرى الحكومة البريطانية، لا تريد المساهمة المالية وتحدد مساهمتها فقط بالتكنولوجيا والادارة. ولما سألت بريتش ليلاند عن مقدار المبلغ المطلوب منهم للمساهمة، اجابوا

حوالي عشرة ملايين جنيه. فبادرت عندها بأن عرضت عليهم امكانية الحصول على قرض لهم من البنوك الخليجية بهذا المبلغ. استحسنوا العرض وطلبوا التمهل لمراجعة الحكومة البريطانية التى مع الاسف تباطأت في التجاوب مما اتاح الفرصة لوكيل سيارات الجيب الامريكية لان يعرض تصنيع الجيب الامريكي. ومع ان الجيب الامريكى مقاطع الا ان المقاطعة تستثنى طلبات الجيوش العربية اذا لزم الامر فضاعت علينا الفرصة ولكن لم يمض وقت قصير حتى تعثر اتفاق الدول العربية للتصنيع الحربى في مصر بسبب زيارة السادات لاسرائيل ومقاطعة مصر من قبل الدول العربية - عندها سعيت الى خطة بديلة لزيادة ترويج سيارات اللاندروفر فعرضت على الشركة تجميعها، وربما تصنيعها كاملة فيما بعد، في منطقتنا بما فيها السعودية. استحسنوا الفكرة فأجريت اتصالا بوزارة الدفاع السعودية، ولما لمست الاستحسان منهم للفكرة، قمت بزيارة السعودية وتشرفت بمقابلة صاحب السمو الامير سلطان وزير الدفاع والمفتش العام وبعض المسئولين لهذا الغرض، ثم اتصلت ببريتش ليلاند لارسال مندوبين عنها. ومع انهم قدموا دراسات مبدئية الا انهم مع الاسف لم يبدوا اهتماما كبيرا بالمتابعة. ويرجع ذلك أولاً لانشغالهم بالتغيرات الكبيرة التى طرأت على ادارة شركة بريتش ليلاند والتى أدت الى تغيير كلي للموظفين والاداريين الذين شرعوا وباشروا النظر في هذا المشروع، وابدالهم باشخاص لم يبدوا اهتماما بالموضوع، وثانيا تدهور وضع الشركة المالي وارتباك اعمالها وعليه خسرنا الفرصة الثانية.

الترويج والدعاية:

ذكرت آنفا بعض الجهود التى بذلناها لترويج سيارات اوستن واللاندروفر في البحرين والخليج. هذه السيارات التى لم تكن معروفة بالمنطقة من قبل ولم يقتصر عملنا على فتح معرض لها او اعداد كراجات لصيانتها بل طرقنا سبلا اخرى جانبية لزيادة البيع والترويج اذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

بالنسبة لسيارات وشاحنات اوستن درجنا بين حين وآخر الى اقامة دعوات تكريم لاصحاب ومستعملى تلك السيارات كما كنا نغتنم فرصة حلول رأس

السنة الميلادية فنوزع على اصحاب تلك السيارات بعض هدايا الدعاية المختلفة. كما انشأنا ورشة خاصة لبناء باصات على هياكل لوريات خاصة استوردناها من شركة اوستن حتى اصبحت غالبية الباصات المستعملة في ذلك الزمان تحمل اسم «اوستن».

وفي يوم من الايام خطرت لي فكرة تساعد على زيادة الترويج والبيع وهى تأجير السيارات على بعض الشركات التى كان عددها محدودا في ذلك الزمان فبدأت الاتصال بشركة نفط البحرين (BAPCO) ولما التقيت بمدير نقلياتها - وكان امريكيا - رحب بهذه الفكرة فاتفقنا مع الشركة واجرنا عليها ما يزيد على ١٣٠ سيارة غالبيتها بك اب لندروفر. واستحدثنا ورشة ليلية خاصة لصيانة هذه السيارات واصلاحها خلال الليل لتكون جاهزة للاستعمال صباح اليوم التالى - كما ركنا لهم عددا من السيارات الاحتياطية لتكون تحت تصرفهم والاستفادة من استعمالها عند الحاجة. وقد وفقنا في هذه التجربة توفيقا كبيرا، وهذه كانت بداية وأساسا للتفكير والاضطلاع بفكرة تأجير السيارات للشركات التى لم تكن معروفة او متبعة في المنطقة.

المعرض التجاري الزراعي:

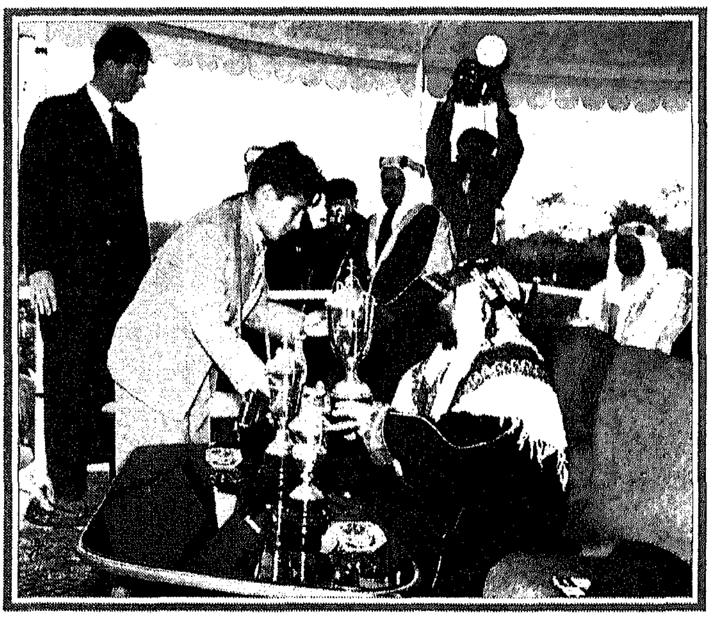
ومن المساعي والنشاطات التى بذلناها للترويج اشتراكنا بنطاق كبير في المعرض التجارى الزراعي الذى كان ينظم في البحرين سنة بعد سنة خلال ثلاث سنوات متتالية في اوائل عام ١٩٥٠م.

كانت دائرة الاعلام باشراف مستر جيمس بلكريف ابن مستشار حكومة البحرين، هى المسئولة عن التحضير للمعرض المذكور والذى درج على اقامته في حديقة الاندلس بالمنامة، عارضة على التجار والمؤسسات الاشتراك والمساهمة فيه على ان يتكفل كل عارض بتشييد معرضه على حسابه الخاص.

وتشجيعا للمنافسة بين العارضين خصصت جوائز للمتفوقين منهم تحدد درجاتها لجنة حيادية، ونحمد الله ان كان لمعرضنا طيلة الثلاث سنوات قصب السبق فقد احرزنا الجائزة الاولى لسنتين متتاليتين والاولى ايضا للسنة الثالثة بالمشاركة مع معرض آخر.



في الوسط صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وعن يمينه صاحب السمو المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وعن يساره المؤلف راشد الزياني في جناح شركة عبدالرحمن الزياني وأولاده في معرض البحرين التجاري الزراعي



صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان بن حمد يتكرم بتسليم خالد راشد الزياني كأس الجائزة الأولى لأفضل جناح في المعرض التجاري الزراعي، كما يظهر في وسط الصورة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وعن يساره صاحب السمو الشيخ محمد بن سلمان آل خليفة وعن يمينه السيد جيمس بلكريف

وأذكر انه في أحد أيام تكريم الفائزين في المعرض كنت أراقب عن بعد ما يجري على منصة التكريم وإذا بي أفاجأ بولدي خالد وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الرابعة عشر عاما، وهو يتسلم من يدي صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة كأس الجائزة الأولى لأفضل جناح في المعرض التجاري الزراعي، بينما تبدو علامات عدم الارتياح على قسمات وجه السيد جيمس بلكريف. فاتضح فيما بعد بأن مكبر الصوت قد تعطل أثناء مناداتهم باسم شركتنا وعندما لم يتقدم أحد لاستلام الجائزة وحيث أن ولدي خالد كان جالسا برفقة عدد من الصبية في الصف الأمامي المقابل للمنصة أومأ إليه صاحب السمو الشيخ سلمان داعياً إياه لاستلام الجائزة.

وكالة رولز رويس

لم تكن سيارات رولزرويس منتشرة في البحرين أو الخليج قبل سنوات الحرب العالمية الثانية. وبطبيعة الحال لم يكن لها وكيل يمثلها في المنطقة.

في أوائل عام ١٩٥٠م وكنت عازما على التوجه الى بريطانيا طلب مني المرحوم الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة أن أساعده في الحصول على قطع غيار لسيارة رولزرويس كان قد اقتناها. بعد وصولي الى لندن طلبت تحديد موعد لمقابلة مدير شركة رولزرويس للاستفهام منه عن كيفية الحصول على قطع الغيار المطلوبة. وعند الالتقاء به وجدته منفعلا ينتقد بشدة البحرين والخليج ويظهر عدم رضاه من زيارة قام بها مؤخرا للبحرين. استغربت انفعاله وتحامله هذا فالانجليز خاصة وكبار المقام والسن منهم يتصفون بحسن الخلق والمجاملة. طلبت منه أن يفصح لي عن السبب الذي دعاه الى هذا التهجم والانتقاد فقال «قبل اسبوعين زرت البحرين بغرض تسويق سياراتنا في المنطقة وتعيين وكيل يمثلنا فيها. زرت عددا من وكلاء السيارات عارضا عليهم الوكالة فاذا بهم يعتذرون عن قبولها وقد علل بعضهم اعتذاره بقوله «كم أبيع من هذه السيارات في السنة - واحدة - اثنتان - لا أرى جدوى من ذلك» سألته عن أسماء الوكلاء الذين زارهم فلم يكن اسمنا من بينهم، عندها قلت له لماذا لم تزرنا وتعرض علينا الوكالة شأننا شأن الآخرين. فنحن وكلاء

سيارات أوستن وروفر وحجم مبيعاتنا من هذه السيارات كبير. أجاب اني لم أكن أعرف ذلك ولما شرحت له نشاطنا في عمل السيارات وتفوقنا فيها غير لهجته وانفعاله وبدا لطيفا متواضعا وقال هل يعني هذا أنكم ترغبون في تسويق سياراتنا. أجبت: «قد يكون ذلك ولكن بشرط التجربة أولاً وذلك ان نورد منها سيارة واحدة أو اثنتين ونرى مدى رواجها في أسواقنا». قال: «أوافق على ذلك وأرجوك أن تتفضل وتقبل دعوتي لك للغداء بضيافتي هذا اليوم لنواصل الحديث». وصلت السيارتان المقترحتان الى البحرين. ومن فضل الله وفقنا في بيعهما في الحال. فقمنا بإبرام عقد الوكالة مع رولزرويس من ذلك التاريخ ووفقنا في مبيعاتنا منها في البحرين والخليج. وكما يقال أن لكل شيء سبباً، انه لم يكن يدور في خلدنا في ذلك الوقت اقتناء وكالة رولزرويس وانه لولا بركة المرحوم الشيخ دعيج طيب الله ثراه وتكليفه لي بالحصول على قطع غيار لسيارته لما فتح المجال للحصول على هذه الوكالة.

عند وصول السيارتين الآنفتي الذكر لاحظت ان موديلاتها انجليزية تقليدية قديمة لا تتماشى مع الموديلات الأمريكية التي اعتاد أبناء منطقتنا عليها سواء من حيث منظرها الخارجي أو ديكورها الداخلي وحتى المكيف رغم انه كبير الحجم غالي الثمن فهو من طراز قديم برودته غير كافية في المناطق الحارة فاقترحت على مدير المبيعات والتسويق في شركة رولزرويس وهو نفس الشخص الذي بدأت الحديث معه سابقا ان يزورنا بالبحرين ليطلع ويقارن بين سياراتهم والسيارات الأمريكية التي اعتاد الناس على استعمالها في منطقتنا. عند قدومه أحضرت له سيارة كديلك واطلعته على التحسينات المطلوبة والمحببة لدى أبناء المنطقة والتي لها دور كبير في إغرائهم لاقتناء السيارة حتى اني لمجرد المبالغة قلت له ان المشتري هنا لا يهتم لما حوته السيارة من ماكينة قوية أو مكابح متطورة بقدر ما يهمه الشكل والمنظر الخارجي والأناقة والبهرجة الداخلية وان بعضهم لا يفكر حتى في فتح غطاء الماكينة ليطلع على وجودها أو عدمه. دون هذه الملاحظات، ولاحظنا فيما بعد ان العديد من التحسينات أدخل على موديلاتهم الجديدة التي لقيت رواجا كبيرا في منطقتنا بصورة عامة والبحرين بصورة خاصة.

وكالة كرايسلر

في الخمسينـــــــات (١٩٥٠م) كان الوكيل المعين لشركة كرايسلر بجميع أقسـامهـا (كرايسلـر - امبريـال - دوج بليمـوث) المرحوم الحاج عبـدالـرحمن القصيبي. ومع ان شركـة كـرايسلـر تصنع أيضـا سيارات «ديسـوتـو» في ذلك الزمـان إلا انها احتفظت بـوكالتهـا لوكيل مستقل غير وكيـل كرايسلـر العام. عرضت الشركة علينا وكـالة الديسوتو ونظرا للعلاقة الأخـوية الطيبة والصداقة الحميمـة التي كـانت ولازالت تـربطنـا بآل القصيبـي ترددت بـالموافقـة وقمت بزيـارة المرحوم الحاج عبـدالرحمن القصيبي في مكتبـه التجاري بـالمنامـة لعرض الأمر عليـه واستشارته فأخبرني ان وكـالة الـديسوتو ليست تـابعة لهم وانهم لا يمانعون مـن أخذها بل يفضلـون ان تكون عنـدنا بدل الغير. على اثـر ذلك قبلنا العرض وبدأنا بطلب عشر سيارات وبـالرغم انها كانت من موديل سابق الا انها لقت رواجاً واقبالاً.

مع مرور الأيـام ونظرا لنشاط الأعمال التجارية في السعـودية تحولت أعمال جماعة القصيبي الى السعـودية والظاهر انهم أظهروا عـدم رغبتهم في التعامل في السيـارات فعرضت علينـا شركة كـرايسلر أخـذ الوكـالة بكـاملها فأخـذناهـا وجعلنـاها تحت اسم مختلـف عن اسمنا التجـاري المعـروف هو شركـة الخليج للتجـارة والهنـــدسـة. ولم يقتصر تـوكيلنـــا لها على البحـريـن فقط بـل شمل الامارات وقطر وعمان ونحمد الله أن وفقنا في تسويقها وانتشارها.

لقد ذكرت تفاصيل حصـولنا على وكالة الرولزرويس وكرايسلـر بالاضافة الى وكالـة الاوستن والروفر كل هـذا حدث قبل إنهاء دراسـة أولادنا وتخرجهم من المدارس والجامعات ولما كـانت أعمالنا قد اتسعت وتشعبت عهـدنا الى من التحق منهم بعملنـا للقيـام بـالاشراف على بعض الأقسـام فعهدنـا الى ولـدي الأكبر خالـد الإشراف على السيارات بعد ان دربتـه واختبرته وقـد أثبت كفاءة سـاعدت كثيرا على زيـادة المبيعـات وسـاهمت في التنظيمات المتعلقة بمعـارض السيـارات والكـراجـات وغيرهـا. كما انـه بفطنتـه ومجهـوده الخاص تمكـن من الحصـول للشركة على وكـالتي الـ بي ام دبليـو BMW الألمانية، والميتسـوبيشي اليـابـانية وأتـرك لـه هنـا يـروي كيف أمكنـه الحصـول على هاتين الـوكـالتين الهامتين:



خالد راشد عبدالرحمن الزياني

بي ام دبليو - BMW

يقول ولدي خالد:

في بداية السبعينات (١٩٧٠م) زرت في لندن معرض ارلزكورت للسيارات، وهذا طريق مشى فيه والدي أطال الله عمره، وبعد زيارة من كان لنا علاقة بهم من الشركات وزيارة الذين نشتري منهم معدات الكراجات وقطع الغيار توجهت الى معرض سيارات الـ (بي. إم. دبليو). كانت هذه الشركة صغيرة في ذلك الوقت انتاجها محدود في عدد الموديلات.. قابلت مستر هانز هلتن المدير الاقليمي للشركة وأبديت له رغبتنا في أخذ الوكالة وبعد البحث المستفيض ودراسة الأسعار والموديلات تقرر ان أزورهم بعد المعرض في مصنعهم الكائن بمدينة ميونخ الألمانية لمزيد من البحث. رجعت للسيد الوالد في لندن لأخبره عن هذه الشركة الفتية بعد أن عرضت عليه كتلوجاتها، وطلبت منه السماح بالذهاب لزيارة مصنعهم لمواصلة البحث

معهم فسمح لي بذلك. توجهت على اثرها الى ميونخ حيث قدمت أول طلبية احتوت على ما كان لديهم من موديلات وهي ١٥٠٠ س س حتى ٢٠٠٠ س س. ومع ان سياراتهم آنذاك لم تكن تحتوي على مكيف أو أي تحسينات مطلوبة، إلا انه كان لدي العلم والاطلاع بأن ما سيأتي ورأيته في المصنع تحت التطوير سيفي بحاجة السوق وطلب المشترين. عند وصول الدفعة الأولى من السيارات عرضناها حول حمام السباحة بفندق دلمون حيث لاقت إقبالاً واستحساناً كبيرين من المشاهدين. بدأ البيع المحدود من هذه الموديلات غير المتطورة ثم زاد الإقبال والبيع عليها بعد ان جرى تطويرها وادخال التحسينات عليها واستحداث موديلات كبيرة منها تحتوي على مكيفات ومعدات الالكترونية حديثة متطورة.

وكالة ميتسوبيشي

يقول ولدي خالد أيضا في عام ١٩٧٠م كنت أقضي شهر العسل في اليابان وكانت شركة كرايسلر قد اشترت ٣٠ في المائة من أسهم شركة ميتسوبيشي للسيارات والشاحنات وكان لهم مندوب دائم في اليابان يمثل مصالحهم على مستوى مجلس الادارة اسمه السيد ليبرمان. وكوننا وكلاء لشركة كرايسلر اتصلت به وعرفته على نفسي وعن علاقتنا بالكرايسلر فدعاني لزيارته في مكتبه وعند زيارتي له حصل بيني وبينه تقارب وتفاهم فعين لي مرافقا من الشركة وأعطاني سيارة بسائق لي ولزوجتي وفي احدى الليالي دعاني مع زوجتي وزوجته اليابانية للعشاء، في أثناء الحديث معه قلت له هل بإمكانه أن يعرفني على شركة ميتسوبيشي. أجاب قائلا انه سيجتمع غدا برئيس الشركة المستر KOBE ويدعوني للذهاب معه. عند مقابلة رئيس شركة الميتسوبيشي في صباح اليوم التالي لاحظت ان مكتبه يحتوي على الكثير من الآثار اليابانية والأوروبية ومن مجرى الحديث علمت بأنه يعشق التنقيب عن الآثار ويدرس التاريخ والحضارات غير اليابانية بشغف واهتمام كبيرين، وكوني أحد مؤسسي جمعية تاريخ وآثار البحرين ومن المهتمين اهتماما خاصا بمتابعة أخبارها واني وجدته يبدي نفس الاهتمام أخبرته اني وزملائي بالجمعية قد دعينا مؤتمر الآثار العالمي الثالث للآثار الآسيوية ليعقد مؤتمره في البحرين

حيث عـرضنا على المؤتمريـن فيه نتـائج التنقيب الذي قـامت بـه بعثة دنماركيـة والذي ثبت خـلاله ان دلمون المذكورة في العـديد من المخطوطـات المكتشفة في بلاد السند والرافدين هي جـزر البحرين، فكان يصغي لكلامي باهتمام وتفهم وأصر على أن يدعـوني للغداء معـه حيث أخذ يسألني الكثير من الأسئلـة عن هـذه البحوث والتنقيبـات وكـان لـدي بعض الصـور والمعلومـات في الفنـدق أعطيتهم إياهـا. ودعوته ليـزور البحرين ليشاهـد المناطق الأثـرية وليطلع على هذه التنقيبات فوعد بتلبية الدعوة.

اغتنمت فرصـة التفاهم والحديث ففتحت معـه موضوع تمثيلنا لمنتـوجاتهم من سيارات ميتسـوبيشي في الخارج فقال بأنهم في الـوقت الحاضر لا يصدرون إلا موديل واحـد هو «الجالانت» وكل تصديـرهم للولايات المتحدة الأمـريكية فقط ولكنه وعـدني بأنه لن ينسانـا عندما يبـدأ تصديرهـم للمنـاطق الأخرى في العـالم. في اليوم التـالي اتصل بي وقال أود أن أدعـوك لتـزور مصانع الشركـة، ونظرا لكون بعضهـا يقع في مناطق أثرية في اليـابان أعددت لك برنـامجا لزيارة تلك المناطـق والتعرف عليها. شكرتـه على ذلك وأخذني وزوجتي الى عـاصمة اليابـان القديمة «كيـوتو» حيث يوجـد مصنعهم لمحركات السيـارات. وجدت المدينـة وكأنها متحف فضـلا عن كـونها في منتهى الجمال والـروعة ومنهـا زرت المصانع الثانية والمدن التاريخية الأخرى «كنارا» وغيرها.

بعـد مضي سنة تقـريبا زارني في البحـرين رئيس شركـة الميتسوبيشي نفسـه وكنت إذ ذاك قـد أصبحت رئيسـا لجمعيـة تاريـخ وآثار البحـرين. وبعـد أن قضى في ربوع البحـرين يومين كـاملين اطلع على ما أمكن الاطـلاع عليه من الآثار والاكتشافات الأثـرية غادرها وهو يلهج بالشكـر والثناء على ما قمت به نحوه من واجب اللقـاء والضيافة تم على اثرهـا ترشيحنا للحصول على وكـالة الميتسوبيشي فأعطينـا التوكيل لكل منـاطق الخليج ماعـدا الكويت لكـونهم قد سبق وتعهدوا لجماعة الملا بإعطائهم الوكالة للكويت.

مع مـرور الأيام تـوسعت الشركة وتجددت مـوديلاتها وأصبح لها أسطـول من الانتـاج متعـدد الأحجام والأنـواع يضـاهي مثيـلاتها من الشركـات الكبيرة المرموقة. وقد عملنا بجد ونشاط لتسويقهـا وإسنادها بالصيانة وقطع الغيار مما أكسبها سمعة طيبة وساعد كثيرا على نجاحها.

AN APPRECIATION

Messrs. A. A. Zayani & Sons

It is with a profound sense of gratitude that we, Mitsubishi Motors Corporation, recognize the outstanding achievement you have made in the promotion of sale of Mitsubishi motor vehicles in your important market through assiduity and high professional capabilities for many years, particularly since the change-over made in November, 1979 from the old arrangement of having to go through Chrysler International S.A. to the new, direct transaction method between us.
This plaque is being presented to you as an expression of our appreciation and our best wishes for your continued success and prosperity.

Sincerely,

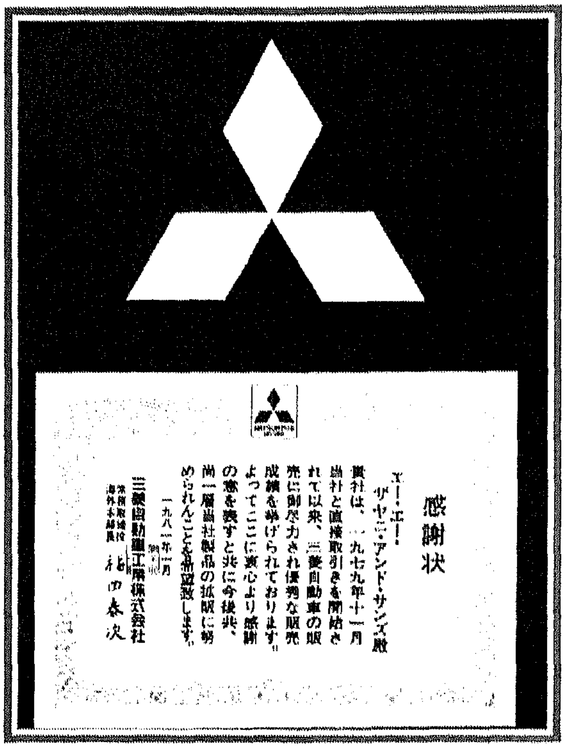
MITSUBISHI MOTORS CORPORATION

Taiji Fukuda

Managing Director-International

January, 1981
Tokyo, Japan

وقد حـزنا على شهادة تقديـرية من شركة ميتسـوبيشي اليابانية لإنجـازنا المتميز في تسويق سياراتها كما هو موضح أعلاه وفي الصفحة التالية . .



تقـــديـــر

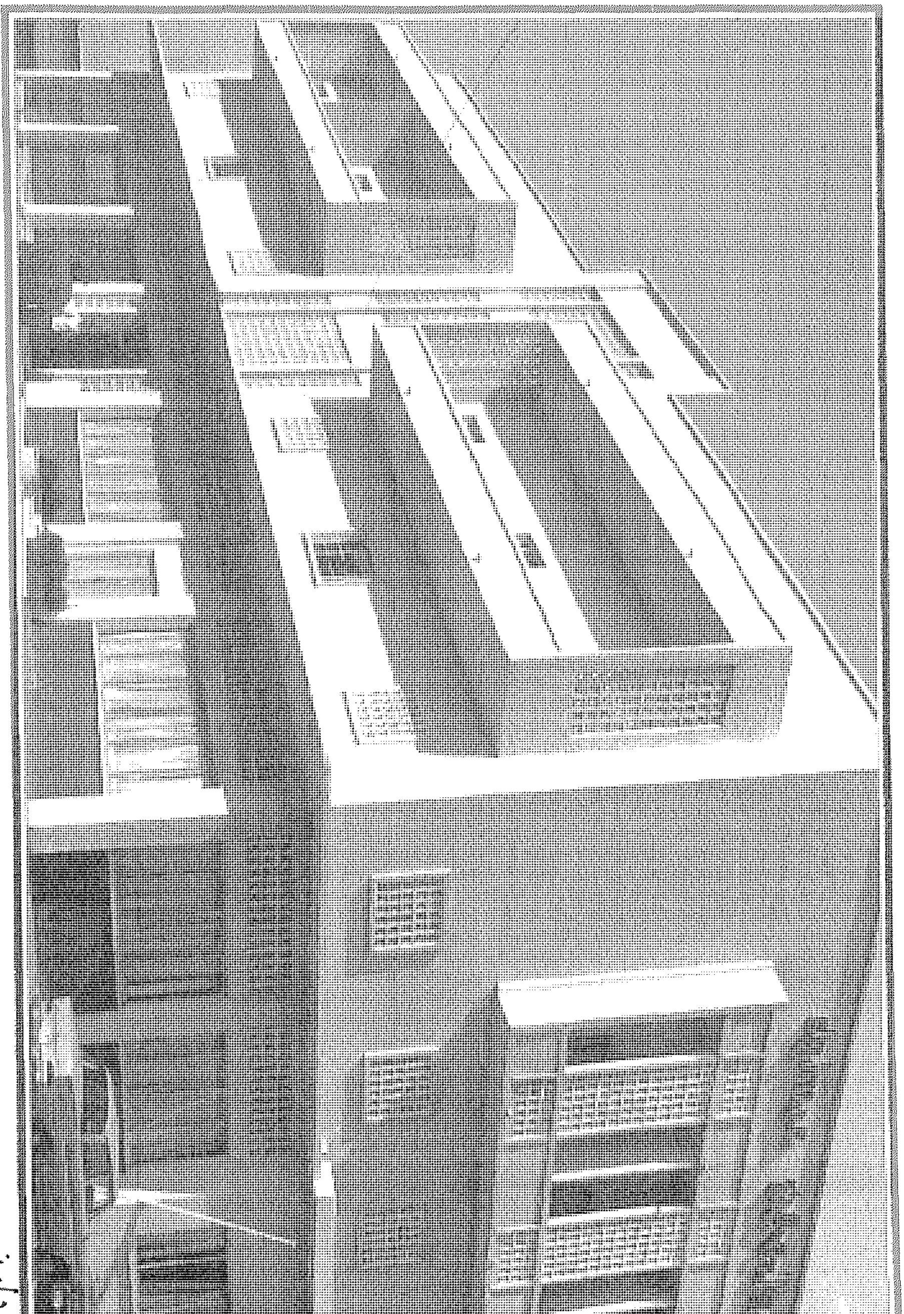
السادة عبدالرحمن الزياني وأولاده

بمزيـد من الامتنان نحـن، شركة ميتسـوبيشي للسيارات، نقدر انجـازكم المتميز في تـرويج مبيعات سيارات ميتسـوبيشي موتورز في سوقكـم المهمة من خلال اجتهـادكم وقدراتكم الفنيـة الرفيعة المستـوى ولعدة سنوات وخصـوصاً منذ التغيير الـذي أجري في نوفمبر ١٩٧٩م، من الترتيب المسبق للتعـامل من خلال كـرايسلر العالمية س.أ. الى الترتيب الجديـد للتعامل المباشر بيننـا نقدم لكم هذه اللوحـة التذكارية تعبيراً لتقديـرنا وأطيب تمنياتنا بـاستمرار نجاحكم وازدهاركم.

المخلصون
شركة ميتسوبيشي موتورز
تياجي فوكودا
العضو المنتدب - العالمي
طوكيو - اليابان

(الفصل الرابع)

مشاريع وأعمال تجارية أخرى



فندق دلمون

مشاريع وأعمال تجارية أخرى

لم يكن نشاطنا التجاري مقتصراً على أعمال السيارات بل شملت بضائع ومشاريع أخرى فقد تمكنا من اقتناء ما يزيد على ٤٠ وكالة لمصنوعات ومنتوجات مختلفة أذكر منها على سبيل المثال - الثلاجات والمكيفات - المعدات والآلات المطلوبة للكراجات وتصليح السيارات - الراديوات والتلفزيونات - مضخات الماء العادية والخاصة بالأعماق - إطارات السيارات - الآلات الحاسبة - المصاعد - الأصباغ والكيماويات - ومن فضل الله كلها كانت دارجة وناجحة.

علاوة على هذا قمنا بمشاريع تجارية رائدة كتشييد فندق دلمون وإنشاء مصنع الخليج للبلاستيك كما سيأتي أدناه.

فندق دلمون:

في أوائل الستينات (١٩٦٠م) كانت البحرين مفتقرة الى فندق لائق لاستضافة الشخصيات المهمة، وكان الحديث يدور بين الجميع عن الحاجة الملحة لإيجاد فندق درجة أولى حتى بلغ الأمر بنا في الغرفة التجارية للنظر بجدية وأهتمام الى هذا الموضوع عدة مرات ثم اتخاذ قرار بإنشاء شركة للفنادق والطلب من الحكومة منحنا امتيازا لمدة ١٥ سنة. أبدت الحكومة تشجيعها لنا ووافقت على ذلك، ولكن بعض التجار قرروا الشروع في فندق لحسابهم مما عرقل مشروع الغرفة. ولما رأينا ان عقد مشروع الغرفة قد انفرط بادرنا الى إنشاء فندق درجة أولى ممتاز خاص بنا وبالصدفة وجدنا بنايتين شرع في بنائهما حديثا تحتوي احداهما على ٤٥ غرفة لفندق صغير بسيط كما تحتوي الأخرى على شقق. استأجرنا البنايتين وباشرنا بدمجهما وتحويلهما الى فندق لائق ممتاز يتكون من ١٢٠ غرفة يحتوى على قاعات فسيحة مختلفة وحمام سباحة ومرافق اخرى لازمة للفندق المذكور الذى اطلقنا عليه اسم «دلمون».

كان فندق دلمون باكورة فنادق البحرين الممتازة لعدة سنوات قبل الشروع في بناء فنادق أخرى ممتازة، وقد لعب دوراً رائداً في مطلع نهضة البحرين الحديثة حيث احتضن عدداً من مؤتمرات وولائم الدولة الرسمية وقدم لجمهور البحرين ولأول مرة خدمات الدرجة الاولى الممتازة للاعراس والولائم وما شاكل ذلك من خدمات.

مصانع بلاستك الخليج:

في الستينات (١٩٦٠م) لاحظت انه لا يوجد في المنطقة بأجمعها مصنع للبلاستك رغم الحاجة والطلب على المنتوجات البلاستيكية من أوان وأنابيب وغيرها فتقدمنا للحكومة طالبين امتيازا لمدة لا تقل عن سنة لنقوم بإنشاء مصنع بلاستك. وافقت الحكومة مشكورة على ذلك فأنشأناه في المنطقة الحرة في المنامة. كان القسم الأكبر من انتاجه يصدر للسعودية وبقية الامارات بالخليج. وقد حرصنا على جودة صناعته ليضارع وينافس ما يستورد من البلدان الأوروبية وكان أهم منتوجاته أنابيب الماء والكهرباء. في هذه الأثناء لاحظت ان دائرة التلفونات في البحرين التابعة لشركة البرق واللاسلكي البريطانية آنذاك تستورد أنابيبها من بريطانيا. عرضت عليها بإلحاح أن تشجع المنتوج المحلي وتشتري حاجتها من مصنعنا وذلك بواسطة ولدي المرحوم ماجد (١) الذي أقنع مديرها بعد تردد بالموافقة بشرط تجربة صناعة مصنعنا ومقارنتها بما يستوردونه من بريطانيا. قبلنا بشرطهم واتفقنا على تحديد موعد معين للتجربة المطلوبة. في اليوم المحدد حضر في مصنعنا المشار اليه آنفا مدير شركة التلفونات يصحبه ثلاثة أشخاص فنيين وأحضروا معهم أنبوبة بلاستيكية طولها حوالى ١٠ أقدام من صنع الشركة البريطانية وطلبوا منا أن نحضر أنبوبة مماثلة لها من صنع مصنعنا وذلك لإجراء التجربة على الانبوبتين لمقارنة الجودة وقوة الاحتمال. اما طريقة التجربة فهي وضع جزء من الانبوبة طوله قدم ونصف على قاعدة صلبة ثم إسقاط كرة حديدية تزن كيلو تقريبا

(١) انظر باب وقفة وفاء صفحة (٤٧٥)

من علو ٧ أو ٨ أقدام عليها والنتيجة اما تحطم القطعة وتناثر أجزائها أو عدم تحطمها وبقائها صامدة مع وجود ترصع وشقوق بها. عند إجراء التجربة الأولى تهشم نموذجهم وتناثرت أجزاؤه بينما صمد نموذجنا. ولم يقنعهم ذلك فأعادوا التجربة ثلاث مرات على نماذج الطرفين فكان الفوز لصناعتنا ولله الحمد على اثرها فتح المجال بيننا وبينهم لشراء منتج بلادنا وبقى كذلك. ظل هذا المصنع يزاول عمله وحيدا في المنطقة لعدة سنوات، حتى تبعته مصانع مماثلة في منطقة الخليج.

كلمة أخيرة:

لم يكن عملنا التجاري ونجاحنا فيه بالأمر الهين السهل كما قد يتصوره البعض بل كانت تعترضنا بين الحين والآخر صعوبات كثيرة كما مررنا بعراقيل وعقبات متكررة كاد بعضها يوصلنا الى حالة من اليأس والفشل، غير ان اتكالنا على المولى سبحانه وتعالى وتصميمنا ومثابرتنا على مواصلة السعي كان لهم أكبر الأثر في نجاحنا. والذي يقرأ هذه الصفحات يجد أمثلة عديدة توضح ما مررنا به من صعوبات وعراقيل وكيف أمكن التغلب عليها واني أذكر انه إذا ما حدث وتعسرت بعض مساعينا في الأمور التجارية مع اقتناعي بجدواها الاقتصادي وفائدتها من جراء تدخل أحد المنافسين أو الطامعين أو الحاسدين أو لأسباب أخرى، يعتريني نوع من القلق والكدر وتظهر علي علامات ضيق الصدر من جراء ذلك. وعندما كان يلاحظ والدي، رحمه الله، علي ذلك يسألني عن السبب، وبعد شرح الموضوع له كان يتفوه بالعبارة التالية «اني يا ابني دائما أشعر اننا نأخذ رزقنا من حلق أسد.. ولكن يا ولدي اتكل على الله وثابر وجاهد وبإذن الله تنجح» فكان هذا التشجيع الأبوي الحنون خير دافع لي للمثابرة والتصميم.

الباب التاسع

اسهامات في نهضة البحرين الحديثة

اسهامات في نهضة البحرين الحديثة

مقدمة

كان لي شرف المشاركة باسهامات متعددة في نهضة البحرين الحديثة، فقد ساهمت في مجالسها المختلفة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

مجلس التجارة والغوص
غرفة البحرين التجارية
مجلس المعارف (التربية والتعليم)
مجلس الهجرة والجوازات
مجلس بلدية المنامة
مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية
كما ساهمت في مجلس وضع الدستور وحالياً في مجلس الشورى
وقمت بمساهمات اجتماعية خيرية منها:
إنشاء نادي البحرين، ونزع فتيل فتنة بين السنة والشيعة.
وفيما يلي نبذة عن هذه المجالس والاسهامات المتعددة:

(الفصل الأول)
مجلس التجارة والغوص

مجلس التجارة والغوص

كنت أحد اعضاء هـذا المجلس التابع لمحاكم البحريـن والمكون من عدد من الأعيان والتجار يختـارهم امير البلاد ويرأسهم قاض مـن المحكمة ويتولى تدوين المحاضر احد كتابها.

كانـت مهمة هـذا المجلس النظر في القضـايا التجـارية المحـالة عليـه من المحاكم وابـداء الرأي فيها مما يساعـد الى حد كبير في حل القضايـا التجارية التى ترد للمحاكم فيخفف بذلك العبء عنهـا ويساعد على سرعة انهاء هذه القضـايـا سيما وان الكثير مـن هـذه القضـايـا تحسم وتنتهى بـالتصـالح بين المتخـاصمين في هـذا المجلس على اسـاس معـرفـة التجـار لبعضهـم البعض واقتناع المتخاصمين وثقتهم في حكم زملائهم.

في نفس الـوقـت يضـاف الى هؤلاء التجـار عـدد محدود مـن خبراء عمل الغوص (١) مهمتهم ابداء الرأي والمشورة حـول القضايا المتعلقة بهذه التجارة والصناعة التقليدية الاولى في ذلك الزمان.

كما كـان ايضـا من مهـام المجلس تحديـد مـواعيـد بـدء مـوسم الغـوص وانتهـائه وتحديـد مقـدار السلفيـات (القـروض) التـى تـدفع مقـدماً لعمال الغـوص. حيث كـانت تـدفع الى هـؤلاء العمال في ثـلاث فترات مختلفـة من السنة. الفترة الأولى ويطلق عليهـا فترة «السلف» وكانت تدفـع خلال فصل الشتاء.. والثـانية ويطلق عليهـا فترة «التسقام» وكـانت تدفـع في أوائل أيام موسم الغـوص أي بداية فصل الصيـف.. والثالثة ويطلق عليهـا «الخرجية» وكانت تدفع في نصف الموسم.

تشكل هذا المجلس في عهد امير البلاد المغفـور له صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسـى آل خليفـة وواصل مسيرتـه في عهـد امير البـلاد المغفـور لـه صـاحب السمـو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفـة.. وتوقف العمـل به بعـد ذلك.

---

(١) عمل الغوص كنية لصيد المحار المحتوي على اللؤلؤ الطبيعي

(الفصل الثاني)

الغرفة التجارية بالبحرين

الغرفة التجارية بالبحرين

حتى عام ١٩٤٥م لم تكن في البحرين غرفة تجارية، بل كانت جمعية مؤلفة من عدد من التجار غالبيتهم هنود تدعى جمعية التجار العمومية.

تأسست هذه الجمعية في ١٩٤٢م برئاسة أشرف أحمدي صاحب متجر أشرف المعروف، وبعد فترة انتخب السيد حسين يتيم ليتولى رئاستها والسيد محمد حسن الحسن ليتولى السكرتارية. وكانت مداولة الحديث في الجلسات تدار باللغة الانجليزية وبها كذلك تكتب محاضر جلساتها.

كان متجرنا في ذلك الزمان في بدايته صغيرا بالنسبة للآخرين، مع هذا بادرنا بالاشتراك في الجمعية المذكورة. وقد حز في نفسي ونفس بعض الاخوة العرب المشتركين أن نكون تابعين للهنود في تجارتنا واقتصادنا، فسعينا للاتصال ببعض التجار العرب من البحرينيين وغير البحرينيين وإقناعهم بالالتحاق بالجمعية، فاشترك بعضهم أمثال المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي والمرحوم الحاج عبدالعزيز البسام وعند ازدياد المشاركين العرب سعينا لتعريب الجمعية ثم فكرنا في تحويلها الى غرفة تجارية لعل هذا الاسم يغري من تردد من التجار العرب بالاشتراك فيها.

لقيت الفكرة كامل الترحيب من الأعضاء العرب، وكلفوني بالاتصال بالحكومة وعلى رأسها المستشار بلكريف، بحكم علاقتي الشخصية به، وأخذ موافقته على ذلك. حددت موعدا مع المستشار وقدمت له الاقتراح مكتوبا شارحا له أهمية البحرين التجارية وان إنشاء غرفة تجارية فيها سيعزز من مكانتها التجارية ويعطيها طابعا تجاريا مرموقا لدى الغرب. تردد المستشار بلكريف وطلب مني تأجيل الموضوع لوقت آخر، بعد مدة عدت وطلبت مقابلته وفي هذه المقابلة ألححت عليه بل وجادلته في الموضوع. أمسك بلكريف عن الكلام برهة من الزمن ثم قال «ربما الحكومة توافق بشرط أن تشترك في الغرفة جميع الشركات الانجليزية» وكان يقصد طبعا الشركتين البريطانيتين الموجودتين في البحرين آنذاك شركة كري مكنزي والشركة الافريقية. قلت لا أظن ان هناك مانعا من ذلك.

بعدها انضمت للجمعية شركة كري مكنزي وربما الافريقية وتحولت الجمعية الى غرفة تجارية. وعند عقد أول اجتماع للجمعية العمومية وفقنا الى انتخاب المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي رئيسا للغرفة، والأخ محمد حسن

الحسن سكرتيرا لها وعند استقالة الأخ محمد انتخبت لأتولى منصب السكرتارية.

مقر الغرفة:

كان مقر الجمعية ثم الغرفة غرفة أو شقة صغيرة فوق مخازن كاليفورنيا هاوس التجارية، ملك جماعة مصطفى عبداللطيف، لاحظنا ان المحل صغير وغير مناسب فاتفقنا على إبداله بمحل أكبر وأفضل فوقع الاختيار على شقة ذات غرفتين وصالة فوق مخازن الحكومة التجارية المبنية محل مخازن الجمارك سابقا. وبصفتي سكرتير الغرفة تقدمت للحكومة بطلب منحها لنا مجانا أو استئجارها بايجار بسيط فوافق المستشار بلكريف على ذلك وتحولت الغرفة الى ذلك الموقع، انما بعد مدة طلبت منا الحكومة إخلاء هذه الشقة. هنا أسقط في يدنا، فمالية الغرفة ضعيفة لا تتحمل استئجار محلات غالية، وبعد تفكير طرأت لي فكرة وهي ان الغرفة تعتبر لحد ما شبه دائرة حكومية وبناءً عليه لا يسعنا الا الالتجاء الى الحكومة. طلبت مقابلة المستشار بلكريف وعرضت عليه الأمر وأقنعته ان نتحول الى الطابق الأول من بناية باب البحرين إذ كان ذلك الطابق المكون من جناحين شرقي وغربي تفصلهما في الوسط قاعة كبيرة قلما تستعملها الحكومة، انما اعتاد المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان تشريف هذه القاعة صباح كل يوم أربعاء والجلوس فيها بضع ساعات لاستقبال الوافدين، اما الجناحان فكانا خاليين، وافق المستشار بلكريف على إعطائنا الجناح الغربي فقط مجانا، رحبنا بذلك وتحولت مكاتب الغرفة الى ذلك المكان الممتاز، بعد مدة عز علينا أن نمر يوميا من هذه القاعة الفسيحة الى جناح الغرفة وأغراني تسامح المستشار بلكريف معنا كما أغراني امكانية اتصالي به والتفاهم معه فطلبت مقابلته وشرحت له ما توصلت اليه الغرفة من تقدم ونجاح كما شكرته على السماح لنا بالجناح الغربي وطلبت منه أن يسمح لنا باستعمال القاعة الكبيرة موعدا إياه اننا سوف لا نستعملها الا للاجتماعات الكبيرة لأن الجناح المخصص للغرفة لا يسع عندما يكون الاجتماع لعدد كبير من الأعضاء، وافق بشرط عدم استعمالها في النهار، شكرته على ذلك فأصبحت للغرفة قاعة اجتماعات كبرى وكانت العادة الجارية آنذاك ان الاجتماعات سواء مجلس الادارة أو غيره لا تعقد إلا في المساء باعتبار ان التجار مشغولون في أعمالهم في النهار.

خلال عام ١٩٥٤م بدر لي أن أسافر الى الهند لزيارة أخي أحمد وزيارة محلنا هناك فتم الاتفاق والاختيار بيننا على أن يقوم كاتب الغرفة عبدالرحمن عاشير بأعمال السكرتارية أثناء غيابي. بعد عودتي من الهند سلمني عبدالرحمن المذكور كتابا من المستشار بلكريف يطلب منا تفريغ الجناح بأسرع ما يمكن، طبعا كان الكتاب المذكور بمثابة صدمة قوية لي خاصة وانه لم يذكر في الكتاب أي سبب لطلب الاخلاء. طلبت موعدا من المستشار ولما قابلته لاحظت ان مقابلته لي يشوبها الفتور خلافا لمقابلاته السابقة وكان في نفس الوقت يصر على الاخلاء ويتهرب من الاجابة عن الأسباب ولكني بحكم معرفتي الشخصية به ألححت في معرفة السبب وبعد أخذ ورد قال: الحكومة أعطتكم هذه الشقة مساعدة للغرفة ولكنكم استغليتم هذا السماح بأن علقتم على ظهر البناية الذي يطل على ميدان باب البحرين لوحة كبيرة باسم الغرفة التجارية فالذي يشاهد بناية باب البحرين يتصور انها بناية الغرفة. قلت أهذا كل الذي أزعجك!! (واقع الأمر اني لم ألاحظ هذه القطعة، فأثناء سفري اجتهادا عفوياً من المسئولين بالغرفة رأوا تعليق اسم الغرفة من الشباك المطل على ساحة باب البحرين - شاهدها بلكريف أثناء مروره فحرر لنا كتاب الاخلاء) قلت للمستشار بلكريف كلامك صحيح ونحن أخطأنا واني أعتذر لك وسآمر برفع هذه القطعة في الحال فأرجو أن تسمح لنا بالبقاء - أجاب على مضض بالموافقة وحالا ذهبت الى الغرفة ورفعنا القطعة ارضاء «للصاحب» وحبا في توفير محل مجاني للغرفة.

بقيت سكرتيرا للغرفة الى تاريخ ١٠ - ١٠ - ١٩٥٦م حققنا خلالها عدة أشياء مهمة:

١- تحويلها الى غرفة تجارية بدل جمعية تجارية.

٢- زاد عدد أعضائها من التجار العرب زيادة كبيرة.

٣- حصلنا على مساندة الحكومة واعتبارها أشبه بدائرة حكومية.

٤- أسسنا فيها أول بنك وطني في البحرين هو بنك البحرين الوطني.

بعد هذه المدة استقلت من سكرتارية الغرفة لانشغالي بأعمالنا التجارية صفحة (٣٠٥) مكتفياً بعضوية مجلس الادارة وانتخب المرحوم علي الوزان سكرتيرا لها.

(الفصل الثالث)

مجلس المعارف (التربية والتعليم)

مجلس المعارف

يجدر بي أن أذكر شيئا عن التعليم في البحرين بأن أتطرق الى مجلس المعارف (التربية والتعليم). ففي أوائل الخمسينات (١٩٥٠م) وفي عهد صاحب السمو الشيخ سلمان الميمون شكل هذا المجلس من ثمانية أعضاء نصفهم بالانتخاب والنصف الآخر بالتعيين. وكان يرأس مجلس المعارف آنذاك صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ثم خلفه في الرئاسة صاحب السمو الشيخ محمد بن سلمان آل خليفة. اما ادارة المعارف فكانت تحت إشراف الأستاذ الكبير أحمد العمران. كنت عضوا في هذا المجلس منذ انشائه وحتى حله بعد بضع سنوات. في هذه الفترة من وجوده أبدى المجلس نشاطا ملحوظا وحقق منجزات عادت بالنفع والفائدة على المدارس والطلاب والمناهج. أذكر منها ما يلي:

١- لاحظ المجلس ان الصفوف مزدحمة بالطلاب لقلة عدد المدارس وتزايد عدد الطلاب سنة بعد سنة.

٢- كما لاحظ ان جميع المدارس كانت خالية من أبسط وسائل الراحة والضروريات، فلا توجد بها تليفونات ولا مكيفات هواء بل ولا توجد في صفوفها المكتظة بالطلاب حتى مراوح كهربائية.

٣- لا يوجد ماء بارد لشرب الطلاب والمعلمين مما يضطرهم لأن يطفئوا عطشهم من أنابيب الماء الحارة الممتدة من العيون الارتوازية.

كل هذه النواقص كانت بسبب التقشف اللازم لعدم وجود الإمكانيات المالية. تداول المجلس في هذه الأمور الضرورية عدة مرات محاولا معالجتها ولكن كيف؟ والميزانية تقف له بالمرصاد!

كان المستشار بلكريف هو القائم على وضع ميزانية الدولة ومن جملتها، بطبيعة الحال، ميزانية المعارف. عندما أعيت المجلس الحيلة والوسيلة لزيادة مخصصات الميزانية التفت لمراجعة بنود الميزانية خاصة جهة المصروفات منها، ولاحظ انه بتعديل بعض بنود المصروفات يتمكن المجلس من توفير مبلغ

معين يساعد على تحسين الوسائل الضرورية المطلوبة لراحة التلاميذ وسلامتهم. انما لكي يتخذ هذا الإجراء كان عليه أن يستأذن الحكومة ويطلب موافقتها على التعديل المقترح؟. اتخذ المجلس قرارا بالكتابة الى المستشار بلكريف طالبا منه الموافقة على ذلك، فكان الجواب ايجابيا، انما يشترط الالتزام بمجموع الميزانية وعدم تجاوزه.

على اثرها قام المجلس بهذه المهمة بكل جد ونشاط فكانت النتيجة ما يلي:

١- أدخلت التلفونات في كل المدارس.

٢- زودت المدارس ببرادات تسقي الطلاب والمدرسين ماء باردا.

٣- ركبت مراوح كهربائية في صفوف المدارس.

كل هذا جاء من تعديل بعض بنود نفس الميزانية المقررة وعدم الخروج عن مجموعها. وفوق هذا وذاك قام المجلس مما وفره من الميزانية ببناء مدرسة كاملة في قلب مدينة المنامة لتخفيف الضغط على المدارس الأخرى التي ازدحمت صفوفها بالطلاب بشكل لا يعقل أو يطاق حيث وصل العدد أحيانا في قاعة الصف العادي الى ستين تلميذا!

كذلك اتخذ قرارا حدد بموجبه حفظ مساحات المدارس وما حولها من ملاعب وساحات، وذلك باستخراج وثائق رسمية من دائرة التسجيل العقاري تقر تلك المساحات.

وكان من أبرز ما نظر فيه المجلس مناهج التعليم وملاءمتها لما تحتاجه البحرين من خريجين مناسبين لتولي الوظائف والمراكز والأعمال التي تحتاج اليها البلاد.

كانت دائرة المعارف تتبع مناهج التعليم المطبقة في مصر. وكانت الصفوف العليا الثانوية في مدارس البحرين مفتوحة لقبول أي طالب أراد الالتحاق بها، حتى لو كانت علاماته متدنية لا تؤهله للالتحاق بالصفوف العلمية العليا. ولم يكن هناك أي تخطيط لتطوير القسم التجاري ورفع مستواه بما يتلاءم وحاجة البلاد الماسة لخريجي تجارة بمستوى رفيع. كذلك كان القسم الصناعي بدائيا ولا يتلاءم وحاجة البلاد الماسة للصناعيين.

بعد البحث في هذه الأمور قرر المجلس دعـوة خبيرين احدهما من بريطانيا والآخر من الجامعة الأمـريكية في بيروت لدراسة المنـاهج وإبداء رأيهما فيها: في واقع الأمر كان تقريرهما مستوفيا ومفيدا اتخذ المجلس على اثره القرارات التالية:

١- تحديد مستـوى علامات الطالـب بحيث لا يسمح لمن كانت علامـاته متدنية بالالتحاق بالصفوف العليا.

٢- تـوجيه الطـالـب المتـدني في مستـوى عـلاماتـه الى القسم التجـاري أو الصناعي.

٣- تطوير القسم التجاري ورفع مستواه.

٤- رفع مستـوى المدرسـة الصناعيـة، وتحويلهـا الى ثانـويـة، باتخاذ هـذه الاجراءات خـف الضغط على الصفوف العليـا الثانـوية واستفادت البـلاد من خريجي التجارة والصناعة إذ كانت الحاجة ماسة لتوظيفهم.

(الفصل الرابع)

مجلس الهجرة والجوازات

مجلس الهجرة والجوازات

أنشىء هــذا المجلس في عهد المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة بـرئاسة المرحـوم الشيخ خالد بـن محمد آل خليفـة رئيس الهجـرة والجوازات آنـذاك وعضـويـة عـدد محدود من التجار كنت أحـدهم. كانت مهمـة هذا المجلس استشاريـة بحتة للنظر في طلبات طالبي الجنسية البحرينية من قبل اشخاص طالت اقامتهم في البحرين لعدة سنـوات او ولدوا فيها من قبل اجانب او قدموا اليها حديثا.

وقـد تبين من التـدقيق والنظـر في هـذه الطلبـات ان عـدداً من هـؤلاء قدمـوا الى البحـرين من بلـدان مجاورة قبل اصـدار قـوانين الهجرة والتجنس واصبح بعضهم فاقد الجنسيـة او الاتصال بموطنه الاصلي.

كانـت المهمة شاقـة ومتعبة ولكن امكننـا ولله الحمـد ان نؤدي دوراً كبيراً ساعد في تخفيف العبء عن الحكومة والمتجنسين.

(الفصل الخامس)

بلدية المنامة

بلدية المنامة

تعتبر مجالس البلديات في البحرين من أقدم المجالس التي تشكلت فيها فقد ابتدأ تشكيلها في عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وبالتحديد بتاريخ ١٩١٩م.

ابتدأت هذه المجالس بمجلس بلدية المنامة ثم المحرق والحد والرفاع وجدحفص وبعض القرى وسارت على هذا النحو مستقلة عن بعضها البعض من حيث تشكيل كل مجلس من مجالسها، الذي ينتخب نصف أعضائه في بادىء الأمر ثم يعين النصف الآخر، أو من حيث ميزانياتها وإداراتها ولكنها في ٢٢ - ٨ - ١٩٧٣م حلت وأدمجت مع بعضها البعض حيث شكل منها مجلس واحد مقره مدينة المنامة عين فيه عدد من الأعضاء لمدة محدودة ثم حل هذا المجلس أيضاً وبقيت البلدية بدون مجلس حتى كتابة هذه السطور.

كان يرأس أول مجلس للبلدية المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وخلفه نجله صاحب السمو الشيخ عيسى ثم نجله صاحب السمو الشيخ خليفة ثم سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة حيث اختتم تشكيل المجلس كما ذكرت آنفاً.

لقد ساهم والدي المرحوم الشيخ عبدالرحمن الزياني كعضو في مجالس البلدية أثناء الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن. كما ساهمت بدوري في أعمال بلدية المنامة بصفتي عضوا في مجالسها المشكلة ابتداءً من أوائل عام ١٩٥٠م وحتى عام ١٩٧٣م. لقد كان المجلس، في واقع الأمر، نموذجاً حياً للديمقراطية المتوازنة وكنا كأعضاء نهتم ونلتزم آنذاك بالمواظبة على حضور جلسات المجلس أو جلسات لجانه وكان جهاز الحكومة آنذاك المكون من حاكم البلاد ومن مستشار حكومته المستر بلكريف يتابعون باهتمام بالغ ما يبحث من مواضيع في المجلس وما يقر من قرارات فكنا في كل جلسة نجلس فيها نجد رسائل من ديوان الحاكم أو من المستشار تتطرق الى موضوع أو



بعض أعضاء مجلس بلدية المنامة ويظهر في الصورة في الصف الأول من اليسار الشيخ عبدالرحمن بن عبدالوهاب الزياني ثم الحاج خليل كانو ثم الحاج خليل المؤيد ثم الحاج عبدالعزيز العلي البسام ثم الشيخ أسحاق بن عبدالرحمن الخان . .
الصف الثاني من اليسار الحاج عبدالرحمن محمد طاهر خنجي ثم الحاج جاسم كانو . . رحمهم الله جميعاً

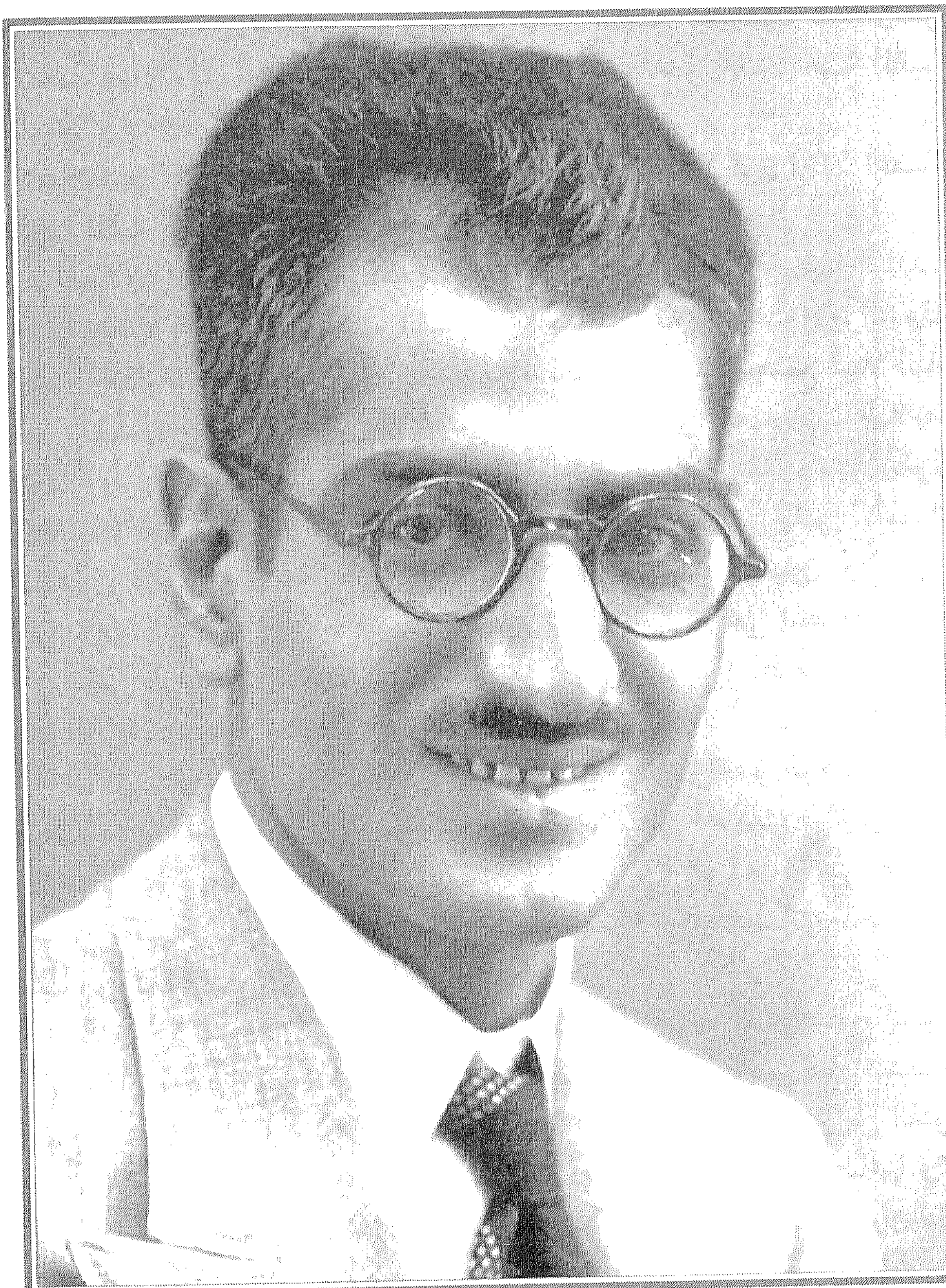
مواضيع عرضت أو ستعرض على المجلس فكان المجلس يدرسها بدقة وتمعن ويتخذ قراراته بشأنها أو يحيلها الى احدى لجانه وأهم لجانه: لجنة المالية والميزانية ولجنة الطرق والعقارات.

علاوة على كوني عضوا في المجلس وقع الاختيار عليّ لأكون أحد أعضاء اللجنة المالية طيلة مدة عضويتي.

أهم الأعمال التي قام بها المجلس أثناء وجودي فيه، بناء بناية البلدية الحالية وتعديل أنظمتها وقوانينها القديمة بما يتناسب مع مجريات الأمور، وقد كلفت لجنة المالية والميزانية بهذين الأمرين، فكنا كما أذكر نجتمع ليلا أثناء شهر رمضان لندرس القوانين والأنظمة القديمة ونجري التعديلات اللازمة عليها، ومن طريف ما وجدنا في تلك الأنظمة ان النظام القديم مثلا يقول «يجلس الأعضاء المعينون على يمين كرسي رئيس المجلس بينما يجلس الأعضاء المنتخبون على يساره وانه إذا قدمت القهوة فتقدم للأعضاء المعينين أولاً. وفي فصل آخر يقول إذا أقيم احتفال فيجلس الأعضاء المعينون على المنصة الرئيسية بينما يجلس الأعضاء المنتخبون مع المدعوين مقابل المنصة» (طبعا ألغينا كل هذه التفرقة) وأصبح الجلوس مفتوحا دونما تفرقة أو تمييز.

اما البناية التي عملنا بكل جد ونشاط لإبرازها الى حيز الوجود، رغم ضعف ميزانية البلدية وقلة مواردها، فقد بنيت على أحدث طراز وكانت ولازالت تعتبر من أحدث البنايات عمليا في البحرين، فعندما أرادت الحكومة تأسيس مجلس وطني في ١٩٧٣م لم تجد بناية مناسبة لعقد جلسات المجلس في ذلك الوقت إلا هذه البناية.

أثناء عضويتي كان يتولى سكرتارية المجلس المرحوم (محمد صالح الشتر) الذي كان ذا شخصية محبوبة، فكان مرحا لطيفا في حديثه مع أصدقائه ومعارفه. بيد أنه كان بينه وبين عضوين من أعضاء المجلس نوع من الفتور وعدم التجاوب لا بل والمشاحنة والانتقاد فهو لا يستسيغ اقتراحاتهما وهما بالمقابل يعترضان على اقتراحاته وتوصياته. فكان العضوان المذكوران دائما يتحاملان عليه وينتقدانه وهو بدوره لا يلاطفهما ولا يتفاهم معهما بالحسنى بل يكيل لهما الصاع صاعين مما يدعو الى تدخل الرئيس في بعض الأحيان



المرحوم محمد صالح الشتر سكرتير البلدية وكان يطلق عليه (معاون البلدية)

وكان من عادته أن يعمل كما يقال «لوبي» قبل كل جلسة من جلسات المجلس خاصة اذا كان في المنهج أمر هام ويحتاج الى تأييد وموافقة سريعة لأنه يدرك ان العضوين السالفي الذكر سيعترضان فيقوم مسبقا بزيارة من يثق في تأييده من أعضاء المجلس طالبا التأييد.

وأذكر مرة انه زارني في احدى الأمسيات في مكتبي طالبا مني تأييده ومساندته في موضوع سيطرح على المجلس غداً فوعدته بذلك خاصة وان الموضوع الذي سيطرح سبق وان اقررناه في لجنة الميزانية والمالية، وقبل أن ينصرف من مكتبي قال سأذهب الى علي الوزان، وهو أيضا عضو في لجنة المالية والميزانية، لأطلب مساندته، بعد تركه مكتبي اتصلت بعلي الوزان تلفونيا وأخبرته بما جرى بيني وبين محمد صالح من حديث واتفقنا على أن نعمل مقلبا فكاهيا مع محمد صالح وذلك بأن نخبره بأننا سنؤيده بكل قوة ولكن عند عرض الموضوع على المجلس سنلتزم الصمت لمدة ما لنرى ماذا سيحدث!

في اليوم التالي وعندما كان محمد صالح يقرأ المحضر وتطرق الى الموضوع المشار اليه، ارتفع صوت المعارضين المذكورين آنفا مبدين الاعتراض، مما جعل محمد صالح يدخل معهما في جدل مرير أما أنا والوزان فتظاهرنا بعدم الاهتمام وأطرق كل منا برأسه ينظر في الأوراق الموضوعة أمامه أو يعبث بشيء تافه لديه، طال النقاش والجدال بين الطرفين ولا نصير لمحمد صالح فما كان منه ومقعدانا أنا والوزان بالقرب منه إلا أن بدأ يقول بصوت منخفض «راشد.. علي ما اتحجون» أي تتكلمون، تظاهرنا بعدم السماع وعدم الاهتمام وردد عبارته ومناشدته الهادئة لنا عدة مرات ولما يئس نادى بأعلى صوته «راشد.. علي ما اتحجون» عندها تدخلنا وناقشنا الموضوع موضحين الأمر للمعارضين، ولما خرجنا من المجلس عتب علينا ولامنا لعدم مناصرته منذ البداية.

وأذكر انه في احدى الاحتفالات الكبيرة في البحرين وكان يحضر ذلك الاحتفال الأمراء والأعيان وكبار الأجانب من غربيين وشرقيين وكان من بين برنامج الاحتفال كلمة يلقيها محمد صالح عن البلدية. كان الجو حارا مما

استدعى وضع مراوح دوارة على طاولات فوق المنصة التي يجلس عليها الأمراء وعلية القوم. وفي أثناء إلقاء محمد صالح كلمة البلدية، وكان واقفا على المنصة شعر بشيء يجره بقوة للخلف مما أفزعه وأربكه وجعله يلقي الكلام على عواهنه. الذي حدث هو ان المروحة الموضوعة خلفه سحبت عباءته الخفيفة المتخصر فيها وطوتها بين ريشها فاعتراه الفزع والارتباك حتى تنبه أحد العمال وسارع لإنقاذ صاحبنا بقطع التيار الكهربائي عن المروحة المعتدية.

وأذكر انه في احدى جلسات المجلس انتقد أحد العضوين المشاكسين نظافة المدينة واتهم محمد صالح بالتقصير والإهمال وبعد الجدل الطويل طلب محمد صالح من المجلس بكامل أعضائه أن يكشف على وسائل التنظيف التي تستعملها البلدية، وتلبية لطلبه وإلحاحه توجه موكب المجلس الى حوطة تقع في وسط المدينة فاذا هي تحتوي على ثلاثين أو أربعين حمارا ربطت في صف طويل وصف بجانبها عربات تعادل عددها من نوع عربات ما يسمى بالـ كارو، كل ذلك ليثبت للمجلس كفاءة البلدية في تنظيف المدينة ويفند انتقاد العضو المعاكس أو المشاكس والجدير بالذكر هنا هو انه هكذا كان جهاز جمع القمامة في المدينة في ذلك الزمان.

وفي جلسة أخرى أشار بعض الأعضاء الى كثرة الخرايب الموجودة في المدينة مما يشوه منظر شوارعها وفرقانها فضلا عن كونها مرتعا للفئران والحشرات وما شاكل ذلك، فاقترح المجلس تكليف محمد صالح بإجراء إحصاء لهذه الخرايب، ولمن تؤول له وعند إبراز لائحة الاحصاء في جلسة قادمة تبين ان حوالى ستين في المائة من هذه الخرايب تعود الى أحد الأثرياء من أعضاء المجلس ومن الذين شاركوا وأبدوا استياءهم من كثرة وجودها وكان ذلك نصرا لمحمد صالح أطربه وسره لأنه أخرس احتجاج منتقديه.

في عام ١٩٤٦ سافر محمد صالح خارج البحرين ليقضي عطلته التي قال انه اختار أن يقضيها في بعض البلدان العربية القريبة: العراق - الشام - فلسطين (وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني) وأخيرا مصر، وعندما مر ببغداد وكنت يومها متواجدا فيها اتصل بي والتقينا وتحدثنا عن أمور عدة ولما سألته أين سيتوجه قال سأمر بالشام ثم لبنان ثم فلسطين ومنها سأطير الى

القاهرة ولما قال سأطير الى القاهرة قلت: تطير؟ قال: نعم بطائرات شركة طيران مصر الحديثة، هنا تدخل أحد الحاضرين في الحديث وقال موجها كلامه لمحمد صالح «قل إن شاء الله» ولم يجب محمد صالح أو يعلق على ذلك. وعلى سبيل المزاح والتفكه قلت «يا بوحميد هذه الطائرات صغيرة وبدائية والذي أعرف عنك انك حذر وخواف فكيف تجازف أما تخاف ان يصيبها حادث؟». أجاب بالجواب المعتاد «فال الله ولا فالك» وانتقل حديثنا الى مواضيع أخرى، بعد أيام توجهت الى الشام ولبنان لقضاء عطلة الصيف مع عائلتي وفي أثناء وجودنا بالشام صادف ان كان محمد صالح موجودا فيها في طريق عودته للبحرين وسمعت انه نازل في فندق أمية. توجهت للفندق المذكور لزيارته ولما علمت انه موجود في غرفته كلمته من تلفون الفندق لأخبره بوجودي في الفندق وهل أصعد للقائه في غرفته أم انه سينزل لمقابلتي في بهو الفندق، غير انه ما كاد يفتح الخط بيني وبينه حتى استشاط غضبا وأبدى كلاما غريبا تجاهي وقفل السكة في وجهي، استغربت من فعلته هذه وصعدت الى غرفته ولما فتح الباب ورآني قال «أنت! أنا لا أريد أن أراك» سألته لماذا وماذا حدث مني تجاهك ولما جلسنا قص علي ما حدث له، قال «تذكر لما كنا في بغداد وحذرتني من ركوب الطائرة» قلت «كان مزاحا عفوياً» قال «صابتني عينك ولكن الله سلم» ضحكت وسألته ما الحكاية؟ فقال: «ركبنا الطائرة من فلسطين وهي طائرة صغيرة ذات محرك واحد يبلغ عدد ركابها ٨ أشخاص وعندما عبرنا القناة متجهين للقاهرة انفجر سقف الطائرة الأمامي الذي كان مصنوعا من القماش المضغوط وفوجئنا بعامل اللاسلكي يتدحرج من قوة تيار الهواء أمامنا، أما قائد الطائرة فقد لازم مكانه محافظا على قيادة الطائرة.

لا تسأل عن حالنا فقد شاهدنا الموت بأعيننا وبدأ كل منا يصرخ ويستنجد ولكن قائد الطائرة برباطة جأشه صاح بنا استعدوا لإلقاء أنفسكم من الطائرة بأسرع ما يمكن لأنه سيحط بها بعد لحظات، كان أمامي شخصان رجل وامرأة وأظن انهما من يهود فلسطين، كانت المرأة ضخمة الجثة

عريضـة المنكبين والغريب وأنا في هـذه الحالة المفـزعة طرأت لي فكـرة وهي انه عندمـا تلقي المرأة اليهـودية بنفسهـا سألقي بنفسي خلفها لأتقـي بها الاصطدام بالأرض، وهذه الفكرة في الـواقع هي التي شجعتني ودفعتني لألقي بنفسي غير اني لا أذكـر ولا أتـذكـر مـا حـدث لي بعـد ذلك وكيـف وصلت الى الأرض فالظـاهر اني صرت في غيبوبـة ولما أفقت وجدت نفسي ملقيـاً على أرض رملية غطى رملها أجزاء كبيرة من جسمي، لم أصـدق في باديء الأمر اني نجوت بل تصورت اني في حلم وبعد ان اطمأننت على سـلامتي وبعد ان تفقدت جسمي واطمأننت اني لم أصـب بأذى تلفت يمنـة و يسرة لأتعرف على مـوقعي فـاذا بي أشـاهد بقيـة الركـاب وقد تنـاثروا على مسـافات متفـاوتة حـولي هنا وهنـاك. رفعت يـدي للسماء وحمدت الله على إنقـاذي وسـلامتي، وتـذكـرت في نفس الوقت رباطة جأش قائد الطائرة واختيـاره هذا الموقع الرملي لسقوطنا إذ لو كان سقوطنا في أرض صلدة لكنا اليوم في عداد الأموات».

لم تكـن مهمة البلدية في ذلك الزمان تنظيف المدينة وتجميلها بل كانت تقوم بمهمات أخـرى بـالاضـافة لـذلـك. كـان من مهماتها تخطيط الشـوارع والمدن والقيام بـأعباء إطفاء الحرائق والإشراف على ادارتها. كما كـانت تشرف على دار المجـانين - كما كـان يطلق عليهـا آنذاك - وتتـولى رعـايتهم وتـدبير أمـورهم وبمناسبـة ذكر المجـانين أروي هنا واقعـة طريفـة: كانت المنـافسة بين بلـدية المنامة وبلديـة المحرق شديدة خاصة بين سكرتيري البلـدية في ذلك الزمان علي بن حسين الخلفـان سكرتير بلـدية المنامـة (قبل محمد صـالح الشتر المشـار اليه آنفـا) ومحمد صـالح خنجـي سكرتير بلـديـة المحرق، وكـان كل منهما ينتقـد الآخر علناً أمام المسئولين، وفي أحـد الأيام وصل الى المستشار بلكريف كتاب من سكرتير بلـدية المنامـة (علي بن حسين) يقول فيه «ان بلـدية المنامة مـرهقة بمصـاريف وأعبـاء دار المجـانين ولا تسـاهم بلـديـة المحـرق بشيء من هـذه المصاريف بالـرغم بأن غالبية المجانين الموجودين في الـدار جاءوا من المحرق». عنـدما قـرأت هذا الكتـاب على المستشـار بلكريـف انفجر ضـاحكا واستمـر ضحكه وقهقهته مدة طو يلة.

بيوت أم الحصم:

عندما كان سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة رئيسا لبلدية المنامة وكنت عضوا فيها زار البحرين السيد الرفاعي رئيس بلدية الكويت آنذاك ربما بدعوة من الشيخ عبدالله وفي اثناء تجواله في نواحي البلاد وزيارته لمنطقة ام الحصم شاهد بعض البيوت المبنية من سعف النخيل على الطريقة القديمة ولما سأل عنها اجيب انها لأناس فقراء فاستغرب وجود بيوت كهذه في منطقة مهمة كأم الحصم ولكنه اخبر ان الوضع المالي في ذلك الوقت لا يساعد على ابدالها ببيوت حديثة. فاقترح على سعادة الشيخ عبدالله بعد ان دعاه لزيارة الكويت ان يطلب قرضة حسنة من حكومة الكويت تكفي لبناء هذه البيوت. استحسن الشيخ عبدالله الفكرة ولما عرضها على المسئولين بالحكومة رحبوا بها فاختار ان يصطحبه وفد مكون من اثنين من اعضاء مجلس البلدية لرد الزيارة للكويت واختارني، جزاه الله خيرا، كأحد اعضائها. توجهنا الى الكويت وكان سمو الشيخ جابر الاحمد في ذلك الوقت لايزال ولياً للعهد ويتولى رئاسة الوزارة.

قام الوفد بزيارة سمو الشيخ جابر وشرح لسموه ما ستقدم عليه البحرين من تطور عمراني ثم قام كذلك بزيارة البلدية للاطلاع على ما خططته من مشاريع عمرانية بالكويت. وفي نفس الوقت قدم الوفد طلب القرض المطلوب لسمو رئيس الوزراء عن طريق رئيس بلدية الكويت.

في مساء ذلك اليوم دعانا سمو الشيخ جابر الى مأدبة عشاء في قصره وبعد تناول العشاء فتح سموه موضوع القرض المطلوب عارضا تخصيص منحة بدل القرض مقدارها مليون دينار تدفع على دفعتين كل سنة خمسمائة الف دينار، تردد الشيخ عبدالله وقال اننا جئنا لطلب قرض، ولما ألح الشيخ جابر برز اقتراح بالموافقة بشرط عرض الامر على المسئولين بحكومة البحرين وعند العودة الى البحرين وافق المسئولون على قبول هذه المنحة الكريمة وبهذا المبلغ ازيلت العشش وبنيت مكانها بنايات حديثة سلمت لمستحقيها من الفقراء والمحتاجين.

(الفصل السادس)

مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية



صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة
ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين



سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة يفتتح مقر مدرسة الحكمة النموذجية
ويظهر عن يمينه المؤلف راشد الزياني.
كما يظهر في الخلف من اليمين: الدكتورة منى راشد الزياني،
الشيخ عيسى بن عبدالله آل خليفة، السيد يوسف نجم والسيد عبدالرحمن كانو.

مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية

أعربت ابنتي الكبرى منى عام ١٩٧٩م عن رغبتها فى تأسيس مدرسة خاصة تكون لها مناهج متميزة باللغتين العربية والانجليزية، ومنذ ذلك الحين عمدت الى اكمال دراستها العليا فى الولايات المتحدة الامريكية.

بعد عودتها عام ١٩٨٥م وحصولها على شهادة الدكتوراه فى المناهج وطرق التدريس عملت فى جامعة الخليج العربي بالبحرين لبضع سنوات، بادرت أثناءها فى الحصول على ترخيص بفتح مركز البحرين للقراءة والكمبيوتر من قبل وزارة التربية والتعليم عام ١٩٨٦م. ثم فتحت روضة افتح يا سمسم عام ١٩٨٧م ومركزاً لتقويم النطق ثم توجت عملها بانشاء مدرسة الحكمة النموذجية عام ١٩٨٨م.

أيدت خطواتها وباركتها وساندت مسيرتها وبادرت بالانضمام الى مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية المكون من عشر شخصيات بارزة من البحرين والسعودية. وقد أجمع الأعضاء على انتخابي رئيساً للمجلس. والمجلس تطوعي استشاري يوجه سير المدرسة ويرشدها فى جميع المجالات.

ومن فضل الله كان الاقبال كبيراً على الالتحاق بالمدرسة مما أوجب التوسع فى مساحتها وزيادة عدد صفوفها فاتفق على بناء مقر لائق وواسع للمدرسة على ارض تكرم بها مولانا صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أطال الله عمره، وقد قمت بتقديم المشورة والاشراف على تنظيم الميزانية ودراسة التصاميم وبوشر فى العمل فى مايو عام ١٩٩٣م.

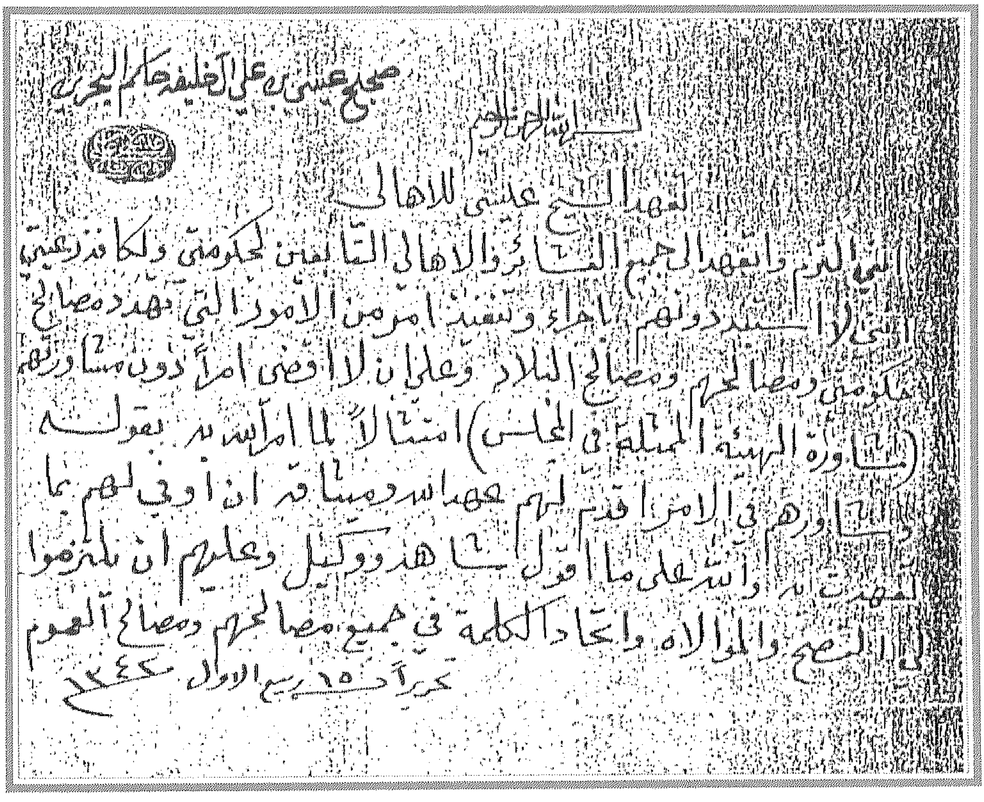
انتقلت المدرسة الى المرحلة الاولى من مقرها فى عام ١١/ ١٢/ ١٩٩٣م بينما اكتملت جميع مرافق المبنى ومراحله في نهاية العام الدراسى ٩٣ - ١٩٩٤م وفى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٤م تكرم صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد، القائد العام لقوة دفاع البحرين اطال الله عمره برعاية الافتتاح الرسمي منيباً سموه نجله سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حضور حفل الافتتاح، والحمد لله على ذلك.

(الفصل السابع)

مجلس الشورى

مجلس الشورى

أشرت في صفحة (٣٩ - ٤١) الى ان المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في عام ١٣٤٢ هجرية قد استحسن ونادى بتشكيل مجلس شورى من الأهالي، كما جاء في الوثيقة أدناه ولكن الميجر ديلي المعتمد البريطاني آنذاك عارض خطته هذه وعرقل مسعاه الحميد.


صحيح عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

تعهد الشيخ عيسى للأهالي

اني التزم واتعهد لجميع الشاكرين والأهالي التابعين لحكومتي ولكافة رعيتي اني لا استبد دونهم بإجراء وتنفيذ أمر من الأمور التي تهدد مصالح حكومتي ومصالحهم ومصالح البلاد وعلي ان لا اقضي أمراً دون مشاورتهم (مشاورة الهيئة الممثلة في المجلس) امتثالاً لما أمر الله به بقوله (وشاورهم في الأمر) اقدم لهم عهد الله وميثاقه ان أوفي لهم بما تعهدت به والله على ما أقول شاهد ووكيل وعليهم ان يلتزموا لي النصح والموالاة واتحاد الكلمة في جميع مصالحهم ومصالح العموم

تحريراً في ١٥ ربيع الأول ١٣٤٢



صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
امير البلاد المفدى

فاذا كان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، طيب الله ثراه، قد نادى بتشكيل مجلس شورى قبل أكثر من سبعين سنة مضت، كما تشير الوثيقة الآنفة الذكر، وان ذلك المجلس لم يتشكل للأسباب المذكورة سالفا فان حفيده عيسى بن سلمان، أطال الله عمره، قد حقق لأهالي البحرين ما أراد جده أن يحققه إذ أمر في ١٦ يناير ١٩٩٣م بتشكيل مجلس الشورى المشار اليه. فتحية إجلال وإكبار للأمير المفدى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وهنيئاً لأهالي البحرين هذه اللفتة السامية.

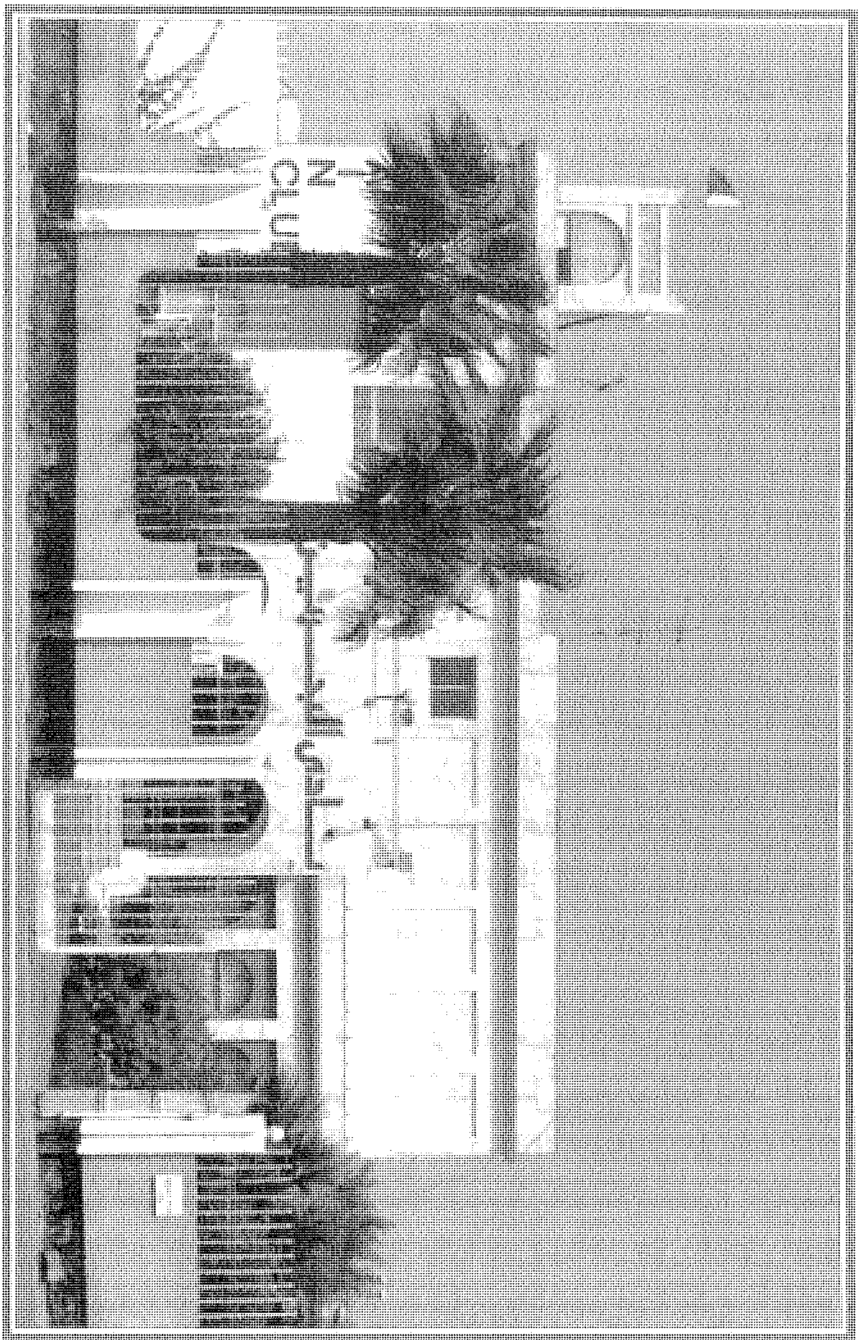
(الفصل الثامن)

اسهامات اجتماعية خيرية

أولاً: نادي البحرين وكيف أنشىء

في سنة ١٩٣٦م وكنا نسكن المحرق زارني المرحوم جاسم العمران وقال «ارتأيت أنا وبعض الشباب إنشاء ناد ثقافي واجتماعي وربما رياضي فيما بعد والمهم فوق هذا وذاك هو تجمعنا أثناء فراغنا» ثم أضاف قائلا «ذهبت الى عمي الأستاذ أحمد العمران أستشيره في الأمر فقال لي الفكرة ممتازة وأنا أشجعكم على ذلك ولكن أقترح أن تذهب الى راشد الزياني تفاتحه في الأمر وتطلب منه أن يتولى المهمة فهو خير من اختار للقيام بها وبتحقيقها، لذلك أنا جئت اليك فما رأيك؟» انتهى حديث المرحوم جاسم. رحبت بالفكرة بعد أن سألته عن الأشخاص المشاركين وكانوا كلهم من المحرق أذكر منهم بالحاضر أحمد جمعان - ابراهيم حسن فخرو - عيسى الحادي - يوسف الساعي - محمد جلال - يوسف العمران - حسن العمران - محمد الغرير - محمد حسن الحسن - ابراهيم المحميد ثم حسبما أتذكر انضم الينا المرحوم عبدالعزيز الشملان، اجتمعنا وكان العدد ١٩ شخصا واتفقنا على تنفيذ الفكرة وقررنا رسم اشتراك العضو الشهري روبية واحدة (١٠٠ فلس بحريني) كما اتفقنا على اختيار مجلس الادارة فاقترحت ان يتولى الرئاسة المرحوم عبدالعزيز الشملان بحكم انه زميل عزيز علينا وانه أكبر مني سناً، استأجرنا غرفتين صغيرتين قديمتين تقعان قرب مركز الشرطة بالمحرق يفصل بينهما سطح خصصنا واحدة للألعاب (دامة - دومنة - كيرم) والأخرى عبارة عن مكتبة واجتماعات ادارية.

بعد مرور سنة أو ما شابهها طلب مني الاخوة ان أتولى الرئاسة لأن المرحوم الشملان يسكن في أم الحصم ومرتبط بعمل مع شركة نفط قطر، استلمت الرئاسة وبدأت أفكر وأتفاكر مع الاخوة الأعضاء في طريقة تمكننا من ايجاد دخل مجز للنادي، فالنادي بدخله البسيط بالكاد يستطيع أن يسدد مصاريفه وبعد تفكير طويل خطرت لنا فكرة قد تساعد على تحسين حالة النادي المالية، والفكرة عبارة عن القيام بتمثيل رواية مسرحية يقوم بأدوارها بعض الأعضاء. وان ندعو الجمهور لمشاهدتها مقابل رسم دخول معقول.



مدخل نادي البحرين

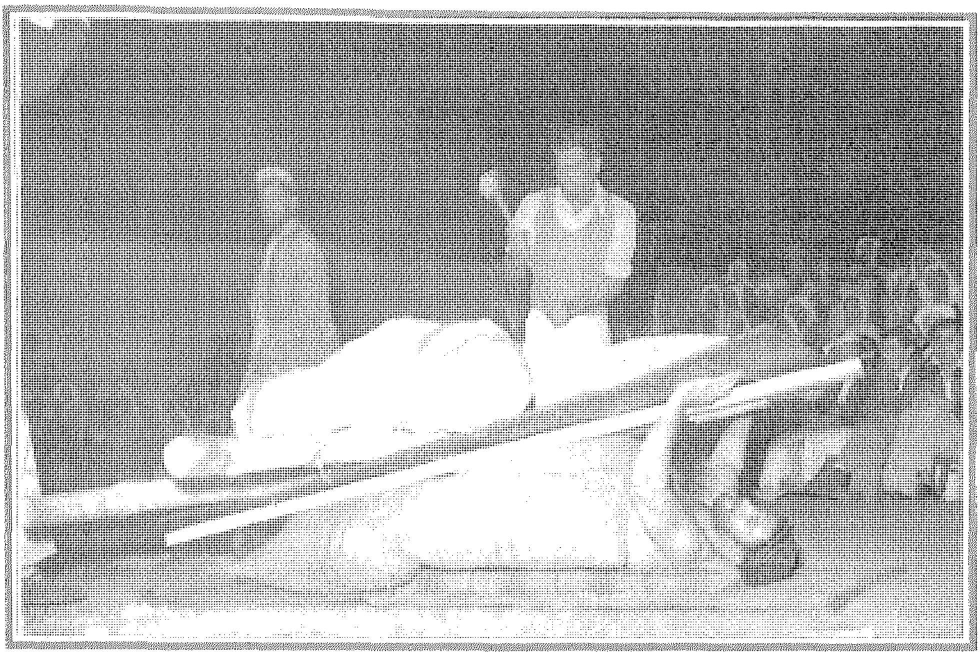
تبلورت الفكرة ووضحت فوائدها فاخترنا رواية مجنون ليلى الشعرية للشاعر الكبير أحمد شوقي ووزعنا أدوارها بين الأعضاء. ولكن هنا اعترضتنا مشكلة القيام بدور «ليلى» فاشتراك النساء في ذلك الزمان في التمثيل غير وارد، وبعد تفكير اتفقنا على ان يقوم المرحوم حسن العمران بدور ليلى ويقوم أخوه يوسف العمران بدور قيس وكنت بمساعدة بعض الاخوة أقوم بدور المخرج. وبمرور الأيام والليالي حفظنا الرواية الشعرية عن ظهر قلب من كثرة ما رددنا تمثيلها، ولما وجدنا اننا أجدنا أدوارها، بدأنا نفكر في ايجاد مسرح لمباشرة عرض المسرحية على الجمهور فتكرم علينا المحسن الكبير المرحوم سلمان بن مطر (١) بأن سمح لنا بتشييد مسرح في احدى عماراته القريبة من مقر النادي.

قام بتصميم المسرح وتشييده أحمد جمعان بمشاركة بعض الأعضاء ولما اكتمل تشييده أعلنا الافتتاح بعد أن وجهنا دعوات خاصة الى بعض الشيوخ وعلى رأسهم المغفور له سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة والمغفور له سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة الذي كان آنذاك ولياً للعهد، اما اجرة الدخول فكانت روبية واحدة.

كان الاقبال كبيرا أكثر مما توقعنا، رغم الحالة المالية الضعيفة في البلاد آنذاك، وكان نجاح الرواية منقطع النظير وقد خصصنا قسما من دخلها للأعمال الخيرية. كانت حصيلة تمثيل الرواية تتراوح بين ألف وخمسمائة وألفين روبية، ولما وجدنا انه قد توفر لنا مبلغ محترم نسبيا فكرنا في الحصول على مقر أكبر وأوسع فاستأجرنا بيتا قديما بشمال المحرق بدل الغرفتين الصغيرتين وبقينا فيه الى ان بني نادي البحرين الحالي.

في عام ١٩٥٢م علمنا ان شخصا ايرانيا من بحارة القوارب التي تجلب الأغذية والخراف من ايران يستطيع أن يقوم بحركات وألعاب بهلوانية من حمل أثقال ومرور سيارة على جسمه أو جر لوري بأسنانه فاغتنمنا فرصة وجوده بالبحرين وتقدمنا للحكومة نطلب رخصة لاستضافته بالنادي للقيام بتلك

(١) صورته ونبذة عن اعماله الخيرية صفحة (٢٧)



خليل عقاب وعرض رياضي في نادي البحرين



مشهد من عروض خليل عقاب في نادي البحرين

الحركـات مقابـل مبلغ يتفق عليـه. انتظـرنا الجواب ولما طـال انتظـارنـا ذهبت لمقابلـة المستشار بلكـريف في مكتبه بـدار الحكومة، بصفتـه مستشار الحكـومة ومديـر الشرطة بالنيـابة، وبمجـرد ان فاتحته في الموضـوع مد يده وفتـح احدى مجرات درج مكتبه وأخـرج منه عـريضتين بهما من التواقيـع ما يـزيد على ١٥٠ توقيعـا سلمني العـريضتين لقراءتهما، كـان فحواهما متشـابها وخلاصتـه تحذير بعدم السماح لهذا البحار واسمه خليل عقاب أن ينـزل في البحرين فبنزوله ربما تحدث فتنـة وان نزولـه يهدد الأمن. . ومـا الى ذلك مـن كلام غـريب - بعـد قـراءة العريضتين ابتسمت وقلت لمستر بلكـريف «أمـرك غريب انت مستشـار حكومـة البحرين وقمنـدان بوليسها، يخيفك صعلـوك مثل هذا. . أنـا مستعد أن أعطي تعهدا على نفسي بـأن أتولى استلام الشخص المذكـور من سفينته الى النـادي وان ارجعـه الى السفينة بعـد الانتهـاء من عملـه وأتحمـل مسئوليـة مـا يحدث - نظر الي المستشـار نظرة استغـراب وبعد فترة تفكير وتـردد انحنى على الطاولة ووقع موافقته على طلبنا.

اتفقنـا مع خليل عقاب ليقـوم بحركـاته البهلـوانية في سـاحة النـادي لمدة عشر ليال وكانت اجرة الدخول كما أذكر عشر روبيات.

كان الإقبال كبيرا على مقر النادي لمشاهـدة حركات وألعاب البهلوان وقبل آخـر يـوم زرت المستشـار بلكـريف في مكتبـه ووجهت اليـه دعـوة لـزيـارتنـا ومشاهدة ما يقوم به خليل عقـاب من حركات بهلوانية، رحب بذلك وحضر. بعد انتهـاء الحفل والاستعراض وعنـد توديعه ومصـافحته عند البـاب وضع في يـدي عشر روبيات حـاولت أن أثنيه عن ذلـك بحجة انـه مدعـو فلم يقبل، وأصر على دفعها فلم يسعني إلا القبول.

أحصينا دخل العشر ليال فـاذا به يبلغ حوالى ثلاثين ألف روبيـة، ما شاء الله، قفزة مـالية كبيرة تحققت للنـادي. بعد يومين أو ثـلاثة من انتهـاء عرض خليل عقاب في نادينا سمعنا ان أحد الأندية بالمنامة يسعى للاتفاق معه فأغرانا الطمع وقمنا باحتجـاج ومناورة تمكنا فيها من الاتفـاق مع النادي المذكور على المشاركة معه مناصفة في الـدخل، فأدى خليل عقاب دورا جديدا استمر خمس



نادي البحرين

ليـال في نادي المنـامة المشـار اليـه آنفا، حقق لنـادينـا حصة تبلغ خمسـة آلاف روبية. هنـا كما يقال «كبر رأسنـا» من غير المعقـول ان يكون مقـرنا تـافها في ذلك البيت المتهـالك الحقير ونحن نملك ٣٥ ألف روبيـة او ما يفـوقها قليـلا بل لابـد لنا من بنـاء ناد محترم يفتخر بـه، ولكن أين وكيف؟ بعـد اجتماعات متواصلـة اخترنا الموقع وهو موقع نـادي البحرين الحالي وكان آنـذاك عبارة عن أرض صحـراويـة خـاليـة واتفقنـا على ان نطلـب من الحكـومـة منحنـا أرضـا مساحتها حوالى ٢٥٠ × ٢٥٠ قدما من هذه الأرض الخالية.

تقدمنـا للمستشار بلكـريف نطلب منحنـا تلك الأرض وترك لي شخصيـا متابعـة الحصول على الموافقة. مرت أيـام بل أسابيع على تقـديم طلبنا دون أن نـدرك جوابـا. طلبت مقـابلة المستشـار للاستفسـار عن تأخير الجواب فكـان اعتذاره عن التـأخير انه لا بد ان يعـرض الموضوع على صاحـب السمو الشيخ سلمان وأخـذ موافقتـه، وأخيرا لما استلمت كتـاب الموافقـة أخـذته الى الاخـوة أعضاء مجلس الادارة وأنا أكاد أطير من الفـرح بهذه الهبة السخية ولكن فرحتي مع الأسـف لم تتم إذ رأيت من الاخـوة بعـد أن بشرتهم وقـرأت عليهم كتـاب الهبة رأيت منهم فتـورا وتململا ولما استوضحت منهم قـالوا ان الأرض بحجمها هـذا لا تكفي ونفضـل ان تكـون أكبر، هنـا كـاد يطير صـوابي وقلت لماذا في بـادىء الأمر لم تطلبـوا مسـاحـة أكبر، خاصـة وان طلب هـذه المسـاحة كـان بالاتفاق بيننـا، وبعد تفكير قلت لا بأس سأحاول وأمري لله. طلبـت مقابلة المستشار بلكـريف مرة أخرى وشكـرته على مسعاه شكـرا جزيلا منـا جميعا ثم أوضحت له ان المسـاحة غير كافية للنـادي وتوسعاتـه وملاعبه فنرجـو زيادتها قال «يـا راشد أنت تعـرف اني أخذت موافقـة الشيخ سلمان وأرى من الصعب الآن أن أعيد الموضوع على سموه».

مرت فترة صمت وتفكير بيني وبين المستشـار الذي كان مستلقيا بكـرسيه الى الخلف سـانداً رأسه على حـافته يفكـر وينفخ دخان سيجـاره الكبير بحدة وكنت أشعـر ان الدخان يكـاد يخنقني، مـرت هذه الفترة فلا أنـا ألححت ولا هـو أظهر لي انتهـاء المقـابلـة، اعتدل على اثـرهـا بكرسيـه ووضع سيجـاره في

المنفضة وقال بتمتمتـه المعتادة، التي كنت قد تعودت عليها أثنـاء اشتغالي معه سنوات عديدة في ديوان الحكومة، قال «يمكن أن نؤجركم قطعة أرض اضافية بموجب مـا نؤجـر للـ (RAF) (الطيران البريطـاني) أي بأجر اسمي أظنـه في ذلك الـوقت ربـع روبية في السنـة (أي ٢٥ فلسـا) ولمدة ٩٩ سنـة، انفـرجت أسـاريـــر وجهي بعـد ذلـك الصمت الـرهيـب وحمدت الله على وجـود الحل، وهكـذا حصلنا على الـزيادة بهذه الصيغـة، ولما بلغت الاخوة بـذلك سروا بها فتـوكلنـا على الله وشرعنـا في بنـاء نـادي البحـريـن القـائم الآن جنـوبي مقبرة المحرق.

بالمنـاسبة أود أن أقـول ان المستشار بلكريـف كان في كل الأوقـات لطيفا معي ويقدر مجهودي وعملي أثناء اشتغالي معه في ديوان الحكومة.

ثانياً: نزع فتيل فتنة بين السنة والشيعة

يعيش شعب البحرين بعقيدتيه السنية والشيعية عيشة اخوية غير انه لا يروق لبعض المفتنين ان يروا هذا الصفاء والمودة بينهم فيسعون الى خلق سبب للفتنة وكثيرا ما يكون هذا السبب تافها ولكن بعضهم يذكي نارها ففي عام ١٩٥٣م قامت فتنة من هذا النوع تجمهر اثناءها كل من الطرفين في ناحية او في فريق وأخذ يهدد الآخر بالهجوم والمشاجرة.

بطبيعة الحال خلق هذا التهديد حالة من التوتر والقلق كما اشاع الاشاعات المفزعة بين الشعب بأكمله.

مضى على هذا التوتر عدة ايام ومستر بلكريف مستشار الحكومة وهو في نفس الوقت قمندان شرطتها لا يكاد يفعل شيئا لمعالجة الوضع وانهاء هذا التوتر والقلق، اتصلت تلفونيا بالمرحوم الحاج احمد يوسف فخرو في متجره المجاور لمتجرنا وتبادلنا الحديث حول السعي لانهاء هذا الوضع غير المستحب من الجميع كما اتصلت ايضا بالمرحوم الحاج خليل كانو لنفس الغاية والغرض وبشخص آخر رابع لا اتذكره الآن وعرضت عليهم ان نتوجه الى دائرة الحكومة لنقابل المستشار بلكريف ونطلب منه العمل على انهاء هذا الوضع المتوتر بالسرعة، ابدى الجميع موافقتهم واهتمامهم بالامر فذهبنا جميعا الى ديوان الحكومة فلم نجد المستشار موجودا فيها بل وجدنا سكرتيره «نارين» الذى اخبرنا ان المستشار بالقلعة (١) وربما لا يعود الا بعد الثانية ظهرا. طلبنا منه الاتصال به تلفونيا واخباره بحضورنا لملاقاته فكان جوابه انه مشغول ولا يستطيع الحضور فوجهنا اليه كلمة شديدة طلبنا من نارين ابلاغها اليه تلفونيا، وهى اننا جئنا لاسكات هذه الفتنة وبما انه لم يبد أي تعاون معنا فاننا نحمله المسئولية لما سيحدث. عندها ارتبك نارين وسمعته يقول للمستشار الافضل ان تسعى الى مقابلتهم فهم منزعجون جدا «اجاب المستشار سألقاهم بعد الساعة الثانية عندما أرجع».

---

(١) **القلعة**: مركز القيادة العامة للشرطة

خرجنا من غرفة نارين على امل ان نعود في الساعة الثانية كما وعدنا بلكريف واذا بنا نلتقى في ممر الدائرة باربعة من كبار اخواننا الشيعة - المرحوم منصور العريض والسيد محمود العلوي والسيد حسن المديفع وآخر لا اتذكر اسمه الآن. تبادلنا معهم اطراف الحديث فاخبرونا انهم جاءوا لنفس الغرض ولمقابلة المستشار بلكريف لنفس المسعى الذى نسعى اليه، اخبرناهم بما جرى مع نارين والمستشار وتواعدنا معهم ان نجتمع في دائرة الحكومة في الساعة الثانية.

اجتمعنا في الوقت المحدد وقبل ان يحضر بلكريف تطرقنا لموضوع هذه الفتنة واذا الكل منا يستنكر حدوثها. حضر بلكريف وابدينا اليه استياءنا من عدم مبالاة الحكومة واهتمامها باخمادها واننا قررنا الاتصال بالطرفين والعمل على اسدال الستار على هذه الفتنة، لم يعلق بلكريف على مسعانا بل ردد كلمة أسف وقال انه ايضا سوف يحاول. اتفقنا على خطة هي: ان اذهب انا والمرحوم احمد فخرو الى المحرق في ذلك المساء لنهدىء من حماس المتجمهرين امام دائرة الشرطة بالمحرق وان يذهب السيد محمود العلوي في نفس الوقت ومعه شخص آخر الى جماعة المتجمهرين في فريق المخارقة في المنامة ليهدئهم وبعد المغرب نذهب انا والمرحوم فخرو الى الرفاع الشرقى حيث يوجد تجمهر كبير يهدد بالهجوم في اليوم التالى على المنامة ويذهب السيد وزميله الى بعض القرى لنفس الغرض ثم نجتمع في اليوم الثانى لنستعرض نتائج هذه الزيارات.

توجهت والمرحوم احمد فخرو الى المحرق عصر ذلك اليوم للالتقاء بالمتجمهرين فيها وعند وصولنا الى محل تجمهرهم احاطوا بسيارتنا وهم يهددون ويتوعدون، اراد المرحوم احمد فخرو ان يلقي فيهم كلمة ولكن ضجيجهم وصراخهم الواصل الى عنان السماء منع كلمته من ان تصل الى اقرب القريب منهم عندها صعدت على ظهر السيارة وصرخت بأعلى صوتي عدة مرات قائلا «اسكتوا - اسكتوا - واسمعوا ما سنقوله لكم» هدأت اصواتهم نوعاً ما وقلت «ان هذه الفتنة ليست في صالح احد ونحن قبل لحظات اجتمعنا مع اخواننا جماعة الشيعة وكلنا استنكرنا هذه الفتنة وجئنا لنطمئنكم ان كل شيء سيعود الى طبيعته وترجع الاخوة اقوى مما كانت عليه

بين الطرفين، وقع كلامي هذا موقع الحيرة والريبة والتشكك بين البعض (ولا يلامون في ذلك فالاشاعات المغرضة قد تفشت بينهم) وبدأوا يسألون سؤالات مختلفة اطمأنوا كما يظهر بعدها بأن الامور ستسير سيرا حسنا، بعد المغرب توجهنا الى الرفاع وكانت تلك الليلة ليلة مقمرة كما اذكر وما ان وصلنا مكان التجمع حتى احاط بنا عدد كبير من المتجمهرين وكإخوانهم كذلك يتوعدون ولكنهم كانوا نوعاً ما اهدأ من المحرقيين جلسوا الينا واخبرناهم بما جرى وكانوا قد صمموا في اليوم التالي الزحف على المنامة لمساعدة اخوانهم كما يدعون، فسّروا بهذه البادرة.

التقينا ببقية الجماعة في اليوم التالي كما اتفقنا وتبادلنا نتائج الزيارات التى ولله الحمد والمنة هدّأت الوضع واعادت الامور الى نصابها وحمدنا الله جل جلاله ان هدانا الى اسكات فتنة مفتعلة لا داعي لها والى التفاهم الاخوي بيننا.

بهذه المناسبة اذكر هنا حادثة طريفة حدثت للمستشار بلكريف خلال تلك الايام. كان المستشار بلكريف عائدا من المحرق الى المنامة في سيارته التى كان يقودها بنفسه وكان يصاحبه خادمه (حمود) الذى كان يجلس في المقعد الخلفي من السيارة وكانت الباصات التى تنقل الركاب بين المحرق والمنامة متوقفة بسبب هذه الحوادث.

في اثناء مرور المستشار بلكريف بموقف الباصات بالمحرق شاهد رجلا اعمى يتوق للذهاب الى المنامة ولا يجد السبيل الى ذلك فأوقف سيارته وأمر خادمه (حمود) ان يدعوه ليوصله الى المنامة، ركب الاعمى السيارة وجلس بجانب حمود في المقعد الخلفي.

وبينما كان بلكريف منطلقا بسيارته تجاه المنامة بدأ الرجل الاعمى يلقي الكلام على عواهنه بصوت عال مسموع قال «الله يلعن هذا المستشار جلب لنا البلوى والأذية في هذا البلد، الله يخلصنا منه».

يقول حمود الذى روى لي هذه الحادثة الطريفة حاولت اسكاته بأن قرصته عدة قرصات في فخذه ولكنه لم يفهم قصدي وواصل مسبته للمستشار الذى يتكلم العربية وقد سمع ما فاه به الأعمى من مسبة وتجريح فلم يعلق او يعترض لأن البرود الانجليزى كان بطبيعة الحال غالبا عليه.

الباب العاشر

اسهامات في نهضة البحرين الاقتصادية

اسهامات اقتصادية في نهضة البحرين الحديثة

مقدمة

لقد قمت بمساهمات في نهضة البحرين الاقتصادية اذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

تأسيس شركة عبدالرحمن الزياني واولاده صفحة (١٩٣).

تأسيس شركة الخليج للتجارة والهندسة صفحة (١٩٣).

بناء فندق دلمون، أول فندق درجة اولى في البحرين صفحة (٢٣٧).

انشاء مصانع بلاستك الخليج، أول مصنع للبلاستك في البحرين والمنطقة صفحة (٢٣٨).

تأسيس بنك البحرين والكويت ش. م. ب.

تأسيس بنك اليوباف العربي الدولي ش. م. ع (اوفشور).

تأسيس شركة التسهيلات التجارية ش. م. ب.

تأسيس بورصة البحرين.

استثمارات الزياني ذ. م. م.

تأسيس مستشفى البحرين التخصصي ش. م. ب.

(الفصل الأول)

بنك البحرين والكويت

بنك البحرين والكويت

في مكان آخر من هذه الذكريات كتبت ما أذكره عن الغرفة التجارية صفحة (٢٤٩) واني كنت سكرتيرها مدة خمس سنوات حتى عام ١٩٥٦م. في السنتين الأخيرتين توسعت أعمالنا التجارية أي «عبدالرحمن الزياني وأولاده» توسعا كبيرا وزادت مسئولياتي بالنسبة لعملنا التجاري ولم يكن أحد من اخوي يشاركني المهمة في البحرين والفروع الخليجية الأخرى (عدا الكويت) فأحدهما كان يتولى فرع الهند والآخر فرع الكويت فرأيت انه لابد لي من التخلي عن سكرتارية الغرفة والتفرغ لأعمالنا التجارية المتشعبة خاصة وان أعمال الغرفة قد زادت وتوسعت وأصبحت تحتاج الى تفرغ لمقابلة المسئوليات الملقاة على عاتقها فتولى أخي المرحوم علي الوزان منصب السكرتارية اما أنا فقد بقيت عضوا من أعضاء مجلس الغرفة وبعد مضي بضع سنوات اختير الأخ المرحوم الوزان ليتولى رئاسة الغرفة.

في هذه الحقبة من الزمن نشط العمل التجاري في منطقة الخليج بصورة عامة فكان هذا النشاط حافزا لنا في الغرفة لأن نتطلع الى تكثيف النشاط التجاري بيننا وبين اخوتنا من أبناء الخليج والتعاون معهم في سبيل إنشاء مشاريع أو مؤسسات تجارية مشتركة. بدأنا بالاتصال باخواننا تجار الكويت حيث تدارسنا معهم إنشاء شركات مشتركة كشركة بواخر خليجية مثلاً، واستقر رأينا معهم أخيرا على إنشاء بنك مشترك تشمل فروعه منطقة الخليج وربما نواحي أخرى من العالم فيما بعد. كان مبدأ تعاوننا معهم المساواة في الشراكة دون امتياز أو تفضيل لأحد الطرفين وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق برز للوجود بنك البحرين والكويت في عام ١٩٧٢م برأسمال قدره مليون دينار بحريني نصف رأسماله مساهمة من أبناء البحرين والنصف الآخر مساهمة من بنوك ومؤسسات مالية كويتية.

عند تشكيل المجلس المكون من عشرة أعضاء نصفهم من البحرين والنصف الآخر من الكويت انتخب الأخ المرحوم علي الوزان رئيسا وانتخبت



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة يقص الشريط إيذانا بافتتاح بنك البحرين والكويت وعن يمينه المؤلف راشد الزياني رئيس مجلس الادارة وعن يساره سعادة وزير التجارة الكويتي آنذاك السيد خالد العدساني



أحد مجالس ادارة بنك البحرين والكويت الأوائل ويظهر من بين أعضائه المرحوم سعود العبدالرزاق على يمين رئيس مجلس الادارة السيد راشد الزياني (المؤلف) والسيد ابراهيم اسحاق على يسار الرئيس ثم السيد جاسم الصقر والسيد صادق البحارنة، كما يظهر في الصورة السيدان عبدالله بوهندي وغازي الموسوي وسكرتير المجلس سعد الحوطي

أنا نائبا للـرئيس وانتخب السيد جاسم فخرو عضوا منتـدبا كما انتخب المرحوم سعود العبدالرزاق نائبا ثانيا للرئيس والسيد بدر الداوود عضوا منتدبا ثانيا.

شرعنا في التحضير لافتتاح البنك رسميا بعد أن استأجرنا محلا صغيرا يفي بحـاجته آنذاك في شـارع التجار بالمنـامة إلا ان قـدر الله، ولا راد لقضائه سبحانـه وتعالى، اختار المرحوم الـوزان الى جواره مما أفجع الجميع فقـد كانت له، رحمه الله، منـزلة ومحبة من الجميـع وبحكم منصبي كنائب للرئيـس توليت الإشراف والمتابعـة لافتتاح البنك الـذي تم بحمد الله بـرعاية وتفضل صـاحب السمو الشيخ خليفـة بن سلمان آل خليفة رئيس الـوزراء. وذلك في ١٦ فبراير ١٩٧٢م بعـدها أعيـد تشكيل المجلس من جـديد فـانتخبت رئيسـا للمجلس وظل الاخوة أعضـاء المجلس يعيدون انتخـابي للرئاسة طيلـة السنوات التـالية وحتى الآن، ولاشك اني مدين لهم بهذه الثقة الغالية وشاكرا لهم ثقتهم بي.

كان عدد البنوك المحلية آنذاك لا يتجـاوز أحد عشر بنكا وكانت الحكومة قد وضعت نظـاما خـاصا للبنوك التي تـدعى (أوفشور) (١). لم يكن هـدفنا اقتصـار نشاطنـا على البحـرين والكـويت بل كما ذكـرت آنفا التـوسع وطـرق أبواب البلدان الأخرى ابتداء من بلدان الخليج.

فرع سلطنة عمان:

ابتدأنـا بسلطنة عمان وبعـد الدراسة والتحـري، توجهت على رئاسـة وفد من مجلس البنك مكون من أربعة أعضاء الى سلطنة عمان حيث قابلنا سكرتير جلالـة السلطان قـابوس بن سعيـد وعند طـرح الفكرة عليـه قال انـه سيوصي بإعطائنا رخصة فتح فرع للبنك، طلبنا التشرف بمقـابلة جلالة السلطان فكان لنا مع جـلالته خير لقاء وفرصـة سانحة حيث شرحت لجلالتـه أهداف البنك ومشاريعه وقد لقينا من جلالتـه كل اهتمام وتشجيع كما حدثنا جلالته بحديث الـواعي المتفهم لأمـور المنطقة الاقتصـادية، في اليـوم التـالي وصلنا كتـاب من

---

(١) **اوفشور**: كلمة انجليزية تعبر عن البنوك التى يكون مركزها في البحرين ولكن معاملاتها تكون مع الخارج فقط فلا تزاحم البنوك المحلية في معاملاتها الداخلية.

سكرتير جلالة السلطان يأذن لنا بفتح فرع للبنك في السلطنة ولكن كما ذكرت سابقا انه ليس من مبدئنا فتح فرع في السلطنة بل المشاركة كما فعلنا مع اخواننا الكويتيين لذلك بدأنا الاتصال بتجار مسقط وكان عددهم في ذلك الوقت لا يتجاوز الخمسة عشر تاجرا وكانت تربطني ببعضهم علاقة صداقة وتعامل تجاري.

كانت الغاية من الاتصال والزيارة لهم في محلاتهم شرح الغاية من زيارتنا وفي نفس الوقت دعوتهم للمشاركة معنا. بعدها قررنا دعوتهم الى اجتماع عام في قاعة فندق الفلج حيث ألقيت فيهم كلمة أوضحت فيها فكرة تأسيس بنك البحرين والكويت وأخبرتهم اننا قد حصلنا على رخصة لفتح فرع للبنك في سلطنة عمان ولكننا نفضل المشاركة معهم بدل ذلك على أساس المساواة مناصفة. كما اني أفضل ان يكون رئيس مجلس ادارة هذا البنك من أبناء السلطنة. رحب الجميع بذلك مبدين استعدادهم للمشاركة.

تقدمنا للحكومة نطلب تأسيس البنك على أساس المشاركة باسم بنك البحرين والكويت وعمان فجاءتنا الموافقة من الحكومة مع اقتراح بأن يكون الاسم بنك عمان والبحرين والكويت قبلنا بذلك فتأسس البنك بتاريخ ١ يوليو ١٩٧٣م وانتخب نصف أعضاء مجلسه من مواطني عمان والنصف الآخر من أعضاء مجلس بنك البحرين والكويت.

توجهنا بعدها الى الامارات العربية المتحدة حيث زرتها بمفردي واجتمعت بالمسئولين فيها عارضا عليهم الفكرة فلم أجد منهم التشجيع ولكن أثناء حديثي مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، رحمه الله، قال في بادىء الأمر لقد سمحنا لعدد كبير من البنوك ونرى التريث في الوقت الحاضر ولكن بحكم علاقتي الشخصية مع سموه، رحمه الله، أخبرني في اليوم التالي انه سوف لا يمانع بفتح فرع للبنك في دبي.

رجعت الى البحرين وعرضت الموضوع على مجلس الادارة فرأى المجلس التريث وتأجيل الموضوع لوقت آخر ففاتت علينا فرصة ليتنا كنا اغتنمناها.

فرع الكويت:

كانت الخطوة التالية فتح فرع للبنك في الكويت ولما تقدمنا بالطلب اعترض طلبنا نظام تأسيس البنوك في الكويت. فالكويت لا تسمح بفتح بنوك غير كويتية فيها ولكن وضعنا كمشاركين بالنصف مع اخواننا الكويتيين عن طريق بنوكهم وبعض مؤسساتهم المالية له وضع مختلف فهو ليس بنكا أجنبيا ولا هو بنك محلي بالكامل ظل هذا الموضوع يتأرجح مدة سنتين تقريبا قابلت فيها المسئولين في الحكومة الكويتية وعلى رأسهم صاحب السمو الشيخ جابر يوم ان كان وليا للعهد ووزيرا للمالية أكثر من مرة، وفي النهاية توصلت حكومة دولة الكويت كما فهمنا الى تعديل نظام فتح البنوك وإدخال مواد خاصة عليه بحيث ذكر في هذا التعديل انه يسمح للمتقدم بفتح فرع إذا كان شركاؤه جميع البنوك الكويتية، وبما اننا نشترك مع جميع البنوك ماعدا بنك برقان الذي كان قد افتتح مؤخراً عملنا على إدخال بنك برقان في الشراكة على أساس تنازل زملائه من البنوك والمؤسسات الكويتية من بعض حصصهم وزدنا في نفس الوقت عدد أعضاء المجلس بعضوين فصار العدد الكامل اثنا عشر عضوا ستة من البحرين وستة من الكويت وتم افتتاح فرع الكويت بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٧٨م.



بناية البنك المستأجرة

تطورات البنك في البحرين:

ذكرت آنفا ان البنك افتتح في ١٦ فبراير ١٩٧٢م في محل صغير داخل سوق المنامة وبعد مضي مدة قصيرة اضطررنا للتحول الى محل أكبر فاستأجرنا بناية ذات ست طوابق في شارع الحكومة.

تمكن البنك منذ افتتاحه، بفضل المولى سبحانه وتعالى، وبرأسمال قدره مليون دينار بحريني من التقدم والسير الحثيث مستقطبا عددا كبيرا من الزبائن من خيرة التجار والمؤسسات والمقاولين ومحققا أرباحا مجزية أجزلت العطاء للمساهمين طيلة اثنتي عشرة سنة كما تشير الى ذلك اللائحة التالية:

لائحة الأرباح الموزعة من عام ١٩٧٢م الى عام ١٩٨٤م
مع العلم ان البنك ابتدأ برأسمال قدره مليون دينار بحريني

السنة	الأرباح الموزعة نقدا (دينار بحريني)	الأسهم المنحة (القيمة الاسمية -/١ دينار بحريني)
١٩٧٣م	١٦٠,٠٠٠	——
١٩٧٤م	٢٤٠,٠٠٠	——
١٩٧٥م	٤٠٠,٠٠٠	——
١٩٧٦م	٦٠٠,٠٠٠	——
١٩٧٧م	١,٠٠٠,٠٠٠	——
١٩٧٨م	١,٠٠٠,٠٠٠	——
١٩٧٩م	٥٠٠,٠٠٠	——
١٩٨٠م	٧٥٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
١٩٨١م	١,٣٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
١٩٨٢م	٤,١١٧,٠٠٠	٤,٣٣٣,٣٣٣
١٩٨٣م	١٠,٨٠٦,٠٠٠	١٠,٢٩١,٦٦٦
١٩٨٤م	٦,١٧٥,٠٠٠	——
المجموع	٢٧,٠٤٨,٠٠٠	١٩,٦٢٤,٩٩٩

بلغ رأسمال البنك في عام ١٩٨٤م	٣٠,٩٠٠,٠٠٠ دينار
وبلغت احتياطاته	٦٣,٣٠٠,٠٠٠ دينار
اما حقوق مساهميه فقد بلغت	٩٤,٢٠٠,٠٠٠ دينار

ومع ان درجة تصنيف البنك عند تأسسه وافتتاحه بين البنوك المحلية الحادي عشر الا انه تمكن بعد مضي بضع سنوات على افتتاحه من ان يتقدم الى الصف الاول من حيث ميزانيته وارباحه، وقد سار على هذا المنوال سنين عديدة حتى عام ١٩٨٤م حيث اعترضته بعد ذلك كبوات ومشاكل لا داعي لذكرها هنا وصادف ان يكون ذلك في سنين الكساد التي مرت على الخليج (١٩٨٥م - ١٩٨٩م) تمكن بعدها من التغلب على مشاكله وعاد ينتعش ويتقدم من جديد.

وفيما هو سائر في التقدم والانتعاش حدث غزو الكويت المشؤوم فأوقع البنك في ازمة جديدة عرقلة انتعاشه وتقدمه، مع هذا تمكن البنك من الصمود ومواصلة مسيرته الموفقة حتى تغلب على مشاكله واصبح الآن يسير سيرا طبيعيا.

يجدر بي هنا ان اكتب فصلا عما حدث للبنك اثناء الغزو المشؤوم للعلم والاطلاع. ففي صباح الخميس ٢ اغسطس ١٩٩٠م غزا العراق دولة الكويت بجيشه الجرار مما أدى الى انقطاع الاتصال بين دولة الكويت والعالم الخارجي. وبطبيعة الحال، لم يكن هناك مجال للاتصال بفرع بنكنا بالكويت.

اما في البحرين فقد تهافت الناس على البنوك مطالبين استرجاع اموالهم سواء الودائع منها او الحسابات الجارية ولما كان اسم بنكنا مقترنا باسم الكويت كان الضغط علينا اشد واقسى غير ان البنك والقائمين عليه من ابناء البحرين وقفوا وقفة الرجل الشجاع الواحد فلبوا الطلبات دون تلكؤ او تردد بخلاف غالبية الموظفين الأجانب الذين تغيبوا عن الحضور. ومما يجدر ذكره هنا اننا بعد مرور الأزمة وفي اجتماع للمجلس اتخذنا قرارا بتوجيه شكر وتقدير لاولئك الموظفين المخلصين البواسل الذين صمدوا وواصلوا المسيرة، دامت ازمة تهافت الناس على المطالبة باسترجاع اموالهم من البنوك بضعة ايام. قامت كل البنوك خلالها بواجبها بفضل جهودها الخاصة والمساندة المشكورة من مؤسسة نقد البحرين، ثم لم يكد يمضي وقت قصير حتى عاد الاطمئنان الى الزبائن وعادوا الى ما كانوا عليه قبل الغزو المشؤوم. علاوة على ما تقدم وفي هذه الاثناء اعترضت بنكنا ايضا مشكلة اخرى بذلنا جهدا كبيرا لحلها. فكما

هو معلـوم عند حدوث الغزو جمدت امـوال الكويت ومنعت حكومـات العالم بما فيها الولايـات المتحدة التعامل مع كل ما يرتبط او يسمـى باسم الكويت. ولكون اسم بنكنـا «بنك البحرين والكـويت» جمد تعاملنا مع البنـوك الاجنبية ولم يسمح لنـا بمواصلـة ذلك الا بعـد التوقيـع على استمارات طويلـة عريضـة اخذت منا وقتا وجهدا لفك هذا التجميد.

هـذا بالنسبـة للبحـرين، اما فـرع الكـويت فكما ذكـرت سابقـا انقطعت الاتصالات معه حتى نهايـة الغزو وانسحاب العراق وهنـا اروي ما حدث لهذا الفرع كما رواه لنا القائمون على شئونه ابتداءً من يوم الغزو وحتى نهايته.

في اليـوم الاول لم يفتح الفـرع ابوابـه ولكـون الاتصـال مقطوع بينـه وبين المركز الـرئيسي رأى المدير وهو كـويتي الجنسية وبعض زمـلائه الاتصال بسفير البحرين في الكـويت، ومناشدته الاتصـال بالمركز الرئيسي اذا كـان ذلك ممكنا غير ان السفير اخبرهم عنـد زيـارتهم لـه انـه هـو ايضـا ليس لـديـه أي مجال للاتصال، ولما استشـاروه، في امر فتح الفرع او تركه مغلقـا لم يستطع اجابتهم الا بجملة واحـدة «حافظوا على البنك وامـواله». وحرصـاً من ادارة البنك على تلبية احتيـاجات المودعين قـررت الادارة فتح ابوابـه لتقديـم الخدمات للـزبائن رغم ظروف الاحتلال العصيبة شأنه شأن الآخرين.

الفروع الاخرى:

ذكرت فيما مضى ان مـن مبادىء انشاء بنك البحـرين والكويت هـو عدم التوقف في البحرين والكويت والخليج انما التوسع وطـرق ابواب خارجية عالمية ومن هذا المنطلق بـدأنا بدراسة فتح فـرع للبنك في بريطانيا واوكلنـا امر دراسة جدواه الاقتصادية الى المختصين.

اثناء وضع الـدراسة وعنـدما كنت متواجـدا في بريطـانيا زرت بنك انجلترا الـرئيسي للاستفسـار وجس النبض اكد لي الموظـف المختص بالبنك ان طلبنـا سيحظى بالتـأييد والقبول. شكـرته على ذلك ولما عـدت الى البحرين واخبرت المجلس عما جرى من حديث مع بنك انجلترا سر من ذلك وبعد اطلاعه على الدراسة رأى التمهل والتأجيل.



أعضاء مجلس الادارة الحالي لبنك البحرين والكويت . .
الصف الاول من اليمين: علي الصالح، حسن الجلاهمة، (رئيس مجلس الادارة) المؤلف راشد الزياني، صالح الفلاح وهشام العيسى.
الصف الثاني من اليمين: ابراهيم الحمر، محمد اليحيى، ابراهيم اسحاق، بدر السميط، محمد صلاح الدين، يعقوب الفليج ومسعود حياة.



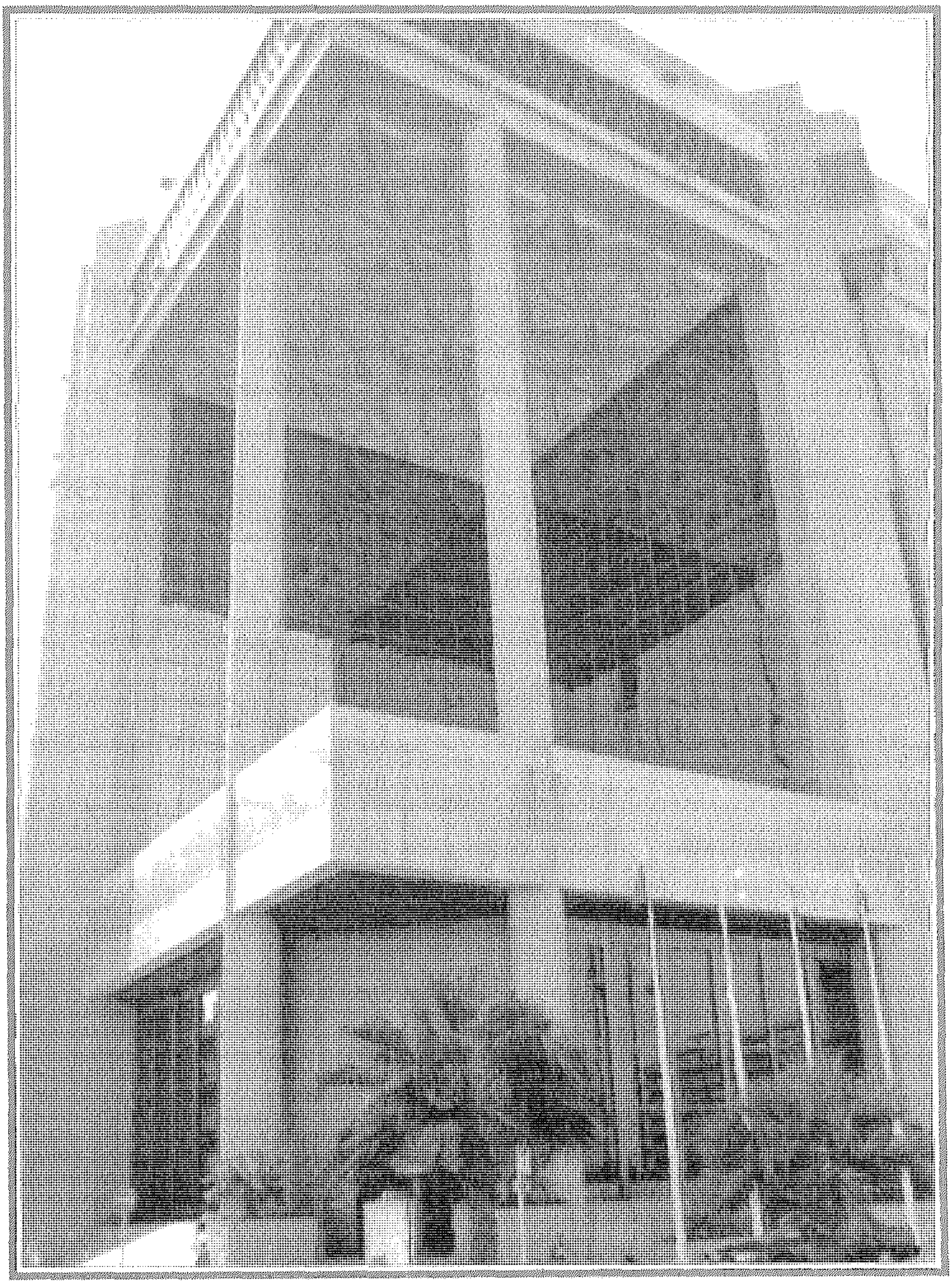
البنك المتنقل

فرع تركيا:

التفتنا الى منطقة الشرق الاوسط فوقع الاختيار على مصر وتركيا وبعد المفاضلة قرر المجلس فتح فرع في تركيا على ان يكون في عاصمتها اسطنبول فاتخذت الاجراءات اللازمة وبعد الحصول على الرخصة افتتح الفرع بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٨٦م وكان سيره عاديا الا انه اعترضت البنك مسألة الليرة التركية التى كانت تسير من سيىء الى اسوأ فما نربحه من تجارة نخسره تقريبا في نزول العملة. فاتخذ المجلس قرارا بالتخلص من الفرع وفعلا بيع لأحد البنوك، وكانت نتائجه الاجمالية مربحة وغير خاسرة.

فرع بومبي:

كان من بين البلدان التى تدارسنا فتح فروع فيها الهند وباكستان، بدأنا بالهند واستغرقت المراسلة مع حكومة الهند وبنكها الرئيسي حوالي سنتين استعنا خلالها بسفيرهم في البحرين وزرنا الهند للاطلاع والاستكشاف ناهيك عن المحادثات التلفونية المتكررة مع رئيس بنك الهند الرئيسى (بنك الاحتياط) (Reserve Bank) بدلهي حتى تمكنا من الحصول على رخصة لفتح فرع رئيسي في بومبى وفروع اخرى في جميع انحاء الهند وقد باشر اعماله في نوفمبر ١٩٨٥م وبتاريخ ١٩/ ٢/ ١٩٨٧م توجهت والمجلس بكامل عدده تقريبا الى بومبى حيث اقمنا حفلا كبيرا في أحد فنادقها الكبرى معلنين افتتاح الفرع رسميا وفي نفس الوقت قمت مع بعض الاعضاء بزيارة بعض البنوك الرئيسية فيها ومنذ ذلك التاريخ والفرع يسير سيرا حسنا ويؤدى ارباحا محترمة رغم صغره مما دعانا لتوسعته وزيادة فعاليته. وقد اقر المجلس مؤخرا فتح فرع آخر في شبه القارة الهندية.



البناية الحديثة لبنك البحرين والكويت المؤلفة من ١٣ دورا

اما باكستان:

فقد اعطينا ايضا رخصة لفتح فرع فيها بعد تردد بسيط من سلطاتها والعمل جار على متابعة ذلك بالحاضر.

وفي البحرين :

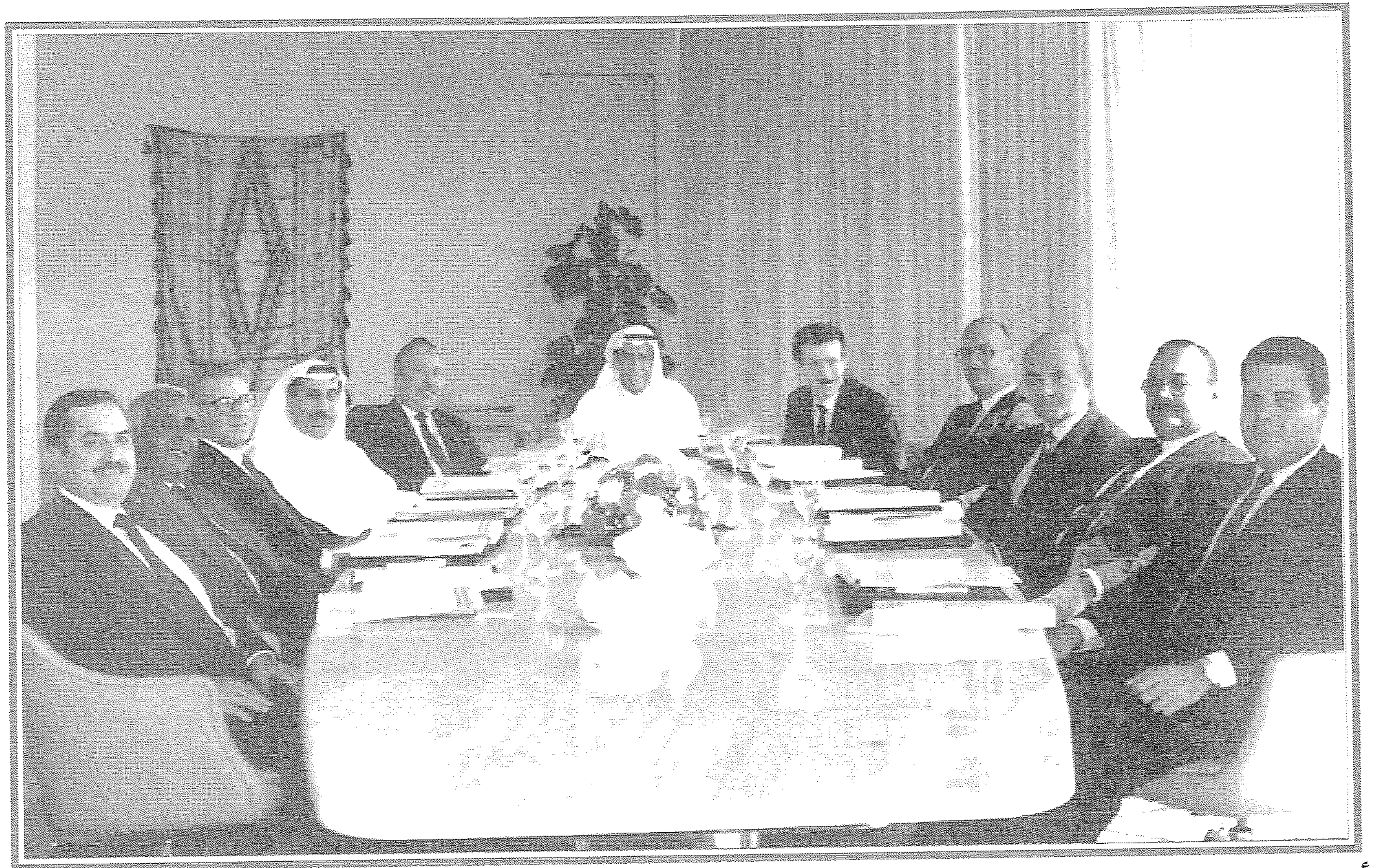
افتتح البنك ٢٠ فرعا في انحائها المختلفة وبتاريخ ١٨/ ١١/ ١٩٨٩م استحدث البنك فرعا متنقلا هو الاول من نوعه في المنطقة لقى صدى كبيرا في البحرين وهو عبارة عن سيارة مجهزة بكل ما يحتاجه الفرع من معدات كمبيوتر وتلفون وخزانة حديدية ويدير هذا الفرع المتنقل اثنان احدهما سائق السيارة والآخر موظف فيها. تقوم هذه السيارة بزيارة مناطق مختلفة من البلاد خاصة الارياف حسب جدول معد ومعروف مسبقاً. وعند وصولها مواقفها المحددة يقوم السائق والموظف الآخر بمهمة مباشرة التعامل مع الزبائن وهى فضلا عن ادائها خدمة للجمهور كانت خير دعاية للبنك.

ممتلكات البنك:

عمل البنك منذ انشائه على تملك منشآته بدلا من استئجارها فقد تملك عددا من المباني حولها الى فروع له كما اشترى ارضين احداهما في المنطقة الدبلوماسية واخرى في وسط المنامة مقابل دار الحكومة بني على الاخيرة منها بناية شاهقة ذات ١٣ طابقا وكان تصميمها وبناؤها على احدث طراز يختلف في طابعه وشكله عن أي بناية حديثة او قديمة في البحرين كما استحدث بعض المساكن لبعض الموظفين الاجانب وحول بعضها الى ناد للموظفين، اما في مسقط فقد تملك بنايته وبناية اخرى مجاورة لسكن موظفيه.

(الفصل الثاني)

بنك اليوباف العربي الدولي
بنك (اوفشور) بالبحرين



أعضاء مجلس ادارة بنك اليوباف العربي الدولي
في الوسط المؤلف السيد راشد الزياني رئيس مجلس الإدارة وعن يساره نائب الرئيس السيد محمد عبدالجواد

بنك اليوباف العربي الدولي
بنك (اوفشور) بالبحرين

خلال عام ١٩٧٢م اشترك بنك البحرين والكويت في بنك «يوباف» (UBAF) (١)، فاقتضى اشتراك بنكنا حضوري اجتماعات بنك (UBAF) بصفتي ممثلا لبنك البحرين والكويت.

وبنك (UBAF) «يوباف» الذى يساهم العرب فيه بنسبة ٦٠٪ ويساهم الفرنسيون بنسبة ٤٠٪ اسس قبل بضع سنوات بناء على توصية من مجلس الجامعة العربية واتفق على ان يكون مقره الرئيسي مدينة باريس عاصمة فرنسا. وان ينشىء له فروعاً في المناطق المهمة من العالم. وقد قام بذلك خير قيام غير ان مجلسه الاداري قرر في سنة ١٩٨١م استحداث بنك خارجي معفى من الضرائب بصفة ما يدعى ببنك قابض (هولدنك بنك)، اطلق عليه اسم بنك اليوباك (UBAC) على ان يكون مقره جزر الانتيل المعفية من الضرائب.

بعد مدة من استحداث بنك اليوباك انسحب الفرنسيون من هذا البنك فاتفق المساهمون العرب على ابقائه بكامله لحسابهم. كما اتفقوا على تأسيس بنك عربى آخر اسموه بنك اليوباف العربى الدولي يساهم بنك اليوباك المشار اليه آنفا فيه بمقدار ٦٠٪ من رأسماله ويساهم من اراد من المساهمين العرب بالباقي، وقد اتفق على ان يكون رأسماله الصادر ٢٠٠ مليون دولار والمدفوع ٥٠ مليون دولار.

بدأ تأسيس بنك اليوباف العربي الدولي في باريس عام ١٩٨٢م. في بادىء الامر اختلف مؤسسوه حول مقره الرئيسي الدائم فبعضهم اقترح جنيف وبعضهم لكسمبرغ اما انا وبعض الاعضاء فقد اقترحنا ان يكون مقره البحرين بحيث يكون من جملة البنوك الخارجية (اوفشور)، واخيرا لما توصلوا

---

(١) اختصار يرمز الى اتحاد البنوك العربية الفرنسية.

الى ان يكون مقره البحرين كلفت من قبل المجلس بالحصول على الرخصة المطلوبة وتسجيله لدى مؤسسة النقد بالبحرين.

عند اتمام ذلك عقد المساهمون اول جلسة لهم في فندق الشيراتون بالبحرين برئاسة الدكتور محمد ابو شادي رئيس اتحاد البنوك العربية والفرنسية ورئيس اليوباك وبعد المداولة ووضع اللمسات الاخيرة اجمع الاعضاء الحاضرون على اختياري رئيسا لهذا البنك، فشكرت لهم ثقتهم الغالية وباشرت مع زملائي من اعضاء المجلس اعداد ما يلزم لسير البنك الجديد.

سار البنك منذ ذلك التاريخ سيرا معتدلا اذ صادف بعد انشائه ان حل الكساد في المنطقة مما قلص الكثير من اعمال البنوك، مع هذا كانت نتائجه جيدة رغم صغر حجم رأسماله البالغ ٥٠ مليون دولار.

في بداية عام ١٩٩٠م بدأ البنك يتقدم وينتعش وتوقع المجلس والادارة ان تكون نتائج ذلك العام نتائج ممتازة وان يحقق ارباحا صافية لا تقل عن عشرة ملايين دولار ولكن لسوء الحظ حدثت واقعة العراق وغزوها للكويت في ٢ اغسطس ١٩٩٠م فانقلبت الموازين بسبب هذا الامر غير المتوقع مما اثر على البنوك عامة وعلى البنك الفتي بصورة خاصة سيما وان العراق كان من أهم زبائن البنك وعملائه وكان له منذ انشائه معاملات واسعة ومربحة معه.

ومع ان البنك طيلة هذه السنين الكاسدة لم يطلب من مساهميه اموالا لزيادة رأسماله الا انه والحالة هذه اضطر الى ان يلجأ اليهم ويطلب منهم زيادة رأسماله ليغطي العجز الناتج من غزو العراق للكويت.

بعد اجتماعات متعددة في البحرين وباريس ولندن وبعد التداول مع مؤسسة نقد البحرين وافق المساهمون على زيادة رأسمال البنك بمقدار ٤٠ مليون دولار غير انه مع الاسف الشديد لم يساهم بالزيادة المطلوبة الا بنك ليبيا الخارجي والبنك المركزي المصري وبنك اليمن والاردن بينما تخلى الباقون من المساهمين عن المساهمة الفعلية رغم كل المحاولات والمحاورات والسبب لغالبيتهم هو تورط بنوكهم او مؤسساتهم بالتزامات مالية او قصور في مواردها او عجز في ميزانيتها.

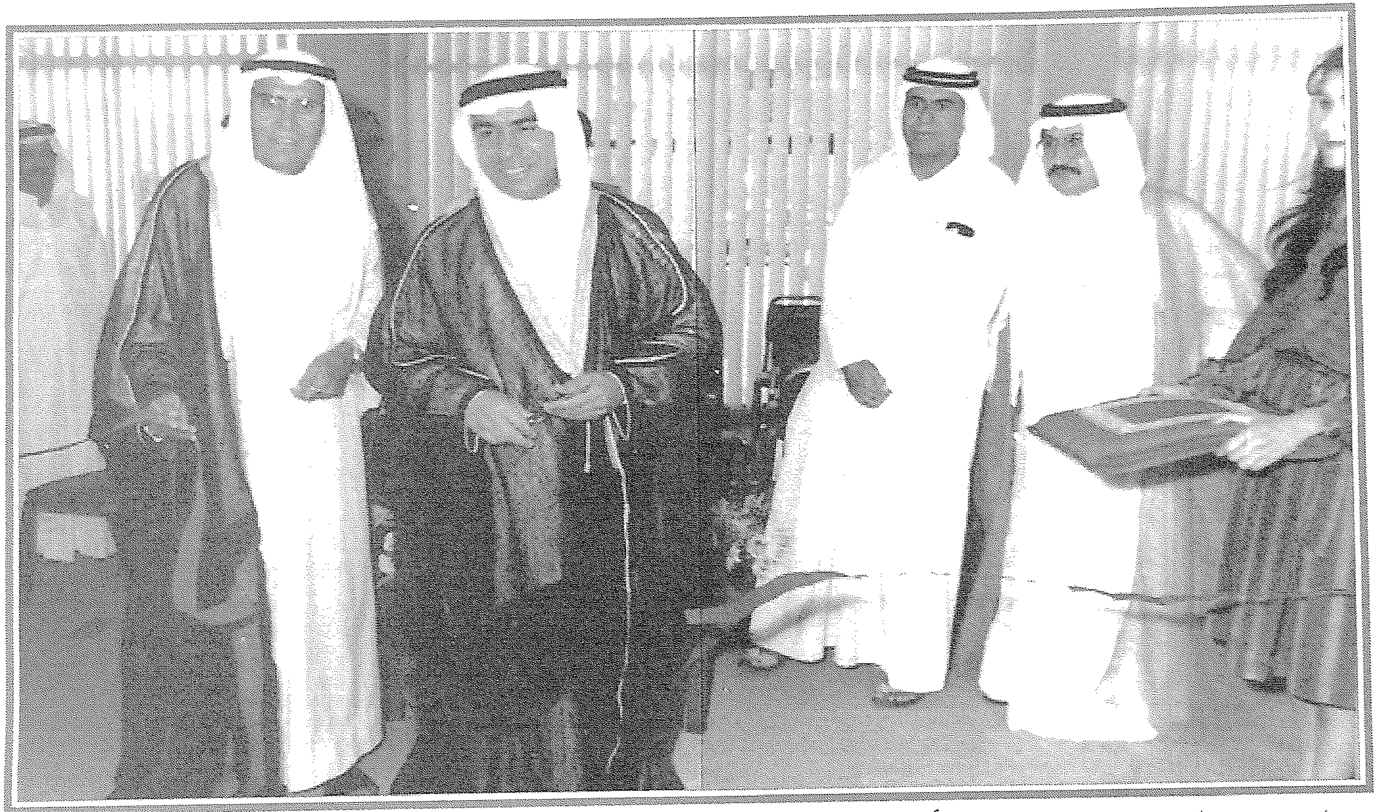
الفروع:

كان من مبادىء هـذا البنك فتح فروع له في انحاء مختلفة من العـالم بدأها بفتح فـرع تـونس الـذى افتتح في عـام ١٩٨٥م وقـد قـام هذا الفـرع بنشـاط ملحوظ وتقدم مطرد.

بعد مرور ازمة الخليج والاطمئنان الى عـودة البنك الى مساره المعتاد حدثت ازمة جـديدة شلـت حركتـه وعرقلت مسـاره. فقد اتهمت امـريكا وبـريطانيـا شخصين من مواطني ليبيـا بتفجير طائرة البان امـريكان في لوكربي بـاسكتلنده وطلبت من حكـومة ليبيـا تسليمهما لمحاكمتهما في بـريطانيـا او امريكـا. نفت ليبيـا هـذه التهمـة وامتنعت عن تسليمهما كما هـو معلـوم، مما حمل الـدولتين الغربيتين الى توقيـع عقوبات اقتصاديـة على ليبيا بينها ايقاف التعـامل مع هذا البنك، لأن بنـك ليبيـا الخارجي المملـوك للحكـومـة الليبيـة يمتلك الغـالبيـة العظمى من أسهمـه كما جمدت الـدولتان وخـاصة امـريكـا اموالـه في امريكـا وأوصت الشركات والحكومـات بعدم التعامل معه فتوقفـت اعماله في البحرين واضطر مع الأسـف الى الاستغناء عن خدمـات غالبية مـوظفيه. اما فـرعه في تونس فقد تقلصت اعماله ايضا وانحصرت معاملاته في نطاق محدود.

(الفصل الثالث)

شركة التسهيلات التجارية



سعادة وزير التجارة السيد حبيب أحمد قاسم يقص الشريط إيذانا بافتتاح شركة التسهيلات التجارية
وعن يمينه المؤلف السيد راشد الزياني رئيس مجلس الادارة . .
ويظهر في الخلف من اليسار السيد جاسم مراد والسيد حسن زين العابدين

شركة التسهيلات التجارية

في أواخر السبعينات فهمت من سعادة وزير المالية السيد ابراهيم عبدالكريم ان احد البنوك الاجنبية تقدم بطلب لممارسة نظام التسهيلات التجارية في البحرين أي اعطاء قروض مقابل بضائع استهلاكية كالسيارات والاثاث وما شاكل ذلك على ان يكون دفع ثمنها مسهلا ومقسطا.

كان هذا البنك قد باشر هذا النوع من التسهيلات في الامارات العربية المتحدة منذ بضع سنوات وكان محلنا التجاري في دبي قد تعامل مع البنك المذكور على هذا الاساس، فطلبت من سعادة الوزير تأجيل الموافقة على ذلك واعطاء البنوك المحلية الفرصة في هذا المجال ورغبة منه في تشجيعنا وافق مشكورا على التأجيل. على اثر ذلك تقدمت الى مجلس ادارة بنك البحرين والكويت عارضا المشروع بعد ان ادرجته على جدول اعمال المجلس وقد تردد بعض الاعضاء في قبوله وطلبوا التأجيل للدراسة واعادة النظر، وفي جلسة لاحقة وافق المجلس على تبني المشروع بعد ان قدمت اليه الدراسة المستفيضة عنه.

كانت الفكرة تكوين شركة من البنوك الوطنية الثلاثة بنك البحرين والكويت، بنك البحرين الوطني، والبنك الاهلى التجاري يضاف اليها عدد من التجار والشركات التى تتعامل في البضائع الاستهلاكية وتبيعها بالتقسيط.

بدأنا بمفاتحة بنك البحرين الوطني شفهيا في بداية الامر فلم يظهروا تحمسا للفكرة، فطلبت من مدير بنك البحرين والكويت ان يبعث اليهم كتابا يعرض عليهم المشاركة فكان الجواب ايضا سلبيا، ولكني لم أيأس وواصلت الاتصال والتوضيح للفكرة حتى تبلورت ووافق البنكان - الوطني والاهلي على الاشتراك، بالاضافة الى عدد محدود من التجار الراغبين في تبني المشروع.

عند اكتمال العدد المطلوب اسسنا مجلسا تأسيسيا باشر جلساته المتعددة في قاعة الاجتماعات ببنك البحرين والكويت تحت رئاستي. ثم تقدمنا بطلبنا للحكومة لأخذ موافقتها على تأسيس الشركة، غير انه حدث ان سعى احد



جانب من حفل افتتاح شركة التسهيلات التجارية . . الصف الأمامي من اليسار : غازي الموسوي - ابراهيم اسحاق - المؤلف راشد الزياني رئيس مجلس الإدارة - سعادة وزير التجارة والزراعة السيد حبيب احمد قاسم - قاسم مراد

الاشخاص لعرقلة المشروع بأن اوحى الى صاحب السمو الشيخ خليفة رئيس الوزراء الموقر بأن هذا المشروع سيكون ضارا بالمستهلكين وانه مجرد احتكار ومصلحة خاصة للبنوك فأبدى سموه تحفظا على الموافقة عليه مما دعاني والاخ محمد جلال ان نطلب المثول بين يديه حيث اوضحنا لسموه جدوى المشروع وفائدته للمستهلك وساعدنا في توضيح ذلك سعادة وزير المالية السيد ابراهيم عبدالكريم فتكرم سموه بالموافقة النهائية التى على اثرها اجتمعنا لانتخاب اعضاء مجلس ادارة الشركة بمن فيهم الرئيس والسكرتير، وكوني مرتبطا بأعمال اخرى متفرعة اخبرت المساهمين اني لا ارغب ان ارشح نفسي لرئاسة مجلس ادارة الشركة كما لا أود ان اكون عضوا في مجلسها.

فاتفق على ترشيح احد المشاركين للرئاسة وتحدد اليوم المعين لاجراء انتخاب مجلس الادارة وتسليمه هذه المهمة الا انه جد قبل الاجتماع للانتخاب المشار اليه آنفا ببضع ساعات امر غير متوقع اذ تقدم شخص من خارج المؤسسين ورشح نفسه لرئاسة المجلس مما احدث ارتباكا بين الاعضاء وجعلهم يطلبون مني ان ارجع عن قراري بعدم ترشيح نفسي ويصرون على ترشيحي للرئاسة، وعبثا حاولت ثنيهم عن طلبهم ولكنهم اصروا وفي نفس الوقت اصر الشخص الذى رشحناه للرئاسة بأنه لن يرشح نفسه ولن يقبل بذلك كما انه لن يشترك حتى في عضوية المجلس إلا اذا قبلت ترشيح نفسي للرئاسة، ورغبة من المساهمين، جزاهم الله خيرا، وتقديرا لحسن ثقتهم نزلت عند ارادتهم وافقت على ترشيح نفسي للرئاسة، وبعد مرور سنة على ذلك اعيد انتخابي لسنة اخرى ولكنني بعد ذلك لم اجدد ترشيح نفسي فاسحاً المجال للآخرين.

في واقع الامر اني اشعر بالسرور والسعادة لابراز هذا المشروع الناجح الى حيز الوجود وأعتقد انه لولا المثابرة والتصميم لما برز المشروع وتحقق، للاسباب التى شرحتها آنفا، فالحمد لله على ذلك وشكرا ثم الف شكر للمؤازرين والمؤيدين.

(الفصل الرابع)

بورصة البحرين

بورصة البحرين

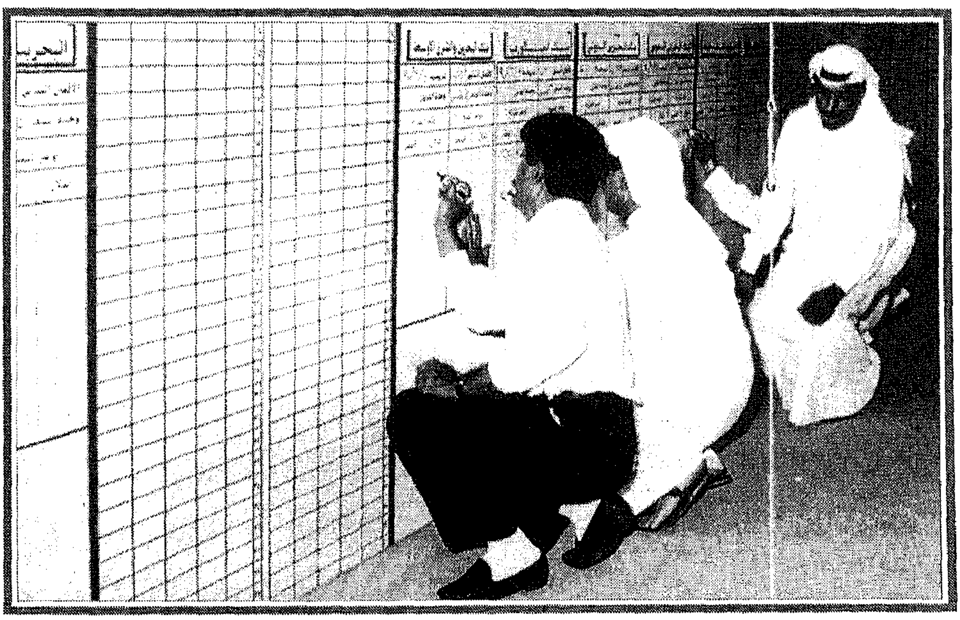
في عـام ١٩٨١م ارسلت كتـابـا الى السيـد محمـد جـلال، رئيس الغـرفـة التجاريـة بالبحـرين آنـذاك، ذكرت فيـه انه اصبح من الضروري الآن انشـاء بورصة في البحرين تواكب مـركز البحرين المالي والتجاري على ان يتداول فيها اولاً الاسهم المحليـة ثـم الخليجيـة ثم العـالميـة، واقترحـت دعـوة مجلس ادارة الغـرفـة واضـافـة عـدد محدود مـن التجـار مـن ذوي الـرأي والاختصـاص لاستشارتهم.

بعد ايام عقـدت الغرفة جلسة خاصة للنظـر في هذا الاقتراح، ودعيت من ضمن التجار غير الممثلين في مجلـس ادارة الغرفة، وحسب تقـديرى كـان عدد الحاضرين يومها يقارب الثلاثين شخصا.

افتتح الـرئيس الجلسة بأن قـرأ كتابي المشـار اليه آنفـا وطلب من الحاضرين منـاقشة الاقتراح وابـداء رأيهم بخصـوصه، نـاقش الاخـوة الحاضرون الاقتراح مناقشـة مستفيضة تضاربت خـلالها آراؤهم وافكارهم وكانت الغـالبية كما تبين لي من المنـاقشـة ترى عـدم قبـول الاقتراح لعـدم جدواه او انـه لم يحن الـوقت المناسب لقبولـه، طالت المناقشة وكثر الكـلام ولم اشترك فيها بقليل او كثير بل لزمت الصمت التام مستمعـا منتظرا نتيجة هذه المناقشـة. كان يجلس بمقابلتي في تلك الجلسـة الاخ السيد علي الصـالح وهـو كما لاحظت لم يشترك في تلك المناقشـة الطويلـة على ما اذكر وكـان ينظر الي بين حين وآخـر وكأنه يـريد ان يستفسر مني عـن سبب سكـوتي وكيف اني لا ادخـل في هـذا الجدل الطـويل والمتشعب ولـو للـدفـاع عن اقتراحي، ولما رأى ان الجدل طـال طلب المذكـور الكلمة وقال يـا اخوان ان فلانا قدم لنا اقتراحـا مقتضبا فلماذا لا نطلب منه ان يوضح لنا اقتراحه ويشرح لنا سلبياته وايجابياته.



قاعة التداول في بورصة البحرين



لوحة تسجيل التداول

رأى الاخوة في اقتراحه هذا حلا للجـدل الطويل. عندها طلب مني رئيس الجلسة شرح الاقتراح.

فقمت بشرحه شرحـا وافيا ذاكرا ايجابياتـه وسلبياته وكـان الجميع - جزاهم اللـه خيرا - ينصتون الى شرحي وتـوضيحي باهتمام كبير تقـرر على اثره قبـول الاقتراح وتبنيه على ان تقوم الغـرفة بالكتابـة للحكومة مقترحة انشـاء بورصة في البحرين.

وجهت الغرفـة كما يظهر اقتراحها الى مـؤسسة النقد وعند عـرض الموضوع على مجلس المؤسسـة عـارضه بعـض الاعضاء فلم يتخـذ المجلس قـرارا بشأنـه وبقى الموضوع معلقا.

في واقع الامر ان امر انشاء البورصـة ليس من اختصاص مؤسسة النقد بل من اختصاص وزارة التجارة وعند مفـاتحة الوزارة في الامر كان الجواب ان يعاد تقديم الاقتراح الى وزارة التجارة، والظـاهر ان الغرفة اعـادت تقديمه الى وزارة التجارة التـى بدورهـا عينت لجنة مكـونة من رؤسـاء الاقسام بـالوزارة بـرئاسة وزير التجـارة الاستاذ حبيـب قاسم مضـافا اليها شخصـان انا والاخ ابـراهيم اسحاق.

استمـرت اللجنـة في دراسة المشروع شهـورا عـديـدة ولما اقتنعت بجـدوى المشروع هيأت له الانظمـة والأسس التى تسير عليها البورصـة ثم أعلنتها على الملأ وعينت لها مجلسـا ومكـانـا فكان افتتـاحهـا بتـاريخ ١٧/٦/١٩٨٩م هـو مسك الختام.

(الفصل الخامس)

استثمارات الزياني ذ. م. م



اعضاء مجلس إدارة استشارات الزياني ذ. م. م.
ويظهر في الوسط المؤلف راشد الزياني مدير مجلس الإدارة الفخري وعن يمينه خالد الزياني رئيس مجلس الإدارة وعن يساره حامد الزياني العضو المنتدب.. وفي الخلف من اليسار زايد الزياني عضو مجلس الإدارة للشئون المالية، أفنان الزياني عضو مجلس الإدارة للشئون الإدارية، الدكتور يوسف المعمار عضو مجلس الإدارة للشئون القانونية.

استثمارات الزياني ذ. م. م

في بداية السبعينات من هذا القرن «القرن العشرين»، عندما بدت لي - مع الأسف - بوادر خلاف بين شركاء عبدالرحمن الزيانى وأولاده وما يتبعها من شركات اخرى، نصحت أولادي، وكانوا يشغلون وظائف مهمة في الشركة المذكورة، ان يفكروا او يخططوا لمستقبلهم فاستقر الرأي على تأسيس عمل مستقل يضمن لهم مستقبلهم.

فانفصل ولدي حامد عن شركة عبدالرحمن الزيانى وأولاده وأسس شركة مستقلة اسماها استثمارات الزيانى ذ.م.م مستعيناً بين الحين والآخر بأخيه المرحوم ماجد (١).

في عام ١٩٨٣م عندما اوكلت ادارة شركة عبدالرحمن الزيانى واولاده الى الحارس القضائي، انضم الى ولدي حامد أخوه خالد وكان في ذلك تعزيز لمركز الشركة ساعد الى حد كبير في توسعة اعمالها. وفي عام ١٩٩٢م وبعد ان أتم ولدي الاصغر زايد دراسته العليا انضم الى استثمارات الزيانى كشريك لإخوته مسهماً بدوره في انجاح الشركة.

وقد عقدت العزم منذ البداية على دعم ابنائي فلم ابخل عليهم بمشورتي وفكري وجهدي ولا حتى مالي الخاص.

واليوم تحتل استثمارات الزيانى ذ.م.م مركزا مرموقا في صف الشركات الفتية في البحرين متألقة بانجازاتها ومشاريعها الرائدة والناجحة والتى تشتمل على مجالات عديدة اهمها:

الصناعة: مصنع ميدال للكابلات، مصنع الوويل لعجلات الالمنيوم للسيارات، مصنع اغطية الخليج، مصنع شجرة الحياة (لأشجار ونباتات الزينة).

---

(١) أنظر باب وقفة وفاء صفحة ٤٧٥.



صورة للمؤلف راشد الزياني مع السيدة مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء السابقة للمملكة المتحدة وذلك أثناء زيارتها لجناح مصنع ميدال للكابلات في معرض صنع في الخليج والمقام في لندن عام ١٩٩٤م

التجـارة والمناقصـات: في مجال تزويـد اجهزة المكـاتب ومستلزمـاتها، وبيع أثاث المنـازل الراقي والهدايـا، والمناقصات والتجـارة العامة في المعـدات الثقيلة والمواد الكيميائية.

الخدمات: ايفيس لتأجير السيارات، الزياني للسفـريات والسياحة، فندق دلمون، مغسلة مارتنايزنك.

والعقارات ومنها: بنـاية الزياني (مكـاتب تجارية)، وقرية الراشـدية (مجمع سكني).

كما ان لاستشارات الزياني ذ.م.م حصصاً في العديد من المشاريع الخليجية والعالميـة ويشغل شركـاؤها (ابنـائي حفظهم الله) عـدة مناصب على مستـوى رؤساء او مدراء او اعضاء مجالس ادارة تلك المشاريع.

ولقد تضـاعف دوري في استشارات الـزياني ذ.م.م لا سيما بعـد ان تسلم الحارس القضـائي ادارة شركـة عبدالـرحمن الـزيـاني وأولاده. والآن من خـلال منصبي كرئيس مجلـس ادارة فخري لاستشارات الزياني اشـارك في ادارة الشركة الفعلية مراقباً نمـوها المطرد عن كثب مسدياً التوجيـه والمشورة. مع دعائي لهم بالتوفيق والسداد.

(الفصل السادس)

تأسيس مستشفى البحرين التخصصي

تأسيس مستشفى البحرين التخصصي

لطالما حدثتني ابنتي الدكتورة الاخصائية نجاح راشد الزياني (١) عن حاجة البحرين الملحة لمستشفى تخصصي على مستوى يضاهي المستشفيات التخصصية العالمية المتطورة وذلك للحد من معاناة المرضى الذين يضطرون للسفر الى الخارج لتلقي العلاج وخصوصا للحالات الخاصة المستعصية، حيث يتكبدون تكاليف المصاريف الباهظة ويقاسون مشقة السفر وعناءه - ناهيك عن تكاليف مرافقيهم. فوق هذا وذاك تعذر متابعة علاجهم عند عودتهم واضطرارهم للسفر مرة وربما مرات اخرى للمتابعة والفحص. فضلا عن هذا فان الدولة تتكبد مبالغ طائلة لابتعاث المرضى الذين لا يتوفر علاجهم في البحرين.

في واقع الامر اني كنت في البداية متردداً في مشاطرتها فكرتها إلا انه بعد التفكير اصبحت مقتنعاً بوجهة نظرها لا بل ومتشجعاً لمتابعة تنفيذها. عرضنا الفكرة على المسئولين وعلى رأسهم مولانا صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة اطال الله عمره فلقينا منهم الترحاب والتأييد لاسيما ان مشروع المستشفى يتفق مع سياسة الحكومة لجعل البحرين مركزاً طبياً اقليمياً يخدم الخليج بأكمله، مما شجعنا وحمسنا لمتابعة الفكرة فابتدأنا بأن عهدنا الى شركة جواد حبيب وشركاه Coopers & Lybrand، وهي شركة محاسبية متخصصة اجراء الدراسات اللازمة وتحضير جدوى اقتصادية للمشروع وعند

---

(١) الدكتورة نجاح راشد الزياني: تخرجت من الجامعة الامريكية في بيروت، حائزة على شهادة بكالوريوس في العلوم في عام ١٩٧٢م، وبكالوريوس في الطب عام ١٩٧٧م، وبعد ذلك توجهت الى الولايات المتحدة الامريكية حيث تخصصت في الامراض الباطنية ونالت شهادة البورد الامريكي في الامراض الباطنية سنة ١٩٨٠م ثم واصلت تخصصها الثاني في امراض الجهاز الهضمي والكبد ونالت شهادة البورد الامريكي في امراض الجهاز الهضمي والكبد سنة ١٩٨٣م وبعد تخصصها هذا التحقت بالتدريس في كلية الطب بجامعة بيلور في هيوستن بولاية تكساس للحصول على الخبرة والقيام بالبحوث، خلالها عملت في مستشفى الميثوديست في هيوستون بصفة اخصائية في امراض الجهاز الهضمي والكبد في الفترة بين ١٩٨٢م - ١٩٨٤م. في عام ١٩٨٤م التحقت بمستشفى الارامكو في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

في عام ١٩٨٦م عادت الى احضان الوطن لتقوم بدورها في العطاء فعملت في التدريس بكلية الطب بجامعة الخليج العربي وزاولت مهنتها بالعلاج من خلال عيادتها الخاصة. ومع ازدياد حاجة المرضى اليها تفرغت للعمل في العيادة.



أعضاء مجلس الادارة الاول لمستشفى البحرين التخصصي الذين حضروا الاجتماع التأسيسي الاول . .
من اليسار: السيد علي محمد جبر المسلم، السيد عبدالنبي الشعلة، الشيخ مبارك السويكت، المؤلف راشد الزياني، الشيخ عبدالمحسن راشد الراشد، الشيخ خالد النويصر، الدكتورة نجاح الزياني، السيد شوقي علي يوسف فخرو، الدكتور سامر الجشي.

اقتناعنا بجدوى المشروع الاقتصادي دعينا عدداً لا يقل عن خمسين شخصا من وجهاء البلاد واعيانها في البحرين الى اجتماع عرضنا فيه الفكرة وفوائدها واهدافها فكانت ان لقيت منهم الترحيب والتشجيع ثم عرضنا الفكرة على عدد من وجهاء السعودية خاصة في المنطقة الشرقية فوجدنا منهم اقبالا وتحمسا للمساهمة. على اثر ذلك تشكلت لجنة تأسيسية كان لي شرف رئاستها.

واصلت اللجنة متابعة التحضير للمشروع بأن دعت الى الاكتتاب في تمويل المشروع، محددة يوم الخامس من ابريل ١٩٩٥م كآخر موعد لغلق باب الاكتتاب وعقد الاجتماع التأسيسي للمكتتبين حيث توافد في هذا اليوم عدد كبير من المكتتبين من البحرين وبقية اقطار الخليج وأقروا تأسيس الشركة بعد اطلاعهم على ما قامت به اللجنة التأسيسية من الحصول على الرخص اللازمة والارض المراد تشييد المستشفى عليها وعلى قانون الشركة ونظامها الاساسي كما انتخب الحضور اعضاء مجلس الادارة الاول للشركة، فالحمد لله على ذلك.

وقد فاقت اكتتابات المؤسسين المبلغ المخصص لرأس المال المكتتب وقدره ٤ ملايين دينار بحريني. وسوف تطرح مناقصة بناء المستشفى التخصصي قريباً، وتقدر المدة المطلوبة لإتمام البناء بين ١٨ الى ٢٤ شهراً.

وتجدر الاشارة الى أن هذا المشروع سيوفر في مرحلته الاولى ١٥٠ فرصة عمل للبحرينيين من أطباء وممرضين وفنيي خدمات مساندة وإداريين. كما سيوفر فرص تدريب من خلال ابتعاث الافراد واستضافة أطباء زائرين دورياً للعلاج ولإطلاع العاملين على آخر ما توصل إليه الطب الحديث.

الباب الحادى عشر

مقترح اقتصادي عربي
للجامعة العربية

مقترح اقتصادي عربي
للجامعة العربية

في عام ١٩٨٣م وبالتحديد خلال شهري يناير وفبراير كثر الحديث في الصحف العربية والمحلية عن وجوب تفضيل استثمار الاموال العربية في البلدان العربية وخاصة تلك البلدان التى تكون بحاجة الى مثل هذه الاستثمارات بدلا من استثمارها في البلدان الاجنبية الاوروبية والامريكية وغيرها. ووجهت انتقادات لأصحاب رؤوس الاموال سواء العامة او الخاصة مع حثهم ومطالبتهم بتطبيق ذلك غير انه غاب عن فكر الكتاب والمنتقدين المثل القائل «ان رأس المال جبان» فلكي تستثمر المؤسسات التجارية او الحكومات اموالهم في بلاد ما لا بد لهم من ان يدرسوا ويتدارسوا احوال تلك البلاد السياسية واوضاعها الامنية ثم لا بد لهم من ان يطلعوا على منهجها الاقتصادي وان يطمئنوا على حماية استثماراتهم وامكانية استرداد هذه الاستثمارات واستلام ارباحها بحرية تامة دون تدخل او عرقلة واغلب البلدان العربية المؤهلة للاستثمار مع الاسف غير مستقرة سياسيا او اقتصاديا فاقدة الضمانات المطلوبة لاسترجاع مبلغ الاستثمار وبعضها غير مؤهلة حتى لدفع الارباح الناتجة عن أي استثمار خارجي. ولهذا السبب توجه المستثمرون العرب حكومات ومؤسسات وافراد الى البلدان المستقرة سياسيا واقتصاديا لها قوانينها ونظمها التى تحمي الاستثمارات من التدخل والعرقلة مفتوحة المجال لدخول الاموال وخروجها دون شروط او عوائق.

بهذه المناسبة بدا لي ان اكتب الى سكرتير الجامعة العربية الكتاب التالي:

البحرين في ١٦ فبراير ١٩٨٣م

سيادة الاستاذ الفاضل الشاذلي القليبي المحترم
الامين العام لجامعة الدول العربية
تونس
تحية واحتراما وبعد،

محرر هذه الرسالة عربي من مواطني دولة البحرين ومن عائلة مارست التجارة والاعمال الحرة أباً عن جد، اما انا فقد مارست التجارة والاقتصاد منذ اكثر من ٥٠ سنة ولازلت مرتبطا بها، اما مركزي التجاري الآن فهو: رئيس مجلس ادارة بنك البحرين والكويت ورئيس بنك اليوباف العربي كما اني في نفس الوقت الرئيس والعضو المنتدب لشركة عبدالرحمن الزياني واولاده الواسعة في البحرين والخليج العربي. . .

اني ارجو ان لا يؤخذ ما ذكرته آنفا مأخذ الادعاء والتفاخر بهذا الشرح، يعلم الله اني لم اكن اقصد ذلك البتة، وانما لمجرد التعريف، كما اوضح ان ما سأحرره أدناه ليس له علاقة من قريب او بعيد بذلك.

تزخر بلادنا العربية اليوم بالاموال الطائلة وبالاراضي الصالحة الشاسعة وبالطاقة البشرية الهائلة فضلا عن كونها واقعة في موقع جغرافي استراتيجي وسط العالم، ويحز في نفسي ونفس كل عربي غيور ان نرى باعيننا ونلمس باحساسنا عدم الاستفادة من كل هذه الميزات الطيبة واننا مع الاسف الشديد لا نسخر ولا نسعى لنسخر هذه الميزات الطيبة لصالح مجموع امتنا فغالبية الاموال الطائلة تستغل وتستثمر في البلاد الاجنبية، اما اراضينا الشاسعة فقد تركت لتبقى بورا وصحارى تذروها الرياح وطاقة العمالة الهائلة تركت في اوطانها عاطلة معطلة والنتيجة اننا معشر العرب لم نستفد من جل مالنا وجل عمالتنا بل عادت الفائدة العظمى من هذا الى الدول الاجنبية ويا ليتهم اخذوا هذه الفوائد والمنافع وردوا لنا الجميل بمثله، كلا بل انهم جعلوا من كل هذه

المنافع اداة سيطرة وضغط علينا ووسيلة للتهديد والوعيد اذا لزم الامر. لماذا حدث هذا ولماذا لم نستفد من هذه الميزات الممتازة في بلادنا؟ عند القاء نظرة بسيطة نجد الجواب وهو من الناحية الاقتصادية جواب وجيه ومقبول، اما الجواب فهو اننا لا نطمئن لبعضنا البعض او بعبارة اخرى الثقة معدومة بيننا والاستثمار يعتمد في الدرجة الاولى على حسن الثقة، وبانعدام الثقة انعدم الاستثمار. ان لكل من الدول العربية نظاما سياسيا يختلف عن نظام الدولة الاخرى واغلب هذه الدول ربطت نظامها الاقتصادي بنظامها السياسي وان غالبية الدول العربية لا تتمتع بنظام برلماني نظيف كبرلمانات الغرب او اليابان مثلا وان دساتيرها تتبدل وتتغير حسب هوى قادتها ورغبتهم، وقد علمتنا التجارب في الماضي انه اذا ما حدث واختلفت دولة عربية مع شقيقتها في امر سياسي ولو كان بسيطا باشرت كل منهما في التدخل في العلاقات الاقتصادية بينهما فجمدت او أممت او او... الخ، لا بل وأبعدت كل منهما رعايا البلد الآخر وكذلك اذا حدث تغيير في الحكم في بلد عربي عن طريق انقلاب او نحوه ألغت حكومة الانقلاب الاتفاقيات الاقتصادية المبرمة سابقا او عرقلتها بطريقة او اخرى، والمال كما يعرف الجميع جبان يطلب الامان والاستقرار لذلك لجأ المستثمرون العرب الى الدول الاجنبية ذات الحكومات المستقرة والمنتظمة في برلمانات صحيحة تحفظ حقوق المستثمرين وتحافظ على استمرار استثماراتهم.

هذا واقع امرنا اليوم ويا للأسف ولا يمكن ولا نتوقع ان يتغير هذا الواقع في يوم او ليلة ولكن في نفس الوقت نحس بالغيرة والحسرة باننا لا نستطيع استغلال اموالنا ومواردنا ومنافعنا وطاقاتنا البشرية في بلادنا ولمنفعتنا جميعا، اني ارى ان لدى الجامعة العربية سبيلا لحل هذه المشكلة ووسيلة مضمونة تحمي مثل هذه الاستثمارات من العبث والتدخل، اما الوسيلة المقترحة فهي ان تشكل الجامعة العربية عن طريق هيئتها الاقتصادية شركة استثمارية تساهم في رأسمالها كل الدول العربية كل حسب مقدرته المالية انما اشتراك الجميع مطلوب وان تتولى هذه الشركة عن طريق مجالسها الادارية والتنفيذية دراسة

مشروعات الاستثمار في الدول العربية باسم هذه الشركة ويمكن للشركة المذكورة ان تزيد رأسمالها اذا كان صغيرا او عند الحاجة بالاقتراض من البنوك العربية، هذا من ناحية التمويل وشكل الشركة الرئيسي، اما من ناحية الاستثمار فالامر متروك لمجلس الادارة المنتخب من الجمعية العمومية المشكّلة من جميع الدول العربية، اننا بتشكيل شركة من جميع الدول العربية نتحاشى الى حد كبير التدخل في شؤون مشروع الاستثمار اذا اختلفت بلاد المشروع مع احدى الدول العربية لانه يخص الجميع وليس دولة واحدة. . والاستثمارات نوعان سريع المردود وبطيء المردود، واني اقترح في الاستثمارات بطيئة المردود اتباع طريقة امتيازات شركات النفط.

فلنأخذ السودان مثلا: ان لديها اراضي زراعية صالحة شاسعة ولكن ينقص هذه الاراضى الطرق والمواصلات والمرافق وهذا عبء مالي كبير على المستثمر وحكومة السودان ليس لديها الامكانيات المالية لتهيئة ذلك، لذا تؤجر السودان مساحة كبيرة من اراضيها للشركة لمدة طويلة (خمسون سنة مثلا) بايجار سنوي بسيط يتصاعد تدريجيا حسب نجاح المشروع زائد حصة مناسبة من ربح المشروع. المهم ان الأمد يكون طويلاً مع حرية التصرف.

هذه فكرة اعرضها على سيادتكم فان رأيتهم انها مفيدة فهذا هو المستحب والمطلوب، اما اذا رأيتم او وجدتهم ان الأخذ بها او تنفيذها غير ممكن فارجو ان احظى من سيادتكم على جواب يوضح اسباب عدم امكانية العمل بها او تنفيذها.

مع خالص تحياتي واحترامي،،،،،،

المخلص

راشد بن المغفور له الشيخ عبدالرحمن الزياني

وانتظرت الاجابة فاذا بها بعد مدة تنص على مايلى:

١٢ مارس ١٩٨٣م

الموضوع: انشاء شركة استثمار عربية

السيد راشد الزياني
ص.ب: ٣٢ البحرين
تحية طيبة وبعد،

بالاشارة الى كتابكم المؤرخ ١٦ فبراير ١٩٨٣م الموجه للسيد الامين العام لجامعة الدول العربية بشأن اقتراحكم انشاء شركة استثمار عربية بمساهمة الدول العربية لاستغلال الامكانيات العربية المتاحة مادياً وبشرياً ارجو الاحاطة:

ان مؤتمر رجال الاعمال العرب الذى عقد في الطائف في مايو ١٩٨٢م قد قرر انشاء شركة عربية للاستثمار في المجالات الزراعية برأسمال قدره ٥ مليار دولار. كما وافق المجلس الاقتصادي والاجتماعي في فبراير على مبدأ تكوين مشروعات عربية مشتركة للأمن الغذائي، وقد اتخذت اللجنة المشكّلة لذلك مقرا لسكرتاريتها الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالكويت.

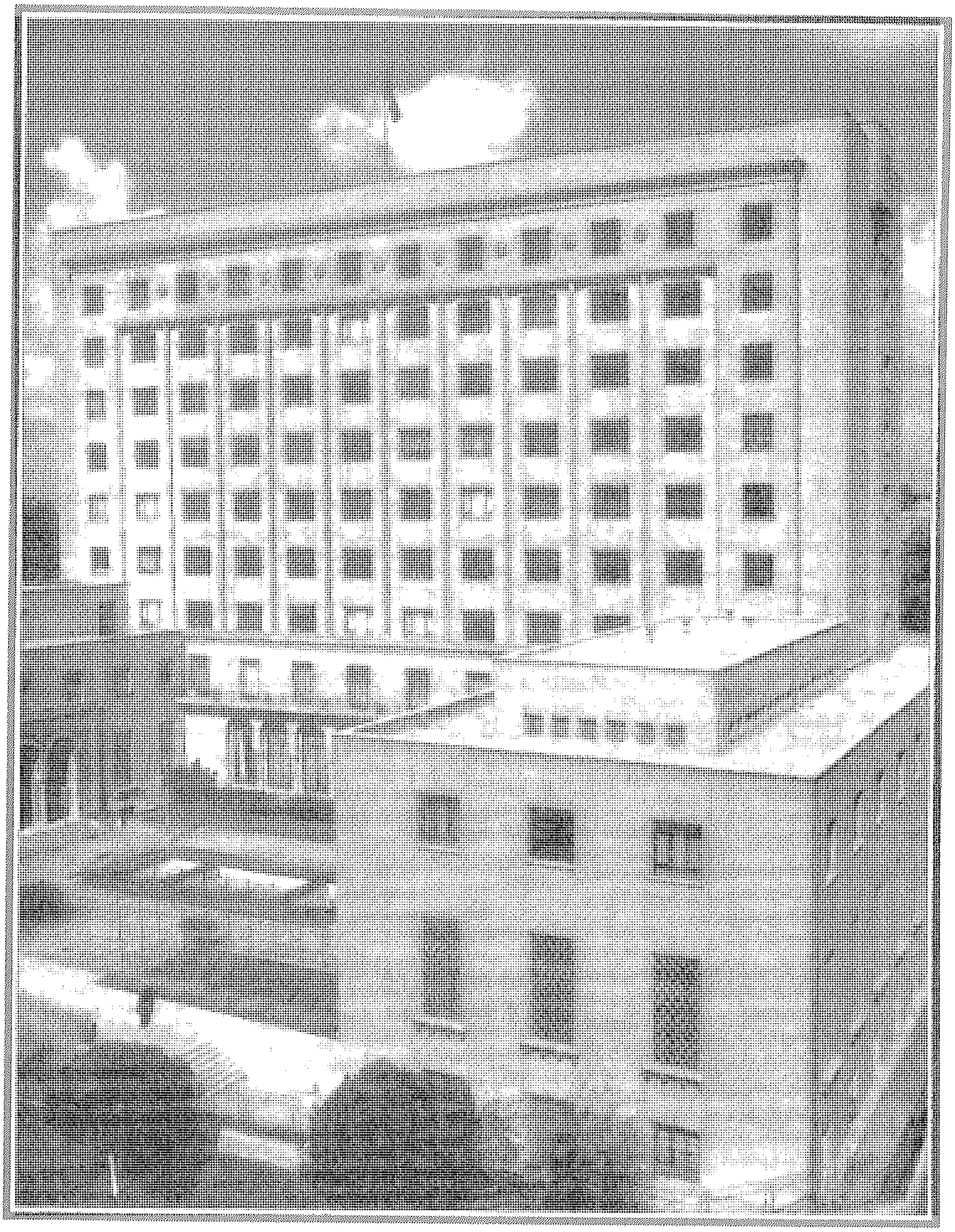
ويقتضي النظام الخاص بتكوين شركات مشتركة تشارك فيها الدول العربية بأن تتقدم أي دولة عربية بالمشروع الذى تراه مناسبا للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الذى اذا وافق على صلاحيته يدعو الدول إلى المساهمة فيه بعد القيام بدراسات الجدوى المناسبة.

ومع ذلك فيمكنكم الاتصال بالصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وتعرضون عليه اقتراحكم بانشاء شركة مشتركة، وحتى يجد الاقتراح الاهتمام الواجب يقتضي الامر تقديم دراسة لجدوى المشروع واسلوب تنفيذه.

وان الجامعة العربية تقدر لكم شعوركم الطيب وترجو ان تتخذوا الخطوات المناسبة لوضع اقتراحكم موضع التنفيذ.

مع خالص التقدير،،،

دكتور عبدالرزاق حسن
نائب رئيس الادارة العامة للشؤون الاقتصادية



مقر الجامعة العربية في القاهرة

عند مقارنة ما اقترحته في كتابي لأمين الجامعة العربية وجواب الدكتور عبدالرزاق حسن يلاحظ ان الجواب قد ابتعد كليا عن ما اقترحته، فاقتراحي ايجاد شركة تشترك فيها كل الدول العربية - كل الدول العربية تحاشيا من ان تقوم احداها بايقاف أي مشروع اقتصادي مشترك والاستيلاء عليه او تأميمه لمجرد اختلافها مع احد جيرانها او مع دولة عربية اخرى بحكم ان المشروع التابع للشركة لا يخص المتخاصمين وانما يخص جميع الدول العربية مجتمعة. ان الاقتراح لا يعرض مشروعا معينا اريد ان اتقدم به بل يعرض فكرة يطلب ان تتبناها الجامعة العربية تنفذ عن طريقها المشاريع المشتركة.

بعد مدة تحول مقر الجامعة الى القاهرة وتولى الدكتور عصمت عبدالمجيد امانتها فبعثت اليه بالكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ رمضان ١٤١٤ هـ
١٢ فبراير ١٩٩٤م

حضرة الفاضل الدكتور عصمت عبدالمجيد المحترم
الأمين العام للجامعة العربية
القاهرة - جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

كوني مواطنا عربيا تهمني في الدرجة الاولى مصلحة امتي العربية متمنيا ان اراها وقد تبوأت مكانة ممتازة في هذا العالم وان اجدها متآخية متينة الصلات سياسيا واقتصاديا وتجاريا وما الى ذلك، وهذه ليست امنيتي بل امنية كل عربي غيور ومحب لوطنه، غير انه وبكل اسف نجد امتنا اليوم وقد بعدت كل البعد عن تمنياتنا وبدلا من ذلك حل بها التشتت والتفرق والابتعاد عن

كل مـا هو مطلوب منهـا الامر الـذى يحز في النفس ويقلق البـال، والجامعة العـربية وعلى رأسهـا سعـادتكم تحاول جاهـدة رأب الصدع والمحـاولـة بكل السبل الممكنـة لتحقيق العـودة الى الـوفـاق والـوئام، وفي نظري انـه اذا كـان التـآخي والتفـاهـم السيـاسي قد تعـذر في الـوقـت الحاضر فـلا ينبغي لنـا ان نتقاعس ونهمل التعاون والتلاحم الاقتصادي بين امتنـا فالاقتصاد اليوم حجر الـزاوية في نهضـة الشعوب وحتى في تـوجيـه سياستهـا، وقد ادركت شعـوب اوروبـا الحاجة لهذا الاتجاه فعملت جـاهدة سنـوات عديـدة الى ان وصلت في النهاية لتحقيق هـذا الاتحاد دون الالتفات او المساس باتحادهـا السياسي الامر الذى عند تحقيقه سيلحق الضرر بنا وبالشعوب النامية الاخرى.

سيادة الأمين العام لقد كتبت الى الأمين العام للجامعة السيد القليبي كتابا بتاريـخ ١٦ فبراير ١٩٨٣م (صورة منـه بطيه) واقترحـت تشكيل هيئة عـربية اقتصاديـة بحتة تكون مهمتهـا التعامل الاقتصـادي بين البلاد العربيـة تساهم فيها كل الدول العـربية صغيرها وكبيرها على ان يكون لهذه الهيئـة استقلاليتها التـامــة وان يكـون لها مجلسهــا الخاص المشكل مـن رجـال الاعمال العـــرب البارزين بغض النظر عن الجهة التي ينتمون اليها سواء مؤسسات حكومية او تجارية او افـراد، هدفهـا ومبدؤهـا ربط اقتصاد البـلاد العربية بعضهـا ببعض والعمل على تــوجيـه استثماراتهم فيهـا بــدلا من وضـع استثماراتهم في البـلاد الاجنبية او على الاقل القسم الاكبر من استثماراتهم مع ايجاد المناخ الاقتصادي المنـاسب المدروس لترويج بضـائع مصـانعها ومنتجـات بـلادها فيما بينهـا بما يشمل على سبيل المثـال لا الحصر ايجاد المعـارض المتعـاقبة لتلـك الصناعـات والمنتجات وإيجاد صندوق مـالي يساهم في التمويل الـلازم المدروس للمشاريع المشتركـة. وقـد رد الاستـاذ القليبي على كتـابي بجـواب بعيـد كل البعـد عما اقترحت (صـورة منه بطيـه) فالهدف ليـس صندوق استثمار بين بعض الـدول العـربية بـل هيئة عـربيـة اقتصاديـة، واقتراحي بـإشراك جميع الـدول العربيـة يحصّــن هـذه الهيئـة ويمنع أيـاً من المشـاركين من التـدخل او التعـرض لأي استثمار في أي بلد عـربي لمجرد حدوث خلاف سيـاسي او ما شاكلـه بين دولة

واخرى من الدول العربية بحكم ان هذا الاستثمار ملك لكل الدول العربية وأي تعرض او تدخل سيمس ويتعرض لمصالح جميع الدول العربية - ثانيا: مجاراة ما قامت به شركات النفط من استئجار مناطق معينة لأجل طويل بحيث يطلق للمستأجر وهو في هذا الحال الهيئة المشار اليها آنفا التصرف في المستأجر تجاريا بحرية تامة دون تدخل الدولة المؤجرة الا في الحدود الضيقة كالأمن او ما شاكل ذلك.

قد يراود سعادتكم الشك في تنفيذ هذا الاقتراح او الأخذ به ومع اني اشارككم بعض شكوككم ولكنى اجد انه اقتراح جدير بالاهتمام والدرس والتمحيص وثقتى في قدرة ومهارة سعادتكم وزملائكم وحدبكم على مصالح الامة العربية سيهديكم بإذن الله الى توحيد الاقتصاد العربي وتوجيهه لمنفعة العرب اجمعين خاصة واننا الآن نواجه استعمارا اقتصاديا كبيرا يرمي في الدرجة الاولى الى استغلال اقتصادنا ونهب اموالنا والعمل على تفريقنا اقتصادياً بعد ان نجحوا بتفريقنا سياسياً ناهيك عن تفريقنا دينياً.

وتفضلوا بقبول خالص التحية والتقدير،،

راشد عبدالرحمن الزياني

* * * * *

دعوة مفتوحة

مضى على رسالتي هذه الموجهة الى الامين العام الدكتور عصمت عبدالمجيد اكثر من سنة لم أحظ برد!

مع هذا يحدوني الأمل بدراسة هذا الاقتراح.. فهل من مجيب؟!

الباب الثاني عشر

السفر والسياحة

السفر والسياحة

مقدمة

عندما كنت تلميذاً صغيراً في مدرسة الهداية الخليفية بالبحرين، كنت بصفة خاصة احب درس الجغرافيا وكنت مولعاً برسم الخرائط وتكبيرها وتصبيغها، وأذكر أني رسمت خريطتين مكبرتين إحداهما لجزيرة البحرين والأخرى للخليج العربي أهديتا - في احتفال كبير أقيم في المدرسة حضره الشيوخ وعلية القوم بمناسبة زيارة رئيس الخليج البريطاني للبحرين - الى كل من المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي عهد البحرين ونائب حاكمها آنذاك وإلى المحتفى به رئيس الخليج الآنف الذكر.

وقد كلفت بتقديم خريطة البحرين إلى المغفور له الشيخ حمد بينما كلف احد التلاميذ من سني بتقديم خريطة الخليج الى رئيس الخليج.

كنت وأنا أرسم تلك الخرائط وفي تلك السن أتوق الى مشاهدة بعض تلك البلدان التي ارسمها وأتمنى لو تتاح لي الفرصة لزيارة بعضها، وأحياناً أتخيل زيارة بعضها ومشاهدة ما قرأته او تعلمته عنها في المدرسة. وقد بقيت هذه الرغبة تراودني في الخيال الى أن كبرت ومنَّ الله عليَّ بتحقيق ما كنت أصبو اليه وأتمناه. وفيما يلي: أصف بعض ما تمنيته من رحلات كان بعضها للاصطياف والراحة والبعض الآخر لمشاهدة معالم البلدان التاريخية ومناظرها أو الحصول على وكالات تجارية أو التوقيع على عقد تجاري.

وصدق الإمام علي كرم الله وجهه إذ قال في ديوانه:

تغرَّبْ عن الأوطان في طلب العلا ... وسافرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرُّجُ همّ واكتساب معيشة ... وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ
فإن قيل في الأسفار ذلٌّ ومحنةٌ ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائدِ
فموت الفتى خيرٌ له من قيامه ... بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

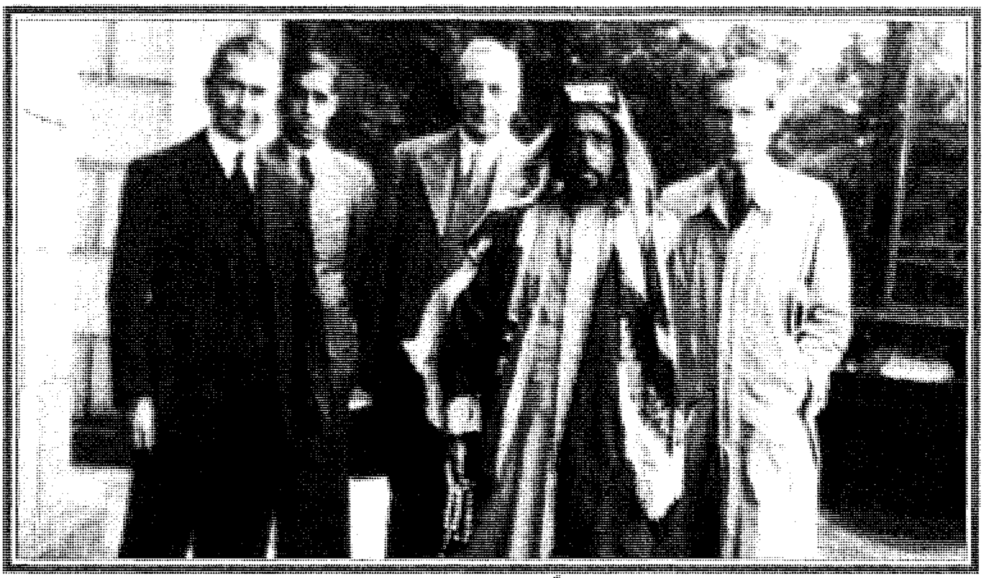
(الفصل الاول)

زيارتي الأولى إلى برلين في عهد هتلر
عام ١٩٣٦م
ثم زيارتي الثانية لها عام ١٩٨٨م

زيارتي الأولى الى برلين في عهد هتلر عام ١٩٣٦م ثم زيارتي الثانية لها عام ١٩٨٨م

قبـــل الحرب العالمية الثانية كانت سفرات أبناء الخليج سواء للعلاج أو السياحـة أو التجارة مقتصرة على بلـدان الشرق الأوسط والهند وبـاكستان. ولم يتوجـه الى أوروبا إلا قلـة من الأمـراء وتجار اللؤلـؤ حيث كانت سفـراتهم الى لنـدن بالنسبـة للأمـراء، وباريـس بالنسبـة لتجار اللـؤلؤ. امـا أقسام أوروبـا الأخـرى فكأنها كـانت محظـورة عليهم وهكـذا كـان الـوضع لما زرت بـرلين عاصمة ألمانيا في صيف ١٩٣٦م، حيث سأروي تفاصيلها لاحقا، وعدت الى البحـرين، فاجـأني أحد المسئـولين المتنفذيـن من أبناء البحـرين قـائلا «كيف تذهب الى برلين وهي تحت حكم هتلر وأنت مـوظف في الحكومة اما تخشى أن تخسر وظيفتك»؟ فليفهم القارىء من هذه العبارة عقليـة الناس في ذلك الزمان وكيـف ان الاستعمار الأجنبـي لم يكـن مسيطـــرا عليهـم، لا بـل وحتـى على تفكيرهم وعقولهم.

في صيف عام ١٩٣٦م، وكنـت لاأزال موظفا بـديوان الحكومـة اضطررت لأخذ اجازة مدتها أربعة أشهر وكـانت خطتي السفر الى بغداد، ثم الشام، ثم لبنـان، ثم مصر. على أن اتخذ من أرخص الطـرق وأطـولها مـدة لتغطية هـذه الاجازة الطويلة اقتصادا في المصاريف تمشيـا مع امكانياتي المالية في ذلك الزمان ولأن قانـون الحكومـة لا يجيز لأي موظف أن يحتفـظ بإجازات أكثر مـن أربعة أشهر وما زاد يلغى. سـافرت بالباخرة الى البصرة ومنها بـالقطار الى بغداد وفي بغداد أقمـت مدة طويلـة لسببين الأول: لأنها المدينة العراقيـة الوحيـدة آنذاك التي يـرتـاح السـائح أن يبقـى فيهـا - وثـانيـا: لأن جـدي المرحــوم الشيخ عبدالـوهاب خلف زوجة عـراقية كانت لازالت على قيـد الحياة وانه لما كنـا قد صفينا تـركة جدي وكذلـك تفاهمنا مع ورثتـه في البحرين، أصبح لزامـا علينا أن نتفـاهـم مع زوجتـه أو أرملته العـراقية تفهما وديـا، ولذلـك كان تـريثي في



من اليمين: موظف من الخارجية الألمانية، المغفور له سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، د. هوبر وكيل وزارة الخارجية الألمانية، المؤلف راشد الزياني، ادريس (مترجم الوفد).



في شارع (انتردن لندن) المغفور له سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة والمؤلف راشد الزياني

بغداد من أجل التفاهم معها حول هذا الموضوع وأحمد الله انني قمت بهذه المهمة خير قيام إذ تخارجنا معها وديا وأكرمناها بما يرضيها ويطيب خاطرها، وعند الانتهاء من هذه المهمة توجهت الى دمشق بطريق البر بسيارات الأجرة وبعد أن مكثت فيها بضعة أيام اتصلت خلالها ببعض التجار لشراء غنم وعقل لبيعها في البحرين، غادرتها الى بيروت ونزلت في فندق صغير لم تكن بغرفه ولا حتى مروحة مع ان الفصل فصل الصيف. في أثناء وجودي ببيروت زرت الجامعة، وكنت قد غادرتها قبل ٦ سنوات، ومع اني لمحت بعض الأساتذة الذين كانوا يدرسوني ومنهم الأستاذ القاسي الذي تعمد إسقاطي في مادة الرياضيات بالصيفية كما جاء في صفحة (١) من فقرة أول بعثة تعليمية، إلا انهم لم يعرفوني ولما عرفت نفسي لبعضهم اندهشوا وقالوا ما شاء الله كبرت وتغيرت علينا وكان هذا أيضا تعليق الأستاذ القاسي. ولازلت أذكر اني لما دخلت رحاب الجامعة وجلست على أحد المقاعد الموضوعة خارج البنايات بدأت أتذكر أيام الجامعة الجميلة وكيف اني كنت حرا طليقا لا أتحمل أية مسئولية ولا يقلقني عسر مالي، بل كان كل همي هو الدراسة والرياضة واللعب. وكيف حالي الآن! مسئولية وضيق مالي أفقداني حريتي واستمتاعي بالحياة السعيدة وشغلا تفكيري ومشاعري. غادرت بيروت على ظهر سفينة يونانية صغيرة مستفيدا من رخص تذاكرها وأيضا مرورها على عدة موانىء الى ان تصل الى الاسكندرية رغبة في قضاء وقت أطول في العطلة فمرت بحيفا ثم بورسعيد ثم الاسكندرية. في الاسكندرية نزلت في فندق صغير في غرفة مشتركة مع نزيل آخر تبين لي فيما بعد انه مهندس مصري زراعي.

بعد يومين من وصولي الاسكندرية وكنت أنوي البقاء فيها عدة أيام قبل السفر الى القاهرة غير انه عند عودتي للفندق في المساء سلمني صاحب الفندق ورقة كتبها المرحوم الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة بخط يده وفيها يقول «علمت من البحرين انك تركتها متوجها الى مصر وأنا أنوي زيارة المانيا

---

(١) صفحة (١٠٠) من الفصل الثالث: اول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين الى بيروت.

لعلاج عيني عند طبيب مشهور فيها وأحتاج الى من يرافقني ممن يتكلم الانجليزية وفهمت انك في عطلة فقلت أعرض عليك إذا كان بإمكانك مرافقتي». وأضاف انه ساكن في فندق سماه في الاسكندرية ويطلب أن أقابله هناك. في صباح اليوم التالي ذهبت لمقابلة الشيخ محمد فرحب بي، ولما عرض علي فكرته رحبت بها لسببين الأول: اني لاأزال في بداية عطلتي ومدتها طويلة وثانيا: كانت أمنية لي أن أرى أوروبا وألمانيا بالذات في ذلك الوقت. اذ ان ألمانيا في تلك السنة وبرلين بالذات كانت العاصمة التي اختيرت لتقام على أرضها الألعاب الرياضية الأولمبية في ذلك العام فضلا عن كونها في أوج قوتها وعزتها تحت حكم هتلر.

تحولت الى الفندق الذي يسكن فيه سمو الشيخ محمد وكان فخما بالنسبة لما اعتدت عليه من فنادق صغيرة أثناء سفري، طلب مني الاتصال بشركات البواخر لترتيب السفر وأحيانا نذهب سوية الى تلك الشركات فاستقر سفرنا على الباخرة المصرية المسماة «النيل». ولحسن الحظ يصادف أن تحمل هذه الباخرة في رحلتها هذه الى أوروبا وفد حزب الوفد المصري برئاسة النحاس باشا الذي كان متوجها الى انجلترا للتفاوض مع الحكومة الانجليزية والذي على اثره أبرمت اتفاقية ١٩٣٦م بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية. كان خط سير الباخرة المذكورة من الاسكندرية الى ميناء «جنوى» بإيطاليا ومن جنوى يستقل المسافرون القطار الى نواحي أوروبا المختلفة. استغرقت سفرة الباخرة خمسة أيام على ما أذكر كانت من أمتع الأيام بالنسبة للشيخ محمد وبالنسبة لي أيضا فقد كان ركابها جميع زعماء الوفد مع زوجاتهم - النحاس باشا - أحمد ماهر - النقراشي - مكرم عبيد وغيرهم. وكان بين ركاب الباخرة عدد من عظماء مصر وفنانيها من بينهم الأستاذ الموسيقار محمد عبدالوهاب. طبعا جرى الاتصال مع كل هؤلاء وتبودلت الدعوات والاجتماعات الودية وقضينا الخمسة أيام هذه في سعادة وهناء.

وصلنا جنوى بايطاليا واستقلينا القطار الى برلين ولما وصلناها وجدناها ترفل بحلل من الزينات والاعلام بمناسبة الألعاب الرياضية العالمية. نزلنا في

فندق يقع في وسط المدينة، وفي اليوم الثاني جاء الى الفندق شخص ألماني قابلته في فناء الفندق فعرّف نفسه بعد أن حياني بالتحية الهتلرية المعتادة في المانيا في ذلك الزمان، وذلك بأن رفع يده اليمنى الى أعلى ثم ضرب كعبيه ببعضهما البعض بطريقة تعظيم سلام وقال «هيل هتلر» (أي يعيش هتلر). قال اسمي «هوبر» وأنا من وزارة الخارجية. لقد علمنا عن وصول صاحب السمو الشيخ محمد فكلفت بزيارته والترحيب به في هذا البلد. أبلغت الشيخ محمد فقابله مقابلة حسنة وبعد أن أدى له التحية على نمط ما سبق قال «سنعد لسمو الشيخ برنامجا لزيارة معالم المدينة وسأصطحب معي أحد رجال الخارجية ممن يتكلم العربية. فعلاً في اليوم الثاني جاءنا وبصحبته المتكلم العربي، وكان اسمه «ادريس» ويظهر انه من القوقاز من شكله وسحنته، وكان يتكلم العربية بفصاحة تامة. كما أفادنا انه قد رتبت لنا رحلات متعددة لمشاهدة معالم المدينة وما حولها ومنذ اليوم التالي لهذه الزيارة ونحن نتنقل من مكان لآخر نتمتع بمشاهدة تلك المعالم الجميلة الرائعة، من جملتها مثلا شارع «اوتو ستراد» السريع والذي يبدو في ذلك الزمان انه أول شارع سريع غير متقاطع ينشأ في أوروبا. كما تجولنا أثناء وقت الفراغ في المدينة، واستمتعنا بمشاهدة بعض التمثيليات في مسارحها الفخمة. في نفس الوقت اتصلنا بطبيب العيون المشهور الذي أشرت اليه في البداية، والذي كان الشيخ محمد قد قصده لمعالجة عينيه. وبعد تحديد الموعد ذهبنا اليه ولما كشف على عين الشيخ محمد قال له ان العلاج الذي عالجك به الطبيب المصري لا غبار عليه ونحن هنا نعتبر ذلك الطبيب من أشهر أطباء العيون الأخصائيين في العالم.

كانت أيام برلين أياما بهيجة، فالمدينة مرتبة وجميلة ونظيفة، وكانت تعتبر في ذلك الزمان أجمل وأنظف مدينة أوروبية، وكان الناس يتدافعون في شوارعها بقوة وحماس يغمر وجوههم الفرح والسرور. وقد حرم هتلر على النساء الألمانيات استعمال المساحيق التي تفردت فرنسا عدوته اللدود بصنعها في ذلك الزمان انتقاما منها فكنت تجد النساء الألمانيات بدون مساحيق. وكان بها مسارح ومسليات كثيرة متنوعة. لازم الشيخ محمد لباسه العربي طيلة

السفرة اما أنـا فلا أخفي سرا إذا قلت هنا اني لم أكن أملك غير بـدلة أوروبية واحدة ألبسهـا ليلا ونهارا لعـدم استطاعتـي ماديـا شراء غيرها. بقينـا في برلين حوالى اسبـوعين صرف الشيخ محمد تقريبـا كل المبالغ التي كانـت معه، وقبل ذلك كتب الى البحـرين ليحولـوا له مبلغـا معينا فلم يصلـه الجواب وصار في حيرة فلما فـاتحني قـائلا احتجت الى تحويل مبلغ لي مـن البحريـن فلم يصلني ولا أعرف لماذا هـذا التأخير، قلت لـه أنا معي حـوالة بمبلغ بسيـط محتفظا بها لتكملـة عطلتي أقدمهـا لسموك، سلمـت اليه الحوالـة وبعد صرفهـا بدأنـا في الـرجـوع على نفس الطـريق وبنفس الـوسيلـة وصلنـا الاسكندريـة ومنهـا الى القاهـرة حيث مكثت فيها بضعة أيـام، وفي أثناء ذلك وصل لسمـو الشيخ ما طلبـه من دراهم من البحـرين فأعـاد مبلغ حـوالتي التي سلمتهـا له في بـرلين وغـادرت القاهـرة عـائدا لبـلادي بعد أن ودعـت سموه شـاكـرا لطفـه وحسن رعايته.

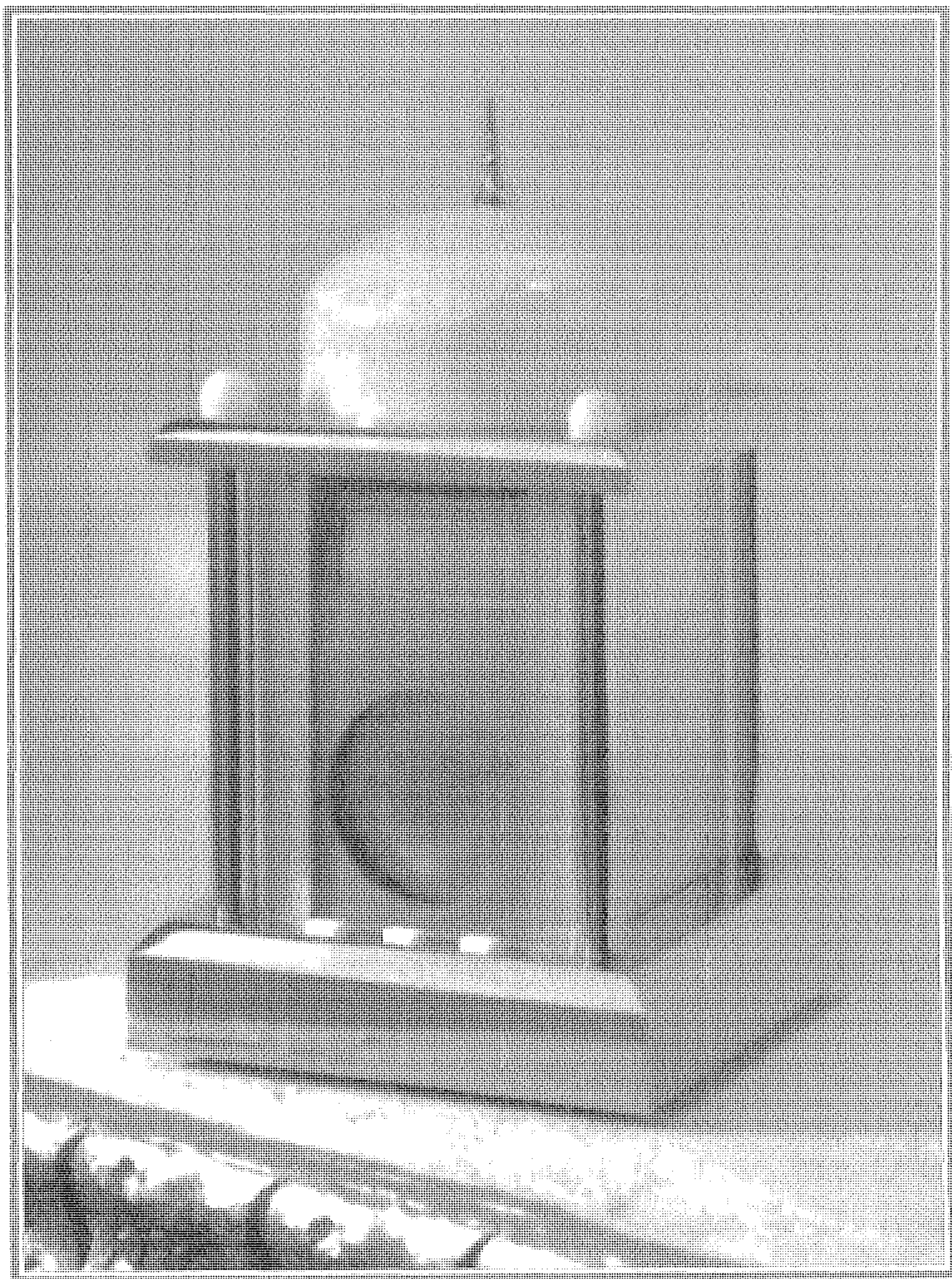
بالنسبـة لي لقد زرت بـرلين وشاهدت معـالمها في سنة ١٩٣٦م ثـم عدت لزيـارتها ولمشاهـدة معالمهـا في سنة ١٩٨٨م، فـوجدت الفـرق شاسعـا بين ما شاهدت في الماضي وما أشاهـده في الحاضر، فمثلا شارع برلين الرئيسي الشهير والمسمى «انتر دن لنـدن» لم يبق ممتـدا بطـوله في وسـط المدينة، بـل انقسم الى قسمين يفصل بينهما حائط بـرلين الشهير. ويلاحظ المشاهد ان طـراز وهندسة العمارات الواقعـة على جانبيـه تختلف في طرازهـا وهندستهـا، فأغلب العمارات الواقعـة في الجانب الغربي من الحائط طـرازها حـديث بينما الأخرى الـواقعة في الجزء الشرقي طـرازهـا قديـم، وطبعا سيبـدو هـذا الاختـلاف واضحا وملفتـا للنظـر عنـد هـدم الحائط المشئـوم، والسبـب ان المسئولين في الجزء الشرقـي حـافظوا على مـا بقى من البنـايات القـديمة وقـاموا بترميمهـا وإعادتها الى مـا كانت عليه قبل الحرب. اما المسئولون في الجزء الغـربي فقاموا بإزالة ما بقى من البنايات من بعد الحرب وأقاموا مكانها بنايات حديثة شاهقة.

أثنـاء زيارتي بصحبـة زوجتي الى بـرلين في سنة ١٩٨٨م ونـزولنا في بـرلين الغـربيـة لم أر أثرا للشـوارع التي كنـت قـد عهدتها في زيـارتي لبرلين في سنـة

١٩٣٠م، ولا الفندق الذي نزلنا فيه أثناء تلك الزيارة، بل حل محلها عمارات حديثة ذات طوابق عالية. ولكن عندما عبرنا حائط برلين الى برلين الشرقية، وجدت العمارات والشوارع التي كنت قد عهدتها في سنة ١٩٣٦م باقية بعد ترميمها وصيانتها.

وبمناسبة زيارتي لبرلين اذكر هذه القصة: عندما عدت من رحلة برلين في عام ١٩٣٦م زارني بعض الاخوة والمعارف، للسلام وسألوني عما رأيت وشاهدت من معالم أوروبا، وبرلين بالذات خاصة وان ألمانيا كانت في عنفوان قوتها ورقيها بزعامة هتلر، كما ان السفر الى أوروبا في ذلك الزمان من أطرافنا كان يعتبر أمرا خياليا. بطبيعة الحال، أجبت السائلين وتبسطت في الحديث والشرح عما شاهدت ورأيت، خاصة لمن تشوق للاستماع الى المزيد من المعلومات.

مرت الأيام والسنون، وفي احدى الأمسيات القريبة التقيت بأحد أولئك المعارف في أحد المجالس وفيها كنا نتبادل الحديث في أمور مختلفة فاجأني بقوله «تذكر أخ راشد انك لما رجعت من برلين وزرتك أنا وأخي فلان للسلام عليك» قلت «نعم أذكر» قال «سألناك يومها عما شاهدت ورأيت في سفرتك، وخاصة برلين فشرحت لنا ذلك، وكنا نؤمن على كلامك بشوق وانتباه، ولكن في النهاية ذكرت لنا عن اختراع جديد شاهدته، وبعد روايتك ذلك لنا بدت علينا الحيرة والشك في تصديقك فلم نؤمن على كلامك ولم نجادلك مجاملة منا، بل لزمنا الصمت، وفي الخارج عندما بارحنا المكان دار بيني وبين أخي حوار تعجب واستغراب، وقلنا الواحد للآخر غريب ماذا حدث للأخ راشد كيف يروي ويتحدث عن شيء لا يعقل ولا يصدق؟ فقد عرفناه متزنا - رزينا لا يبالغ ولا يختلق و. . . و. . . » وهنا لم أتمالك من أن أقاطعه وأسأله عن هذه الرواية التي تشكك هو وأخوه في أمرها، قال «قلت لنا انك شاهدت صندوقا خشبيا مكعبا ركب في احدى واجهاته زجاجة، ووصل بسلك كهربائي يرتبط بمصباح يضيء ما وراء الزجاجة، ثم طلب من شخص كان معك ان يذهب بعيدا في غرفة نائية، أو يرقى الى الطابق الأعلى



ساعة الأذان المشار إليها في صفحة (٣٧٥)

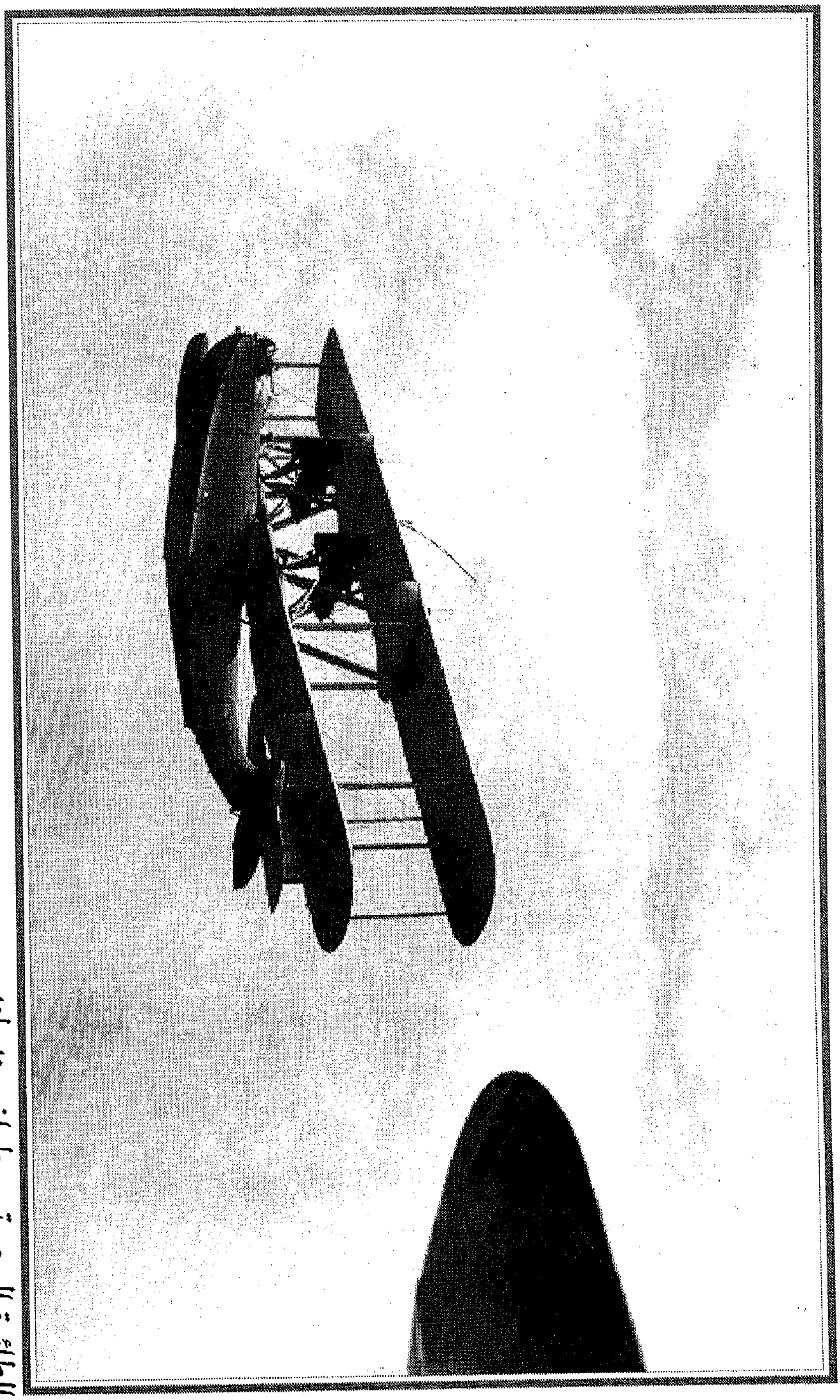
من البناية حيث يسلم اليه جهاز بسيط يتكلم فيه فتظهر صورته في الزجاجة المسمرة او المثبتة في الصندوق، ويسمع كلامه وعندما يتحرك يمنة أو يسرة تبدو حركاته ظاهرة للعيان» ضحكنا وضحك كل من كان بالمجلس من الحاضرين.

ولم يفتني في هذه الجلسة من أن أقول لصاحبي جاء دوري لأقول للحاضرين ماذا حدث له ولأخيه عرفناهما متزنين رزينين ألم يدركا ان هذا الصندوق بداية اختراع التلفزيون الذي انتشر في كل أرجاء الدنيا.

ثم أضفت قائلا «في أثناء زيارتي الأخيرة الى انجلترا التقيت بشخص يحمل الجنسية الانجليزية، وهو في الأصل هندي مسلم، تخصص في علم الالكترونيات والكمبيوتر وبرع فيه، انه اخترع مؤخرا ساعة تحدد أوقات الأذان، تنادي به في أوقاته المقررة في أكثر من ١٠٠ بلد اسلامي في الشرق أو الغرب، في الشمال أو الجنوب، فبمجرد أن تكبس على زر معين تظهر على نافذتها الزجاجية اسم البلد المطلوب، وأوتوماتيكيا تتغير مواعيد الأذان بحيث تجعلها مطابقة للمواعيد المقررة لتلك البلد، وانه اذا حان وقت الأذان وبدأ المؤذن ينادي به يشتعل في قبة الساعة سراج أحمر يوجه المصلي الى القبلة، وفي نفس الوقت يختفي اسم المدينة وتحل محله كلمة «مكة» طيلة مدة إلقا الأذان، وعند انتهاء إلقائه ينطفىء النور الأحمر الموجه الى القبلة، كما تختفي كلمة «مكة» ويبرز محلها اسم المدينة المعينة. فوق هذا وذاك ففي شهر رمضان، وقبل أذان الإفطار مباشرة، تطلق الساعة صوت المدفع المعتاد. علاوة على هذا فالساعة تستطيع أن تعطي معلومات أخرى، كتاريخ ذلك اليوم، كما انه يمكن استعمالها كمنبه لإيقاظ النائم، فهل يصدقني الأخ هذه المرة أم يساوره الشك في كلامي، ويصفني بما وصفني في رواية برلين السابقة. أجاب «كلا سأصدقك وأصدقك ولن أحاول أن أقع ثانية في غلطتي السابقة!».

(الفصل الثاني)

السفر إلى انجلترا



الطائرة البحرية - طراز ستارلنك

١ ـ زيارتي الاولى إلى انجلترا

منذ سنة ١٩٤٧م، وانـا اتردد على اوروبا، وانجلترا بالـذات، وكذلك على مريكـا وبعض مناطق اخـرى من العالم، احيـانا للسياحـة والاطلاع واحيـانا لتابعة اعمال تجارية او للعلاج، وكـانت سفرتي الى اوروبا في عام ١٩٤٧م هى ثانـى سفرة لي الى اوروبـا بعد سفـرتى الاولى الى المانيا في عـام ١٩٣٦م. ففى صيف عـام ١٩٤٧م ركبت الطائرة البريطانيـة البحريـة (من نوع سنـدرلند)، وكانت الطائرات البحرية في ذلك الزمـان هى الطائرات المستعملة لنقل الركاب بين الخليج وبـريطانيـا، ركبتهـا من البحرين صبـاح احـد الايام فتـوقفت في القاهـرة حيث امضيت والركاب ليلة ممتعـة في أحد مسارحها. في صبـاح اليوم التـالى غادرت الطـائرة القاهـرة متوجهـة الى جـزيرة صقليـة الايطاليـة، حيث امضيت والـركـاب كـذلك امسيـة ذلك اليـوم فيها. في صبـاح اليـوم الثـالـث توجهنـا الى مرسيليـا بفرنسا حيث امضينـا امسية ذلك اليـوم فيها وقضينـا ليلة ممتعة في أحد مسارحها او نـواديها على حساب شركة الطيران طبعا، وفي صباح اليـوم الرابع غـادرت مرسيليـا متـوجهة الى سـوثهامبتـون في بريطـانيا، ومنهـا استقليت القطـار الى لندن، استقبلنـي في المحطة احـد مـوظفينا من الانجليـز الذى كان قد رتـب نزولي في فندق لليلة واحدة ثم النزول مع عـائلة انجليزية لا يبعـد سكنها عن سكنـه الا بضعـة امتار. العـائلة الانجليـزيـة مكونـة من مهندس معماري وزوجته وابنتيه الصغيرتين.

كان غـرضي من النزول مع عائلـة انجليزية التعرف والاطـلاع على عادات الانجليز في بـلادهم، وقد كررت النـزول مع العائلات الانجليزيـة على مدى ثـلاث رحلات سنـوية متتـاليـة وفي كل مرة اغير النـاحيـة التى انزل فيهـا في لنـدن. في واقع الامـر لقـد استفـدت فـائدة كبيرة مـن النـزول مع العـائلات الانجليزية، اذ تعـرفت على طريقة معيشتهم، وعلى اسلوب التعـامل والتفاهم فيما بينهم كما تهيأت لي بطبيعـة الحال الرعاية الخاصـة التى اتمتع فيها بـوجودي بين عائلـة بدلا من ان اكون وحيدا في الفنـدق لا يتحدث معي احد، خـاصة

وان الانجليز تختلف عاداتهم عن عاداتنا فهم لا يتبادلون التعارف او فتح الحديث مع الغريب حتى ولو كان من جنسهم الا عند الضرورة او اذا دعت الحاجة لذلك.

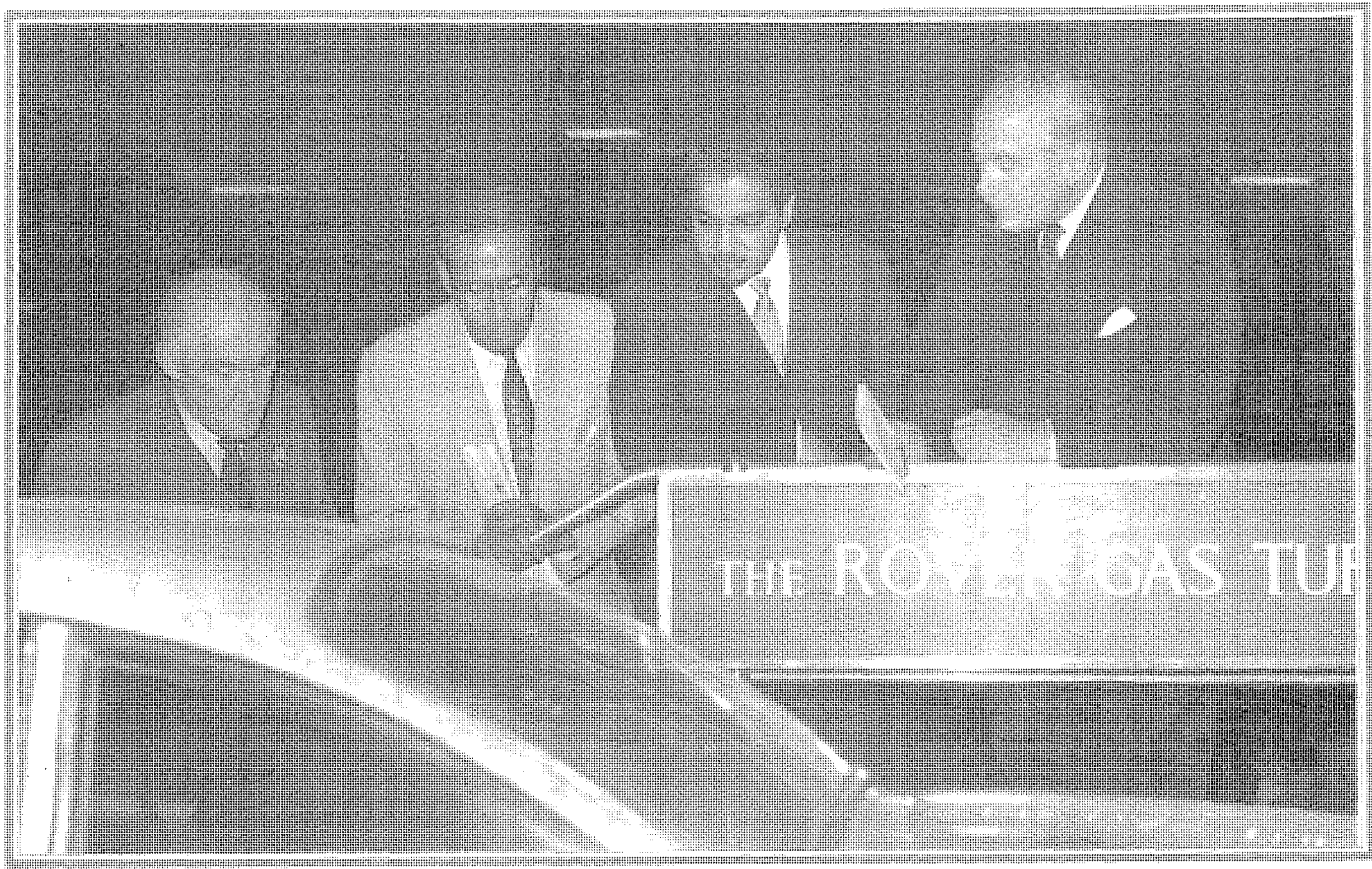
ولعله من المناسب ان اذكر شيئا في هذه الذكريات عن عاداتهم: قبل سفرتي الاولى الى انجلترا قرأت في احدى الصحف العربية مقالا عن بعض عاداتهم ولم اصدق بعضها، ولكنى وجدت ذلك صحيحا عند زيارتي لبريطانيا اذكر احدها على سبيل المثال: دعاني احد رجال الاعمال بعد انتهاء دوام العمل الى مصاحبته في احدى الحانات، اذ انه من عادة رجال الاعمال في انجلترا بعد انتهاء دوام العمل زيارة احدى الحانات والتوقف فيها لمدة قصيرة قبل التوجه الى البيت، وحبا في الاستطلاع ذهبت وشاهدت بالفعل ما روته الصحيفة. تقول الصحيفة يعتاد اصحاب الاعمال في بريطانيا بعد انتهاء دوام عملهم التوجه الى الحانات لفترة قصيرة قبل التوجه الى بيوتهم، حيث يلتقون مع معارفهم من اصحاب العمل، وتضيف، ربما يدعوك احدهم لمرافقته الى احدى هذه الحانات، فعندما تدخلها تجد فيها بعض الكراسي الوثيرة فلا تفكر ان تتوجه الى احدى هذه الكراسي لتجلس عليها، فإنك لو فعلت لوجدت نفسك وحيدا لا احد يجلس معك لان رفاقك اعتادوا ان يقفوا امام طاولة الساقي ليتحدثوا بما يروق لهم، ولنفرض انك ظللت واقفا معهم، ستلاحظ ان مجاملة التحية بينهم وبين معارفهم هى مجرد هز الرأس من اعلى الى اسفل او من جانب الى آخر دون النطق بالتحية ويجاوبه الآخر بمثلها فافعل كما يفعلون. بعد هذا يتقدم احدهم بطلب الشراب للجميع ويدفع الثمن عنهم. ثم يشرع وبايب الدخان في فمه في سرد قصة او نكتة بصوت هادىء لا يكاد يسمع. وبعد الانتهاء من سرد نكتته يقهقه ضاحكا فيضحك الجميع معه، فإياك إياك ان تسأل من هو بجانبك عن فحوى النكتة لانه هو نفسه لم يفهمها او حتى سمع نهايتها بل تظاهر بالضحك وحاول ان ترفع صوتك بالضحك لتسر النكات. بعد ذلك يشرع شخص آخر من الرفاق بسرد نكتة اخرى بعد ان يدفع ثمن الدور الثانى من الشراب. وهكذا دواليك

تكرر النكـت ويجب عليك هنا ان تستعـد لتقوم بـدورك في دفع ثمن الشراب عن الجميع وسرد قصة او نكتة.

ولما جاء دوري وكنت قـد حضَّـرت نفسي لالقاء نكتـة كما يفعلون تحدثت بها بطريقتى المعتادة ولكني مع الاسـف فشلت في تلقي قهقهتهم الصاخبة كما فعلوا مع زمـلائهم ولا ادري لماذا لم يقهقهوا لنكتتي هل كانت النكتـة كما يقال «بايخه» ام لأني لم أروها واسردها على مسامعهم بالطريقة الهادئة التى اعتادوا عليها!

كذلك تقـول الصحيفة يكثر الانجليز من تـرداد كلمتيّ من فضلك وشكرا ليس بينهـم وبين أي شخص غـريب عنهم ولكـن حتى بين افـراد العـائلـة والاصـدقاء ونحن في أطـرافنا لم نتعـود تـرداد ذلك بكثرة بين افـراد العائلـة ولا نستعملها الا عند اللزوم، وهنا اروي واقعة حدثت لي تشير الى ذلك.

جرت العادة عنـدما كنت انزل عند احدى العـائلات ان تأتي ربة البيت في الصباح وتطـرق باب غـرفتي لتوقظنـي بقولها صبـاح الخير ومعها كـوب شاي تضعه على الطاولة المجاورة لسريـري ثم تقفل راجعة لإعداد طعام الافطار. في احد الايام، صـادف اني كنت متعبا وربما كنت ساهرا تلك الليلـة جاءت ربة البيت كعادتها بكـوب الشاي ووضعته على الطـاولة وربما قـالت صباح الخير، غير اني لم اشعر بوجودها لأحييها واشكرهـا اذ كان النعاس غالبا عليّ. بعد ان استيقظت واغتسلت نـزلت الى قاعة الطعـام لتناول الفطور معهـا ومع زوجها فـلاحظـت وهى تقـدم الاكل انها مقطبـة ولا تتحـدث معي او مـع زوجهـا كعادتها كـل يوم، ظننت ان بينها وبين زوجهـا حادثـا ما او سوء تفـاهم فلم اعط الامـر أي أهميـة، ولكن لما حضرت للعشـاء معهـم وجـدت انها لازالت على حـالتها الصبـاحية خـلافا لعـادتها المألـوفة. عنـد ذهابها للمطبـخ سألت الزوج مـاذا بزوجتك ألاحظ انها مكتئبـة وزعلانـة! قال «نعم زعلانـة منك»، قلت مني، «مـاذا عملت لأزعلها»؟ قـال «هذا الصبـاح عندمـا احضرت لك كـوب الشـاي لم تقـل لها شكـرا»، قلت «أهـذا سبب الـزعل»! فبـادرت الى محادثتها قـائلا اني لم اقصد عـدم شكرك وانما كنـت في حالـة نعاس شـديد ولم اتـذكر احضـارك لكـوب الشاي فـاعـذريني وأوضحت لها اننـا لا نردد كلمـة



صورة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر
أثناء زيارته لأحد معارض روفر في لندن، ويظهر عن يمينه المؤلف راشد الزياني

الشكر بكثرة لأتفه الأمور ومن الآن فصاعدا دعونا نخفف من ترداد ذلك وان لا نستعملها الا عند المناسبة المهمة.

الزائر لبريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة يجد العديد من بناياتها مهدمة كليا او جزئيا، ويختلف مكان عن آخر ومدينة عن اخرى وبطبيعة الحال لم تبن خلال فترة الحرب بنايات جديدة مما جعل ازمة المساكن والفنادق مستحكمة، وبما اني اتجول بسيارتي في انحاء مختلفة من البلاد لمشاهدة معالم المدن المختلفة او سعيا وراء الحصول على وكالة تجارية جديدة، فقد صادف مرة اني لم احصل على غرفة في أي فندق في مدينة كبيرة تقع في وسط بريطانيا فاضطررت ان انام تلك الليلة في أحد الحقول في سيارتى.

بعد ان رويت ذلك الى احد مدراء الشركات التى نتعامل معها نصحنى بأن احتفظ في سيارتى ببعض البطانيات وما شاكلها للضرورة، ودلنى على مخزن كبير في لندن متخصص ببيع مخلفات الحرب باسعار زهيدة، مع انها جديدة ولم تستعمل. توجهت الى ذلك المحل ولفت نظرى فيه وجود خيام صغيرة، اشتريت احداها بالاضافة الى بعض البطانيات وخزنت الجميع في صندوق السيارة، كما نصحني ان احاول دائما الحجز في الفنادق مبكرا لشحها وكثرة الزائرين لبريطانيا في ذلك الفصل.

بعد بضعة ايام توجهت بصحبة مدير كراجنا الانجليزى الى برمنجهام لزيارة مصنع اوستن للسيارات وعبثا حاولنا الحصول على مكان في فنادقها المحدودة آنذاك. ولما كان من الصعب الرجوع الى لندن لبعد المسافة من جهة ولارتباطنا بمواعيد تجارية حدد لها صباح اليوم التالي، من جهة اخرى لم نجد حلا لمبيتنا تلك الليلة الا في الخيمة التى كنت اشتريتها وخزنتها في صندوق السيارة. نصبنا الخيمة في أحد الحقول القريبة من المدينة بعد ان استأذنا صاحب الحقل، وبعد ان تعشينا وتمشينا في المدينة عدنا لخيمتنا ونمنا فيها.

في الصباح الباكر استيقظنا فزعين على حركة غير عادية اصابت خيمتنا فهي احيانا تهتز واحيانا نشعر انها بدأت تتمايل وتكاد تسقط على رؤوسنا. لم يكن الجو ذلك الصباح عاصفا او ممطرا بل كان يميل الى الهدوء والصفاء. إذاً

ما الخبر؟ وما هو تفسير هذا الازعاج؟. كانت للخيمة نافذة صغيرة مغلقة فتحتها لاستكشف منها، فاذا بى اشاهد عددا لا يقل عن اثنى عشر ثورا احاطوا بالخيمة والسيارة، كان بعضها يحاول قلع اوتادها والبعض الآخر جعل يناطح سيارتى، وهى سوداء اللون لامعة. حاولنا ابعادها بأن رمينا عليها ما وقع تحت ايدينا من اشياء من ادوات الخيمة وحتى احذيتنا ولكنها لم تهتم وتمادت في مغازلة الخيمة والسيارة الى ان يسر الله ولمح صاحب الحقل حالتها معنا فسارع بإبعادها عنا.

اما اليوم الثانى فقد استطاعت شركة اوستن ان تحجز لنا غرفة صغيرة في الطابق العلوي من فندق قديم وكان قسم من سقف الغرفة لازال محطما تتسرب منه الريح الباردة. استعنا بالبطاطين التى احتفظنا بها بالسيارة لسد ما امكن سده من فتحات السقف المحطم.

٢ ـ أكل الانجليز

كـان المطبخ الانجليزى بعـد انتهاء الحرب العـالمية الثـانية، وحتى دخـول السبعينـات فقيرا محدودا بـانـواعـه ومذاقـه بـالنسبـة لنـا ولغيرنـا من الشعـوب الاخـرى، فالسمك مثـلا كـان يغلى في الماء فقط ويقـدم للأكل كما هـو دون اضافة أية بهارات او أية مادة تخفف مـن زفرته، وكانوا يعتبرون المطبخ الفرنسي هو المثـالي الذى يشار اليه بـالبنان، حتى ان غالبيـة مطاعم الفنادق الـراقية في انجلترا بـادروا الى توظيف طبـاخين من فـرنسا، وكتبـوا لوائح الطعـام باللغـة الفرنسيـة ايضا، غـاية في التـزمُّت والتفاخـر، وتحتاج اذا حضرت الى مثـل هذا المطعم وانت لا تعـرف الفـرنسيـة ان تطلب الترجمة من النـادل، انها مع مـرور الـزمن ادخل على المطبخ الانجليـزى كـافة انـواع المأكـولات المختلفة اوروبيـة وشرقية حتى اصبح المطبخ الانجليزى كما يقال «انترنشينال».

والانجليز وخاصة الطبقـة العليا او الراقية او المتزمتة منهم يتبـاهوا بأكلات ترفضها شهيتنا او انفسنا مع انهم يعتبرونها من الأكـلات الغالية المفضلة واذكر اني دعيت الى وليمتي عشـاء اثنـاء تواجـدي في بريطـانيا في اوائل الخمسينـات عندما كان الاكل شحيحا ومسيطرا عليه من قبل دائرة التموين.

الاولى:

دعـاني احـد الشخصيات الكبيرة الى وليمـة عشـاء في قصره الـواقع خـارج لندن وكـان المدعوون معي كلهم من كبار اصحـاب الاعمال، ولما استعرضت قـائمة الطعـام لاحظت ان الـوجبة الـرئيسية «دجـاج مع الخضـار» يسبق ذلك مقبلات وسلطة، ومع اني كنت جائعا والـدجاج نادر الحصول عليه في مطاعم لندن في ذلك الزمان اكتفيت بالقليل من المقبلات انتظارا لصحن الدجاج.

اثناء تقديم صحن الـوجبة الرئيسية شممت رائحة كريهة لم اجـد مناسبة لها فنحن في قصر فخم يحف بنـا خدم ارتـدوا ملابس رسميـة نظيفة انيقـة لم يكن

يتبـادر لذهنـي او تفكيري ان الرائحـة الكـريهة كانـت من الـدجاج المقـدم في الصحن فقد كان متعفنـا وتصدر منه رائحة تزكم الانـوف. لم استطع تناوله او حتى النظر اليـه اذ كنت ضيف الشرف في هذه الدعوة اجلس بجـانب الداعي وهو لـورد من لوردات بـريطانيـا المشهورين، في نفس الـوقت كنت جـائعا لم اتناول الا غداءً بسيطـا ذلك النهار، بدأت اعبث في لحم الـدجاج دون الأكل منه وأكلت بكـراهية واشمئزاز بعض الخضار الموجودة في الصحـن واضعا يدي اليسرى على حافة الصحن لأخفي محتوياتـه عن ملاحظة مضيفي، وفي الوقت الـذى كـانت نفسي تتقـزز مما حـواه ذلك الصحن كـان المدعـوون يلتهمـون محتويات صحونهم بشهية وشراهـة، كما علق بعضهم على ما جاء في صحونهم بقولهم انـه جدا لذيـذ وانه (Turned) كلمة يقصـد بها انه متعفـن، تصور ايها القارىء حالتي قبالة ذلك الدجاج المتعفن اني احمد الله اني تمكنت من السيطرة على نفسي فلم أتقيأ طيلة ذلك الوقت، لقـد لعنت في قرارة نفسي تلك الوليمة وتلك الليلـة النحسـة التى تـواجـدت فيهـا في ذلك المكـان وكيـف اني ظللت جائعا اتطـوى من الجوع واشتهي ان آكل أي اكلة مقبولـة لتسد رمقي، ولكن اين اجد الاكل بعـد تلك الساعة من المسـاء فالمطاعم في تلك القـرية الصغيرة قـد سدت ابـوابها منذ مـدة، وحتى مطـاعم لندن تكـون قـد شطبت واقفلت ابوابها عند رجوعي اليها فبيني وبينها سيـاقة خمسين ميلا. ظللت شارد الذهن حائرا افكر ثم افكر وفيما انـا في اوج حيرتي وتفكيري تذكرت ان هناك في لندن وبـالقـرب من سكني محلا صغيرا متـواضعـا يبيع سمكـا مقليـا مع البطـاطس ويقـدمه للـزبائن على الـواقف في ورق الجرائد المستهلكة بـدل الصحون وانـه يظل فـاتحا حتى سـاعة متـأخرة مـن الليل فقلت الحمـد لله وجـدت ضـالتي وهدأت نفسي نوعاً ما.

بعد ذلك العشـاء المقرف وتبادل التحيـات ركبت سيارتي مسرعـا عائدا الى لندن، وكـانت كما ذكرت آنفـا تبعد حـوالي ٥٠ ميلا عن هـذه القريـة، هدفي

بائع السمك، وبعد السير حوالي ربع ساعة صادفني والسيارات السائرة في ذلك الطريق ضباب بدأ خفيفا ثم تكاثف حتى اصبح السير متعذرا، توقفت بسببه جميع السيارات التى امامي والتى خلفي، انتظرت بعض الوقت على أمل ان ينقشع الضباب ولكنه زاد كثافة. نزلت من السيارة لأستطلع سبب توقف السيارة التي أمامي فلم أجد سائقها أمام مقودها بل وجدته مسترخيا في مقعدها الخلفي وقد أغمض عينيه ونام ووجدت السيارات التي أمامها وقد حذا أصحابها حذوه، كان الضباب كثيفا بحيث كما يقال لا يمكن رؤية مقدمة السيارة ومع فتح الأضواء بالكاد ترى مؤخرة السيارة التى امامك وهي تقريبا ملاصقة لسيارتك تذكرت ما كنا نسمعه عن بريطانيا بانها «بلاد الضباب»، كنت تعبا وجائعا ومشمئزا من رائحة الدجاج العفن التى كانت تلازمني حتى تلك اللحظة، وكانت أمسية نحسة وليلة سوداء، توكلت على الله، وأغلقت أبواب السيارة مقلدا الآخرين محاولا النوم فيها حتى الصباح، ولكن هل يستطيع الجائع ان ينام، كلا غالبت النعاس حتى الصباح حيث خفت حدة الضباب فواصل الجميع السير ببطء وحذر ومع اني في حياتي لم انم في سيارة من قبل الا اني جربتها هذه المرة ثم مرة اخرى عندما كنت في شمال انجلترا ولم اجد غرفة في أحد الفنادق فاضطررت للنوم في السيارة.

ومرة اخرى:

في الستينات كنت مدعوا مع زوجتى على العشاء من قبل احدى الشركات الكبيرة في بريطانيا وكانت الدعوة في افخم فندق في لندن، ولما قدم الطعام كان الصحن الرئيسي «طير القطاء» الذى اعتاد الانجليز اصطياده في موسم معين ويعتبر من اللحوم البيضاء الشهية والتى لا تقدم الا في المطاعم الغالية كان بعضه متعفنا له رائحة كريهة تشمئز منها النفس، بينما هو في نظر الانجليز مرغوب بهذا التعفن كما ذكرت آنفا، وكان البعض الآخر منه سليما،

غير متعفن، وصادف ان الذى قدم امامي سليم بينما الذي قدم امام زوجتي متعفن فاشمأزت نفسها وأشّرت لي بذلك قلت لها سأبدل صحني بصحنك وقالت «يابوه، انا وقفت نفسي. . أي اشمأزت (تعبير عراقي) ولا استطيع ان آكل من هذا ولو كان سليما» ولما لاحظ الداعي انها لم تأكل من اللحم واكتفت بالملحقات من خضار ونحوها سألها فأجابت «انا ممنوعة من أكل اللحوم في الوقت الحاضر» واضطررت ان اعلق على ذلك وانا انهش في لحم الطير السليم امامي وقلت «الحمد لله اني لم امنع من اكل مثل هذا اللحم الممتاز» (مجاملات).

ويوماً ما في الستينات:

ايضا دعاني رئيس شركة مرموقة الى طعام غداء في أحد المطاعم الشهيرة في قلب لندن ولما حضر النادل وقدم لي قائمة الطعام لاختار منها سحبها الداعي من يدي وقال «لا حاجة لان تختار منها فقد طلبت لنا اكلا خاصا كما يقال تأكل اصابعك وراءه من لذته»، وافقته شاكرا صنيعه واهتمامه باكرامي وانتظرنا مدة ومدة طويلة جدا ولما سألته عن البطء اجاب «انهم يعدونه إعدادا خاصا انه ليس في قائمة الطعام العادية».

بعد مدة وصل الأكل الخاص الشهي المنتظر وكان معدا في اوان نحاسية جميلة براقة وبدأ النادل يفرغ ما بها في صحون كبيرة امامنا فاذا هو رز مطبوخ مع ما نسميه في اطرافنا «بالصقوع» وهو الذى يتكاثر على سواحلنا ولم يفكر احد في يوم من الايام ان يجمعه او يعده للأكل بينما هو يعد من الاكلات الشهية الغالية في انجلترا واوروبا وحتى في الشرق الاقصى. اني لم اعتد ان آكل هذا من قبل ونفسي لا تستسيغه، ولما سألني الداعي «ما رأيك» اجبت مجاملا طبعا «جميل» في الوقت الذى ابعد الصقوع جانبا عن الرز والتهم الرز بمفرده واقول في نفسي تعلم يا راشد من هذه المطبات فلا تجامل اكثر مما جاملت فقد اعطتك هذه المجاملات دروسا قاسية لم تتعلمها. بعد هذه

المطبات بـدأت ادقق واستفسر عما سيقدم لي من اكـل وابدي رفضي واعتراضي اذا عرض علي اكل لا يناسبني.

ولكن ومع هـذا لم انج من مطبات مماثلة فيما بعـد، رغم تدقيقـى وحرصي واذكر على سبيل المثال احدها:

في يـوم من الايام دعـاني صـديق عـزيز (انجليـزي) كـان يعمل سابقـا في البحرين ويسكـن في مكان قريب من السـاحل الجنوبي لانجلترا الى زيـارته في عطلـة نهاية الاسبـوع وكونـه يعرف ان هـوايتي المفضلـة صيد السمك هيأ لنـا قاربا للاستمتاع بهذه الهواية زيادة في اكرامي.

توجهت الى قـريته وخـرجنا الى البحر نصطـاد، كان الجو جميلا وقـد وفقنا ببعض الصيد. ولما حـان وقت الغداء وكـان قد احضر «سنـدويشـات» اعدتها زوجتـه، ومعهـا شراب كـولا وبعض الفـاكهـة دعـاني للمشـاركـة فـاذا بـالسندو يشـات كلها معمـولة من لحم الخنـزير، لم استطع ان احـرجه وابـدي تأففي تظاهرت بأني لست جائعـا واني قد اكلت وجبة فطور كبيرة وافضل دائما ان يكون العشـاء وجبتي الرئيسيـة، وقضيت غدائي على تفـاحة وعلبـة كولا وامري لله. من يومها وانـا احرص على ان استفسر عن الأكل الذى سيقدم لي سواء في الـدعوات او المطاعم لأن الاوروبيين اعتـادوا اضافة لحم الخنـزير على بعض اكلاتهم فمثلا يقدمون البطيخ وعليه لحم خنزير ويقدمون الدجاج المقلي احيـانا مضـافا اليـه لحم الخنزيـر وحتى الشوربـة احيانـا يعملونها بعظـام لحم الخنزيـر لذلك انبـه اولائك الذين يستحـرمون اكل الخنزيـر ان يستفسروا عن محتويات ما يطلبـونه من طعام فيها اذا كان يحتوى على الخنـزير او مشتقاته ولا حرج في ذلك فقد حرمه الله علينا وكرهته انفسنا واشمأزت حتى من رؤيته.

٣ ـ التموين في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها

اثناء انـدلاع الحرب العالمية الثـانية كان لا بـد للحكومة البريطـانية من ان تفـرض نظـامـا للتمويـن يحدد كميـة واسعـار الحاجيات الضروريـة وعنـدمـا وضعت الحرب اوزارها عام ١٩٤٥م لم يـرفع هذا النظام بل ظل سـاريا ومتبعا لعدة سنوات بعد انتهائها وقد التزم الشعب البريطانى بتطبيقه التزاما دقيقا.

ويجدر بى هنـا ان اروي ما شاهـدته ولمستـه اثناء زيـارتى لانجلترا في تلك السنين العجاف بالنسبة لبريطانيا.

لقـد خصـص لكل شخـص دفتر تموين يحدد فيـه الكميـة المسمـوح لـه الحصول عليهـا من غذاء وكسـاء وعلى سبيل المثال اذكـر هنا الكميـة المحددة للشخص الواحد حسب دفتر التموين المعطى له:

١ - بيضة واحدة فقط في الاسبوع.

٢ - قطعة لحم لا يزيد حجمها عن راحة اليد في الاسبوع.

٣ - قطعة شكولاته او بسكويت لا يزيد وزنها عن نصف رطل في الشهر.

ولم يشمل التموين الخبز والسمك والخضراوات.

امـا الكساء: فبـدلـة واحـدة مكونـة من جـاكيت وبنطلـون فقط للـرجل وفستان واحد فقط للمرأة في السنة او بـدل ذلك بقية الملابس الداخلية والحذاء وما شاكله.

وقد لا يصدق القارىء اذا رويت له ما يلى:

في احد الايام من تلـك السنين عندما كنت في زيارة لبريطانيـا اذاع الراديو البريطانى بأن مجلس التموين قـد خول ملكة بريطانيا الحاليـة بمناسبة زواجها من الامير فيليب خـولها شراء بدلـة عـرس كاملـة فقط وخول زوجهـا باقتنـاء بدلة سهرة كـاملة ايضا اما الوصيفات فلكل واحـدة منهن فستان واحد فقط. ويوضـح هذا كيف ان التمـوين كان دقيقـا ومطبقا حتـى على الملكة والعـائلة المالكة.

ينظر الانجليز الى الاجنبى في تلك السنين نظرة تقدير واحترام بخلاف ما هو عليه اليوم. وقد ذكرت في مواضع اخرى من هذه الذكريات مخالفات بسيطة حدثت لي خلال تلك السنين، كايقاف سيارتى في محل ممنوع، او تركها في محطة القطار لمدة تزيد عن المدة المقررة وما الى ذلك، فقد كانت الشرطة تتغاضى عن هذه المخالفات بمجرد ان تعرف ان صاحب المخالفة اجنبى. ولعل اطرف ما لمسته وشاهدته في ذلك الزمان ان بعض اصحاب الاعمال كانوا يلتمسون منى اذا كنا في مقهى او مطعم ان اطلب من صاحب المحل شراء علبة سجاير وهم يعرفون اني لا ادخن ويتردد صاحب المحل ويتمهل قبل ان يعطينى علبة ذات عشر سجاير فقط، امررها خفية الى صاحبي الانجليزى الذى يعلم مقدما ان طلبه غالبا سيرفض.

ومثل آخر:

كنت وزوجتى في زيارة لبريطانيا في اوائل الخمسينات وكنا ننزل مع عائلة انجليزية طلبت منا ربة البيت الذهاب الى مكتب التموين للحصول على دفتر تموين يخصص فيه لكل فرد ما يستطيع شراءه، ذهبنا واستلمنا دفترين وكان كما ذكرت آنفا حصة كل فرد بيضة في الاسبوع. . . الخ.

مررنا بدكان يبيع المواد الغذائية ووجدنا انه كانت لديه كميات وافرة من البيض، عرضنا عليه ان يبادلنا بها في الدفاتر من مواد غذائية اخرى لا نريدها مقابل زيادة عدد البيض فأبى واستكبر.

كان افضل واجمل هدية نرسلها لرؤساء الشركات التى نتعامل معها وكبار موظفيها بالبريد من البحرين آنذاك، رطل شاي او سكر او بعض البسكويت وبعض الشوكلاته المستوردة من بريطانيا او ما شاكل ذلك. وكنت اصطحب معي في سفرتي الى بريطانيا كمية من السكر والشاي والبسكويت والشوكلاته، كما كنت احمل في جيبي علبة صغيرة تحتوي على قطع من السكر لان الشاي والقهوة تقدم في المطاعم بدون سكر، حتى ان البريطانيين قد اعتادوا شربها سادة واستمر اغلبهم عليها الى اليوم.

لم يشمل التمـوين السمك ولـذلك كان اعتماد المطـاعم في اغلب الاحيـان على تقديم وجبات مكـونة من السمك وغالبا ما يكون طبخـه مغليا بالماء فقط تـوفيرا للشحوم والـدهون ويصطف الآكلـون امـام المطاعم للغـداء في طابـور طويـل ابتداءً من السـاعة الثـانية عشرة واذا صـادف ان جاء دورك في السـاعة الثانية فـاعتبر انك ظللت بدون غداء، فالمطاعم تشطب وتغلق ابـوابها الساعة الثـانية واحيـانـا تـدخل المطعم في الـوقت المنـاسب فتجـد ان غـالبية الطعـام المستحب لك قـد نفد فتخرج بخفي حنين. وأذكـر انه في يوم من الأيـام اثناء تلك السنين العجاف دخلت صحبـة بعض الاصدقاء العرب مطعماً تـركياً يقع في قلب لندن لتنـاول طعام العشاء وبعد أن عـرض علينا النادل قائمـة الطعام لاحظت انه من بين موادها «لحم مشوي بالاسيـاخ» مما يعرف ويشتهر بأطرافنا باسم «شيـش كباب»، ولم يفت الاخوة مـلاحظة ذلك فسررنـا من وجود لحم في هذا المطعم لنـدرته وتم اختيارنا لهذه الأكلـة اللذيذة، في هذه الاثنـاء خطر لي خـاطـر غـريب وهـو كيف أن هـذا المطعم أمكنـه الحصـول على لحم بهذه الكمية! استـدعيت النـادل وسألته «أي نـوع من اللحم ستعمل منـه (الشيش كباب)» اجـاب بالانجليـزية «هـورس ميت» لم يتبادر لـذهني انـه يقصد لحم حصان فأعـدت السؤال عليه فكان جوابـه نفس الجواب الاول ولما وجد اني لم افهم جوابـه مد سبـابة إحدى يـديه واعلى عليها سبـابة ووسطى يـده الاخرى علامـة على ركوب الحصان ليفهمنـي انه لحم حصان. عنـدها أسقط في يـدنا وانقلب سرورنـا الى كدر حتى اننـا كرهنا الأكل في ذلـك المطعم وخرجنـا منه ونحن جياع نجر أذيال الفشل.

مثل آخر:

أردت شراء فـانيلات شتـوية لأتقي بها بـردا مفـاجئا، فـذهبت الى مكتب التمـوين وبعد تقـديم طلبي المكتـوب على استمارة خـاصة، وجـه الى الموظف المختص سؤالا عجيبـا «الى متى ستبقى في بريطـانيا؟» قلت «حـوالى شهرين» فاذا هو يأذن لي بشراء فانلة واحدة فقط!

٤ ـ سيارات الأجرة (التكسي) في بريطانيا

تعتبر خدمات التكسي في بـريطانيا وفي لندن بالـذات من احسن الخدمات التى شاهدتها في العالم.

فسيـارة التكسي المستعملة في لنـدن لها مواصفـات ممتازة لا يجاريها احـد في جميع انحاء الدنيا فالسيارة نفسها مصممة تصميما خاصا يتيح للسائق والراكب كـامل الانفصال عن بعضهما الا اذا ارادا غير ذلـك فهي مكونـة من قمارتين - قمارة في الخلف للـركـاب ذات مقاعـد متقـابلة بينهـا فـراغ واسع مـريح وقمارة اصغر في الامـام للسائق والامتعة، ويفصل بين القمارتين قاطـع زجاجى يمكن فتحـه او غلقه عنـد اللـزوم، امـا أبواب السيـارة فهى واسعـة يسهل الصعـود والنزول منها، كما ان قفلها مرتبط بحـركة السيارة فاذا تحركت السيارة، أقفلت الابـواب نفسهـا اتـومـاتيكيا بحيـث لا يمكن فتحهـا الا إذا تـوقفت، وهـذا التحسين ادخل عليهـا حديثـا حماية لعـابث بالابـواب اثناء سيرهـا كالاطفـال وغيرهم من العـابثين، امـا مقاعـدها فمكسـوة بالجلـد الطبيعى او مـا يعادلـه تـوخيا للنظـافة، وللـراكب كامـل الحرية لاستعمال التـدفئة داخل قمارتـه دون الحاجة لمنـاشدة السـائق ليفتح او يغلق له ذلـك. فضلاً عن هـذا فقد زودت بعض السيـارات بتلفون تخاطب به جميـع انحاء العالم من قمارتـك دون الحاجة الى منـاشـدة السـائق ليفتح لك الخط، كما ادخل عليهـا حـزام الامـان الـذى اصبح استعماله ملـزما في جميع سيارات الاجـرة. وادخل عليها ايضـا نظام دفع الاجرة بـالبطاقة (الكـارت) بدل النقد، فضـلاً عن حصول الـراكب على ورقة رصيد بمبلـغ الاجرة الـذى دفعه، اما السيـارة نفسها فهـى قويـة في تصميمها وبـالـذات في كوابحهـا، وبـامكـانها الاستـدارة في دائرة ضيقة جـدا لا يكـاد يصدقها العقل.

ويمر سائق التاكسي بامتحانات شديدة حازمة لا تشمل حسن سياقته فقط بل ومعلـوماتـه الواسعـة عن المحلات والمتـاجر والطـرق والشوارع وعن اقـرب الطـرق او المسـافـة للـوصـول الى المكان المقصـود، وفي كـل قمارة من قمارات السيارة تجد لوحـة تحتوي على ارقام بسيطة غير ارقام تسجيـل السيارة المعتادة، وذلـك لكي يتمكـن الـراكـب، اذا لـزم الامـر، الاستـدلال بها على السيـارة

وسائقهـا إذا اراد ان يشتكى سائق التـاكسي او اذا صادف ان نسي احـد امتعته فيها .

كما انـه بالامكـان استعمال التاكسي لشراء دواء لك من الصيـدلية او مـواد غذائيـة من السوق او استلام بدلـة او فستان من احد المخـازن لم يجهز تحضيره الا ذلك اليوم، بـداعي انك لا تريد مغـادرة فندقك او منزلـك وكل ما عليك هو ان تستدعـي التاكسي حسب نمرة معينة في دفتر التلفـون فاذا حضر تكلفه بما تريـد فيذهب و يـأتي لك بحاجتك في اسرع وقـت ممكن ولا يكلفك ذلك الا اجـرة ذهابـه وايابـه حسبما يسجلـه عداد السيـارة، الا اذا اردت ان تكرمـه ببقشيش بسيـط فهـذا لطـف منك، كما ان اغلـب هـذه السيـارات الآن تمنع استعمال التدخين فيهـا، ولم اشاهد في كل اسفاري تكسيـا يماثل تكسي لندن.
انه يعتبر مثالا ممتـازا يهيىء الراحة والسلامة والاطمئنان فضـلا عن الخصوصية بالنسبـة للراكـب المسافـر مع اهله او اصـدقائه او مع اصحـاب اعمال اراد ان يفتح معهم حديثا تجاريـا او يكمل حديثا سبق ان بدأ بحثـه من قبل، ولمقارنة تكسي لنـدن اليـوم بتكسي ما بعـد الحرب العـالميـة الثـانيـة مباشرة اذكـر هـذه الملاحظات :

اولا : لقـد صممت سيارة التكسي في زمـان ما بعـد الحرب العالميـة الثانيـة تصميما خـاصا لهذا الغـرض بالـذات ولكن سيـارة تكسي اليوم ادخلت عليهـا تحسينـات من حيث الشكل والقـوة ومـا الى ذلك وبما انني قـارنت بين سيـارة التكسي بـالحاضر والماضي فانـه يجدر بي ان أقارن في نفس الوقت بين اخـلاق سائقيها ومعاملتهم للزبائن مـاضيا وحاضرا : لقد تغيرت اخلاق غالبيتهم تغيرا كبيرا واختلفت معـاملتهم للـزبـائن، فالسـائق في الماضي كـان يحترم الـراكب ويبادر لمسـاعدته خـاصة اذا كان الـراكب طفلا او شيخـا كبيرا او سيدة، ولا يطلب الا دفع اجرته المعلمة على العداد، انه كان مستقيما يسلك اقصر الطرق لايصال زبـونه فـلا يراوغ ويسلك بـالسيارة مسـالك طويلـة بعيدة عـن الجهة المقصودة محاولا استغلال الـراكـب، اما اليوم فاخـلاق غالبيتهم تغيرت واصبح الجشع والطمع ديـدنهم خاصة اذا كـان الراكب غـريبا او امرأة أو شيخا كبيرا فهم لا يتـورعون عن استغـلالهم او مغالطتهم بـالاجرة او مطـالبتهم ببقشيش

فاحش، ناهيك عن المراوغة وسلوك طرق وشوارع مختلفة مخالفين بذلك ما ينص عليه القانون بأن يسلكوا اقصر الطرق. وإذا ما احتج الراكب قابله السائق بمنتهى الوقاحة والخشونة ولا يرتدع عن سلوكه هذا الا اذا التزم الراكب بالقانون وتمسك بحقه فيه، واخشى ما يخشاه سائق التكسي في بريطانيا شكايته للشرطة.

اذكر هنا مثلا حادثة جرت لي مع سائق تكسي نزر - اوقفت مرة (تكسي) وطلبت منه ان يأخذني الى مكان معين سار قليلاً في طريقه الصحيح ثم حاد عنه لغرض المراوغة باعتبار اني اجنبي لا اهتدي واعرف الطريق القصير المؤدي الى المحل المقصود ولما نبهته الى ذلك صرخ بي وقال «انا لا احب ان اتلقى تعليمات من احد». تركته يسير لمدة قصيرة ثم طلبت منه ان يتوقف ولما نزلت قال «الاجرة كذا» قلت «كلا لن ادفع اجرتك، انا اوقفتك لأطلب البوليس واحتكم اليه بيني وبينك شارحا له مخالفتك ووقاحتك». سكت برهة وهو ينظر الي وانا اتلفت يمنة ويسرة أفتش عن شرطي او سيارة شرطة ولما رأى تصميمي على ذلك قال بكل ادب «يا سيدي اذا تسمح انا لا اريد الاجرة هل تسمح لي بالسير» قلت «كلا، الا اذا اعتذرت واستسمحت»، فلما اعتذر قلت إذاً الآن تأخذني الى المكان المقصود وابدأ من جديد. ركبت السيارة ودفعت اجرته دون اعطائه أي بقشيش.

مرة اخرى حدث ان ركبت (تكسي) وطلبت من السائق اخذي الى مكان قريب في قلب لندن. لاحظت انه كلما توقف عند اشارة مرور حمراء، يفتح خارطة لندن ويتطلع فيها، سألته لماذا تتطلع في هذه الخارطة ألا تعرف الطريق؟. كيف تكون سائق تكسي ولا تعرف الطريق القريب البسيط.

اسقط في يده وقال يا سيدي ارجوك ان لا تفضحني فانا ايرلندي جئت حديثا لأعيش في لندن، وهذه السيارة سيارة اخي وهو صاحبها وسائقها، انه يعيش في لندن منذ سنوات واليوم اخذ اجازة وطلب مني استعمالها والاستفادة بدخلها لي ولعائلتي، اشفقت عليه وصرت دليلا له حتى اوصلني الى مقصدي ولما دفعت له الاجرة قلت له انك تجازف بنفسك وبرخصة اخيك فاحذر.

٥ ـ البحر وصيد السمك في انجلترا

هوايتى بالبحر وصيد السمك شيء لا يكاد يوصف، فقد عشقت هذه الهواية ومارستها منذ صغرى وحتى الآن ولم تقتصر ممارستى لها في البحرين، مسقط رأسي، بل وفي مناطق مختلفة من العالم اذكر منها بلدان الخليج العربي وامريكا وبريطانيا وايرلندا وسواحل البحرين الابيض والاحمر.

اني احب البحر واشعر بالسرور والبهجة عند ركوبه ومشاهدة مناظره الخلابة. مع مرور السنين والايام واثناء تجوالي في البحار المختلفة صادفني حوادث ومفاجآت بعضها مسلية والبعض الآخر لا يخلو من المغامرة والخطورة أتطرق الى بعض منها أدناه لمجرد الاطلاع والمعرفة.

في بريطانيا:

عنّ لي وانا في هذه الجزر الجميلة ان اجرب ممارسة هوايتي. كان ذلك في صيف السبعينات (١٩٧٠م). توجهت الى ميناء يقع في الشرق من الجزر البريطانية يدعى مارجيت (Margate). استأجرت قاربا صغيرا بحجم الطرادات الصغيرة الموجودة عندنا بالخليج. كان صاحبه وقبطانه في نفس الوقت في العقد الرابع من عمره، قد ارتدى لباسا رسميا اشبه بلباس البحرية البريطانية. لقد ظننته من اول وهلة، انه أحد قباطنة البحرية المتقاعدين او المتخلين عن الخدمة البحرية عندما التقيت به.

ركبنا القارب وتوجهنا الى محل لا يبعد كثيرا عن الميناء ولما توقفنا وألقيت المرساة شرعت في اعداد السنارة لإلقائها في البحر. كان في الموقع حولنا قوارب صغيرة بحجم قاربنا عددها لا يتجاوز الثمانية.

من المعلوم ان طريقة الصيد المتعارف عليها في بريطانيا وفي اغلب بلاد العالم هى استعمال «الرود (ROD)»، أي عصا بطول مترين او ثلاثة تعلق بأسفلها بكرة يلتف حولها الخيط، ومع اني استعمل احيانا «الرود» المشار اليه الا اني لا ارتاح لها، وافضل طريقتنا التى اعتدنا عليها، وهى الخيط في اليد مباشرة، سحبت الخيط من البكرة وربطت في طرفه سنارتين متباعدتين بدل سنارة واحدة وبعد ان اعددت السنارتين بالطعم اللازم وقفت منتصبا على

حـافة القـارب من الخلف محاولا رمي الخيـط بعيدا، كـان تيار الماء قـويا امـا الريح فمعتـدلة. وفيها انا واقف احـاول قذف السنارتين اذا بصـاحبي القبطان يصرخ صرخة مدويـة أتبعها بقوله «سيدي احترس ان لا تقـع في البحر» اجبته مداعبا بقـولي لا يهمني ذلك فاني اذا وقعت اعتمد عليك لتنقـذني من الغرق، اجاب «آسف يا سيدي لا استطيع ذلك لاني لا اعرف السباحة» ضحكت من كل قلبي لجوابه، وقلت في نفسي كل هـذا اللباس، لباس البحريـة البريطانية والقبعة البحرية المزرية، ولا يعرف السباحة!



المؤلف راشد الزياني اثناء رحلة صيد في منطقة لاندز إند في إنجلترا

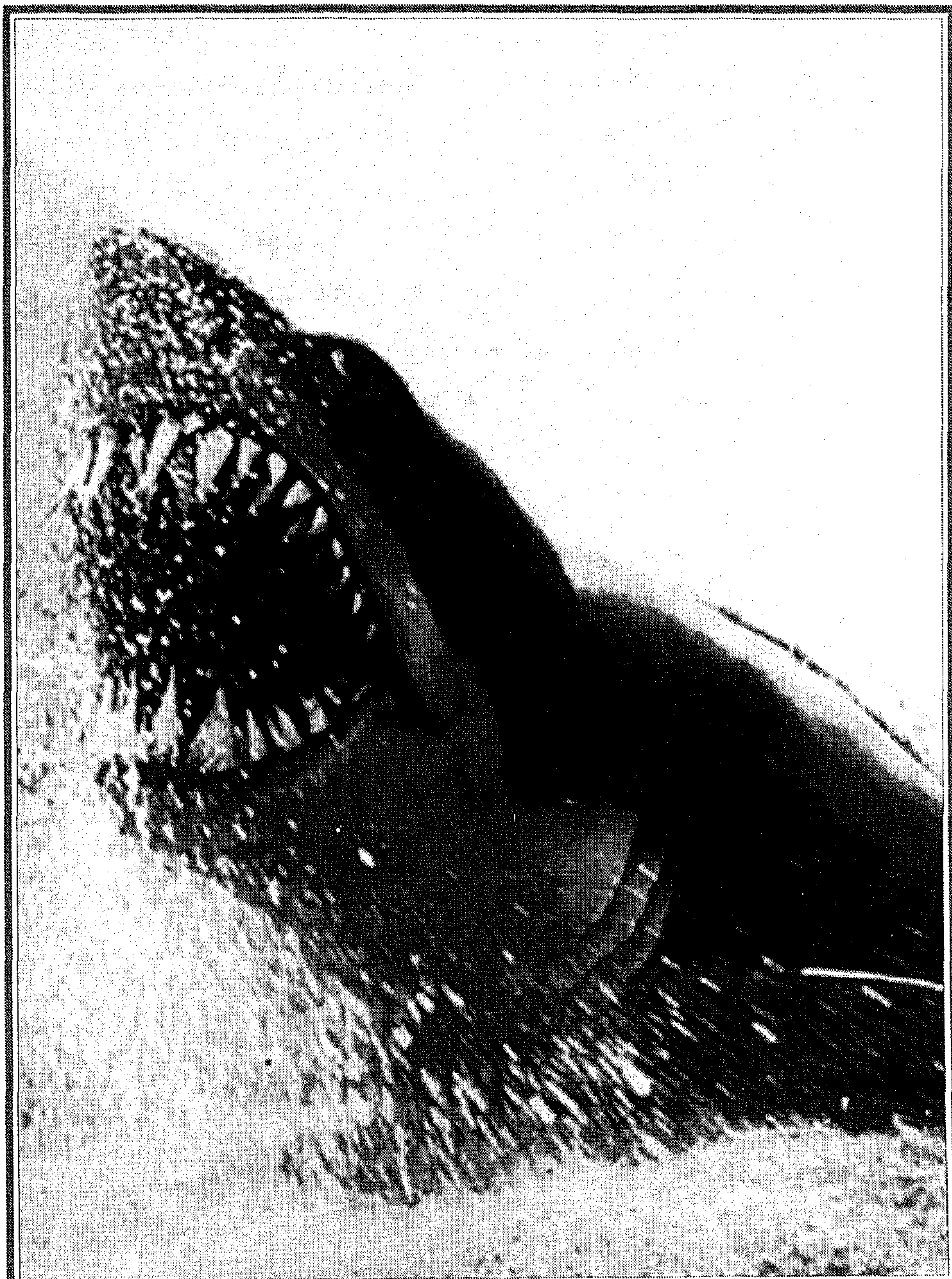
وحادثة اخرى:

اتفقت مع صديق لي للذهاب معه في رحلة بحرية لصيد السمك في بريطانيا ايضا، ووقع اختيارنا على ميناء يبعد حوالي ٢٥٠ ميلا عن لندن. اتفقنا على الذهاب بسيارتي على ان اتحمل انا عبء السياقة في الرواح ويتحمل صديقي عبأها في العودة.

بارحنا لندن في الصباح، ووصلنا الميناء المقصود قبل المساء، وبتنا في احد الفنادق بعد ان رتبنا امر رحلة الصيد ابتداءً من صباح الغد. في صباح ذلك اليوم توجهنا الى مكان الصيد في قارب ميكانيكي متوسط الحجم طوله حوالى ٣٥ قدما. كان البحر هائجا نوعاً ما والريح اقرب الى الشدة منها الى الهدوء، ولكن الشوق للصيد لم يثننا عن المجازفة وما كدنا نصل الى مكان الصيد حتى زادت الريح شدة وانهمر معها مطر غزير، مع هذا بدأنا محاولة الصيد رغم الظروف غير الملائمة.

لم يكن صديقي قد تعود الصيد في الظروف السهلة العادية فكيف به في ظروف صعبة كهذه. ففى اثناء حذفه السنارة بعيدا اعادتها قوة الريح فاصابت جفن عينه اليمنى وتمكنت من الجفن بحيث لا يمكن اخراجها بسهولة. اضطررنا على اثرها للعودة سريعا الى البر حيث حملنا صاحبنا الى المستشفى لاخراج السنارة من جفنه بعد اعطائه تخديرا موضعيا ثم تغطية عينه بالقطن والشاش بعد وضع الدواء اللازم عليها، وحمدنا الله ان السنارة لم تصب بؤرة العين وانها اصابت الجفن فقط.

لم نعد الى البحر بعد ذلك أولاً لاصابة الصديق وثانيا لاستنفاد الوقت واضطراب الجو واضطررنا للعودة الى لندن، ولما كان الاتفاق ان يكون نصيب صاحبي قيادة السيارة في العودة كما اتفقنا، اصبح ذلك متعذرا لاصابته فاضطررت لقيادتها رجوعا بعد ان قدتها ذهابا وامري لله.



عدو الانسان في البحر - سمك القرش - ويسمى في الخليج العربي (جرجور)

مغامرة أخرى:

روى لي احد المعارف في انجلترا قصة عن صيد سمك القرش (الجرجور) وكانت القصة ممتعة دفعتني لأستفهم منه عن المزيد عنها وعن المكان الذى يتواجد فيه هذا النوع من الصيد فدلني عليه فاذا هو تجاه قرية صغيرة على الساحل الجنوبي الغربي من مقاطعة كورنوال (Cornwall) البريطانية. حزمت امتعتي وتوكلت على الله متوجها بسيارتى الى تلك القرية وهي تبعد حوالى ٣٠٠ ميل عن لندن، القرية صغيرة جدا ولا يوجد فيها فنادق فاضطررت لأن أبات تلك الليلة في فندق صغير يقع في قرية اخرى صغيرة تبعد حوالى ٣ او ٤ اميال عن قرية الصيد المقصودة وفي غرفة متواضعة لا تزيد مساحتها عن ٩ اقدام مربعة، في الصباح اخبرني صاحب الفندق ان غرفتي البشعة مؤجرة مقدما لزوار آخرين وان علي ان افرغها، حاولت عبثا اقناعه بالبقاء فيها لمدة ليلتين على الاقل او ان يجد لي سكنا آخر فلم افلح، حزمت امتعتي وتوجهت لقرية الصيد، وصلتها وقت الغداء، سألت عن مطعم او مقهى او فندق فقيل لي لا يوجد شيء من ذلك، صرت في حيرة من امري لا سكن ولا طعام ما العمل! وفي اثناء سيري الخفيف اتفحص البيوت والمحلات على جانبى الطريق لمحت بيتا صغيرا كتب على بابه «استعلامات» قلت لعلي اجد ما يساعدني في حل ازمتي هذه عند الاستعلامات، اردت ايقاف السيارة بجانب الطريق لكن الطريق كان ضيقا لا يسع لمرور سيارتين في آن واحد، تابعت السير لعلي اجد موقفا او متسعا بالشارع بحيث يسمح لي بالوقوف دون عرقلة السير غير اني لم اوفق. وظل عرض الطريق كما هو. اصبح الوقت عصرا وانا بدون طعام او مأوى وكنت قد حجزت سفينة الصيد لاستعمالها في اليوم التالي من وصولي. عدت بالسيارة على نفس الطريق ولما حاذيت مركز الاستعلامات اوقفت السيارة بعد ان اعليت الجانب الايسر منها على الرصيف (١) نزلت مسرعا الى محل الاستعلامات حيث وجدته مكونا من غرفة صغيرة جلست بها امرأة متقدمة في السن خلف مكتب بسيط، بعد التحية عرضت

---

(١) السياقة في بريطانيا على اليسار

عليها مشكلتي، خاصة النوم، تصفحت دفترا عفا عليه الزمن ثم قالت «لا يوجد في هذه القرية فندق واقرب فندق تجده في القرية الفلانية» قلت «كنت هناك ولا توجد به غرف شاغرة» قالت «هل تسكن مع عائلة» قلت «مرحبا أي مكان المهم المأوى» تصفحت دفترها مرة اخرى وقالت «توجد غرفة شاغرة في احد البيوت» قلت «شكرا اسعفيني بها قالت «ليس لدى هذه العائلة تلفون حتى اتصل بهم وعليك ان تذهب اليها بنفسك» قلت متلهفا «ناوليني العنوان» وخرجت مسرورا بها ادركت. وما كدت اصل الى السيارة حتى فاجأني شرطي لازم الوقوف بجانب سيارتي ينتظر قدوم صاحبها المخالف لانظمة المرور، سألني بكل عجرفة وتقطيب جبين «اما تعرف انك بوقفتك هذه عرقلت المرور؟» قابلت عجرفته ببرود انجليزي، تعلمته منهم، وأجبته «آسف انا رجل غريب زائر لهذا البلد الجميل حاولت ان اجد فندقا او أي مأوى لآوي اليه هذا المساء فلم اجد واضطررت لاتخاذ هذه المخالفة لاستنجد بالاستعلامات، اني آسف واعترف بخطئى». انفرجت اسارير وجهه وقال «وهل دلتك السيدة العجوز (Old Lady) على مكان؟» قلت «نعم» وأريته العنوان، قال «انك لن تستطيع الوصول الى هذا البيت بالسيارة لان القرية مكونة من ازقة ضيقة وسأرشدك الى ما تفعل». شكرته بعد ان دلني على مكان اوقف فيه سيارتي ومنه اتوجه ماشيا مخترقا الازقة الضيقة التى لا يزيد عرض غالبيتها عن متر او متر ونصف، ركنت السيارة في الموقف الذى ارشدني اليه الشرطي وتوجهت الى البيت المقصود - طرقت الباب واعطيت الورقة الى صاحبة البيت وكانت امرأة عجوزا في العقد السابع من عمرها، دلتني على غرفة صغيرة لا يزيد حجمها على ١٠ اقدام مربعة بها ثلاثة اسرة فرشها بسيطة انها اشهد بالله انها في منتهى النظافة سألتها هل يسكن احد في هذه الغرفة معي، اني مستعد لادفع اجور الأسرة الثلاثة واستأجر الغرفة بكاملها، نظرت الي نظرة فاحصة ثم قالت «اظنك غريباً وزائراً لهذه البلاد» قلت وهو كذلك. سكتت لحظة وهى تفحصني وانا على احر من الجمر ثم قالت «لا بأس سأحسب عليك اجرة سرير ونصف فقط» شكرتها ثم خلعت

ملابسي وتوجهت الى الحمام وعند غلقي لبابه وجدت لوحة معلقة على الباب من الخلف تقول «لا يسمح بأخذ حمام الا بعد اخذ رخصة من صاحبة البيت» خرجت من الحمام متوجها للسيدة اسألها الرخصة قالت «انت معفى من هذا، هذا نضعه فقط للانجليز» في واقع الامر بعد سنوات الحرب كان الانجليز يحترمون الغريب ويتغاضون عن مخالفته البسيطة وقد شعرت بهذا في كثير من المواقف. والظاهر ان بعض الاجانب استغلوا هذا التسامح والتغاضى فزادوا من المخالفات مما جعلهم يخسرون هذه الميزة الطيبة. كان موعدي للذهاب الى الصيد في صباح اليوم التالى فاستيقظت مبكرا واثناء تناولي الفطور الممتاز الذى اعدته صاحبة البيت وزوجها اخبرتها اني ذاهب لرحلة صيد سمك القرش (الجرجور) واحتاج الى بعض الطعام والذى افهم انه لا توجد مطاعم او محلات للحصول على ذلك فهل من الممكن ان تساعديني وتدليني على محل اشتري منه ولو بعض السندويشات، اجابت بكل لطف وادب لا تهتم بذلك سأرتب لك بعض الطعام وفعلا احضرت سلة خيزران انيقة من النوع الذى يستعمل في الرحلات وكان بداخلها بعض السندويشات وقهوة وشاي مع ما يتبع ذلك من اطباق وملاعق وكمية من الفاكهة وفوطة وصابونة. توجهت الى الميناء حاملا السلة وبعض حاجيات الصيد حيث وجدت القارب المحجوز بانتظاري. كان القارب ميكانيكيا يبلغ طوله حوالي ٣٠ قدما وليس به من البحارة الا فتى في العشرين من عمره، وقد لاحظت انه قد شاركني في القارب ٣ اشخاص انجليز، تركنا الميناء متوجهين الى اعالي البحار بقيادة الفتى وعند ابتعادنا بحوالي ٥٠ ميلا عن الساحل توقف القارب فلاحظت وجود قوارب اخرى غيرنا بالمنطقة.

لا تلقي القوارب مرساتها هنا بل تبقى منسابة على سطح الماء بدافع تيار الهواء وقد صادف ان كان ذلك اليوم من الايام المشمسة الجميلة وعند ملاحظتى لعمق البحر من الساعة المعدة لذلك وجدت انه يبلغ حوالى ٤٠ باعا أي ٢٤٠ قدما. بدأ القائد الفتى يلقي ببعض الاسماك الصغيرة هنا وهناك بقصد استدعاء «القرش» واغرائه بالحضور الى ساحتنا وكان يضع هذه

الاسماك الصغيرة في اكياس مدلاة على جانبى القارب بحيث تلامس سطح الماء بعد لحظات خرج علينا «قرش» يبلغ طوله حوالي ٦ اقدام اتى مسرعا نحو القارب وقضم بسرعة فائقة نصف احد الاكياس بما فيه من سمك ثم غاص في الاعماق انه لم يكن بيننا وبينه الا قدم او نحوه ولو صادف ان كان احدنا يلمس ذلك الكيس في ذلك الوقت لفقد يده، هنا استعد الفتى واحضر سنارة كبيرة مربوطة بسلك معدني تتدلى من قصبة (ROD) ضخمة الحجم شد في آخرها بكرة كبيرة.

طلب مني الفتى ان اجلس على كرسي قوي ثبت بالصوامل في قاع القارب تثبيتا قويا وان احتضن القصبة واضعا اسفلها في انبوب مثبت تحت الكرسي ثم جاء بثلاث سمكات من نوع السردين حجم كل منها حوالى ٦ بوصات ثبتها في السنارة الكبيرة. بعد ان هيأ ذلك ربط وسط جسمي بالكرسي بحزام جلدي كبير، وقال تهيأ سأقذف السنارة بعيدا فاستعد لتمسك بها مثبتة في جحر الانبوبة بيدك اليسرى على ان تكون يدك اليمنى ماسكة بمقود السلك الملفوف على البكرة فاذا ما داهم القرش السنارة استعد لطي السلك على البكرة مصارعا الصيد الذى ستجد منه مقاومة شديدة قد يهزك ويهز الكرسي الجالس عليه وقد يكون اقوى من سحبك له فيسحب من البكرة ما يستطيع سحبه منها، اخبرته اني لا ادعي اني صياد ماهر ولكن لدي خبرة كافية، ثم اخذ يلقي بعض الطعم في البحر مستدرجا الصيد المطلوب، لحظات واذا بصوت البكرة يجلجل من سرعة جر السلك منها واذا بالكرسي الذى تحتي يهتز او يكاد ينقشع من مكانه ليجرني معه الى البحر وحتى القارب بدأ يهتز ويميل الى جهة جر القرش للقصبة، سمحت للقرش ان يأخذ من البكرة ما يمكنني ان اسمح له بأن يأخذ منها، بعدها بدأت في جره وذلك بطي البكرة وكان الامر صعبا حتى اصبح السحب والجر بيني وبينه سجالا اجره مترين فيعود ويسترجعها كل هذا واهتزاز الكرسي متواصل والعرق يتصبب مني ولكني مصمم على جلبه وقد بقيت على هذا الحال نحو نصف ساعة الى ان

أتعبته وأتعبني لكنه كان اكثر تعباً مني فاستسلم ولما قارب جسمه للقارب ضربه الفتى القائد بفأس على رأسه ضربة قوية طفى على اثرها على وجه الماء خادرا فتعاونا على حمله داخل القارب ورفعنا علما اصفر على صارية القارب علامة للصيادين الآخرين الذى يصطادون حولنا ثم بدأنا نتابع الاعلام وهى تعلق على الصواري عن كل قرش يصطاد لمجرد الإعلام وحبا في التفاخر والتباهي، لقد وفقنى الله لصيد اكبر قرش في قاربنا كان وزنه ٥٧ كيلوغراماً اما الرفقاء فلما جاء دورهم اصطاد كل منهم قرشا انما اصغر حجماً. بعد ذلك بدأنا محاولة اصطياد اسماك صغيرة عادية مستعملين الخيوط المعتادة وبما ان البحر عميق كما ذكرت آنفا كان لا بد من استعمال خيوط طويلة ذات ثقل كبير مما يجعل الصياد لا يشعر بصيد السنارة للسمكة فكان لا بد من التخرص فيما اذا السنارة اصطادت ام لا. بعد ان اصطدنا كمية من السمك لا بأس بها قفلنا راجعين الى الميناء حيث كان حشد كبير من المشاهدين اصطفوا وتراصوا منتظرين رجوع الصيادين. كان على رأسهم ممثل نادي الصيد الذى اعد ميزانا كبيرا ليزن اسماك القرش ويسجل وزنها في دفتر امامه وقد قال لي اثناء وزن صيدي انه لو امكنني «اصطياد قرش يزن ٧٥ كيلو لمنحت عضوية النادى مجانا مدى الحياة «اجبته ان شاء الله في المرة القادمة». اخذت معي كمية من الصيد وقدمتها للعجوز صاحبة البيت فسّرت من ذلك.

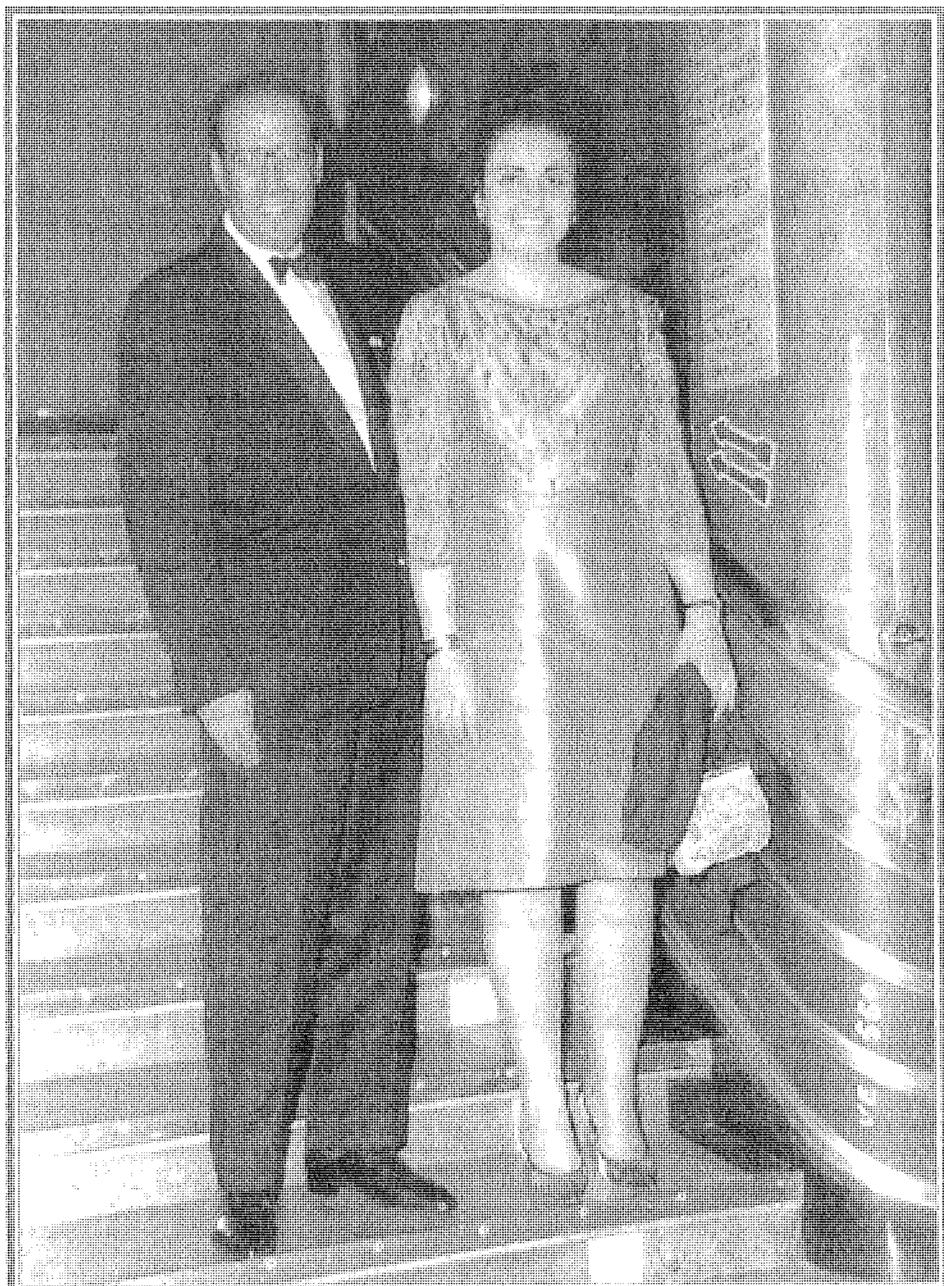
فاتني ان اذكر هنا عند وصولنا الى مكان الصيد واثناء انسياب قاربنا مع الريح ونحن في انتظار خروج سمك القرش تلفت حولي فاذا بي ألاحظ من مسافة قصيرة عمودا حديديا يبرز من سطح البحر بمقدار ٦ اقدام او نحوها اخبرت انها غواصة بريطانية وقد برز غيرها فيما بعد ولما سألت قيل لي ان هذا المكان هو احد المحلات المخصصة لتدريب الغواصات البريطانية.

(الفصل الثالث)

رحلات الاصطياف والسياحة

رحلات الاصطياف والسياحة

قبـــل الحرب العالمية الثانية وحتى نهايتها في سنة ١٩٤٥م لم يتعود الغالبية العظمى من أبناء الخليج مغـادرة أوطانهم خلال فترة الصيف والتـوجه الى بلاد أخف حـرارة وأطـرى هـواء مـن مناطقهـم الشـديـدة الحرارة، وذلك لعـاملين رئيسيين أولهما عدم توفـر المادة المالية وثانيهما لما توفرت المادة الماليـة عند بعضهم منعهم نشـوب الحرب الممتدة من سنـة ١٩٣٩م الى ١٩٤٥م من مزاولـة ذلك. غير انه ما كادت تضع الحرب أوزارها وتتوفـر السيولة المالية بسبب تدفق النفط حتى تشوفت أنفس العـديد منهم الى التوجه الى جهات مختلفة هـربا من شدة حر الصيف وحبـا في الفسحة والاطلاع والتمتع بـالخيرات المعيشية الكثيرة غير المتوفـرة لديهم آنذاك في منـاطقهم. فتوجهـوا الى العراق وايران ومصر وسـوريا وبالأخص الى لبنـان فاكتظت بهم الفنـادق والمحلات السكنية الأخـرى. ومع مضي الأيـام والسنين ازداد تـدفقهم على تلك المنـاطق واقتنـى بعضهـم مسـاكن لهم في بعض هـذه البلدان خـاصة لبنـان. غير ان القلة القليلـة منهم في ذلك الـوقت سعى للتـوجـه الى أوروبا وأمـريكـا وظل عـدد المتوجهين الى أوروبـا محدودا، ويزداد بصـورة تدريجية الى ان نشب الاقتتال في لبنـان في عام ١٩٧٥م فـاضطـروا الى تغيير وجهتهم. وكـان التوجـه الى أوروبـا أكثـر ميـلا، وكنت وعائلتي مـن جملة من سار على هـذا المنوال بالاضـافة الى اتباع وسـائل أخرى اضافية لزيادة الاستمتاع بعطلـة الصيف. اتبعت بصحبة عائلتي وسيلة السفر بالبحر هذه ابتداءً من الستينات حيـث كنا نخطط لكل صيف رحلة بحرية في منطقـة مختلفة عن غيرهـا. فكنا بعـد الإقامـة البسيطة في لبنـان ومصر نستقل باخرة سيـاحية تتوقف في عدد من مـوانىء البلدان المختلفة، وكانـت ميزة هذه الرحـلات البحريـة المتعة والاطـلاع علاوة على التسهيـلات في دخول البلـدان المختلفة. فـلا حاجـة الى فيزة أو معـاملة جمركيـة أو اختيار فنـدق للسكن أو التنقل من فندق لآخر مما يحتاج الى اجراءات بعضهـا مملة متعبة. فوجودنا على ظهر الباخرة يغطي كل هذه الأمـور ناهيك عن الحاجة لحزم الأمتعة أو نقلها.


المؤلف راشد الزياني وقرينته في باخرة كوين إليزابيث الأولى — *QE I*

وكانت رحلات هذه البواخر السياحية مرتبة ومصممة بحيث تمنح ركابها جميع أسباب الراحة والمتعة فهي مزودة بكل ما يحتاجه المسافر من وسائل تسلية واستمتاع كما انها تضع منهاج سيرها بين الموانىء غالبا أثناء الليل عندما يكون الركاب قد خلدوا للراحة والنوم.

وما يكاد يشرق نور الصباح حتى تكون الباخرة قد دخلت ميناء جديدا وألقت مرساها فيه. بعد الإفطار يستعد الركاب للنزول الى البر ليقضوا نهارهم في زيارة معالم تلك المدينة وما حولها من متاحف وقلاع ومحلات أثرية فضلا عن التسوق في أسواقها واقتناء ما يريدون اقتناءه ويعود بعضهم لتناول الغداء بالباخرة أو يكتفون بأكلة بسيطة اعتمادا على ما سيقدم لهم على ظهر الباخرة فيما بعد من أكلات لذيذة متعددة ومتنوعة.

كانت رحلة الاصطياف البحرية الاولى في صيف سنة ١٩٦٤م حيث استقليت بصحبة زوجتي الباخرة «كوين اليزابث» الاولى من ميناء سوث هامبتون البريطاني الى نيويورك مارين بميناء «شيربورج» الفرنسي ومتوقفين به لبعض الوقت لاخذ ركاب آخرين.

استغرقت الرحلة الى ميناء نيويورك خمسة أيام كانت من اجمل السفرات نظرا لفخامة الباخرة وسعة غرفها وقاعاتها ووسائل الترفيه الممتعة والمريحة المتوفرة فيها فمساحة قاعة الطعام المخصصة لركاب الدرجة الأولى في الباخرة لا تقل عن مساحة اكبر قاعة فندق من الفنادق الكبرى وينطبق ذلك على الغرف والقاعات الاخرى وكنا لا نشعر اننا في سفينة تسير في عرض البحر بل في فندق فخم يحتوى على ما لذ وطاب وما تشتهي الانفس.

واذكر اني في احد الأيام وأثناء تناول الغداء في المطعم اردت ان امتحن رئيس المطعم عندما قدم لي لائحة الطعام وهو يقول «تفضل يا سيدي اطلب من هذه القائمة ما شئت (وكانت اللائحة مكونة من ثلاث او اربع صفحات) او اذا لم يعجبك ما جاء فيها، اطلب أي أكلة تختارها حسب ذوقك وشهيتك فبإمكاننا تحضيرها لك»، سيما وانه كان يكرر هذا القول في كل وجبة نحضر فيها للمطعم، اردت هذه المرة ان اتحداه واختبر صدق قوله -

قلت «اقبل بعرضك واختار لغدائي هذا اليوم رز بسمتي ومرقة ربيان (١) يطبخ حسبما اعتدنا عليه في بلادنا البحرين» اجاب «سمعاً وطاعة» وقال «تشترط رز بسمتي (٢)، انا متأكد انه موجود في مخزن الباخرة». توجه بعدها الى المطبخ وبعد بضع دقائق عاد ليقول لي «حسنا امهلنا ١٥ دقيقة وستجد ما طلبت حاضرا بين يديك». فعلاً احضر الأكل حسبما طلبت وفي المدة التى قررها ثم طلبت نوعا خاصا من فاكهة المنجه وهو النوع المسمى باطرافنا «الحافوزي» ألذ وأحلى انواع المنجه فتردد وهو يتذكر الاسم ولكنه في النهاية اهتدى اليه وأحضره لنا. هكذا كانت الرفاهية في هذه الباخرة.

بعد العشاء في كل ليلة كنا نجتمع في قاعة فسيحة اخرى مجاورة لغرفة الطعام حيث تقدم القهوة وفي نفس الوقت تجري العاب المراهنة على سباق خيل خشبية تحرك حسب الارقام التى تلتقط من صندوق جانبي، وصادف ان ربحنا عدة مرات في هذا السباق مما جعل احد الموجودين معنا في القاعة يتقدم لي ولزوجتي ويقول انه مستعد ليدفع «خلو رجل» للطاولة التى نجلس عليها لانها جدا محظوظة.

استقمنا في نيويورك خمسة أيام بارحناها بالسيارة الى مدينة بتسبورج وصادف وصولنا اليها ذلك اليوم وصول فرقة البيتلز BEETLES الانجليزية المشهورة آنذاك لأول مرة واهتمام الناس الشديد بمقدمها واحياء حفلتها فيها.

توجهنا بعد ذلك الى كلايفلاند ومنها الى ديترويت المدينة الصناعية العظيمة والمطلة على البحيرات التى تفصل امريكا عن كندا والمرتبطة بنهر يمتد بينها. بعد يومين عبرنا النهر بسيارتنا متخذين النفق المار من اسفله. في الجانب الآخر - أي جانب كندا - سألنا احد موظفي الحدود عن وجهتنا قلنا مدينة مونتريال بكندا فلم يطلب الكشف على جوازاتنا او يسأل عن وجود فيزا لدخولنا كندا. توجهنا بالسيارة الى شلالات نياغارا الشهيرة حيث وصلناها بعد سياقة تسع ساعات مررنا خلالها بقرى ومزارع جميلة تخلب الانظار.

---

(١) (قريديس) نوع من السمك الرخوي

(٢) الرز من النوع البسمتي لم يكن يعرف في ذلك الزمان في أوروبا بل اقتصر استعماله في أطراف الخليج

منهـا توجهنـا الى مـدينة تـورنتـو ثم الى مـونتريال حيـث استقلينا الطـائرة عـائدين الى بريطـانيـا فرحين بما منَّ الله علينـا من فـرجة جميلـة ومتعة حسنـة حامـدين المولى وشاكرينـه تعالى على ذلك. وقد أعـدت هذه الرحلة البحـرية على ظهـر البـاخـرة كـويـن إليـزابيث ٢ - Queen Elizabith 2 في صيف عـام ١٩٧٤م بصحبة بعض أفراد عائلتي.

الرحلة الثـانية: بدأت رحلتنا الثانية من البحرين في صيف عام ١٩٦٨م حيث توجهت والعـائلة الى لبنان، وبعد اقامتنـا فيها عدة أيام تـوجهنا الى اسطنبول بتركيا ونزلنا في فندق هيلتـون المطل على البسفور حيث استمتعنا بالجو الجميل والأكل التركي الشهـي، كما تفرجنـا على قصـور ومساجـد اسطنبـول الاثريـة الجميلة وعلى مناظرهـا الخلابة وتجولنا في اسواقها الفخمة خاصـة سوق الذهب والمجوهرات وقد وجدنا معاملة الاتراك ومـلاقاتهم للاغراب جميلة حسنة خاصة اذا كان الغريـب عربياً، فقد لاحظنا انهم عنـدما يوجهون الينـا السؤال المعتاد «من أين أنتم؟» فنقول «من البحـرين». يعودوا ليسألونا «هل البحـرين قريبة من مكـة؟». فبطبيعة الحال نسهل الاجـابة فنقـول «نعم». عندهـا تظهر على وجـوههم عـلامـات البهجـة والسرور متبـاركين بـوجـودنـا بينهـم، ذلك لأن اتصالاتهم في تلك السنين بالاماكن المقـدسة كانت محدودة وغير متيسرة وسهلة كما هى عليه اليوم.

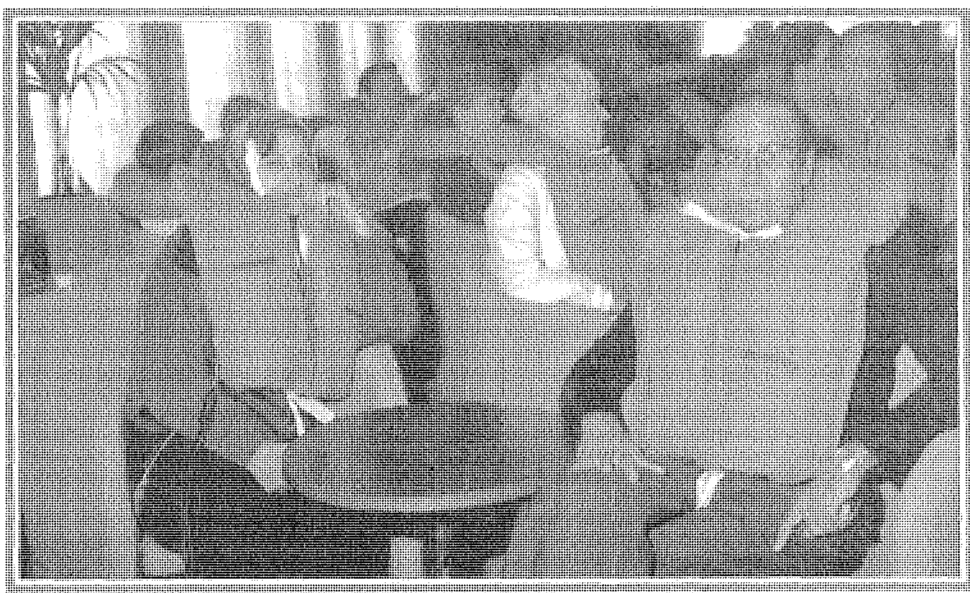
من تركيا توجهنا الى فيينا عاصمـة النمسا، وبعد ان مكثنا فيها لبضعة أيام وزرنا معالمهـا التاريخية والحضارية غـادرناها الى روما حيث مكثنـا فيها لبضعة أيام بعد ذلك غادرناها الى لندن.

بدأت رحلتنـا البحريـة الثانيـة من بيروت الى ايطاليـا مارين بمـوانئها على ساحل الادريـاتيك حتى مدينة البنـدقية حيث بقينا فيهـا بضعة أيام وتـوجهنا بعدها بالقطار الى باريس ثم الى لندن.

اثناء اقامتنا في الفندق بروما لفت نظرنا شخص بدين أصلع الرأس كامل الصلع الا من شعيرات خفيفة حـول أذنيه، مع هذا فهو قد صـف امامه على منصة متـوسطة الحجم أعدادا مختلفة حجماً وشكـلاً من امشاط الشعر عـارضاً



المؤلف راشد الزياني وبجانبه ابنته الدكتورة نجاح وأمامه قرينته
وعن يمينها ولده زايد عل ظهر الباخرة - Q. E. 2



المؤلف راشد الزياني وقرينته على ظهر إحدى البواخر
خلال تمرين بحري بلباس الإنقاذه

بيعها في بهو الفندق الفسيح الأمر الذى يدعو للتساؤل والاستغراب، خطر ببالي مرة ونحن نمر بمنصته اغنية ترنمت بمطلعها بصوت مسموع تقول «والشعر الجميل»، فما كان من صاحبي الا ان فاجأني بقوله بالعربية «ازّيك يا بيه!». أسرعت الخطى مبتعداً خجلاً ألوم نفسي فلم اكن أتصور ان يكون البائع عربياً مصرياً بل ظننته ايطالياً، وتحاشيت بعد ذلك ان أمر بمنصته حتى بارحنا الفندق.

وكانت الرحلة البحرية الثالثة في سنة ١٩٧١م حيث استقليت وعائلتي باخرة المانية من همبرج بألمانيا مارة ببولندا ثم لينين غراد بروسيا ثم فنلدا ثم السويد عائدة الى الدنمارك. وقد استغرقت هذه الرحلة تسعة أيام شملت كل الموانىء المهمة والمشرفة على بحر البلطيق.

في أثناء توقف الباخرة في ميناء بولندا المشهور «كدنسك» ببولندا، وقبل أن ننزل الى البر للفسحة، حدثت لي هذه الحادثة التي كادت تعكر صفو سفرتنا الممتعة وربما أرغمتني على الانفصال عن عائلتي بسبب تعسف الشرطة البولندية لم ينقذني حمدا لله منها إلا ناصر: فقد كنت أقوم بتصوير عائلتي في مواقف مختلفة على ظهر الباخرة فاذا بأحد رجال الشرطة يستدعيني ويطلب مني أن أرافقه الى صالون الباخرة. ولما دخلته وجدت عددا يتجاوز الخمسة عشر شخصا بعضهم بلباس عسكري وآخر مدني قد اصطفوا لمحاكمتي أو التحقيق معي. وكان سؤالهم يتركز على أخذ الصور وكان كلامهم قاسيا ولغة المترجم الذي كان يحاول الترجمة باللغة الانجليزية لا يكاد يفهم منه إلا بعض كلمات مفردة. استنتجت من سؤالهم عن موطني فقلت البحرين فالتفت كل واحد منهم الى الآخر كأنه يستفسر منه عن مكان البحرين في العالم. ولما لم يستطيعوا معرفة مكان البحرين أعادوا السؤال فقلت «الخليج العربي» فزادت حيرتهم وبدأت التمتمة بينهم لعدم معرفة المكان. سلمت لهم آلة التصوير والفيلم الذي فيها رغبة باقناعهم ببراءة ما كنت أصوره ولكن ذلك لم يرح بالهم بل زادوا في عنفهم وغلظتهم وأعادوا تكرار السؤال. قلت أنا «عرب» كذلك لم يرقهم ذلك وألحوا في السؤال، هنا خطرت لي فكرة: كانت علاقات الدول الشيوعية في تلك الايام مع مصر على أحسن ما يرام وفي أعلى درجاتها

فقلت بصوت جهوري «ناصر» ورددتها مرات عديدة «ناصر - ناصر»، وإذا بالجميع فجأة يتحولون من قسوتهم الى وداعة واحترام ويرددون معي «ناصر - ناصر» وأنا أقول نعم «ناصر» عندها تبادلوا الكلمات مع بعضهم البعض ثم سمحوا لي بالخروج وحتى آلة التصوير والأفلام تركوها معي ولم يهتموا بأمرها بل عاملوني معاملة حسنة. خرجت من محفلهم القاسي البشع لأجد عائلتي في حالة فزع وقلق وقلت «جزاك الله خيرا يا عبدالناصر لقد أنقذتني من وحشية الوحوش» كان يرافقني في هذه التحقيقات أحد ضباط الباخرة الألمانية وقال لي عند خروجي من مجلسهم «احذر ان تذهب الى بولندا في وقت لاحق فاسمك الآن قد وضع في اللائحة السوداء» نزلنا بعد ذلك الى البر للتفسح في البلدة فوجدناها بلدة عاثرة شعبها في حالة من الفقر والفاقة لا تكاد توصف. وكان يلاحقنا بين حين وآخر شباب في مقتبل أعمارهم اذا اقترب أحدهم منا تلفت يمنة ويسرة وقال بصوت خافت «سيكرت - سيكرت» أي يطلب سيجارة. كان الوقت صيفا والجو حارا ذلك اليوم وعند مرورنا على محل لبيع الأيسكريم طلب مني ابني الصغير آنذاك آيسكريم فأخبرني دليلهم المرافق لنا وهو يلوح بوجهه جانبا من الخجل عدم امكانية شراء ذلك من قبل الأجانب، عدنا للباخرة بعد وقت قصير لعدم وجود ما يمكن شراؤه أو التفرج عليه وغادرنا تلك البلدة الحزينة بشعور الأسى والحزن.

من «كدنسك» توجهنا الى مدينة «لينين غراد» الروسية ولما دخلت الباخرة تتهادى ميناءها لم نجد في هذا الميناء الكبير إلا عددا قليلا من البواخر. وقبل نزولنا ذلك المساء حيث كان مقررا ان نذهب الى مسرح يعرض أحدث رقصات الباليه الروسية التي اشتهروا بها، وكنا قد ارتدينا أشيك ملابسنا فاجأنا المسئول بالباخرة بقوله «أنصحكم عدم ارتداء الملابس الفاخرة في هذه البلاد فانكم ستكونون موضع استغراب وفضول إذ لن تجدوا أحدا يلبس ملابس فاخرة فيها». قبلنا بنصيحته وعدنا الى غرفنا لتغيير ملابسنا بملابس عادية غير ملابس السهرة. وفعلا عندما نزلنا شاهدنا ما ذكره المسئول فالناس يرتدون ملابس حقيرة وبسيطة. ومع ان المسرح جميل وضخم بني في أيام

القياصرة الا انه تـرك مهملا من الصيانة والترميم، فستـائره ممزقة وكراسيـه بالية اما رقصات الباليـه فكانت من أروع ما شاهدنا رغم وجـوم المشاهدين الروس وبؤس نظراتهم.

أثناء نـزولنا من البـاخرة وقف على جـانبي السلم ضابطـان يفحص الأول جـواز السفر بكل دقـة وحـذر بعد أن يلقـي بنظراتـه الفـاحصة على صـاحب الجواز ويكـررهـا ثم يعطي الجواز للشخص المقـابل لـه على السلم ليكـرر مـا فعله زميلـه مع العلم بأننا سنـذهب في سيارة بـاص تأخذنا مـع مرافقين منهم الى المسرح وتعود بنا الى البـاخرة دون أن يؤذن لأحد من المسـافرين التجول في المدينة أو حـول المسرح: والأسوأ من هـذا اعادة هذه الاجـراءات عند عـودتنا للباخرة في منتصف الليل رغم مقاساتنا لشدة البرد في تلك الساعة المتأخرة.

لقد وجدنـا مدينة لينين غراد جميلـة ذات شوارع طويلة وعـريضة انما غير مـرصوفـة رصفـاً جيداً يحس بـه الانسـان أثنـاء سير الباص. كما يخترقهـا نهر عريض ولم نشاهد فيها بناية جديـدة إلا واحدة اما الباقي فكانت من بقايا أيام القيـاصرة. كان كل مسـافر قـد استعد لشراء هـدية أو تحفـة أو شيء يذكـره بزيـارة المدينة غير انـه لم نجد ما يمكـن شراؤه ولا حتى ما يسمى «سـوفانير».

بعد يومين تركنـا لينين غراد الحزينة وتوجهنا الى هلسنكي بفنلنـدا وحالما بارحنا ميناء لينين غراد الروسية جاءنا المسئول بالبـاخرة وأعاد الينا جوازاتنا وهو يقول «أنتم من الآن فصـاعدا أحرار تستطيعـون النزول من الباخـرة الى الموانيء التي سنصل اليهـا دون مراقبة أو منـاشدة» ويعني بـذلك مـوانيء فنلندا والسـويد والـدنمارك التي سنمـر بها بعـد لينين غراد. وهكـذا شـاهـدنـا الحرية عنـدمـا التصقت البـاخـرة بميناء هلسنكي في فنلنـدا حيث وجـدنـا سيارات التـاكسي بجانب البـاخرة تأخذ السواح الى حيث يشـاؤون دون رقيب أو حسيب، ومن فنلندا تـوجهنا الى استكهولم بـالسويد، ومنهـا الى كوبنهاجن بـالدنمارك حيث قضينـا أجمل الأوقات وتفسحنـا بكل حريـة وأمـان. استغرقت رحلـة البلطيق هـذه ٩ أيـام كـانت هـذه الـرحلـة كما ذكـرت آنفا في صيـف ١٩٧١م ولكني والعـائلة أعـدنـا سلوك نفس هـذه الـرحلة في عـام ١٩٨٧م فـلاحظنا الفـرق

الشاسع الكبير بين ما شاهدناه في الماضي في لينين غراد وما شاهدناه في الحاضر مما سأتطرق اليه وأشرحه فيما بعد.

وكانت رحلتي البحرية الرابعة في سنة ١٩٧٢م حيث استقليت وعائلتي الباخرة من ميناء جنوا بايطاليا وتوجهنا الى كورسيكا الفرنسية وفيها شاهدنا مسقط رأس نابليون الشهير وبيته، ثم توجهنا الى بالما الاسبانية حيث تفسحنا فيها وتمتعنا برؤية شواطئها المزدحمة بالمصطافين من جميع أنحاء أوروبا، ثم توجهنا الى ميناء الاكنتي باسبانيا حيث تفرجنا خلال توقفنا فيها على قصر الحمراء بغرناطة وعلى المآثر والقصور الاخرى التي بناها العرب فيها أيام احتلالهم الاندلس، ومنها توجهنا الى ملقا (الاسبانية) ثم الى لشبونة عاصمة البرتغال ثم الى جزر (الازور) في وسط المحيط الاطلنطي، ومنها الى جزر الكناري التي يطلق عليها العرب في تواريخهم اسم «جزر الخالدات». وتتكون جزر الأزور هذه من صخور بركانية وينابيع مياه معدنية أو كبريتية حارة، اما جزر الكناري فمع ان بعضها يتكون من صخور بركانية، الا ان غالبيتها جزر سياحية جميلة يرتادها السواح من جميع أنحاء العالم لاعتدال جوها ولدفئها في الشتاء بالنسبة لساكني البلاد الباردة من الأوروبيين وغيرهم. وقد استغرقت رحلتنا هذه خمسة عشر يوما استمتعنا فيها بأيام حلوة جميلة ناهيك عن مشاهدتنا بلداناً ومناظر جميلة بحرية وبرية.

والرحلة البحرية الخامسة بدأتها مع العائلة أيضا من لندن الى مدريد عاصمة اسبانيا بالطائرة ثم منها بالقطار الى مدينة قرطبة ومن قرطبة توجهنا الى ساحل اسبانيا الجنوبي وعبرنا مضيق جبل طارق الى طنجة بالمغرب. ومن طنجة استأجرنا سيارة الى الدار البيضاء مارة بعدة مدن وقرى كان من بينها العاصمة الرباط ولكن أعجب ما شاهدنا في رحلة هذه السيارة مرورنا بقرية كتب على مدخلها «البحرين» ولما سألنا السائق هل هذا هو اسم القرية قال «نعم»، استقلينا الباخرة بالدار البيضاء بالمغرب وبعد ان توقفنا لمدة وجيزة بجبل طارق توجهنا الى جزيرة صقلية حيث شاهدنا في أحد أقبية كنائسها مقبرة بشر مفتوحة تحتوي على عدد كبير من الجثث البشرية لرجال ونساء

وأطفـال حنطت جثثهـم وهم بمـلابسهم وتـركـوا هكـذا في العـراء لا يحويهم تابـوت أو قبر بعضهم ترك منبطحـا والبعض ترك واقفـا أو مستندا الى الجدار. منظر يقشعر منـه البدن وتكره رؤيته النفس. منهـا توجهنا الى نابولي بـايطاليا ثم سواحل اسبانيا الشرقية ثم مدينـة ملقا باسبانيا ثم القسم الشمالي الغربي من اسبانيا بعد أن توقفنا في لشبونة عاصمة البرتغال.

كان سفرنـا هذا على باخرة امـريكية كبيرة يتجاوز عدد ركـابها ثلاثة آلاف شخص. اعتاد الـركاب على أن يجتمعوا بعـد العشاء في قـاعة كبيرة خصصت للسينما والتمثيل المسرحي حيـث كان يلقي عليهم استـاذ جـامعي من جامعـة «هارفرد» الأمريكية الشهيرة محاضرة عن تـاريخ البلاد والمدينة التي ستصل اليها الباخرة نهار الغد مـوضحا تاريخها القديم والحديث ومرشـدا للمحلات الأثرية والتاريخيـة التي يقترح زيارتها أثناء تـواجدهم في تلك المدينـة. في الأمسية التي توجهنا فيها من نابولي الى اسبانيا بـدأ المحاضر كلمته بقوله انكم غدا ستنزلون في اسبانيا حيث ستشاهـدون معالمها التاريخية القديمـة وواصل محاضرته متطرقا الى تاريخ حكم العـرب لاسبانيا وفاه بهذه العبارة «لقد حكـم العرب الأندلس مدة ثمانية قـرون واستطاع الاسبان اخراجهم من اسبـانيا إلا ان الاسبان لم ولن يستطيعوا إخراج الدماء العربية التي تجري في عروقهم».

امـا محاضرته الثـانيـة فكانـت عندمـا كنا متـوجهين من لشبـونـة عاصمـة البرتغال الى المنـاطق الشمالية الغـربية من اسبـانيا المطلـة على المحيط الاطلنطي قال «انكم ستشاهـدون غدا في هذه المنطقة أجمل نساء أوروبـا كما ستشاهدون كنيسـة (سنتياجـو) التاريخيـة الشهيرة»، ثم بدأ يـروي لنا قصـة وتاريخ هـذه الكنيسة فقـال «احتل العرب هـذه المنطقة لعـدة سنوات ولكن الاسبـان بقيادة (تياجـو) اخرجـوهم منهـا وبقيت لبضع سنين خاليـة من احتـلال العرب، في هـذه الاثناء مـات القـائد (تيـاجو) فـاعتبره الأهـالي قديسـا لكـونـه تمكن من التغلب على العـرب الأقوياء آنـذاك في هذا القسم من اسبـانيا فشيـدوا له قبرا خـاصـا بداخـل كنيسـة متميزة، كما انـه في تلـك الأيام (والكـلام للمحـاضر الأمـريكي) تعـذر على الأوروبيين زيـارة بيـت المقـدس بفلسطين فـاتخذوا من

زيارة هذه الكنيسة بديلا لزيارة بيت المقدس». ثم مضى في حديثه يقول «ومضت الأيام والسنون وإذا بالعرب يعيدون غارتهم على هذه المنطقة ويحتلونها ثانية بكاملها ولكن الله سلم فلحسن الحظ لم يهدموا الكنيسة أو يدمروا قبر سنتياجو». الواقع اني لما سمعت كلامه هذا فار الدم في جسمي فلم تتمالك نفسي من تفنيد كلامه المغلوط وبادرت برفع يدي عالية وانه ما كاد يلاحظ يدي مرتفعة حتى أوقف تعليقاته مبديا الدهشة والحيرة ولما واصل نظرته الي التفت عدد كبير من الحاضرين نحوي ثم قال «هناك شخص يرفع يده عاليا» ثم دعاني للقدوم الى حيث كان يقف ليحاضر ولما حضرت سألني أمام الميكرفون «ما الحكاية؟» قلت له «قولك انه لحسن الحظ العرب لم يعبثوا أو يدمروا الكنيسة والقبر قول مغلوط من أساسه، ان ذلك لم يحدث بمجرد الصدفة وحسن الحظ كما ذكرت، بل كان معلوما ومقصودا فان العرب المهاجمين مسلمون ودين الاسلام لا يبيح بل ويحرم التعرض لمعابد أهل الكتاب - اليهود والنصارى - وإذا كنت قد قرأت التاريخ صحيحا فلابد انك اطلعت على تعليمات الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما وجه حملة من جيش المسلمين الى بيت المقدس وما ذكر فيما يسمى بالأمر اليومي (ORDER OF THE DAY) الى جنودها في هذا الخصوص فهل اطلعت على ذلك؟» أجاب «كلا لم أطلع» وطلب مني أن أوضح فقلت «انه قال في ذلك الأمر لجنودها (ستمرون بمعابد يهودية ونصرانية في طريقكم وستجدون بها متعبدين فلا تتعرضوا لهم أو تمسوهم بسوء فهؤلاء أهل الكتاب) كما انه لما احتل العرب بيت المقدس بعد ذلك وخطر لبعضهم تحويل كنيسة القيامة الموجودة هناك الى مسجد منعهم الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأمرهم ببناء مسجد قربها وهو المسجد القائم اليوم في بيت المقدس». ذهل المحاضر واشرأبت أعناق السامعين من كلامي وقال «اني لم أقرأ ولم أسمع عن هذا من قبل» فسألته «من أين استقيت معلوماتك التاريخية؟» فقال «من كتب حفظت في مكتبات أمريكا». (فلابد ان أعداء الاسلام عبثوا بها) على كل شكرني وأخذ يفسر كلامي للحاضرين وكلهم آذان صاغية.

في الصباح نـزلنا الى البر وفعلاً وجدنـا ولاحظنا ما ذكره المحـاضر بأن هذه المنطقة فعـلاً بها أجمل الجميلات في أوروبـا. بعدها تـوجهنا الى شمال فـرنسا فنزلنا في لاهافر (Lehavre) ثم توجهنا الى انجلترا حيث نزلنـا وتفرجنا في جزر جرسي البريطانيـة المحاذية لفرنسا، ومنهـا توجهنا الى ساحل بريطـانيا الجنوبي حيث بارحنا الباخرة في ميناء سوثهمبتون البريطاني.

وفي صيـف ١٩٨٦م استقليت والعـائلـة للمـرة الخامسـة البـاخـرة مـن كوبنهـاجن عاصمـة الدنمارك الى مينـاء برجن النـرويجي ثم منه تـوجهنا شمالا نحـو خلجـان النرويـج الشمالية التـي اشتهـرت بها تلك البـلاد حيث كـانت الباخرة تسير مسافات طويلـة تحف بها من الجانبين جبال شاهقة خضراء جميلة تناثـرت عليها بيـوت وفلل جميلة ويضيق الخليج ويتسع بين حين وآخـر حتى انك تشعر أحيانا وكأن الباخرة تكـاد تحتك بجانب الجبل من ضيق الممر الذي تمر به. وأذكر ان آخر خليج مررنا به استغـرقت الباخرة في سيرها فيه أكثر من ١٢ ساعـة وبقينا والغالبيـة العظمى من الركاب نتفـرج على ما تمر به البـاخرة من مناظـر خلابة على جوانب هذا الخليـج الطويل حتى الساعة الـواحدة ليلا عنـدما بـدأت الشمس في الغـروب عندهـا خلد الجميـع للراحـة والنوم، امـا الباخرة فظلت تمخر مياه الخليج الى ان وصلت نهايتـه في الصباح الباكر. وبعد تناول الفطـور، نزلنا الى البر وصعدنـا الجبل ولما وصلنا اعلاه والتفتنا لنشـاهد باخرتنا تراءت لنا وكأنها أحد القوارب الصغيرة في أسفله. من هناك توجهنا في بـاص الى قريـة صغيرة حيث تغـدينا في مطعمهـا الجميل المنسق، واستمتعنـا بشراء بعض الهدايـا. وقـد أخبرنـا الدليـل ان هذه القـريـة تنقطع المواصـلات البرية والبحرية عنها خـلال فصل الشتاء بسبب الثلوج ولمدة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر وان هناك قرى أخرى تتعرض لمثل هذا الانقطاع.

في العودة تـوقفت الباخرة في مـدينة اوسلو عـاصمة النرويـج حيث مكثنا فيها نحو يوم كـامل عدنا بعدها الى كوبنهاجن بـالدنمارك على نفس الطريق، بعـد ان توقفنـا لبضع سـاعات في جـزيرة خضراء جميلـة كلها روعـة وجمال. وكانت باخـرتنا هذه مزودة بكل وسائل الراحـة والتسلية كما كان بها سوق لمن أراد التسوق وبركة سباحة وقاعة ألعاب مختلفة.

في الرحلة البحرية السادسة خلال صيف ١٩٨٧م، أي بعد مرور ست عشرة سنة على رحلتنا البحرية الثالثة التي كانت في ١٩٧١م المشار اليها آنفا، خطر لنا أنا وزوجتي استعادة ذكريات تلك الرحلة المتعبة لروسيا بعد أن علمنا ان الأمور قد تغيرت في الاتحاد السوفيتي. فأخذنا الباخرة من كوبنهاجن بالدنمارك وتوجهنا الى لينين غراد الميناء الروسي الكبير الواقع على بحر البلطيق والذي كنا قد زرناه في السفرة الثانية في عام ١٩٧١م. لاحظنا ان أغلب ركاب الباخرة هذه المرة من الأمريكيين بخلاف الرحلة السابقة التي لم يكن معنا بها أمريكي واحد. قبل دخولنا الميناء تمر السفينة عادة في خليج طويل عريض انما يجب أن يكون مسارها في ممر مائي ضيق تحدده علامات على الجانبين ويشرف على قيادة سيرها في هذا المضيق المائي قبطان روسي يقودها بعد أن يعتلي سطحها عند مدخل الخليج بدل قبطانها المعتاد وكان يشاطره في القيادة ضابط روسي آخر ويستغرق سيرها في هذا الخليج المائي حوالى ٦ ساعات قبل أن تصل الى ميناء لينين غراد. عند شروعنا في دخول الميناء الذي شاهدناه ينعق فيه البوم في سفرتنا السابقة قبل ست عشرة سنة مضت، وجدناه هذه المرة يعج ويموج بالبواخر والسفن المختلفة التابعة لبلدان متعددة ناهيك عن السيارات الكثيرة والبضائع المختلفة المكدسة على جانبي المرفأ في انتظار تصديرها للخارج. عند وصول الباخرة الى المرفأ المخصص لها عزفت فرقة موسيقية قابعة على الرصيف معزوفة جميلة ترحيبا بقدوم الباخرة وسواحها اتبعتها بأخرى الى ان التصقت الباخرة بالرصيف النظيف المعد لها. وكان نزولنا من الباخرة سهلا ميسرا لم نجد على سلالمها أي شرطي أو مفتش كما حدث لنا في السفرة الماضية. وفي المحطة قوبلنا بالترحاب والابتسامات ووجهنا الى مواقف الباصات وكانت حديثة ونظيفة بخلاف ما شاهدنا واستقلينا سابقا. كان المقرر ان تأخذنا الباصات الى مسرح يعرض رقصات الباليه التي اشتهر بها الروس فاذا بها توصلنا الى فندق جميل بني حديثا شيد بداخله مسرح جميل صمم على أحدث طراز وأثث أحسن تأثيث مقاعده وثيرة وستائره بديعة الألوان والأشكال وخدماته ممتازة، وحتى

رقصات الباليه لم تكن كما شاهدنا في الرحلة السابقة رقصات قديمة بل كانت ايقاعات بعضها حديثة جذابة تطرب الأسماع وتهز المشاعر.

في السفرة السابقة لم يسمح لنا إلا بزيارة مسرح الباليه، انما في هذه الرحلة وبعد زيارة هذا الفندق ومشاهدة العرض، اصطحبنا في اليوم الثاني للتجول في المدينة ثم التوقف في فندق آخر والاستمتاع بغداء حوى أنواعا عديدة من الأطعمة اللذيذة وسط قاعة كبيرة تتوسطها فرقة موسيقية تطرب أسماع الحاضرين بأنغامها الموسيقية الجميلة وبغناء فتياتها الرشيقات. بعد الغداء توجهنا لمشاهدة قسم من معروضات متحف من أجمل المتاحف في أوروبا حوى العديد من الصور والرسومات والتحف النادرة وقد استغرق تجوالنا في هذا القسم من المتحف حوالى ثلاث ساعات، اما أقسام المتحف الأخرى فلم يتسع الوقت للاطلاع عليها اذا أدركنا ان القسم الذي تجولنا فيه لا يتجاوز ربع المتحف بكامله. بعد ذلك اصطحبنا الدليل الى السوق حيث دخلنا سوقا حديثة شملت بضائع ومعروضات روسية وأجنبية كما حوت تحفا ومصنوعات روسية مختلفة حيث تسوقنا بحرية تامة.

في اليوم التالي بارحنا الميناء مودعين أجمل توديع فرحين بما شاهدنا وما استمتعنا به في هذه المدينة الجميلة مدينة لينين غراد، وكانت وجهتنا مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا، ومنها الى استوكهولم عاصمة السويد ثم الى جزيرة صغيرة في وسط بحر البلطيق، ومنها عدنا الى كوبنهاجن بالدنمارك. في أثناء وجودنا في كوبنهاجن طاب لنا ان نتوجه الى برلين وقد ذكرت تفاصيل الرحلة لزيارة برلين في مكان آخر من هذه الذكريات.

وفي صيف عام ١٩٨٩م كنت أنا وزوجتي قد عقدنا النية على ركوب البحر والسفر الى جزيرة آيسلندا القريبة من القطب الشمالي الا انه مع الأسف حدث ما دعانا لتأجيل ذلك واقتصرنا الرحلة على زيارة بعض المعالم الأثرية والتاريخية في بريطانيا. توجهنا بالسيارة من لندن الى شمال مقاطعة ويلز حيث حططنا الرحال، بعد سياقة أربع ساعات ونصف، في مدينة ساحلية تدعى «لنددنو» وهي مدينة ذات ساحل جميل تقع على سفوح جبال خضراء شاهقة

يؤمها السواح والمصطافون لروعة موقعها ووجود جميع أنواع التسلية والألعاب لأطفالهم فيها. ثم بعد يومين توجهنا أيضا، بالسيارة، الى بلدة تدعى «لانكستر» اشتهرت بقلاعها وبيوتها القديمة بعد أن مررنا في طريقنا بمنتزه «بلاك بول» الشهير الواقع على ساحل البحر قبالة ايرلندا.

في أثناء نزولنا بالفندق في مدينة «لانكستر» شاهدنا قلعة قريبة من الفندق فصممنا على زيارتها بعد تناول الغداء للفرجة والاطلاع. عند وصولنا الى باب القلعة وجدنا بوابتها مغلقة وقد اصطف عدد من الرجال والنساء والأطفال في طابور أمام البوابة. اقتربت من البوابة وقرأت قطعة كتب عليها تفتح الساعة الثانية ظهرا أي بعد نصف ساعة من حضورنا، فبدا لنا ان نتمشى حول القلعة ريثما يحين وقت افتتاحها. وعندما عدنا، وما كدنا نصطف في نهاية الطابور، حتى فتحت البوابة إيذانا بالدخول، في هذه الأثناء التفت من هم في مقدمة الطابور نحونا ولما لاحظوا اننا أغراب طلبوا منا ان نتقدم عليهم بالدخول الى القلعة. شكرناهم معتبرين ذلك لطفاً وكرماً منهم، فأهل القرى في كل مكان طيبون. سرنا في دهليز القلعة الى طرفه الآخر حيث كان يجلس رجل الى طاولة عادية. عند وصولنا الى مكانه أخرجت محفظة نقودي لأدفع أجرة الدخول كالمعتاد وسألته «كم أدفع عني وعن زوجتي» وأنا أقدم له ورقة نقدية من فئة عشرة جنيهات أخذها من يدي بينما كان مكباً رأسه على الطاولة يتطلع في رزمة أوراق أمامه، ولما رفع رأسه وشاهد الورقة النقدية أظهر الدهشة وقال «ما هذا؟» قلت «خذ منه أجرة الدخول» قال «ولماذا؟» هنا حدثت فترة صمت منه ومني لم تستغرق طويلا قال على إثرها «لا حاجة لدفع مبالغ هنا فقط أعطني ورقة الاذن». لم أفهم ما يقصد فسألته «من أين أحصل عليها بالله دلني عليها». هنا قال مستفسرا «لماذا جئت الى هنا؟» قلت «لمشاهدة القلعة» فقال «مدخلها في الجانب الآخر اما هذا فباب السجن، فهل لديكم سجين هنا تريدون مقابلته؟» أسقط في يدنا إذ وقعنا كما يقال في مطب ودخلنا السجن بأرجلنا لمدة عشر دقائق! خرجنا بعد أن أرشدنا الى باب القلعة ونحن نجر أذيال الخجل مروراً بطابور أقرباء المسجونين المصطفين خارج بوابة السجن.

وفي القلعة التي زرناها فيما بعد شاهدنـا محكمة السجن القديمة، انما فزعنا واشمأزت أنفسنا عند الاطلاع والتفـرج على سجون العصور الوسطى في تلك القلعة بما حوته من آلات التعذيب المفزعة التي تقشعر منها الأبدان.

في اليوم التالي تـوجهنا الى مدينة يورك وهي مدينـة تاريخية في وسط انجلترا اشتهرت بكتدرائيتهـا الشهيرة. قبل بضع سنوات ضربت هذه الكتـدرائية التي مضى قرون على تشييدهـا صاعقة أدت الى إشعال حريق في احد أقسـامها مما أوجب ترميم مـا تلف منها بفعل الحريق. غير انه أثنـاء مباشرة الترميم لاحظ المهنـدسـون تلفا كبيرا في أسـاسـاتها مع تـآكل في بعـض أعمدتها الـرئيسيـة، فـاضطروا لاتخاذ الاجـراءات الـلازمـة لتلافي هـذا التلف الخطير حيـث قامـوا بمشروع هندسي هائل لا يكاد يصدقه العقـل. حفروا أساساتها بعد أن علقوا هذه الكتـدرائية الكبيرة الهائلـة على أعمدة من الخرسانـة والقضبان الفـولاذية. وعند الحفر تبين لهم انها كانت مبنية في الأصل على بقايـا قلعة رومانية قديمة، فكـانت هـذه الحفـريـات ذات نفع أثـري مهم قـام السـواح وعاشقـو الآثـار بـارتياده. مكثنـا في مدينـة يـورك مدة يـومين توجهنـا على اثـرها الى السـاحل الشرقي لبريطـانيا حيث مررنـا على قرى ومـدن جميلة على ساحـل بحر الشمال ثم ختمنا هذه الرحلة بالعودة الى لندن.

الباب الثالث عشر

البحر وعلاقتي به

المقدمة

البحرين عبارة عن أرخبيل مكون من اكثر من ثلاثين جزيرة. ولذلك اعتاد اهلها ركوب البحر في سفرهم او تجارتهم او تسليتهم. كما انها تقع في وسط مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في الخليج وكانت المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ في العهود السالفة قبل اختراع زراعة اللؤلؤ الصناعي الذى بلا شك ألحق ضررا كبيرا باللؤلؤ الطبيعي سواء من حيث العمل في استخراجه او المتاجرة به.

وكوني ولدت وترعرعت بجوار البحر وفي ايام ازدهار تجارة اللؤلؤ فقد عاصرت في بداية حياتي الفصل الاخير من هذه التجارة العتيدة ورافقت والدي في سفراته الى مغاصات اللؤلؤ بصفته طواشاً (١) وذلك قبل ابتعاثي الى جامعة بيروت الامريكية في عام ١٩٢٨م.

ومع اني احب البحر واجد المتعة والتسلية فيه الا ان للبحر نوائب واخطارا لا يستهان بها، فقد تعرضت خلال فترة حياتي بمفردي او صحبة الآخرين لبعض اخطاره ونوائبه. اروي بعضا منها في هذه الحلقة كمثل على ذلك او لمجرد العلم والاطلاع.

كنت في صغري اقضي الكثير من اوقات فراغي في البحر فقد كان بيتنا قريبا من ساحل المحرق الغربي ولم يكن هناك في ذلك الزمان محلات للتسلية في المحرق الا البحر. كان بحر ذلك الساحل في منتهى الروعة والجمال قاعه رملي نظيف وبحره صاف لا يشوهه تلوث او وسخ وكانت المتعة في السباحة وصيد الاسماك الصغيرة او المتوسطة الحجم كسمك الميد والحاسوم والمصلغ وما شاكل ذلك.

كان والدي رحمه الله، لا يستسيغ ترددي على البحر وكثيرا ما كان يوبخني او يصفني بأوصاف عجيبة، مثلا يقول «صرت اسود كأنك صومالي» وذلك طبعا بسبب تعرض جسمي للشمس، ولكن لماذا يقول صومالي؟ لأن عدد الصوماليين المتواجدين في البحرين في ذلك الزمان كان كبيرا فهم يقومون بكافة انواع الخدمات البحرية والبرية - غير ان تعنيف والدي لم يكن يحول بيني وبين التردد على البحر.

---

(١) كلمة طواش تعنى التاجر الذي يشتري اللؤلؤ من الغواصين وهم في مغاصات اللؤلؤ.

(الفصل الأول)
معاصرة صيد اللؤلؤ والطواشة

معاصرة صيد اللؤلؤ والطواشة

لعل اجمل ما كـان يشاهد الانسان في ذلـك الزمان سفن الغوص والطـواشة الكثيرة العـدد والمتعددة الانـواع والاشكال وهي مسجـاة طيلة فصل الشتـاء في صف طويل على طـول ساحل المحرق الغـربي، وقد تباينت اشكالها وانـواعها منها: الجالبوت - السنبوك - البانوش - البـوم - البتيل - البقارة - تشاهدها وقد دهنت بالصل (١).

واذا ما اقبـل الصيف سحبت الى البحر واغـرقت في الخور (أي العميق من البحر) لمدة بضعة ايام لكي ينحسر عنها هذا الدهان اللزج ولكي تتخلص من الحشرات والفئـران التى عششت فيها اثنـاء بقـائها مسجـاة على الساحل طيلـة اشهر الشتـاء ثم تسحب الى المياه الضحلـة ليقوم البحارة بفـرك جسدهـا برمل البحر والحبال وتخليصه من ذلك الزيت اللزج الكريه الرائحة.

فكنا والحالـة هذه مجمـوعة من الصغـار نسبح حول هذه السفـن ونمتطيها وهي غارقـة في الخور واحيانا نغوص في اعماقها، مستمتعين بـالتنقل من سفينة الى اخرى ومتبارين في السباحة والغوص تحيطنا وتغمـرنا براءة الطفولة والقناعة بحيـاتنا السعيـدة هذه فـلا يوجـد راديو ليلهينـا عن متعتنا هـذه ولا تلفزيـون ليشدنـا الى متابعة اخبـاره ومسلسلاته. وينتهي مـرحنا هذا عنـد سحب جميع هـذه السفن الى الميـاه الضحلـة القـريبـة من السـاحل وتهيئتهـا للـذهـاب الى مغاصات اللؤلؤ.

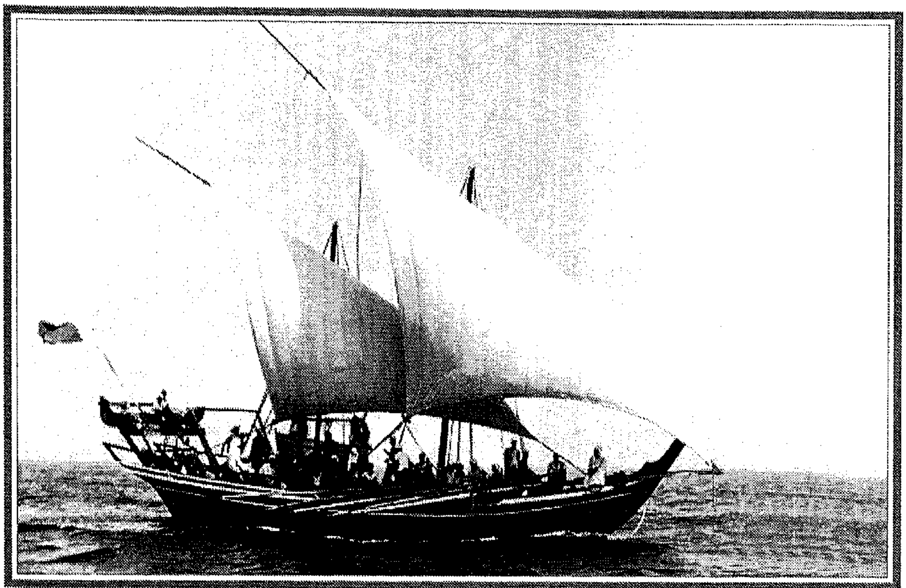
كان والدي رحمه اللـه يملك سفينة شراعية (٢) أسماها «سمحـا». وكانت ذات دقلين (صـاريتين) صاريـة طويلـة وهي الاصل والاخـرى صغيرة تسمى (الغيلمي) ولكل صارية توابعها من الحبال وغيره.

تذهب سفن الغواصين الى مغاصات اللؤلـؤ في وقت مبكر من بداية موسم الغوص، امـا الطواشـون وهم التجار الـذين يشترون اللؤلؤ مـن الغواصين في

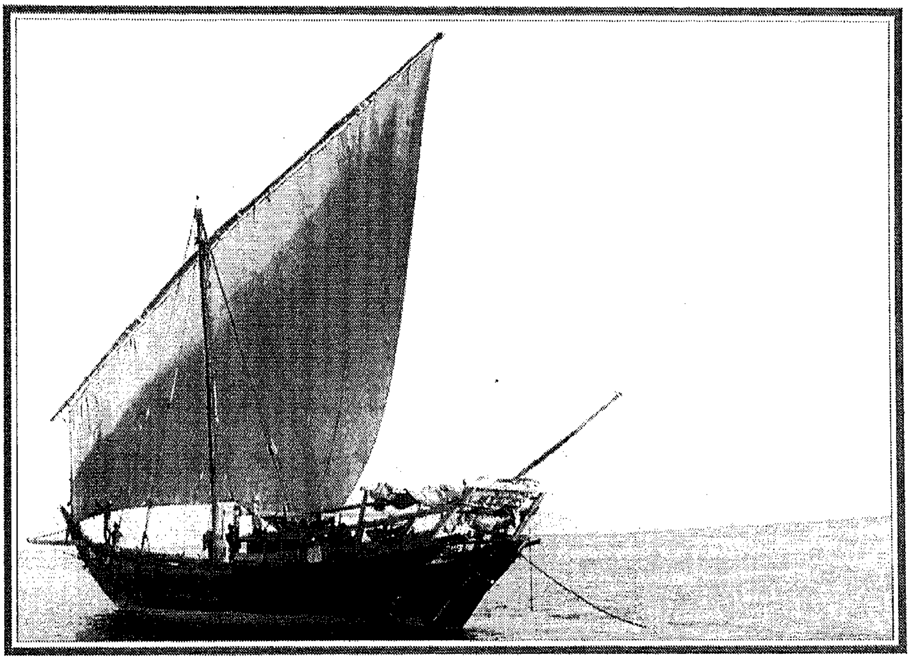
---

(١) دهان يستخرج من زيت السمك يحفظ اخشابها من العث والتلف.

(٢) في ذلك الزمان لم يبدأ بعد استعمال السفن الميكانيكية.



شوعي: أحد أنواع سفن الغوص الشراعية



سنبوك: أحد أنواع سفن الغوص الشراعية

عرض البحـر ووالدي من جملتهم فـلا يغادرون البـلاد الا بعد بضعة ايـام من مغـادرة الغواصين، بعـد ان يهيئوا سفنهـم ويعدوهـا للسفر وبعـد ان يوظفـوا البحـارة اللازمين للعمل فيهـا. والذيـن عادة يكـون غالبهـم ان لم يكن كلهم غرباء جاءوا من عمان والمهره وحضرموت وعدن واليمن والصومال.

تمتلىء البحـرين، وبـالاخص مـدينـة المحـرق، في الصيف بهؤلاء البحـارة الاجـانب فتـزدحـم الاسـواق والمساكـن بهم. وكثيرا مـا تسمعهم يتحـدثـون بلهجـاتهم المختلفة او يغنـون بأغـاني بـلادهم وهـم يعـدون السفن ويقـومـون بتنظيفها او دهـانها خاصـة وقت انحسار البحر عنهـا اثناء الجزر، كما تشـاهد بعضهم وهم مستلقـون على ظهورهم تحت السفينـة يحكون (النـوء) (١) منها او يدهنـونها بشحم السمك المعد لذلـك والسفينة واقفة على سطح قـاع البحر المنحسر يسنـدهـا عن الميـل الى جـانبهـا اربعـة اعمـدة من الخشـب تسمى (المجدفـات) وتبقى هذه المجدفات او (الميـدفات) ساندة السفينـة الى ان يمتد البحر وتطفو السفينة على الماء.

وبخـلاف سفـن الغـواصين يتبع سفـن الطـواويش قـارب صغير يـدعى (قلص) يستعمل للتنقل بين السفن اثناء شراء اللـؤلؤ من الغواصين او للتنقل من البر الى السفينـة وبالعكس اثنـاء التواجـد في المدينة او في احـدى الجزر او السواحل.

واذكر انـه عندمـا جهزت سفينـة الوالـد «سمحا» بما تحتـاج اليه مـن لوازم السفـر وحدد يـوم السفـر تـوجهنا الى السـاحل بعـد ان ودعنـا الاهل وركبنـا «القلص» الى السفينـة ومع كل منا فـراشه البدائي المطـوي على بعض الملابس البسيطة ما عـدا والدي فكان بالاضافة لفـراشه حمل معه صندوقا حـديديا من الحجم المتوسط «وبشتخته» وهي صنـدوق صغير عبارة عن مكتب يحتوي على اقلام وقـراطيس كما تحتـوي على المعدات واللـوازم الخاصة بفـرز اللؤلـؤ ووزنه وتبو يبـه وتصنيفه. وسفينتنـا كان لها ربـان يدعى «نـوخذة» (٢) - اسمـه بن

---

(١) أصداف بحرية صغيرة

(٢) **النوخذة**: تعني ربان ويمكن لفظها «نوخذي»

حماده ومشرف لوازم ومعدات السفينة يدعى «مجدمي» واسمه شاهين وكلاهما من البحرين انما لم يكن بين الاثنين أي نوع من المودة والتفاهم بل وحتى يبلغ العناد والخلاف بينهما احيانا الى درجة ان يضطر الوالد للتدخل. فالنوخذة هو الخبير الذي يوجه السفينة الى المغاصات المطلوبة والموانىء المختلفة في الخليج وهو يوجهها عن طريق البوصلة ويسميها اهل البحرين «الديرة» وهو الذي يأمر بتعليق الشراع الكبير او الصغير وما الى ذلك. كان هذا النوخذة بن حماده بسيطا مسالما، اما «المجدمي» شاهين الشخص المسئول عن اعداد السفينة قبل السفر والمحافظة على اشرعتها وحبالها واصلاح المعطوب منها واعدادها للاقلاع في أي وقت يأمر به النوخذة فكان عنيدا لا يجامل او يتنازل.

لم يكن النوخذة بن حماده متعلما بل كان أمياً لا يعرف حتى مبادىء القراءة والكتابة ولكنه بالتمرين يحفظ مواقع مغاصات اللؤلؤ وموانىء الخليج وجزره المتعددة عن ظهر قلب ويوجه السفينة الى تلك المواقع عن طريق البوصلة البحرية محتفظا في ذاكرته بالنجم الذي ينبغي ان يتبعه ليصل الى ذلك المغاص او الميناء وكان معه كتيب صغير يعطيني اياه احيانا لأمتحنه واسأله عن النجم المطلوب من هذا الموقع الى ذلك فأسأله فيكون جوابه تماما كما هو محرر في هذا الكتيب «ذاكرة هائلة» (يعطي الله القوة على الضعف) واحيانا احاول لخبطته او مخادعته فأقول له غلط فيفكر ويصر على ما قاله وانا اتعمد ان اخالفه واذا اصريت قال يا ابني ان صاحب الكتاب غلطان فالصحيح هو ما اقوله، وعلى سبيل المثال لا الحصر لخبرته كنا يوما من الايام راسين بسفينتنا في موقع بالقرب من جزيرة «داس» التابعة لأبوظبي، وهي جزيرة جميلة تقع في اواسط الخليج العربي لم تطأها اقدام الحضارة مع انها تمتد على بحر هائل من النفط الذي لم يكتشف فيها آنذاك فاقتضى رأي والدي التوجه غربا الى مغاص لؤلؤ يسمى «عشيرج» يقع في الشرق من شبه جزيرة قطر. كان الجو هادئا والشمس على وشك الغروب، والنسيم عليل امر النوخذة اعداد الشراع الكبير كما امر برفع المرساة وتوجهنا غربا بعد ان عين النوخذة بن حماده النجم

الذى يجب ان يتبع على البوصلة وامر احد البحارة المتمرسين على مسك دفة السفينة باستلام الدفة واتباع النجم المعين. بعد صلاة المغرب واثناء ما كنا نتعشى تحول النسيم الى بداية ريح فأصبحت السفينة لا تحتمل الشراع الكبير فأمر النوخذة بإبداله بشراع اصغر يسمى «السفديرة». استمر سيرنا في الظلام، اذ لم تكن تلك الليلة ليلة مقمرة، وبعد مدة قصيرة زاد الريح عتوا فأمر النوخذة ابدال شراع السفديرة بشراع أصغر يسمى «التركيت» وأخذت سفينتنا تصارع الأمواج وكان بعضها يعلو على السفينة وتركب بين حين وآخر موجة من هذه الموجات ظهر السفينة ثم تنحسر ويأخذ الملاحون بنزف الماء المتبقي منها على سطح السفينة، كنت وأخي أحمد صغيرين فخشي والدي ان تكتسحنا موجة وتلقينا في البحر الهائج فأمر الملاحين بأن يعملوا من احد الأشرعة دائرة ضيقة تكفي لاحتوائنا فيها، ارتفاع جوانبها لا يقل عن طول قامتنا، وقد بقينا طيلة هذه المغامرة واقفين داخل الدائرة المشار اليها آنفا مشدوهين ننظر في هذه الظلمة الحالكة الى ما يمكن رؤيته حوالينا وبين الحين والحين تلفحنا موجة وتلقينا أرضا في قاع الدائرة ثم نعود للوقوف وهكذا دواليك.

ظللنا على هذا الحال حتى الساعة الثامنة عربي (عرفت ذلك عندما سمعت النوخذة يسأل الوالد عن الساعة) اي اننا مررنا بهذه المجازفة مدة ثمان ساعات من الغروب وحتى الساعة الثامنة عربي، عندها قال النوخذة ألقوا «البلد» والبلد عبارة عن قطعة من الرصاص تزن نحو كيلوين مربوطة من اعلاها بحبل طويل يقاس به عمق البحر مقسم الى ابوع (الباع ستة أقدام) وبين كل باع وآخر علامة مدلاة منه أو مربوطة به يعرف من انواعها المختلفة عمق البحر فبعضها قطعة جلدة وبعضها خشبة صغيرة وبعضها خرقة حمراء أو بيضاء ولإلقاء البلد ينبغي تخفيف سرعة السفينة وذلك بمناحرتها (١) مناحرة جزئية لاتجاه الريح، ألقي البلد فقال الملقي بصوت عال لا يكاد

---

(١) مناحرة تعني مقابلة

يسمح في هدير الريح العـاتية ستة أبوع، عندها أمر النـوخذة بمواصلة السير وبعد مدة قصيرة من مـواصلة السير أمر النوخذة مرة أخرى بـإلقاء البلد وبعد إلقائه صـاح الملقي بنغمته المعتادة «خمسـة أبوع وربع» قال النـوخذة نحن الآن في المغاص المطلوب وأمر بالاستعداد لإلقاء المرساة وتنزيل الشراع.

كانت الظلمة حـالكة والأمواج عالية والريح عـاتية وقفت السفينة وألقيت المرسـاة ولكن من شـدة قوة الـريح لم تتمكن المرسـاة من الصمـود أمام تقهقـر السفينة وبـدأت الريح تجرنا للخلـف عندها أمـر النوخذة بإلقـاء مرساة ثـانية وبعد وصولها للقاع مسكت المرساتان وتوقفت السفينة.

ما العمل الآن هـل هناك مجال للنوم كل شيء مبلـل ورطب وكلما جاءت مـوجة رفعت مقـدمة السفينـة الى أعلى وإذا انحسرت عنها غـاص مقدمهـا في الماء وجاء هديـره مارا بنا كالنهـر الى مؤخرة السفينة ولـولا ان السفينة مسطحة لغرقت، مع هـذا يقوم البحارة بنزف الماء المتخلف بعد الانحسـار وهم يرددون وينادون بأعلى صوتهم انزف انزف.

بقينـا على هذا الحال ننتظـر بـزوغ الفجر وطلـوع النهـار نصارع الأمـواج العالية والـريح العاتية وعند بزوغ الفجـر تطلعنا الى ما حولنا فوجـدنا سفينتنا راسية بين عـدد من السفن الـراسية في هـذا المغاص الذي يـدعى «هيرعشيرج» ولم يكن بيننــا وبين أقـرب سفينـة إلا عشرات الأمتـار - هكـذا كــانت خبرة النوخذة بن حمادة، رحمه الله.

كانت كل سفينـة في هذا «الهير» أي «المغاص» تعاني ما عـانيناه من مشقة ما عدا انها راسية تنتظر الصباح وكان عددها حوالى العشرين.

حـالما طلـع الفجـر وأشرقت الشمـس بـدأت كل سفينــة في الاستعـداد والعمل على «النترة» ومعنـاها الاقـلاع والتوجـه الى جزيـرة أو حالـة للاختبـاء وراءها عن هذا الطوفان ثم العودة الى المغـاص بعد انتهائه. بالنسبة لنا لم يأمر النوخـذة بتعليق الشراع ولو كـان الصغير من الأشرع فالسفينـة لا تحتمل ذلك بل أمـر بتعليق «الجيب» والجيب عبارة عن شراع مثلث أصغر مساحة من الأشرع الأخرى مع هذا يمكن تقليص حجمه بسهولة عند الضرورة وهذا ما فعلناه.

كان لا بد من قلع المرساتين وهنا كانت المشكلة قوة الريح تمنع السفينة من التقدم للأمام حتى يستطيع البحارة جر السفينة الى الأمام لتصل الى موقع المرساتين وفكهما من صخور قاع البحر ولا يوجد للسفينة محرك ميكانيكي لكي يدفعها للأمام فاتخذت الوسيلة البدائية التالية:

عندما ترتفع مقدمة السفينة بفعل موجة عالية تكون اوتوماتيكيا قد جرت نفسها للأمام فيستعد البحارة وهم ممسكون بحبل المرساة لجر أية ليونة من الحبل عندما تنحسر تلك الموجة، وتعود مقدمة السفينة لتغوص في الماء، وهذه العملية توفر لهم من تقدم السفينة حوالى ذراع أو نحوه، وقد استغرق اتخاذ هذه الطريقة البدائية مدة ساعة أو أكثر حتى أمكن جر السفينة الى الأمام والوصول بها الى موقع المرساتين ثم فكهما من صخور قاع البحر ورفعهما على ظهر السفينة وقبل أن نبدأ بهذه العملية انتظرنا بعض الوقت اذ كانت خلفنا مباشرة سفينة وكان انتظارنا حتى تغادر تلك السفينة فلا تسحبنا الريح بعد رفع المرساتين ونصطدم بها.

كان أقرب «بندر» والبندر هو ما تحتمي به السفن عند حاجتها للاحتماء من الريح. أقرب بندر جزيرة «شراعوه» وهي جزيرة جبلية صغيرة الحجم تبعد حوالى خمسة عشر ميلا عن هذا المغاص فاتجهت جميع السفن اليها وكان الخطر الذي يحدق بنا وسفينتنا تتمايل وتتمرجح مندفعة مع الريح الى هذه الجزيرة القارب الصغير «القلص» الذى تسحبه سفينتنا وراءها فهو يندفع مع الأمواج العالية من خلفنا بسرعة هائلة مهددا خرق سفينتنا من الخلف ولكن الله سلم ووصلنا الى جزيرة شراعوه سالمين حيث بقينا فيها ثلاثة أيام في انتظار توقف الريح. هذه احدى أخطار ونوائب البحر.

وقصة أخرى:

كنا في يوم من الأيام في احدى المغاصات القريبة من ساحل قطر فاقتضى رأي والدي التوجه الى جزيرة «حالول» وهي جزيرة جبلية تقع في وسط الخليج وتبعد حوالى ٦٠ أو ٧٠ ميلاً عن ساحل شبه جزيرة قطر. كان الوقت مساءً وكان الهواء عليلا.

بدأنا في السير بعد أن عين النوخذة بن حمادة الوجهة على البوصلة، وسلم ادارة الدفة الى سكوني (١) متمرس من البحارة، وحوالى منتصف الليل اعترى «السكوني» النعاس فخرجت السفينة عن مسارها وتوقفت مجابهة للريح.

كنا نياما إنما على اثر توقفها واعتدالها استيقظنا ونحن في حالة ذعر وفزع، فالسفينة كانت تسير وهي مائلة الى جانبها الأيمن بحكم نفخ الريح في شراعها ولكنها لما واجهت الريح بسبب غفلة السكوني اعتدلت واستقامت، فشعرنا ونحن نيام بهذه الانتكاسة. عندها صاح النوخذة بالبحارة قائلا «يود بطنه» (٢) أي امسكوا ببطن الشراع من الأمام وجروه تجاه داخل السفينة لكي ينفخ الريح في مقدمته فتعود السفينة للسير مع الريح، قام البحارة بهذه العملية والعادة بعد أن تلتاح السفينة مع مسار الريح يأمر النوخذة البحارة بترك الشراع في سبيله، ولكن كانت الريح من القوة بحيث اضطرهم الشراع الى تركه في سبيله قبل أن يصدر النوخذة أمره بكلمة «ودع» أي اتركوا الشراع في سبيله. هنا حدث ما لم يكن متوقعا ولا موجب له، كان من جملة الممسكين ببطن الشراع الطباخ، الذي كانت تنحصر مهمته في الطبخ وشؤونه، وليس له أي شأن بأمور السفينة الأخرى، والمذكور وهو حجازي الجنسية أراد تبرعا من تلقاء نفسه أن يساعد البحارة في جر الشراع الى جانب السفينة ولكنه بدل أن يمسك حافة الشراع ادخل يده في حلقة «الخماري»،

---

(١) **السكوني**: كلمة تطلق على الشخص الذي يمسك دفة السفينة.

(٢) **يود بطنه**: اصطلاح بحري.

وهي حلقــة مصنــوعــة من الحبـــال معلقـة في أسفل الشراع تستعمــل لتعليق الجانب الأسفل من الشراع إذا لـزم الأمر، ولما أجبرت الـريح البحـارة على ترك الشراع لم يستطع الطباخ المسكين ان يخلص يده من هـذه الحلقة فسحبه الشراع وألقاه في البحر. عنـد سقوطه في البحر صـاح أحد البحارة، وكان صـوماليا، «الطباخ فلان لا يعرف السباحة».

كنت في ذلـك الـوقـت واقفـا على «الفنـــه» (١) بقـرب العمـــود المسمى «القايم» (٢) أتطلع الى ما يجري فشاهدت طـاقية الطباخ التي كان يلبسها تمر طـافية بقـرب السفينة ولما التفت الى خلـف السفينة رأيت على بعـد ١٣ قدمـا تقريبا الطبـاخ المسكين وقد أخرج يديه يكافح بهما الماء لينقـذ نفسه ولم يستمر ذلك أكثر من بضع ثوان حتى توقفت يداه وغطس الى القاع.

أصاب الجميع الذهـول وشرود الذهن لا بل أصبنا جميعا بنـوع من الخيال الغـريب فكلما تحركت مـوجة في نـور القمر الضعيـف في تلك الليلة ظننـا ان هذه الحركـة هي حركـة الطباخ فيلقي البحارة بـأنفسهم في البحر متجهين لهذه الحركة - ذهول وشرود ذهن وتخيلات غريبة.

بقينا على هذا الحال مدة من الوقت، ويحدث في بعض الأحيان أن يصرخ أحد البحارة مناديا الطباخ باسمه ولكن دون جدوى.

في هـذه الأثنـاء صـادف ان مـر بنا «سنبـوك» (٣) غـواص، ولما شـاهـد سفينتنـا خفف من سيره وسألنـا أصحـابه فيما اذا حـدث لنا حـادث مـا وهل نحتـاج الى مسـاعـدة؟. سارع والـدي وقـال للبحـارة لا تخبروهم بما جـرى، وتكفل النـوخذة بالإجـابة بأن قـال «لا حاجـة لنا أبـدا، كل ما في الأمـر اننا نحاول تعديل الشراع».

بعد ابتعـاد السنبوك ظللنـا نبحث ونتحرى مـدة طويلـة دون جدوى. في هذه الأثناء اشتدت الـريح فأصدر الوالد أمره الى النوخذة بـالرجوع الى ساحل

---

(١) **الفنة**: مؤخر السفينة المسطح والذي عادة يجلس وينام عليه اصحاب السفينة.

(٢) **القايم**: أحد العمودين الرئيسين على ظهر السفينة.

(٣) **سنبوك**: نوع معين من السفن.

قطر لنتحاشى شدة الريح ونكون في مياه ضحلة خفيفة الموج. غيرنا مسارنا الى ساحل قطر حيث وصلناه حوالى الفجر.

بعد الصلاة غططنا في نوم عميق من شدة التعب والكدر، ولم نستيقظ من النوم الا قرب الظهيرة.

لما أفقنا كان الوجوم والحزن يخيمان على كل فرد منا وبصورة خاصة البحار الصومالي الذي ظل يبكي وينتحب لفقده صديقه الطباخ المسكين ولما لاحظ والدي عليه ذلك استدعاه وسأله أمامنا بهذه الأسئلة «هل طلب أحد من الطباخ أن يشارك البحارة الآخرين في مهمتهم؟ هل رأيت أحدا دفعه الى البحر؟ هل بينه وبين أحد عداوة أو شقاق؟» فكان جواب البحار الصومالي بالنفي. كل هذه الأسئلة والإجابة عليها كتبها الوالد في ورقة ولما سمع جوابه طلب منه وضع إبهامه الأيسر عليها. ثم أمره أن يحضر أمتعة الفقيد وكانت مكونة من فراش وصندوق خشبي صغير. ربطت ربطا جيدا وختمت بالشمع الأحمر أمام الجميع.

بقينا في مكاننا حتى اليوم التالي ثم غادرناه الى احدى المغاصات القريبة ومنها الى جزيرة حالول مواصلين سفرتنا. ولم نرجع الى البحرين لأننا كنا قد تركناها من قريب وهي بعيدة عنا بالنسبة لسفينة شراعية اما مسألة الطبخ فكانت مناوبة بين البحارة والنوخذة والمجدمي «امحق طبخ!».

عند العودة الى البحرين ذهب الوالد الى بيت الدولة أو بيت الباليوز كما كان يدعى في ذلك الزمان (أي الاعتماد البريطاني) وأخبرهم بالحادث وقدم لهم توقيع الصومالي وبقية البحارة على ما جرى كما سلم لهم أمتعة الفقيد حيث أجروا تحقيقات واستفسارات تم على اثرها غلق محضر الحادث الأليم. اما لماذا قصد الوالد بيت الباليوز، فلأن القضاء في ذلك الزمان بالنسبة للأجانب من شؤون دار الباليوز (الاعتماد) حسب الاتفاق مع شيوخ البحرين.

وقصة أخرى:

كنا «نطوش» أي نسعى لشراء اللؤلؤ في الجهة الشمالية الشرقية من البحرين في سفينتنا «سمحا» وقد حمل الوالد فيها كمية كبيرة من الروبيات الهندية الفضية (١) يبلغ مجموعها مائة ألف روبية كانت معبأة في أكياس من الخيش كل كيس يحتوي على ألفي روبية.

بعد أن استنفدنا جميع هذا المبلغ بشراء اللؤلؤ من الغواصين قفلنا راجعين الى البحرين لبيع ما اشتريناه أو بعبارة أخرى اشتراه الوالد وفيما نحن في طريقنا الى البحرين وكان الوقت نهارا والهواء نسيما لاحظنا سفينة ايرانية معروفة من شكلها ونوع شراعها «تدعى بلم» تتبعنا من بعد وقد لاحظها الوالد بواسطة منظار مكبر (دربيل) برفقته يستعمله عند الحاجة لتمييز الأشياء البعيدة.

وكانت هناك شائعات في ذلك الزمان بأن بعض الابلام الايرانية اتخذت من مواقع المغاصات مجالا للقرصنة البحرية فهي تهاجم السفن وتستولي على محتوياتها، في بادىء الأمر لم نهتم بأمر البلم ولكن لما قارب وقت العصر أمر الوالد النوخذة بتغيير مسار سفينتنا للتأكد فيما اذا كان هذا البلم يتبعنا أم انه في طريقه الى البحرين. غيرنا المسار ففوجئنا بأن البلم غير مساره أيضا مواصلا متابعته لنا، هنا أمر الوالد التحضير للمواجهة معه فأمر بإخراج السلاح وهو مكون من بعض البنادق والمسدسات ثم أمر بتكويم بعض الأشرع على سطح السفينة للاحتماء بها عند المواجهة. مرت بنا فترة من التحفز والاستعداد وأظهر عدد من البحارة وأغلبهم كما قلت سابقا من بلاد المهرة ومن عمان استعدادهم للمواجهة كما تعودوا عليه في بلادهم من مثل هذه المواجهات، ثم امر الوالد اطلاق عدة طلقات في الهواء تجاه البلم الايراني من باب التحذير وما كاد يسمع الطلقات حتى «خاير» (٢) أي قلب شراعه واتجه

(١) العملة المتداولة في ذلك الزمان.. انظر فصل العملة صفحة (٤٥٩)

(٢) **خاير**: اصطلاح بحري في الخليج يقصد به غير اتجاهه.

الى جهة أخرى معاكسة، حمدنـا الله على ذلك ولكن بقينا طول الليل وسفينتنا تتابع سيرهـا للبحرين ونحن في خوف وحـذر خشية المباغتة خـاصة وان تلك الليلة لم تكن مقمرة بل كان ظلامها دامس.

وحادثة أخرى:

كنـا في سفينتنا «سمحـا» مبنـدرين (راسين) مع عـدد من سفن الغـوص والطواشة أي مختبئين وراء شبـه جزيرة رأس تنورة من أعمال السعـودية لتفادي ريح عـاليـة هبت في يـوم من الأيـام. بعـد أن هدأت الـريح شرعـت السفن المبندرة بـالخروج الى عرض البحر متجهـة لمغاصـات اللؤلؤ. كـان الهواء عليلا بحيث يتـأتى للجميع استعمال أشرعتهـم الكبيرة وعـادة في مثل هـذه الأحـوال تجري منـافسة ومسـابقـة بين أصحـاب السفن الشراعيـة، خاصـة الطـواويش منهم، إذ يحاول كـل منهم سبق الآخـر لمجـرد التفـاخـر والتحدث عـن ذلك السبـاق العفـوي فيها بعـد في المجـالس والمجتمعـات. ولـذلك يسعـى كل صاحـب سفينة بأن يعمل جهـده ليجعلها سبـاقة تسبـق غيرها، وهكـذا كان الحال بالنسبة لسفينتنا.

سارت جميع السفـن في اتجاه واحد قاصـدة «هير» أي مغاص معين يقع في الشمال الشرقي من رأس تنـورة وكان اتجاه الـريح غربيـا. كان الحماس للفـوز يسيطـر علينـا جميعـا، مـا عـدا والـدي إذ كـان رحمه الله، لا يحبـذ المنـافسـة والتفاخر. سبقنـا جميع سفن الطواويش المنافسين لنا، ولم يبـق أمام سفينتنا الا سفينة طـواش واحد يظهـر انه غـادر رأس تنورة مبكـرا وكنا فـرحين مبتهجين بهذا السبق الساحق.

لما اقتربنـا من سفينـة الطـواش الأخير تعـرفنـا عليهـا فإذا هـي لطـواش معـروف من جماعـة الجلاهمة مشهور عنـه انـه يصيب بـالعين. عنـدما عـرف الـوالد اسـم صاحـب هـذه السفينـة نهض من مجلسـه فزعـاً وقـال الأحسن لا تسبقوه ولا تسابقوه وخففـوا من سير سفينتنا تحاشياً لسبقه. ولكن الحماس بين الجميع كـان كبيرا فلم يستمـع النـوخذة لنصيحـة الـوالـد فسلم الـوالـد أمـره

واستلقى على ظهر فراشه المطوي مبديـا عدم ارتياحه لما يجري، بعد قليل مرت سفينتنا بمحاذاة سفينة الجلهمي سائرة في سبقها لسفينته وإذا بالجلهمي ينهض واقفا وينـادي بأعلى صوتـه قائلا «سـلام عليك يا شيـخ» فنهض الوالـد واقفا ورد التحية بمثلهـا ولكن لم نكد نطـوف سفينته حتى حـدث ما تـوقعه الـوالد انكسر «الفـرمن» وهـو العمـود الـذي ينشر الشراع ويمسكـه حـول «الـدقل» الصارية ونـزل الشراع متدليا في البحر، هنـا صرخ الوالد بأعلى صـوته وقال ألم أقل لكم «لا تطوفوه»! ألم أقل لكم «لا تطوفوه»!

أصاب الجميع منا ذهول وكدر واضطررنا لأن نتوقف عن السير بأن ألقينا مرساة سفينتنا وبدأنا العمل لاصلاح الفرمن المكسور.

في هذه الأثنـاء مرت بنا جميع السفن التي كنـا قد سبقناهـا وبطبيعة الحال شمت فينا بعضهم بل وربما سروا لما حدث لنا.

كان لدينا كـامل الاستعداد لإصلاح الفرمن الذي أخذ منـا اصلاحه بقية النهار - فهـل يا ترى ان العين تصيـب؟ ان الله سبحانه وتعـالى قد ذكـرها في كتابه المبين.

حادثة أخرى:

أشرت في صفحة أخرى من هذه الذكريـات اني مولع بالبحر منذ صغري واني استحلي المغامـرة فيه، كان والـدي رحمه الله قد اشترى لي قاربـا صغيرا مما يستورد من الهنـد ويسمى «هوري» وهـو عبارة عن جـذع شجرة طولـه حوالى سبعـة أقدام حفـر بحيث تكون مـن حفره قـارب صغير لا يسع أو يحتمل أن يـركب فيـه أكثر مـن شخص نحيف الجسم قليـل الوزن مثلي وكنـت أحتفظ بهذا القـارب على ظهر سفينتنـا «سمحـا» فاذا مـا وصلنـا الى مغاص أو بنـدر وكان الجو مناسبا أنزلته وامتطيته مستمتعـا بالتجديف فيه، ولكن حب المغامرة والتفنن في استعمال هـذا القـارب دفعـاني لأن أجهـزه بصاريـة وشراع وسكـان «دفـة» لتوجيهـه، وكانت عمليـة نشر الشراع وطيه والإمسـاك بالـدفة وإلقـاء المرسـاة أو رفعها كـل ذلك يجري وأنا جـالس في القـارب مـاداً ساقـي للأمـام

محافظا على التوازن فيه من ان ينقلب، ولا يمكن الوقوف فيه لصغره إلا إذا التصق بالسفينة فأتكىء على حافتها لموازنة الوقوف فيه. كنت مولعا بهذا القارب الصغير وانتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاستعماله، مع هذا حدثت لي أثناء استعماله هذه الحادثة الخطيرة:

في احدى عصريات يوم من الأيام التي كنا مبندرين (محتمين) وراء شبه جزيرة رأس تنورة من أعمال السعودية ننتظر هدوء الريح العالية، أنزلت القارب الى البحر وامتطيته ثم نشرت شراعه متجها به الى ساحل البر كنت أتابع سيره وهو يشق البحر شقا وأنا في غاية الانسجام والسرور. أثناء ذلك التفت خلفي لأشاهد تيار الماء وهو يمر تحت القارب فاذا بي أشاهد عددا من «الدغوس» الدغس هو ما يسمى بالدولفين تتبع قاربي في سيره عن قرب بحيث اني لو مددت يدي للمست أقرب واحد منها ولا غرابة في ذلك فالدغوس من عادتها مرافقة السفن أثناء سيرها. ظللت أراقبها مستمتعا بمشاهدة متابعتها لقاربي حتى وصلت الى البر، توقفت في البر وتمشيت على الساحل ثم امتطيت القارب قاصدا العودة الى سفينتنا ولكن صادف ان اعترض قاربي تيار الماء القوي الخارج من رأس تنورة الى عرض البحر فلم أستطع الوصول الى السفينة لأن التيار القوي يجرف قاربي ويبعدني عنها، أنزلت الشراع وبدأت أجدف بالمجداف ولكن سرعة التيار ورأس تنورة مشهورة بتياراتها القوية - كان أقوى من قوة تجديفي فرأيت انه من الأجدى بي أن ألقي المرساة وأنتظر حتى يأتي بحارة السفينة لإنقاذي ولكن حدث ان حبل المرساة قصير لا يمكنها من الوصول الى القاع.

ظل التيار يجرف قاربي بعيدا عن مراسي السفن وأصبحت والقارب خارج البندر وفي بحر عميق. شعرت في هذه اللحظة بمبلغ الخطر الذي يحدق بي خاصة وانه لم يبق على غروب الشمس إلا بضع دقائق وانه لا فائدة من صراخي فهو لن يكون مسموعا من أحد لأن الهواء الشديد ضدي. بدأت أحاول وأجدف بكل قوة وأنا في حالة فزع وخوف متصوراً ومدركاً ما وقعت فيه من خطر جسيم. مر بعض الوقت علي وأنا في هذه الحالة المفزعة دعوت الله خلالها أكثر من مرة أن ينجيني من هذا الهلاك المحدق بي وأن يهيىء لي

سبيل النجاة وفيما أنا في هذه الحالة وإذا بي ألمح عن بعد أحد الطواويش وكان عائدا من الساحل في قاربه (القلص) متجها الى سفينته. كان بعيدا عني لا يسمع صوتي فأخذت أؤشر مرة بيدي ومرة بالمجداف الى ان لمحني أحد البحارة الثمانية الذين كانوا يجدفون في هذا القلص فاتجهوا نحوي وانقذوني من خطر محقق. حيث سحبوني مع قاربي الى سفينتنا فالحمد لله على ذلك . .

كل هذه الحوادث التي ذكرتها آنفاً حدثت خلال النصف الثاني من العشرينات من هذا القرن قبل ابتعاثي الى الجامعة الامريكية في بيروت.

ولكن حادثة أخرى سأسردها هنا حدثت في النصف الثاني من الثلاثينات: كنت وأخي أحمد انتدبنا من أحد التجار الهنود لشراء كمية من اللؤلؤ من الغواصين فاستأجرنا «لنجاً» سفينة ميكانيكية إذ حلت السفن الميكانيكية في ذلك التاريخ مكان أغلب السفن الشراعية وكان مالكها وفي نفس الوقت نوخذاها (ربانها) من أهالي نجد. كان يتبعها «قلص» قارب صغير يستعمل للاتصال بسفن الغواصين ويسير بالتجديف من قبل بحارة مستأجرين.

في أحدى العصريات وكنا نسير متجهين الى بعض المغاصات الواقعة شرقي شبه جزيرة قطر، كنت قد اغتنمت الفرصة لمواصلة القراءة في كتاب كان بحوزتي، وبعد ان ضجرت من القراءة نهضت متطلعا الى البحر، ولما نظرت الى خلف السفينة شاهدت شيئا غريبا شكله شكل آدمي وقد مسك الحبل الذي يجر القارب خلفنا ولا يمكن تمييز وجهه لأن الماء يكاد يغطي وجهه. أمرت الميكانيكي بإيقاف المحرك بل ومحاولة الرجوع الى الخلف لتخفيف قوة السير فإذا بذلك الآدمي ربان سفينتنا النجدي بشحمه ولحمه، حملناه الى السفينة وحمدنا الله ان وجدناه سليما لم يصب بسوء، ولكنه كان في حالة إعياء وقلق وخوف، ولما سألناه ما الذي أوقعه في البحر قال «كنت في مقدمة السفينة وحاولت التبول فإذا بموجة تلفحني وتلقيني تحت السفينة وأحمد الله اني لم أصب بأذى لا من «البروانة» (الرفاس) أو جسم السفينة ولما طفيت وجدت حبل القلص (١) أمامي فمسكته وجعلت السفينة تجرني وأنا

---

(١) **القلص**: القارب الملحق بالسفينة

أصرخ وأنــادي ولكن بطبيعــة الحال لم يسمعني أحــد أولاً لسرعـة السفينــة وصـوت محركها وثـانيا التيـار الشـديد الـذي يحيط بي وأحيـانا يغمـرني ولكني صممت على أن لا أتـرك الحبـل فهـو أملي الوحيـد في النجـاة حتـى تنبهتم لي وانقذتموني فجزاكم الله خيرا.

(الفصل الثاني)
مغاصات اللؤلؤ

مغاصات اللؤلؤ

عبارة عن بقع وشعاب صخرية تقع في مواقع مختلفة من مياه الخليج العربي يحيط بها أو يجاورها في الغالب بقع غير صخرية ربما رملية أو ما شاكل ذلك. في هذه البقع والشعاب ينمو المحار (وهو الاسم الذي يطلق على الصدفتين المتقابلتين والمرتبطتين ببعضهما البعض والذي يتكون وينمو داخلهما الحيوان الرخوي الذي ينتج اللآلىء على اختلاف أشكالها وأحجامها).

ينمو المحار في هذه الصخور ضاربا جذوره فيها، ومهمة الغيص (وهو الاسم المتعارف عليه في هذه المنطقة لمن يغوص) قطف هذه المحارات أو قطعها من قاع البحر وجمعها في وعاء شبكي ثم العوم بها الى سطح الماء وطرحها على ظهر السفينة. بعد ذلك يجرى فتحها واحدة واحدة لجمع ما يمكن جمعه من لآلىء فيها.

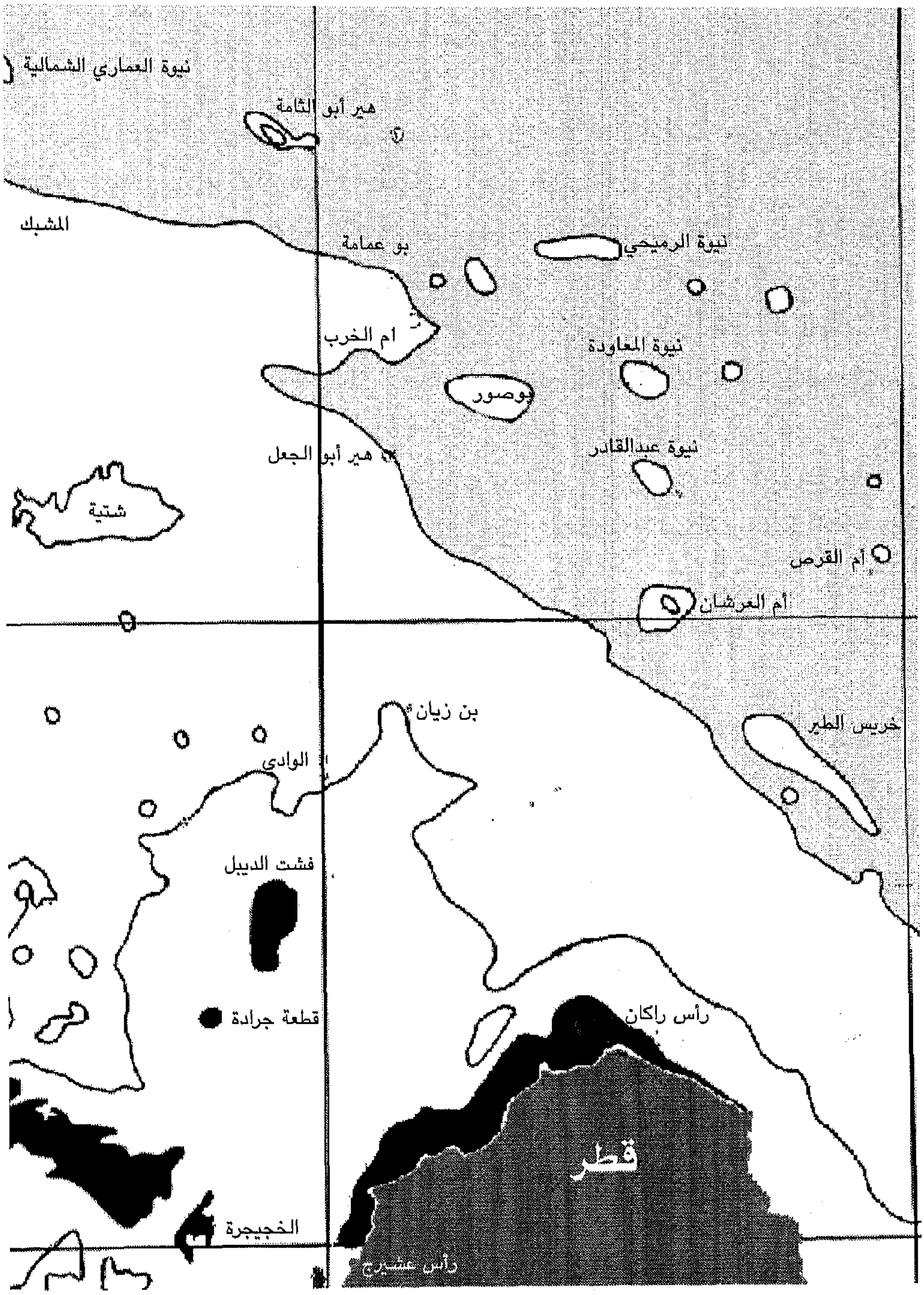
تعرف مغاصات اللؤلؤ في الخليج التي يطلق عليها محليا اسم «هيرات» والمفرد «هير» تعرف بأسماء سميت بها أذكر منها:

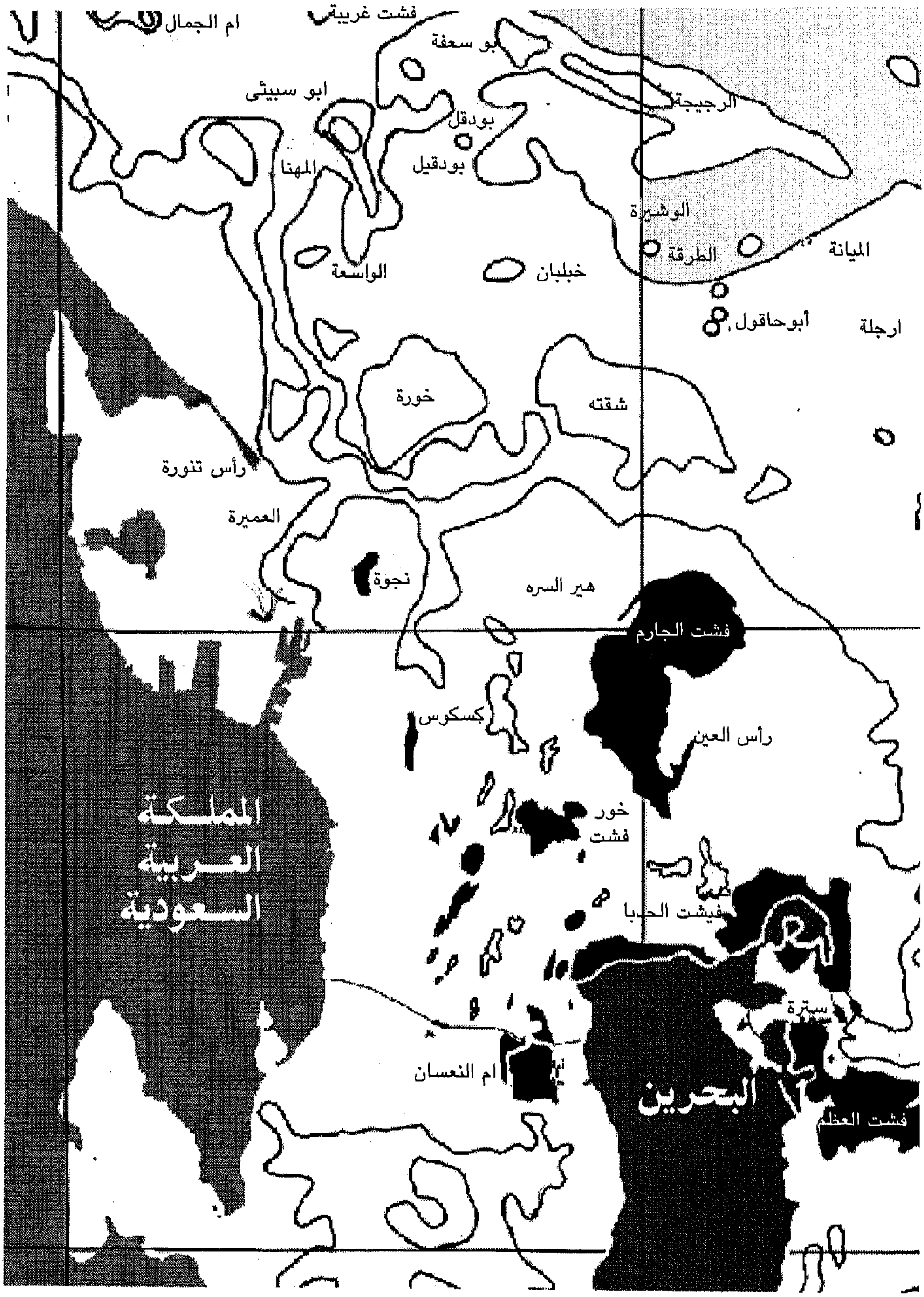
هير «اشتيا» وهو يعد أكبر هير في المنطقة ويقع في الشمال الشرقي من جزر البحرين - وشقته - وخور بن نصار - والميانة - وبوعمامة - وبلثامة - وبو اسعفة ونيوة علي... الخ.

هذه الهيرات تحاذي جزر البحرين ولكن هناك هيرات تحاذي قطر مثل: لفان - أم الشيف - عشيرج - حالول وغيرها كما توجد هيرات تحاذي سواحل الامارات يطلق عليها أيضا أسماء للتعريف بها. والخريطة المرفقة توضح أسماء (الهيرات) أي المغاصات ومواقعها في الخليج.

ومادمت قد تطرقت في هذه الذكريات الى تجارة اللؤلؤ والى مواقع استخراجه وصناعته يجدر بي أيضا أن أتطرق الى كيف كانت تسير عليه حياة ذلك الجيل - جيل تجارة اللؤلؤ في عهدها الذهبي لإطلاع أجيالنا الحاضرة.

خلال فصل الصيف - أي موسم هذه الصناعة العتيدة في ذلك الزمان - يرتاد البحرين عدد كبير من الأجانب من أطراف متعددة من العالم فمن


نيوة العماري الشمالية
هير أبو الثامة
المشبك
بو عمامة
نيوة الرميحي
ام الخرب
نيوة المعاودة
بوصور
هير أبو الجعل
نيوة عبدالقادر
شتية
أم القرص
أم العرشان
بن زيان
خريس الطير
الوادي
فشت الديبل
رأس راكان
قطعة جرادة
قطر
الخجيجرة
رأس عشيرج


ام الجمال
فشت غريبة
بو سعفة
ابو سبيثى
الرجيجة
بودقل
المهنا
بودقيل
الوشيرة
الطرقة
الميانة
الواسعة
خبلبان
أبوحاقول
ارجلة
خورة
شقته
رأس تنورة
العميرة
نجوة
هير السره
فشت الجارم
كسكوس
رأس العين
المملكة العربية السعودية
خور فشت
فيشت الحدبا
سترة
ام النعسان
البحرين
فشت العظم

أوروبا وبالذات من باريس يفد اليهـا تاجران شهيران لا أعرف بالضبط كامل اسميهما ولكن الناس في هذه المنطقة اعتـادوا تسمية احدهما بمستر بيك والثاني بـالفرنسـاوي (١) وكلاهما من الجاليـة اليهوديـة الفرنسيـة وذلك لشراء اللؤلـؤ والمتاجرة فيه.

يتخذ كل من هذين التـاجرين مقرا بسيطا في مدينـة المنامة تنقصه الكثير من وسـائل الرفـاهية والـراحة التي اعتـاد عليها في بـاريس، ناهيك عـن عدم وجـود المكيفات والثـلاجات لعـدم استحداث الكهـربـاء في البحرين آنـذاك، متحملين شدة الحر والـرطوبة وقسوة المعيشـة ومتخذين طريقة بـدائية لتخفيف شدة الحرارة خـاصة أثناء نومهما، وذلك بتعليـق لوح خشبي طوله حـوالى ستة أقدام في سقف الغرفة تتدلى منه قطعة قماش كثيفـة مرضوفة طولها بطول اللوح الخشبي وعرضها حـوالى ثلاثة أقدام. يربط في وسط اللـوح الخشبي حبل يمتد محاذيـا سقف الغـرفة الى خـارجها مـارا ببكـرة معلقة في سقـف الليوان خـارج الغرفة.

يجلس شخص استؤجر على مقعد في الليوان خارج الغرفة مهمته جر الحبل المتدلي من البكرة اليـه ثم رخيه مما يجعل قطعة القماش المتـدلية من اللوح الخشبي المعلق في سقـف غرفـة (الصـاحب) تتحـرك من جهـة لأخـرى ذهابـا وإيابـا، الغايـة من حركتهـا هذه تحريك الهواء في الغـرفة. ويحدث أحيـانا ان يغفو الأجير فيتوقف عن تحريك المروحة مما يـزعج (الصاحب) خاصة إذا كان نائما ويكدر عليه صفو راحته أو نومه.

كذلك يفـد الى البحـرين عدد من تجار اللـؤلؤ الهنود ومن التجـار العرب. ومن الأشخاص المرمـوقين الذين يحضرون لشراء اللؤلؤ في ذلك الفصـل التاجر الشهير والمحسن الكبير الشيخ محمـد علي زينل رضـا. المذكـور من جماعـة آل رضا بالحجاز اتخذ مدينـة بومبي بالهند مقرا له مع تردده على فـرنسا وبريطانيا، وقد اشتهر المذكـور، رحمه الله، بمكارم أخلاقه وكرمـه وحبه لعمل الخير علاوة

---

(١) وهما كارتييه وشوميه

على اهتمامه بنشر العلـم، فقد انشأ على نفقتـه الخاصة أول مـدرسة نظـامية في الحجاز ومثلها لتعليم أبناء الجالية العربية في بومبي بالهند.

كما يفد اليهـا أيضا عـدد من تجار اللؤلـؤ في الخليج ويقيمـون فيها أيـاما عديدة بل وأشهرا.

في هذا الفصل تنشط الحركـة التجارية في البحـرين بصورة عامة بمنـاسبة وجود مـا أشرت اليه آنفـا وأيضا وجـود العمال الوافديـن من بلاد مختلفـة طلبا للرزق والعمل وأغلب هـؤلاء العمال يأتون من السعوديـة وعمان واليمن والمهرة وعدن والصـومال وايران فتـزدحم الأسواق بهم وتمتلىء الحجر والغـرف البسيطة الصغيرة المتناثرة في المحرق والمنامـة وتصبح البحرين في هذا الفصل خلية نحل من البشر في بودقة حارة.

في المساء ينـام الناس فوق أسطح المنـازل أو في ساحات البيوت والغـالبية منهم لا ينـامـون على سرر بل على فـرش بسيطـة تفرش على الأرض يطمـرهـا ندى السماء المختلط بالعرق المتصبب من أجسامهم.

في هذا الجو المتعب يعيـش الناس عيشة راضيـة تغمرهم السعادة والقنـاعة يتبـادلون التعـامل فيما بينهم بـالصدق والأمـانة والارتبـاط بالكلمـة فلا عقـود كتابيـة تحرر ولا سندات توقع في معاملتهـم مع بعضهم البعض أو حتى بينهم وبين الوافدين.

(الفصل الثالث)

العملة

العملة

مـادمت قـد تطـرقت الى حيـاة النـاس وعيشتهم في ذلك الـزمـان - زمـان الفصل الاخير من العهـد الذهبي لتجـارة اللؤلـؤ، وتحدثت كذلك عـن طرق تعاملهم مـع بعضهم البعض. فيجدر بي ان اذكـر ايضا وسيلة التعـامل بينهم والعملة المتداولة في زمانهم.

لم تكن الانـواط (١) المتداولـة اليـوم للتعامـل معروفـة لـدى ذلك الجيل - جيل العقدين الاول والثاني من هذا القرن، قـرن العشرين، بل كانت الروبية الهندية الفضية هى العملـة الرسمية والرئيسية يشاركها احيـانا الجنيه الانجليزي الذهبي او الليرة العثمانية الذهبية.

والروبية قطعـة فضية مستديرة الشكـل قطرها حوالي بـوصة وربع، صكت في الهند يـوم كانت مستعمرة بريطـانية، ونقش على احد وجهيهـا صورة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا ونقش على الوجه الآخر نقوش شجر وازهار.

يطلق العامـة على الوجه الاول «صنـم» وعلى الوجه الثـاني «شير» (٢) وانه اذا اختلف غريمان على اختيـار شيء ما، ادخل احـدهما يده في جيبـه واخرج روبية وطلب من غـريمه ان يختار احد الوجهين بقـوله «قول صنم والا شير». ثم يطلق الـروبية طائرة في الهواء وعنـد سقوطها واستقـرارها على الارض او في راحة يد احدهما يكسب من اختار الوجه البارز على الروبية.

تحفظ الـروبيـات في اكيـاس مـن الخيش يحتـوي كل كيـس على الفين من الـروبيات. بعـد عـدها يغلـق الكيس وتخاط مـداخله ويختم بعضـه بـالشمع الاحمر. تنقل اكياس الروبيات من محل لآخـر على ظهور الحمير او في عربات الكارو والكيس الواحد ثقيل لا يستطيع حمله الا من كان قويا.

في اواخر هـذا العهد قلـد المزيفون الـروبية الهنـدية الفضية بحيـث خلطوا مـادتها الفضية بمعـدن الرصـاص للاستفـادة من الفضة الموجـودة فيها، وقـد

---

(١) **الانواط**: جمع نوط اي Bank Note

(٢) **شير**: أي شجر كما ينطقها العامة



الروبية الهندية وهي العملة التي كانت تستعمل آنذاك
ويطلق على هذا الوجه منها (صنم)



وجه الروبية الآخر ويطلق عليه (شير)

اتقنـوا التزييف اتقـانا جيـدا بحيث يصعب تمييـز الفرق بين الـروبية الفضيـة الاصلية والـروبية المزيفة. خلق هـذا التزييف بلبلـة بين الناس أدى الى التردد بالقبول او الرفض، فـابتدعوا وسيلة بدائية تنجيهم من قبـول الروبية المزيفة. اما الـوسيلة فهي مقارنـة رنين الروبية الاصليـة برنين الروبيـة المزيفة اذا ألقيت على حجر صلـد فرنين الاصلية جميل تـرتاح له اذن السـامع اما المزيفة فـرنينها باهت مكتوم.

ومن اجل ذلك استعد كل متجر «بصميـة» (١) عهد بها الى شخص ماهر خاص مهمتـه ضرب الروبيات المستلمة واحـدة واحدة على الصمية الموضـوعة امامه وعليه ان ينصت بانتباه وتيقـظ الى رنين الروبيات، فاذا صادف ان صدر عن روبية ما صوت مكتـوم اوقفها، وركنها جانبا ليعيدهـا الى صاحبها مقابل روبية اصلية والمثل يقـول الحاجة ام الاختراع. كانت الصمية في المتـاجر اشبه بآلة كمبيوتـر اليوم. وتصور مرورك بشارع التجار في المنامـة اثناء ايام العمل، سيطرق مسامعك رنين الروبيات وصدحها الجميل على الصمية الذى لا يعكر صفوه الا روبية مزيفة تسللت من بينها وامكن القبض عليها.

بقى هـذا الحال الى ان شرع في استعمال الاوراق النقـدية التـى حلت محل الروبيات الفضية، غير ان العـديد من الناس خاصة العامـة وكبار السن كانوا في البدايـة يرفضـون استلام الروبيـات الورقيـة ويصرون على استلامهـا فضية كسابق عهدهم بها.

---

(١) **الصمية**: حجارة صماء ملساء

(الفصل الرابع)

حوادث بحرية متفرقة

حوادث بحرية متفرقة

ذكرت في مـواضع متعددة من هذه الذكـريات امورا تتعلق بـالبحر وتعلقي به والاستمتاع به وبجوه غير ان ركوب البحـر لا يخلو من مفاجآت ومغامرات تحدث لكل مغامـر فيه وهنا اروي بعض الحوادث التى صادف حـدوثها لي في السنوات الاخيرة او حدثت لغيري وكان بالصدفة لي دور فيها:

خرجت مرة الى البحـر للنزهة وصيد السمك وفيها انـا اسير في عرض البحر خـارج البحـرين لاحظت ان السكـان (الـدفـة) فقـدت السيطرة على تـوجيـه اليخت وانها لا تـديـره لأي جهـة مقصودة، اوقفـت المحـركات وامـرت احـد البحارة لينزل ويغوص تحت اليخت ليرى ماذا حدث للدفة فاكتشفنا ان الدفة وهي مصنـوعة من الحديـد الصلب انفصلت عن السفينـة اثناء سيرهـا بحيث اصبح اليخت بدون دفة.

كان الـوقت صباحـا واصلاح الـدفة يضطـرنا للـرجوع الى البحريـن وهذا يعني اني سأخسر يـوم عطلة صـادف ان كان الجو فيه معتـدلا وجميلا يسـاعد لحد ما على ممارسة الصيد والاستمتاع بهوايتي المحببة.

بعـد التفكير والتردد، اتكلـت على اللـه، وصممـت على البقـاء في محلات الصيد حتى المسـاء، بعد ان وجـدت انه بامكـاني توجيه اليخـت يمينا وشمالا بواسطـة بروانتيه (رفاستيـه)، ولما حان ميعاد العودة عـدت الى البحرين بنفس الطريقة ومن يومها اخـذت الحيطة ووضعت في اليخت «مجدافا كبيرا لاستعماله كدفة» مؤقتة عند الضرورة.

انقاذ:

لقـد هـداني المولى سبحـانـه وتعالى لانقـاذ اشخـاص او قـوارب في اربعـة حوادث بحرية متفرقة اسردها ادناه:

١ - في احـدى امسيـات احـد الايـام وكـان الجو معتـدلا كنت راسيـا في عـرض البحر اتمتع بـالصيـد وكان في نفـس المكان عـدد من القـوارب والسفن

تصطاد ايضا، في هذه الاثناء سمعت صوت مناد يناديني من بعيد باسمي من سفينة راسية في نفس الموقع، تبعد حوالي نصف كيلو متر عن موقعي، ولما تكرر نداء الاستغاثة علقت مرساة سفينتى وتوجهت الى تلك السفينة فاذا بها وهي من نوع اللنجات (١) البحرينية الصنع قد فقدت سكانها (دفتها) واصبحت بدون سكان.

كان الوقت عصرا ومكاننا يبعد عن الساحل حوالي عشرة اميال بحرية، ربطت سفينته خلف سفينتي وسحبتها حتى اوصلتها الى بر البحرين بالسلامة.

ومرة أخرى:

كنت مرة متوجهاً الى محل معين في عرض البحر اشتهر بوفرة السمك فيه. عندما وصلت الى المكان المقصود شاهدت قاربا شراعيا صغيرا به رجل هرم ومعه طفلان بنت وولد لا يتجاوز عمرهما عشر سنوات كانت الريح عادية تحتمل ولكن بعد قليل اشتدت الريح وفي نفس الوقت قوي التيار المائي. تحركت من مكاني واقتربت من قاربه وقلت له الاولى بك ان تبرح مكانك وتتوجه الى البر حفاظا على سلامتك وسلامة اولادك. اجاب انه سينتظر لعل الريح تهدأ ولما رأيت اصراره على البقاء حيث كان ألقيت مرساة يختي بقربه. مترقبا - غير ان الريح لم تهدأ بل زادت شدتها فاضطر للمغادرة والتوجه الى البر ومحافظة على سلامته وسلامة طفليه لازمت المسيرة بمحاذاته حتى وصل الى بحر ضحل لا يبعد كثيراً عن الساحل.

ومرة أخرى:

كان الوقت عصراً والجو معتدلاً ولكن تيار الماء في المنطقة التى كنت اصطاد فيها قوي جدا شاهدت عن بعد قارباً صغيراً من القوارب التى عادة يكون لها محرك ميكانيكي ولاحظت ان اصحابه او ركابه يحاولون شق طريق

---

(١) قوارب بحرية من الخشب

سيرهم ضد تيار الماء القوي باستعمال مجدافين صغيرين لا يكادان يساعدانه على التقدم للامام كما يقال خطوة واحدة، بعد قليل وبعد ان شارفت الشمس على الغروب لمحت أصحاب القارب قد اضاءوا سراجا ذا بطارية وبدأوا يضيئونه ويطفئونه بما يعني التنبيه بأنهم في خطر ويستغيثون بنا اذ لم يكن بذلك الموقع غيرنا.

حالا توجهت اليهم فاذا هم اربعة شبان من اهالي البحرين وقد جاءوا الى تلك المنطقة النائية التى تبعد عن البحرين حوالي ٢٠ ميلاً بحرياً في هذا القارب الصغير الذى لم يكن به غير محرك واحد توقف عن العمل ولم يستطيعوا اصلاحه.

ألقيت اليهم حبلا وسحبت قاربهم خلف يختي الى ان اوصلتهم الى بر الامان. ولما سألتهم بعد ذلك قائلا «كيف تذهبون الى محل بعيد كهذا بمحرك واحد أليس عندكم محرك احتياطي»؟ اجابني احدهم «اجل عندنا ولكن تركناه وراءنا بالبيت»!

ومرة أخرى:

كنت في احدى العصريات في عرض البحر امارس هوايتي بصيد السمك في موقع يبعد حوالي ١٥ ميلاً بحرياً غربي البحرين. كان الهواء منعشا معتدلا الا اني لاحظت وانا انظر الى السماء ان الغيوم المتقطعة تسير ضد اتجاه الريح وفي عرف البحر اذا حدث مثل هذا التناقض يتوقع ان تحدث عاصفة، فقررت الابحار من موقعي والرسو قرب جزيرة قريبة من موقعنا ولما وصلت الى المكان المقصود لاحظت وجود قارب ميكانيكي صغير يصطاد بالقرب منها.

حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً حدث ما كنت متوقعاً اذ هبت العاصفة وكانت شديدة يصحبها مطر غزير جداً ورعد وبرق، كان بحارة سفينتي وعددهم ثلاثة اشخاص هنديان وبحريني نيام، اما أنا فلم أنم متوقعاً ما سيحدث، وعلى اثر هبوب العاصفة استيقظ البحارة فزعين والظاهر ان

البحارين الهنديين لم يشاهدا عاصفة مثل هذه من قبل فاعتراهما الخوف وانزويا في زاوية من السفينة وأخذا يتطلعان بل ويبحلقان من النافذة الى هذه السماء المرعدة المبرقة يهز جسميهما النحيلين تقلب السفينة يمنة ويسرة ويصم آذانهما هدير الريح الشديدة واصوات الرعد المفزع ويخطف ابصارهما بريق البرق المتتابع، اما البحريني فلم يكن كذلك لأنه ربما اعتاد هبوب مثل هذه العواصف.

كان اتجاه الريح آتيا من الجهة الجنوبية الغربية مما يطلق عليه في عرف البحر باطرافنا «عقربي» وبمناحرة اليخت لاتجاه الريح اصبحت الجزيرة خلفنا بمعنى انه اذا لم تستطع المرساة (الباورة) الصمود امام شدة الريح فان يختنا سينجرف على البر وهذا خطر كبير.

اول اجراء اتخذته هو اني قمت بتشغيل محركات اليخت وابقيتها شغالة للاستفادة منها عند الضرورة اذا ما انجرفنا الى الجزيرة، ثم امرت البحارة بعد تشجيعهم ان يحضروا مرساة اضافية ويلقوها في البحر لمساعدة المرساة الاولى في الصمود.

في هذه الاثناء ومن خلال البرق القوي المتقطع شاهدت في البر خيمة كبيرة رفعها الهواء الشديد وألقاها بعيدا ثم رأيت شخصا وقد حمل سراجا في يده يسير مسرعا على ساحل الجزيرة المحاذي لنا يناديني باسمي بأعلى صوته مستنجدا بي، ولكنه ما كاد يسير قليلا حتى انطفأ السراج.

بطبيعة الحال لا يمكن لأحد في هذه الحالة ان يغادر السفينة والا تعرض لموت محقق كما انه لا يمكن تحريك اليخت من مكانه. استمرت العاصفة حوالي نصف ساعة وبقيت جالسا امام قيادة اليخت استعدادا لمساندة اليخت في صموده اذا ما صادف وان انجرف لساحل الجزيرة وذلك بدفعه للامام بواسطة محركاته الشغالة وفي نفس الوقت أراقب اتجاه الريح عن طريق النظر الى البوصلة البحرية.

بعد نصف ساعة تقريبا بدأت العاصفة ترتخي وتخف والتاحت السفينة بمقدمتها من الجنوب الغربي الى الشمال الغربي فاصبح ظهرها يواجه عرض البحر بدلا من ساحل الجزيرة ومع ان الريح ارتخت وتحولت الى شمالية غربية

الا ان المطر ظل يهطل بغزارة ولمدة طويلة، عندها حمدنا الله على انتهاء العاصفة وهدأنا للاستراحة والنوم كما توقف المنادي من الجزيرة عن الاستنجاد بنا.

في الصباح بعد أن أفقنا من نوم عميق على اثر جهد تلك الليلة المفزعة المتعبة وجدنا الرياح وقد تحولت الى شمالية انها معتدلة وبمعاينة الجزيرة ومن عليها لاحظنا ان ساكنيها قد أعادوا بناء قسم من الخيمة على صورة ستار عن الهواء مما يدل على أن الخيمة أصبحت غير صالحة للاستعمال، ولم نشاهد قاربهم وخشية انهم فقدوا متاعهم أمرت أحد البحارة ليعد لهم فطوراً ثم ركبت القارب (القلص) الملحق باليخت متجهاً الى الجزيرة وعند وصولها أمرت أحد البحارة ليأخذ الفطور اليهم ويسألهم عن أحوالهم وعن قاربهم غير انه ما كدنا نتوغل في الجزيرة حتى خرج من وراء ستار الخيمة رجل يرافقه ولدان صغيران وعند الالتقاء بهم تبين انهم من معارفنا سألتهم عن قاربهم أجابوا انه غارق على الساحل الشمالي الشرقي من الجزيرة، فأمرت البحارة ان يتبعونا وتوجهنا الى مكان القارب حيث بادرنا بمعالجته وتخليصه من الغرق ولحسن الحظ ان التلف لم يصب محركه البترولي مع انه فقد من القارب بعض الاشياء المتعلقة بالصيد.

في أثناء رجوعي من موقع القارب بعد تعويمه أسَّر البحار - الذى أخذ الفطور الى موضع الخيمة - في أذني قائلاً انه شاهد وراء ستار الخيمة امرأة وطفلاً صغيراً فالتفت الى صاحبي، صاحب القارب، الذى كان يسير بجانبي مستفسراً. قال نعم كنت في رحلة مع الأهل والأولاد.

لمته على هذه المجازفة وانه ما كان ينبغى منه ان يصطحب عائلته في قارب صغير. وقلت له بعد ان تعدوا قاربكم سنظل بقربكم نلاحظكم وسأتصل بخفر السواحل ليساعدوكم على الرجوع والا سأصطحبكم الى البحرين.

بعد رجوعي الى اليخت كلمت هاتفياً خفر السواحل ولم يمض غير وقت قصير (بعرف البحر) حتى وصل زورق خفر السواحل وتوجهوا الى محلنا في عرض البحر، حيث كنا قد ابتعدنا بعض الشيء عن الجزيرة نسعى لمزاولة الصيد، ولما سألونا عن الحادث أخبرناهم ووجهناهم الى القارب المنكوب

والظاهر انهم رافقوه الى بر الامان. ولا يسعني هنا الا ان انوه بكل اعجاب وتقدير وشكر لادارة خفر السواحل البحرينية ورجالها مشيدا بنشاطهم وسرعة اهتمامهم حفظ الله البحرين واهلها وجعلهم دائما عونا لبعضهم البعض.

وبمناسبة صيد السمك والصيادين يجدر بي ان اتحدث عن طباع الصيادين في بلادنا وطباعهم في الغرب، حسب تجاربي عندما يذهب الصيادون الهواة في الغرب، ويصادف اثناء تجوالهم في عرض البحر ان يعثروا على موقع تكاثر الصيد فيه او ان يلتقوا صدفة بسرب من السمك - يسارعوا لاخبار الصيادين الآخرين بما صادفوا ويعلموهم بموقعهم عن طريق الراديو او التلفون. اما باطرافنا فواقع الامر يختلف عن ذلك فالصيادون باطرافنا يتحاشون ان يخبروا اندادهم عما عثروا عليه من موقع تكاثر الصيد فيه لا بل يتظاهرون بعدم وجود شيء من الصيد، بأن يركنوا للاسترخاء او التظاهر بالنوم اذا صادف ومر بهم صياد وذلك لكي يبعدوه عن ذلك الموقع. ومن عادة الصيادين المتعارف عليها فيما بينهم المبالغة في كمية الصيد الذى اصطادوه او وصف حجم أي سمكة اصطادوها.

واذكر بهذه المناسبة هذه القصة لطرافتها ومدى عدم تصديق الصياد لغريمه ولو كان من اعز اصدقائه. اعتدت والاستاذ احمد العمران قبل سنوات مضت ان نذهب سوية في سفينة واحدة لصيد السمك في ايام العطل وكانت المنافسة بيننا شديدة ولكن صادف في احدى المرات ان تخلف الاستاذ عن مرافقتى في تلك الرحلة من الصيد. فذهبت وحدي بصحبة الربان والبحارة وأحد اولادي وفي منطقة تقع في الشرق من ساحل البحرين تسمى الجميلات توقفنا للصيد في بحر لا يزيد عمقه عن ١٠ اقدام وبدأنا بممارسة الصيد بطريقة ما يسمى «بالشوح» أي سنارة واحدة فقط في طرف الخيط ثم «بلد» ثقل صغير من الرصاص يعلق في الخيط على بعد متر من السنارة.

ترمى السنارة بعد وضع الطعم فيها مسافة ثلاثين او اربعين قدما عن موقع الصياد امام صخور وجحور صخرية تحاذر السفينة ان تقترب منها لخطورتها، فعلاً وفقنا بالصيد من موقعنا هذا فكان صيدنا من نوع ما يسمى

«بالبالول» وهو الاسم الذى يطلق على الهامور عندما يكون حجمه صغيرا.

وفي احدى المرات عندما شحت بخيطي بالقرب من تلك الصخور وسحبته شاعرا بوجود سمكة قد علقت به لاحظت انه في هذه المرة اثقل من المعتاد وان المقاومة فيه اقوى واشد مما سبق، ظننت ان الصيد هذه المرة ليس بالولاً بل سمكة اكبر ربما هاموراً ولكن عندما رفعته من البحر فاذا بالسنارة قد اصطادت بالولين (سمكتين) بدل سمكة واحدة، طبعا هذا امر مستغرب، فهي سنارة واحدة. كان الوضع عجيبا ومدهشا للجميع، حتى اني صرخت دون وعي مني قائلاً «آه ياليت عندنا كاميرا (آلة تصوير) تصور هذا المنظر».

في المساء التقيت بالاستاذ العمران في حفل عشاء مع بعض الاخوة ورويت لهم ما حدث فما كان من الاستاذ العمران الا ان قاطعني امام الجميع بقوله «كذاب - كذاب لا تصدقوه». اعتبرت المسألة مزاحاً بين الاصدقاء لم اهتم بها رغم اني حاولت ان أؤكد له صدق روايتي دون جدوى.

في صباح اليوم التالي وكنت في مكتبي حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا اخبرني الفراش ان احد بحارة سفينتي وهو حارسها الليلي في الخارج يطلب مقابلتي - سألته لماذا هل حدث حادث للسفينة؟ اجاب انه لا يعرف - امرته ان يدخله فلما دخل وهو عماني الجنسية سألته ماذا جرى؟ قال باستغراب وتعجب «لا اعرف ماذا جرى للاستاذ!» قلت: «أي استاذ؟» قال: «الاستاذ العمران» - زاد استغرابي - قلت «افصح ماذا جرى له؟» قال: في الصباح الباكر جاء الاستاذ الى الميناء وسأل عن موقع سفينتنا وما كاد يعرف موقعها حتى بدأ يعبر من سفينة لاخرى حتى وصل الى ظهر سفينتنا وهو ينادي باسمي ولما حضرت قال: «تعال - هل صليت اليوم الصبح؟» قلت: «طبعا» قال: «وهل قرأت شيئا من القرآن؟» قلت: «نعم وكل يوم افعل ذلك» - قال: «اذهب وائتني بالمصحف» - فلما مثلت بين يديه قال: «ضع يدك على المصحف واحلف ان راشد صاد بالولين بسنارة واحدة» - قلت: «نعم حدث ذلك» - قال: «احلف» ولما حلفت دفع يدي جانبا وصاح بحدة قائلا: «انت كذاب ومعزبك كذاب ايضا».. وبارح السفينة وهو يتمتم «**كذابين - كذابين**».

الباب الرابع عشر

وقفة وفاء



المرحوم ماجد الزياني

وقفة وفاء

لا يمكنني ان أجمع ذكرياتي دون التطرق لأصعب موقف واجهته في حياتي، ألا وهو مصيبة وفاة أحد أبنائي - فلذة كبدي. هذا المصاب الذى يقف الانسان حائراً أمامه، مكتوف اليدين. والذي لا يعينه على تخطيه واجتيازه الا ايمانه بالله سبحانه وتعالى ورضاه بقضائه وقدره خيره وشره.

ويعظم المصاب اذا كان الابن باراً بوالديه خلوقاً عطوفاً بهما وبإخوته وبالناس اجمعين صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم قريبهم وبعيدهم. هكذا كانت سجايا ولدي المرحوم ماجدالزيانى الذي تخطَّفه المنون وهو في ريعان شبابه إثر حادث أليم.

اضافة الى هذه السجايا الحميدة فقد قام فلذة كبدي المرحوم ماجد بدور اساسي في الكثير من مشاريعنا التجارية أهمها:

- تطوير مصانع بلاستيك الخليج بالبحرين وفتح اسواق لمنتجاتها في الخليج العربي والعديد من دول العالم وكان أول من ساهم في تقديم طريقة الري بالتنقيط في الخليج باستخدام الانابيب والمقطرات البلاستيكية.
- كما انه أدار بكفاءة وحكمة ما عهد اليه من اعمال تجارية في مؤسسة عبدالرحمن الزياني وأولاده وعلى رأسها تجارة السيارات وملحقاتها.

في نفس الوقت شارك أخويه خالد وحامد حفظهما الله في تأسيس شركة استثمارات الزياني. وكان من أهم انجازاته انشاء مصنع ميدال للكابلات الذى تفرغ له واعطاه الكثير من وقته واهتمامه فصار ولايزال من أنجح المشاريع التجارية لاستثمارات الزياني والذي ساهم الى حد كبير في كسب العديد من الاسواق العالمية محققاً مردوداً مالياً محترماً للبحرين.

- كما كان من انجازاته تطوير فندق دلمون ورفع مستواه عندما عهد اليه تولي ذلك مما كان له مردود ايجابي كبير على دخله.

ولعل أهم انجاز حققه ولدي المرحوم ماجد هو حب الناس له ورضاهم عنه على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم وجنسياتهم، فإلى يومنا هذا وبعد مضي



المؤلف راشد الزياني مع ولده المرحوم ماجد

خمس عشرة سنة على وفاته لازال الجميع يترحمون عليه وانه لا يكاد يمر يوم دون ان يتذكره احد ويشيد بأخلاقه وطباعه الحميدة. ورضا الناس من رضا الله سبحانه وتعالى.

كان ولدي المرحوم ماجد رحوماً ليس على الناس فحسب بل حتى على الحيوانات، فكان فارساً مولعاً بركوب الخيل ومهتماً بجمع ورعاية عدد منها علاوة على اهتمامه بتربية ورعاية كلاب الصيد خاصة نوع السلق منها، كما كان يحتفظ بعدد من الابل. كان رياضياً يجيد لعبة التنس الارضى والتزلج على الماء ورياضة الابحار بالقوارب الشراعية وغيرها، كما كان شغوفاً بلعبة الشطرنج وقد نظم أول بطولة شطرنج مفتوحة في البحرين وتبناها.

وتخليدا لذكراه عمدت لإقامة دورة سنوية للشطرنج أطلقت عليها «دورة المرحوم ماجد الزيانى للشطرنج». كما شيدت مدرسة ماجد الزياني لتعليم ركوب الخيل شيدتها في مضمار سباق الخيل وسلمتها لادارة سباق الخيل، كذلك بنيت مدرسة أطلقت عليها اسم روضة ماجد الزياني وسلمتها لجمعية رعاية الطفل والأمومة لادارتها ورصد ريعها للأعمال الخيرية.

رحم الله ولدي ماجد وأسكنه فسيح جناته وحسبي ان الله تعالى قد رزقني ولداً مثله ولو الى حين. وكرَّمني بجليل الثواب لهذا المصاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

صدق الله العظيم

* * * * *

الفهرست

رقم الصفحة

رقم الايداع في المكتبة العامة ١٥٩١ د.ع / ١٩٩٤
المنامة - دولة البحرين